

تتبعات علمية ولائية

ولاية بيروت

– ١ –

القسم الجنوبي

الوية بيروت، وعكا، ونابلس

تتناول المشاهدات والمباحث، عن طبقات الامم، وطبقات الارض والجغرافيه، والتاريخ والآثار العتيقه، والاحوال الروحيه، والاخلاقيه، والاجتماعيه، والصحيه، والدين، واللغات، والآداب، والصنائع النفيسه، والمعارف والزراعه، والتجارة، والطرق، والصنائع

مطبعة الاقبال – بيروت

١٣٣٥ ﻫ – ١٣٣٣ م

ترجمة المولفين

نشر هنا مختصراً من ترجمة حياة المؤلفين محمد رفيق بك ومحمد بهجت بك

ترجمة حياة محمد رفيق بك

ولد في نابلس عام ١٣٠٣ وينتهي نسبه من جهة والده الى حضرة تميمي الداري احد الصحابة الكرام رضي الله عنه . اتم تحصيله الابتدائي وقسماً من التحصيل الاعدادي في نابلس واكمله في اعـدادي مرجان في الاستانة ودخل المكتب الملكي بالمسابقه عام ١٣٢٢ . وحينما كان في الصنف المنتهى عزمت نظارة المعارف على ارسال عدد معين من الطلاب لاكمال تحصيلهم في اوربا ففاز رفيق بك بالمسابقة التي اجريت وارسل الى باريس فبقى فيها ثلاث سنين حيث تعلم اللغة الفرنساوية ونال الشهادة من الدروس التاريخية عام ١٣٢٧ من كلية الادبيات في باريس ولما عاد الى العاصمة عين معلماً للتاريخ في مكتب ساطاني مناستر فسافر الى محل مأموريته ولكنه اضطر الى العودة من سلانيك لعدم تمكنه من الوصول الى مناستر بسبب الحرب البلقانية فعينتهُ النظارة معلماً للتاريخ في سلطاني خربوت . وبعد سبعة اشهر عين معلماً للتاريخ والجغرافيـة في المكتب السلطاني الثاني الذي فتح في بيروت وبعـد سنتين الغى المكتب المذكور فأصبح بلا مأمورية مدة شهرين ولكنهُ قام خلالها بمديرية نادي الاتحاد والترقي في دمشق . وفي ذلك الحين عينتهُ نظارة المعارف معلماً للتاريخ والجغرافية في سلطاني ازمير وبعد شهرين نقلته الى معلمية الادبيات والفلسفة في المكتب السلطاني الثاني في دمشق . وقبل ان يباشر مأموريته الاخيرة عـين مديراً للمكتب التجاري الذي افتتح في بيروت عـام ١٣٣١ . ولرفيق بك مؤلف بالفرنساوية عنوانه (ولاية مدحت باشا على الطونه) وقد قبلتهُ هيئة التحكيم في كلية الادبيات في باريس . ومؤلف آخر واسمهُ (التاريخ عمومي) وقد جعله ثمانية اجزاء ولكنهُ لم يطبع

ترجمة حياة محمد بهجت بك

ولد محمد بهجت بك في حلب عام ١٣٠٨ هجريه . ووالده كاتب زاده محمد بشير افندي الحلبي من اعضاء محكمة استئناف بيروت اليوم ووالدته كريمة رضا افندي من اسكدار في الاستانة . تعلم منذ صغره من والديه اللسانين العربي والتركي ودخل المكتب الاعدادي في حلب عام ١٣١٥ ماليه وبعد اربع سنين تحولت مأمورية والده الى باشكتابة محكمة الاستئناف في سلانيك فذهب اليها وهناك اتم تحصيله الاعدادي وخرج من مكتبها عام ١٣٢٢ بالدرجة الاولى . وجاء الى الاستانة لاتمام تحصيله فدخل مكتب الحقوق بالمسابقه . وقد اثر في نفسهِ محيط الاستانة فاحدث عنده ميلاً الى الاشتغال بالاداب التركيه القديمه منها والحديثه فنال منها حظاً وافراً واخذ ينظم وينشر . ولما اعلن الدستور عام ١٣٢٤ بدأ ينشر اشعاره في مجلة «رسملى كتاب» وفي جريدة ثروت فنون وفي امثالها من المجلات الادبية ودخل بين الهيئات التحريرية لجريدتي طنين وتصوير افكار وحرر في صحيفة (جريدة عدلية) التي كانت تنشرها نظارة العدليه . وفي ذلك العام اخذ الشهادة بدرجة (على الاعلى) من مكتب الحقوق في العاصمة فعين كاتباً من الصنف الثاني في دائرة الاحصائيات في نظارة العدليه . ولما فتحت المكاتب السلطانية رجح مسالك التعليم فقبل معلمية الادبيات العثمانية في سلطاني بيروت وجاء اليها عام ١٣٢٦ . وفي مدة وجوده في بيروت اهتم بتتبع الادبيات الغربية وعلم اللغة التركية في الكلية اليسوعية . وعام ١٣٢٩ معلماً للفلسفة في سلطـاني بيروت ولما انتقل المكتب الى دمشق عقيب اعلان الحرب العامة ذهب اليها وهناك علم درس الادبيات في (المكتب الاعدادي العسكري) وعام ١٣٣١ عين مديراً ثانياً للمكتب السلطاني في بيروت وبقيت في عهدته وظيفة تدريس الادبيات والفلسفة . وللمؤلف كتاب مطبوع يسمى (ارغنون) جمع فيهِ اثاره المنظومة وله آثار مدرسيه ومنظومات ومقطعات تمثيليه وغيرها

مقدمة

تعريب كتاب الت[illegible] في [illegible] ولاية بيروت
الذي جرى تأليفه باللغة التركية

المقدمة

ان من الحقائق التي لا تنكر شدة احتياجنا لمؤلفات مفيدة تأتي بها التتبعات والتفحصات من وجهتي العلم والمدنية في احوال بلادنا العمومية · لنعرف منها ماهية وطننا المقدس · ولا ريب ان اهمال القيام بذلك ناشىء عن ضعف في العزيمة وفقدان الجرأة والعمـل · واذا عطفنا نظرنا الى تقاويم الولايات « السالنامه » التي كانت تنشر حتى الآن وعرفنا انها كانت عبارة عن جداول رتب واسماء مأمورين تحقق لدينا ان الدوائر الرسمية لم تكن خالصة من وصمة الاهمال والتسامح في هذا الامر

ولقد نظر حضرة والي الولاية العالي عزمي بك افندي الى هذا الامر بعين الاهتمام وعرف شدة الحاجة الى املاء هذا الفراغ بوضع دليل علمي ومدني يستفيد منه موظفو الحكومة وطبقات الاهلين · وينير مستقبل البلاد العلمي فانتخب لهذه الغايـة رفيق بك التميمي مدير المكتب التجاري في بيروت · ومحمد بهجت بك المدير الثاني في المكتب السلطاني · وارسلهما الى القسم الجنوبي من الولاية

ورغماً عن فقدان الوسائط العمومية وعن لزوم تحديد مدة السياحة للمنتدبين مدة شهرين فقد طاف المومى اليهما مناطق (سلفيت · نابلس · طول كرم · ملبس · جنين حيفا · عكا · صور · صيدا · نباطيه · جديدة · مرجعيون · الجاعونه صفد · طبريا · الناصره · بيسان) واخذا من تتبعاتهما في تلك الجهات ومن مقتبساتهما من الآثار العلميه والادبية التي يشار الى اسمائها في نهايـة هذا المؤلف ما وجدا حاجة الى نشره فكتب رفيق بك المباحث (الجغرافية والتاريخية · والآثار العتيقة والمعارف والزراعة والتجارة والنافعة · والصناعة وطبقات الارض · وطبقات الامم والحالات الدينية في الطوائف « الدرزية · والمسيحية · واليهودية » وكتب بهجت بك عن « الاحوال الروحية والاخلاقية والاجتماعية والصحية » ومباحث « الالسنة والآداب والصنائع النفيسة » وعن طوائف « المتاولة والبابيه والسامريه » وعن « المؤسسات الاجنبية » وعن « المشاهد العامـة » وبذلك تم للاثنين تأليف هذا الكتاب بالاشتراك عن القسم الجنوبي من ولاية بيروت

ان هذا هو (تجربة قلم) ظهر لاول مرة في عالم الوجود و بالطبع ستتمم بعض المواد التي يعسر عليها وسيظهر ايضاً لعالم الوجود على هذه الخطة مؤلف تام عن القسم الشمالي حسب ما هو متصور لدى مقام الولاية العالي فيزول بذلك في زمن قليل ما نشعر به من الاحتياج لدليل علمي ومدني

مباحث عمومية

مباحث عامة

— ٢ —

موقع ولاية بيروت وحدودها

تقع ولاية بيروت بين الدرجة ٣٥ . ٣٢ و ٣٤،١٠ طولاً والدرجة ٣١،٥٠ و٣٥ ،٣٥ عرضاً وهي عبارة عن القسم الاعظم من سواحل سوريه . وتتبع ولاية بيروت كافة السواحل السورية ماعدا القسم الشمالي الملحق بولاية حلب والقسم الوسطى الملحق بلواء جبل لبنان والقسم الجنوبي المرتبط بلواء القدس الشريف . ولقد امتدت حدود ولاية بيروت الى الداخل في الجهة الجنوبية فضم اليها لواء اعكا ونابلس حتى نهر الشريعة وحدود لواء القدس الشريف . وعلى هذا فان ولاية بيروت يحدها شمالاً ولاية حلب وشرقاً ولايتا حلب وسوريه وجنوباً لواء القدس الشريف وغرباً البحر الابيض

قسمت ولاية بيروت بواسطة متصرفية جبل لبنان الى قسمين متساويين تقريباً فالقسم الجنوبي وهو الممتد من الحدود الجنوبية في ناحية جاعين الى نهر الاولي في قضاء صيدا ويبلغ طوله ١٦٥ كيلومترًا والقسم الشمالي منها وهو الممتد من مدينة طرابلس الشام الى الحدود الشمالية من قضاء صهيون التابع للواء اللاذقية ويبلغ طوله « ١٩٠ » كيلومترًا . ورغماً عن ان طول الولاية يبلغ « ٣٥٥ » كيلومترًا فان عرضها يتراوح في القسم الجنوبي ما بين ٣٠ و ٩٠ كيلومترًا وفي القسم الشمالي منها ما بين ٣٠ و ٥٠ كيلومترا

— ٢ —

مساحتها السطحيه ونفوسها

يقدرون المساحة السطحية العمومية في ولاية بيروت بـ « [illegible] » [illegible] وتقسم [illegible] الالوية على الوجه الآتي

		كيلومتر ومربع
بيروت	لواء	٤٥٣٠
عكا	«	٧٥٢٧
طرابلس الشام	«	٥٩٦٩
اللاذقيه	«	٥٨١٠
نابلس	«	٦٦٦٤
		٣٠٥٠٠

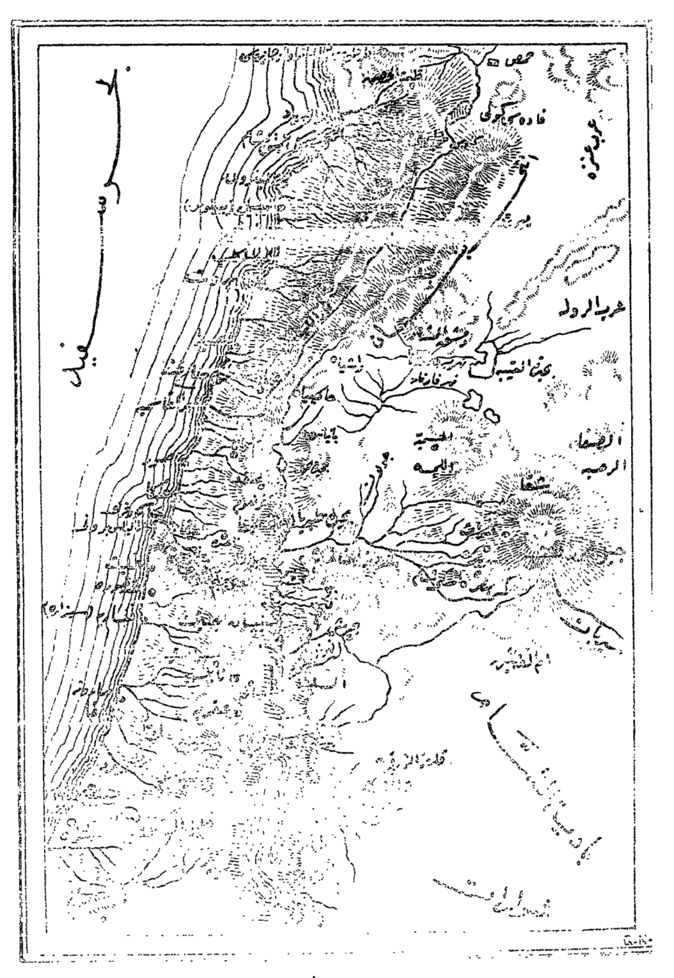
ان القطع بصحة هذه الارقام صعب . وبسبب اهمالنا اصول المساحة (القادسترو) وعدم تطبيقنا اياها في بلادنا وهي تلك المسئلة المهمة . فقدلاقينا اثناء سياحتنا صعوبات بتعيين مساحات الاقضية والالوية حتى ان النفس لا تسمح بادخال الارقام التي اخذناها عن ذلك في تقريرنا هذا لبعدها عن الحقيقة

ان مسئلة المساحات ذات علاقة بحياة البلاد وبقائها ؛ وبقدر احتياج الدولة الغنية باراضيها الوسيعة لمعرفة حدودها ومساحاتها . فان الامة العثمانية محتاجة لمعرفة حدود اراضيها وحدود بلادها المتنائية الارجاء الغنية بمعادنها والمتفخرة بكونها مهبط المدنيات الكثيرة . ولقد اقتبسنا الارقام المذكورة آنفاً من كتاب (سوريه ولبنان وفلسطين) الذي نشره في باريس عام ١٨٩٦ (VITAL CUINET) احد ارباب الاختصاص بفن الجغرافيا . وبالنظر لاهمال المؤلف ذكر مآخذ هذه الارقام مع ان الضرورة تقضي بذلك فاننا نضطر لايقاظ القراء الى تتبع الحقيقة عن مساحة الوية بيروت وعكا ونابلس التي تكلمنا عنها

النفوس = نذكر هنا عدد النفوس حسبما اخذناه من دوائر النفوس الرسمية

١٥٠٠٠٠	قضاء بيروت	لواء بيروت	١٨٦٦٣٩
٤١٢٤٠	« صور		
٥٤٢٨٤	« صيدا		
٣١١١٥	« مرجعيون		
٤١٢٩٠	« عكا	لواء عكا	١٣٨٨٧٣
٣٠٧٣٧	« حيفا		
٢٠٧٩٢	« الناصره		
١٣٧١٧	« طبريا		
٣٢٢٣٧	« صفد	لواء نابلس	١٣٧٥١٨
٥٦٥٧٥	« نابلس		
٤١٩١٥	« جنين		
٣٩٠٢٨	« بني صعب		
٥٦٣٠٣٠	مجموع نفوس الالوية الثلاثة		٥٦٣٠٣٠

يؤخذ من البيانين اللذين ذكرناهما آنفاً ان مساحة الوية بيروت وعكا ونابلس تبلغ ١٨٧٢١ وان نفوسها تبلغ ٥٦٣٠٣٠ وعلى هذا الحساب يصيب كل كيلومتر مربع منها ٣٠ شخصاً و ٨ في المئة



حمص
قادس كولى
عرب عنزه
عرب الروله
بحيرة العتيبه
الصفا
الرحبه
شهبا
بحر سفيد

— ٣ —

الاهـالي

تقسم اهالي سوريا من حيث الشعوب الى عرب وسريان واتراك وجراكسه ٠ ويهود وفرانك ٠ ومن حيث الاديان الى اسلام ومسيحيين (ما بين روم ارثوذكس ٠ وكاثوليك ٠ وموارنيين ٠ ولاتين ٠ وارمن كاثوليك ٠ وارمن قدماء ٠ وسريان ٠ وكلدانيين ٠ وبروتستان) وموسويين وسامريين « * »

٣ — العرب السوريون

لما انتشر الدين لاسلامي هاجرت اسرات من شبـه جزيرة العرب واستوطنت سوريا وهي منقسمة الى قسمين حضر وبدو

اما الحضريون الذي استوطنوا المدن واستبدلوا قيافتهم العربية تدريجاً بقيافات الامم الاجنبية وثياب الاوربيين اخيرًا فهم الاسرات الكبيرة المعروفة اليوم في المدن السوريه ٠ ويزيد هذا القسم اضعافاً مضاعفة على السريانيين الذين ليسوا من العرب مطلقاً ٠ اما العرب المتحضرون اليوم ماليس في كثير من عاداتهم وموروثاتهم ما يشبه عادات اسلافهم العرب وطباعهم بشيء ٠ واما البدو فهم العشائر التي فضلت حالة البداوة على الحضارة وظلت سيارة تتنقل في البلاد تحت خيامها ٠ فالقسم البعيد منهم عن البلاد المتمدنة من سوريا ما لبثوا محافظين على اخلاقهم العربية صغيرهـا وكبيرها فهم يحترمون الضيف وينشدون اشعار الحرب والحماس ٠ وهم مفترقون الى عشيرتين

الاولى — منها عنزه وهؤلاء يرحلون ايام الشتاء الى اواسط البلاد العربية ويعودون ايام الصيف الى حدود سوريا ٠ وتنقسم عشيرة عنزه الى اربع قبائل وهي: ولد علي ٠ حسنه ٠ رواله ٠بيشر٠ وتتراوح نفوس العشيرة من ٢٥ الى ٣٠ الفاً

والثانية — منها عشائر البدو القاطنون في اراض معينة من سوريه ولا يفارقونها في مواسمها الاربعة واهم هذه العشائر (بنو صخر) القاطنون لواء الكرك ٠ وعلاوة على هذه العشيرة فانه يوجد حوالي الحولة عشيرة (الغوارنة) وفي غوربيسان (البشاتوه)و (البواتيه) و (الغزاويه) ـ (الصقاوره)

وتشتغل هذه العشائر بالزراعة والحراثه اكثر من اشتغالها بالماشيه وتربية الحيوانات (١)

(١) وسنشرح حالة السامريين العموميه حين الكلام عن نابلس

٣ – السريانيون

يحسبون اليوم سكان سورية من ابناء العرب بسبب انتشار اللسان العربي وتعممه بين القسم الاعظم منهم ولكننا اذا نظرنا بعين الحقيقة نجد ان ابناء سوريه هم احفاد السريانيين الذين كانوا يقطنون سوريه قديماً . ولما ظهر الدين الاسلامي المبين واستولى العرب على القسم الشمالي من سوريه لم يتبع الفاتحون سياسة الافناء والامحاء لسكان البلاد ولم يجبروا اهلها على اعتناق الدين الاسلامية . ورغماً عن تمايل فريق كبير من سكان سوريه القدماء للديانة المسيحية حين استيلاء البزانسيين عليهم . ورغماً عن تخليهم عن دينهم القديم وتشرفهم بالدين المبين الاسلامي حين الفتوحات الاسلامية فأن قسماً منهم مازالوا محافظين على عاداتهم الصنمية القديمة . ومن ذلك الاماكن المقدسة المعروفة بـ (المقامات) التي لم تكن سوى (المقومات) التي رفضتها الشريعة الموسوية بشدة ونفرة . واذا نظرنا في الامر بامعان نجد ان تلك المقامات التي يدعي اوثانها انها مراقد الانبياء والاولياء هي عبارة عن قبور الآلهة المتخذة قديماً والموسومة باسماء اعزة النصارى . وان ذبح القرابين في تلك الاماكن وطلاء شاهد القبور بالحناء . وربط الخرق لصغيرة بنوافذ المراقد وايقاد الشموع والزيت في حجراتها والحلف في تلك الاماكن المقدسة والاعتقاد بهلاك الحانث بيمنه واستحكام تلك المعتقدات – انما هي آثار تعيد الينا ذكري عبدة الاصنام الذين كانوا يقطنون سوريه قديماً

ويطلق اسم السريانيين على اليهود وعلى كافة الاقوام القديمة التي كانت تقطن سوريه وتتكلم باللغة (الاراميه) المحرفة عن العبرانية . ولما ظهرت المسيحية تنصر قسم من هولاء وحافظ قسم منهم على وثنيتهم القديمة . وحينما انتشرت الاسلامية في سوريه اخذ اللسان العربي يقوم مقام اللغة السريانية وانتهى الامر بتعمم اللسان العربي تماماً . ولم يبق اليوم من المتكلمين بالسريانية الممزوجة بالعربية سوى سكان قرية او قريتين في (انتي لبنان)

— ٤ —

الاديان والمذاهب

ينقسم المسلمون في سورية الى سنيين وشيعة ومتاولة ودروز ولما كان امر السنيه والشيعه

(١) وسننشر في الآتي الحالة العمومية عن عشائر ولاية بيروت

معروف لدى المعتنقين للدين المبين الاحمدي والبحث عنهما عائد للتاريخ الاسلامي فلا نرى لزوماً للتكلم عنهما او عن احداثهما . ولكننا نتكلم هنا عن البابية والدرزيه (١)

١ — البابيون والبابيه

(١) — تاريخ البابيه — البابيه (BABISME) دين اسسه في ايران عام ١٨٤٣ م شخص معروف يسمى (السيد علي محمد) وهو من تلامذة (الشيخ احمد زين الدين الاحسائي) الشهير الذي كان يمزج الشريعة الاسلامية بالتصوف والفلسفة . ولقد كان (الشيخ احمد) وتلامذته يدعون ان المهدي المنتظر هو قائم في عالم غير جسماني وبعبارة اخرى انه قائم في عالم روحاني يسمى (جابلقا) و (جابرسا) . اما (السيد علي محمد) فانه وافق شيوخه على معتقداتهم ولما عاد من مكة المكرمة ادعى انه هو (باب المهدي) وتدرج بعد قليل بالامر فاسس ديناً جديداً ايضم ابناء الاسلامية والنصرانية واليهودية والوثنيه . وسمى نفسه اولاً (باب الدين) ثم ترك هذا اللقب وسمى نفسه (النقطة) و (خالق الحق) ثم اعلن انه ليس نبياً او رسولاً عادياً ولكنه (هيكل آلهي) ومنح احد مريديه لقب (باب) وارسله من قبله الى جهات مختلفة

ثم عاد الى قول قدوته (الشيخ الاحسائي) وادعى للمرة الثانية انه هو (المهدى) المنتظر ولقد كان الاعتقاد بالرجعة اي رجوع نوع من لاغة سبقين وتابعين . وانتشار مذهب (الاماميه) المؤيد لذلك باقياً في ايران وكذلك كانت معتقدات الطائفة الباطنية بتناسخ الارواح متبعة ايضاً في تلك البلاد . وظهر في الوقت ذاتــه اعوان (السيد علي) ومريدوه يدعون احياناً ان شيخهم هو الحسن واحيانا انه الحسين واحياناً انه احــد الائمة . وكان (السيد علي محمد) يسمي نفسه تارة بحسن وطوراً بحسين وبا ثالها من الاسماء . وكان يسعى بنشر الدعوة القائلة بان الشخصية الانسانية التي تميز الافراد عن بعضها انما هي مجموعة صفات واخلاق . فاذا وجدت هذه المجموعة الاخلاقية على وجه التام تمثل ذلك الشخص بذاته في اي زمان ومكان فلهذه الاسباب واترب هذه المعتقدات من معتقدات الطائفة شيخية احد فروع الشيعية ظهرت دعوة (علي محمد) وانتشر امرها

ولما راجت بضاعة دعوة ادعى هــذه المرة انه نبي مرسل وان الكتاب الذي انزل عليه يسمى (البيان) وان القرآن الكريم اشار اليه بقوله (خلق الانسان علمه البيان) وان المقصود من الانسان (محمد) وان المقصود من البيان هو كتاب (البيان) المنزل على السيد على

(١) وسنتكلم عن الاحوال الاجتماعية والادبية للمتاولة في حينه

اما كتاب البيان فهو عربي مسجع وفيه شيء من الكلمات الفارسية • واقب السيد علي نفسه مدة من الزمن (بالذكر) وادعى انه هو المقصود من الذكر الوارد بالآيتين الشريفتين (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وازداد المتدينون بدينه في مدة قليلة وابتدأ يلقي الرعب في القلوب لأن الذين كانوا يطعنون بالدين الجديد يقتلهم اتباعه • فاهرق بسبب ذلك دماء كثيرة ومع هذا فانه لم يكتف بذلك بل سار البابيون على الحكومة في ثلاث جهات وهاجموها • ولم تتمكن من اطفاء الفتنة الا بعد مشقات عظيمة والقى القبض على (السيد علي) واعدم في سجنه رمياً بالرصاص بفتوى من علماء تبريز وذلك عام ١٨٥٠ بعد ان سجن ثمانية عشر شهراً ثم القيت جثته في خندق • ويدعي مريدوه ان جسده عرج الى السماء ولكن الايرانيين يقولون ان الكلاب اكلت جسده

وبعد ثلاث سنين من مقتل (محمد علي) اراد ثلاثة من اتباعه الايقاع بالشاه فاهرقت بسبب ذلك دماء قليلة

وقد ذكر (محمد علي) في احدى رسائله ان احد مريديه (يحيى) سيكون خليفته من بعده ودعاه (صبح الازل) فبدأ شاه ايران يتعقب المتدينين بهذا الدين • ولما لم يجد (يحيى صبح الازل) وسيلة للنجاة فر الى بغداد مع اخيه الميرزا حسين الملقب ; (البهاء) • وباشارة من الاخ الاكبر اختفى (صبح الازل) عن الاعين واخذ اخوه (بهاء) يدعي ان (صبح الازل) اختفى عن الاعين ولكنه حاضر في كل مكان ولا تراه الاعين • وبحسب الاتفاق المنعقد بين الحكومة العثمانية وحكومة ايران نفت الدولة العثمانية هؤلاء الشرذمة الى ادرنة • وفي اثناء ذلك بدأ الشقاق بينهم فانقسموا الى قسمين احدهما اتبع (صبح الازل) وسموا (الازلية) وانقسم الآخر اتبع (بهاء الله) وسموا (البابيه) وقد اتم (بهاء الله) قواعد الديانة البابيه واجتهد ليجمع بين ديانته والمدنية الحاضرة • وجمع معتقدات البابيين في كتابه المسمى (الكتاب الاقدس) ويقال ان لصبح الازل كتاباً خاصاً ايضاً • وعلى كل فان الشيعتين يرجعان بمعتقداتهما الى قواعد الديانة البابية

وبعد قليل من الزمن احست الحكومة العثمانية بشيء من مقاصدهم فنفت (صبح الازل) الى جزيرة قبرص وهناك توفى • ونفت « بهاء الله » الى عكا • وبقي « بهاء الله » معتقلاً في قلعة عكا الى ان توفى فخلفه ابنه (الشيخ عباس) وقد عمد « الشيخ عباس » لنشر البابية طوراً بزيارته اوربا واميركا وطوراً بارساله مبشرين الدعوة

٢ — قواعد الديانة البابيه — بعد ان حصل لدى القاري اجمال عن تاريخ البابيــة ننتقل

الى البحث عن معتقدات البابيين . فالدين البابي يرجع باعتقاده مثل سائر الاديان الى وجود مبدأ فرد . ويصدق بسائر الانبياء والمرسلين . ويقرب من معتقدات النصارى بحلول اللاهوت بالناسوت رغماً عن قوله بان الارواح حين مفارقتها الاجساد تثاب او تعاقب ولكنه يقول بان الثواب والعقاب هو عبارة عن تلذذ او تألم بتذكر ما مضى من الخير والشر . ويدعي ان الارواح الشريرة تعود الى العالم الجسماني مرة ثانية فقط بعد تخلصها من الاخلاق السيئة . ولا ريب ان هذا الاعتقاد هو من التناسخ . ويفرض الدين البابي صلاة ركعتين فقط كل صباح ولا يأمر بغير هذا وقد كانوا بنوا مسجداً في شيراز واتخذوه قبلة في صلاتهم . ويعتبر البابيون عدد ايام الشهر تسعة عشر يوماً لانهم يعتبرون العدد ١٩ مقدساً لزعمهم ان الوحدة في عالم اللاهوت مؤلفة من تسعة عشر اقنوماً . ويترأس العالم اللاهوتي « الباب » ويدعي البابيون ان الباب اكبر من « محمد » وان محمداً اكبر من عيسى . وتفرض الديانة البابية صيام شهر فقط وتنتهي مدة صيامهم يوم عيد النوروز . وعيد الفطر عندهم يوم النوروز . وتقضي الديانة البابيه بهدم مكة والقدس وسائر مقامات الانبياء والاولياء وجميع الاماكن المقدسة والمباركة . وقد كان الباب منع الخمر والتبغ في زمنه ولكن اتباعه حللوه بعده . وقد قال « الباب » ان في شرب التتن ثواباً عظيماً ووصى باستعماله . وتجيز الديانة البابية تعدد الزوجات الى اثنتين فقط . اما الزواج بالشراء او بالمتعة فغير محصور بعدد ويقال ان البابية تجيز التزوج بالاخت . . . اما الكذب او نقد احد من خانه فحرام . وكفارته اعطاء ثلاثة مثاقيل من الياقوت الى اربابه . فاذا لم يجد ياقوتاً فيكفر بصيام ثلاثة ايام . ومن قواعدهم الدينية بناء مراقد مرصعة بالجواهر لقتلاهم الذين استشهدوا في طهران . وقيام كل شخص يمكنه الاستقلال من ابناء دينهم بالدعوة فيخير العالم اما باتباع ديانة البابية او بالقتل ولا تقبل الجزية عندهم . وتقضي الديانة البابية ان يقتني كل فرد منهم قدح فضة وثياباً نظيفة فيشرب بالقدح ماء صافياً ويتزين بثيابه النظيفة حين الفراغ من عمله . ويعتقدون انه من الممكن ظهور مرشد كامل بعد الفي سنة وكسور من وفاة الباب . وحاصل القول ان الديانة البابية لا تستقر على نظام معين فهي كالرمال المتنقلة فتارة تحدث تلالاً وتارة تنتقل الى محل آخر فتصبح ركاماً صغيرة ولا تجيز الديانة البابية الزواج بالمستفرشة ولا يجوز الطلاق عندهم كما ان التستر غير جائز في البابية

ومن تعاليم هذا الدين عدم الاباحة للمعلم ضرب تلامذته . ولا يجوز اعطاء الزكاة والصدقة لغير البابيين واذا لم يكن من البابيه فقير فان الصدقة والزكاة تعطى للفقراء من الطائفة الشيخيه ولما كان الانتساب « للاباحية » من قواعد دينهم فانهم يحلون هدر دماء المخالفين لدينهم .

ويقال ان الديانة البابية تبيح المشاركة بالاموال

٣ — المقاصد المدنيه من البابيه — ارسل «الشيخ عباس » الشيخ الحالي لطائفة البهائية من الديانة البابيه كتاباً فارسي العبارة الى المجلة الشرقيـة في لوندره THE ASIATIC (QUARTER BY REVIEW) فنشرت المجلة في عددها الصادر في شهر نيسان سنة ١٩٠٣

صورة الكتاب بالتصوير الشمسي وترجمتـه الى الانكليزية . ولما كان الكتاب محرراً بحرية مطلقة وبدون تضييق اواجبار فانهُ يمكننا اعتبار ما تضمنهُ وان نتلقاه كوثيقة تاريخية عن المقاصد الدينية للديانة البابيه

ويرى القارئ فيما يلي في اجتماعاتنا مع الشيخ الموحى اليه ان الافكار والاراء التي صرح لنا بها غير مخالفة او مناقضة لما جاء في الكتاب ولهذا يمكننا الاعتماد على ما ورد فيه واثبات صدقه وصحته . وها اننا نترجم الكتاب حسب ما يأتي :

مدير مجلة الشرق المحترم في لوندره

هو الله

صديقي المحترم

تناولت كتابكم . وقد اوجبت سروري تلك الروابط الروحانية المنبعثة عن الروح و لوجدان ولقد تبين لي من هذه السياحة ان العالم الغربي قد رقي جداً في المدنية المادية ولكنه بقي تائهاً عن المدنية الآلهية . ولقد غاصت عقول البشر في بحار العالم الطبيعي الذي يشوبه كثير من النقص فاصبحت المدنية الآلهية ضئيلة لا ترى . وما دام تنازع البقاء هو القاعدة الاساسية في عالم الطبيعة . فمشاكل بني البشر والبغضاء والشحناء والحرب والخصام لا تفارق هذا العالم لانها منبعثة جميعها عن تنازع البقاء . وما دام الظلم والانانية وحب الاعتداء على حقوق الآخرين من لوازم العالم الحيواني فان هذه الصفات المنفورة لا تزال سائدة ومحكمة بين بني البشر . ولهذا فالفلاح والنجاح بعيدان عن بني الانسان . لان النجاح والفلاح متوقف حصولها على الفضائل و الخصال التي تدان بها الحقيقة الانسانية وهذه مخالفة للطبيعة . لان الطبيعة ميالة للحرب سفاكة للدماء . مملوءة بالبغض والشحناء . وكلها بعيدة عن حضرة الخالق . وان الخالق العالم باتصاف الطبيعة بالوحشة والافتراس تفضل علينا بارسال الانبياء وبانزال الكتب لطفاً منهُ تعالى وكرماً ليتخلص العالم الانساني بفضل التربية الاساسية من فساد الطبيعة ولينجو من ظلامة الجهل وليقرب من الكمالات المنوبه

والعواطف الوجدانية وليتحلى بالفضائل الروحانية فيصبح مصدراً للسنوحات الرحمانية . وهذه هي المدنية الآلهية

ان لمدنية المادية في العالم الانساني اليوم لطيفة كالزجاج . ولكن ويالاسف قد فقد هذا الزجاج الشعاع وحرم من شعاع التجليات الآلهية ولم ينل حظاً من المدنية الربانية . نعم ان هذا العصر عصر النور . عصر ظهور الحقائق . عصر الترقي ولكن ويالالاسف ان العصبية الجاهلية والمنازعات الطبيعية والخصومات والعداوات لا تزال اطنابها ضاربة بشدة عظيمة بين بني البشر . ولو امعنا النظر لوجدنا ان كافة الشرور ناشئة عن فقدان المدنية الآلهية وعن نسيان التعاليم التي جاء بها الانبياء . فالتورات نصت على ان الحق تعالى خلق جميع بني البشر . وانهم جميعاً تحت ظلاله . و نطق الانجيل بان شمس الالوهية تطلع على المطيع والعاصي وتضئ على الجميع سواء . وورد في القرآن الكريم (لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت)

هذه هي قواعد المظاهر المقدسة الآلهية ولكن ويالاسف ان سوء التفاهم العام هدم مابناه الانبياء ولهذا اصبح الدين سبباً للعداوة والبغضاء عوضاً عن ان يكون سبباً للمحبة والالفة ومداراً لوحدة العالم الانساني واتفاقه

لا تزال خصلة سفك الدماء الحيوانيه مستحكمة بين بني البشر منذ ستة الآف سنة فاهلكت العالم الانساني وافنته فالف الآف من الاسف على هذه الحالة . ولقد خطر ببالي :

ان طوف البلاد الغربية وادعو في المنتديات الكبرى وفي الكنائس الى وحدة العالم الانساني حسب تعاليم حضرة بهاء الله واروج فكرة الصلح العام وارفع عقيرتي على قدر استطاعتي واقول للعالم : الحمدلله لقد طلعت شمس الحقيقة من افق الشرق وارسلت اشعتها على جميع العالم ، وان اشعتها هي تعاليم السماء فهي تدعو العالم باجمعه الى الاتحاد والسلام العام . والى التحري عن الحقيقة وتأسيس التآلف والمحبة بقوة الدين وتحكيم العلم والعقل والدين في المعاملات . والى نبذ التعصب الديني والتعصب الجنسي والوطني والسياسي . والى تعميم العلم والعرفان والى انشاء محكمة عامة كبرى تفصل الخلافات التي تحدث بين الشعوب والدول وتزيل ما يطرأ من المشاكل . والى تربية بنى البشر على الفضائل الانسانية والى تشييد القواعد الاقتصادية وتأسيس لغة عامة فذهبت لدعوة العالم الى مثل هذه الخصال التي تدعونا اليها شمس الهداية

فتخلص العالم الانساني بفضل ذلك من الظلم والضلالة ويقرب من مطالع الانوار فيزول النزاع والجدال والخصام من بين بني البشر ولا يبقى سوء تفاهم بين الاديان لان اساس الاديان الالهية واحد وهو وحدة العالم الانساني . ولقد وجدت ولله الحمد في اميركا كثيراً من بني الانسان

يرمون الى ايجاد وحدة بين الشعوب فيرهصون بهذه الواسطة بالعالم الانساني . وانني ارجو ان تنتشر هذه الافكار العالية . فلا يبقى حينئذ جدال او نزاع بين الاديان والاقوام هذه . هي العزة الابدية وهذه هي السعادة الروحية وهي هذه جنة العالم الانساني (١)

٢ — الدروز

١ — تاريخ الدروز — يعرف المشتغلون بالتاريخ ان كثيراً من قبائل العرب العاربة هاجرت بعد (سيل العرم) من اليمن الى شمالي البلاد العربية والى الشمال الغربي منها و الى الجهة الغربية . ويدعي الدروز اليوم انهم من (آل تنوخ) الذين هاجروا ذلك الحين من اليمن واسسوا في الحيرة دولة (المناذره) ولما قتل كسرى (ابرويز) نعمان الاكبر هاجر (حم النعمان) الذي جلس على كرسي (المناذره) من العراق الى الديار الحلبية مع اثنتي عشرة اسرة من اشرف الدولة فاستوطنوا قصبة (المعرة) ثم تزوج بابنة الامير معن احد ملوك الايوبيه الذين كانوا يحكمون ما بين النهرين . وبات الحاكمون في عشيرة النعمان (بني هاشم التنوخي) . ولما ظهر الدين الاسلامي واتسعت دائرة فتوحاته تشرف (التنوخيون) بالدين المدن الاسلامي وانضموا الى جيوشه القائمة وشاركوا جيش الاسلام بفتح سورية واتخذوا حينئذ (جبل لبنان) وطناً لهم ولما ظهرت الدولة القاطمية في القرن الهجري الرابع هاجر التنوخيون من وطنهم سوريه واستوطنوا الديار المصرية . وارتقوا هناك الى المراتب العاليه واصبحوا اصحاب املاك واراض واسعة . وحين جلس (الحاكم بامر الله) على كرسي المملكة الفاطميه جاراه التنوخيون على ارائه واعتقاداته الدينية واصبحوا حزبه الخاص الذي يدافع عنهُ وعن سياستهِ بكل ما لهم من القوة والاستطاعة وفي ذلك الحين عهد الحاكم بامر الله بادارة شؤون التنوخيين في سوريه الى احد اتباعه المسمى (محمد بن اسماعيل الدرزي) فانقلب اسم التنوخيين الى الدروز نسبة لاسم اميرهم . ولقد ظهرت مناقشات ومخاصمات شديدة بين (الدرزي)والتنوخيين حتى ان التنوخيين قتلوا اليهم (الدرزي) . ولما دالت الدولة الفاطمية جاء القسم الذي بقي من التنوخيين في الديار الحلبيه الى وطن اقربائهم في جبل لبنان وانضموا الى ادارة امراء بني معن واختاروا الاقامة في جبال الشوف . ومنذ ذلك الحين اصبح التنوخيون وبعبارة اخرى الدروز ذوي شوكة ونعمة واقتدار ولقد نال التنوخيون اعلى المناصب واسماها في زمن نور الدين الشهيد وفي زمن هلاكو . ولما فتح

---

(١) وسنذكر حين الكلام على عكا قواعد البابية العموميه في الحالة الحاضرة



قيافة نساء الدروز

السلطان سليم خان سوريه كافأ الحاكم الامير (فخر الدين معن الاول) رئيس الدروز في ذلك الحين على مساعداته الفعلية فعينهُ والياً على ايالة صيدا التي كانت تمتد حدودهـا من غزه حتى اللاذقيه . ومنذ ذلك الحين انتقلت السلطة والامارة من التنوخيين الى آل معن ولهذا سمي جبل لبنان ايضاً بجبل معن

يقطن الدروز جبل لبنان وحوران بكثرة ويقطن قسم قليل منهم صفد وعكا ومرجعيون ودمشق ومنطقة حلب ولكن احوالهم الاجتماعية تختلف اختلافاً زائداً عن بعضها بنسبة الاقاليم والاماكن التي يقيمون فيها . فالدروز الساكنون في لبنان مطيعون للحكومة في الوقت الحاضر بكل معنى الكلمة ويظهر عليهم الميل للراحة و لرغبة بالعلم والتربية . وبالعكس فان دروز حوران قد اعتادوا على الجسارة وحب الحرب حفظاً لانفسهم من التعدي والغارات ورغماً عن قلة نفوسهم فقد اشتهر امرهم بحب الانتقام واخذ الثار

عرف الدروز كسائر البدو باكرام الضيف ورعايتهِ وبابتعادهم عن الرفاهية ومظـاهر الزينة والفخفخة . واشتهروا بصلابة الاخلاق وبحسن المنطق . ولقد اصبح عـدم الاسراف والمحافظة على صحة البدن وسلامته طبيعة ثانية في نفس الدرزي بل هي وظيفة دينية عنده اكثر مما هي طبيعة معتادة

ولما تكلم (ويتال كينه) في كتابهِ « سوريه ولبنان وفلسطين » عن الدروز قال ما يأتي :

« يبلغ عدد الدروز القـاطنين حوران تسعة في المئة من نفوس ولاية سوريه ويقيم فريق قليل منهم في لواء عكا . ولقد كانت هذه الطائفة تسكن جبل لبنان وتقيم في سواحل فينكيا وفلسطين . كانت حالة الدروز في ايام الامير الشهير فخر الدين حسنة ومنتظمة . ولكن الجزار احمد باشا شدد عليهم فانسحبوا زرافات زرافات الى حوران وهاجروا اليها . ويؤمن الدروز بالحاكم بامر الله احد ملوك الفاطميين ويعتقدون بانتقال الارواح من جسد الى جسد ويقولون بحلول القدسية الآلهيه في اجسام معينه حتى انهم يعتقدون بان الآله الذي يؤمنون بهِ متى حلَّ بجسم راق وعال فان الطائفة الدرزية تصبح الحاكمة المطلقة في العالم . ويعتقدون ان كل فرد يملك في هذه الدنيا ويثرى فيها بنسبة حسناتهِ وسيئاتهِ . ومن جملة معتقداتهم ان كل فرد مكلف بخدمتهم

ولقد قام الوزير « حمزه » الوزير الخاص للدولة الفاطمية بنشر الدعوة وتعميم هذا المذهب في انحاء العالم منذ سلطنة الحاكم بامر الله . حتى ان الوزير « حمزه » ارسل مبشريه الى اصغر الجزر ويقال انهُ ارسل مبشريه الى اوربا واسقوجيا ونجح فيها . ومن المحتمل ان تكون محافـل

« الدرزي الموحد » و « متولي لبنان » القائمة في دراسته ناشئة عن تأثير هذه الفكرة . والعلامة الدينية للدروز هي شجرة (الاقاسية) التي استعملها ملك الفينيقيين « حيرام » فالدروز يغرسون في بيوتهم وفي مكاتبهم شجرة « الاقاسيه » . وحين الخطبة يزرعون شجرتين من الاقاسية باسم الزوج والزوجة حتى تنمو المحبة المتقابلة بين الزوجين كنمو « الاقاسية »

ويقسم الدروز الى عقال وجهال . فالعقال هم العالمون بالامور الدينية وتختلف درجاتهم بنسبة علمهم . ولا يجوز لاي جاهل كان ان يترك صنفه دون ان ينال مساعدة خصوصية من رئيس العقال في ناحيته او في قريته . ويعتقدون ان اكبر العقال هو الشخص الذي يصعد الى درجة تمكنه من الاطلاع على كتابهم الذي يحرصون عليه ويمنعون كل فرد من قرائته والاطلاع عليه . ويذهب جميع العقال ليالي الجمعة الى خلواتهم « المعابد » لسماع قرائة الكتب الدينية . وينسحب العقلاء من هذه الاجتماعات اما في مبدأها او في وسطها او في منتهاها على حسب درجاتهم من الرفعة والتقدم في المراتب . وبحسب مدة الاجتماع قلة وكثرة تظهر درجة العاقل . اما الجهال فيحق لهم الاشتراك في هذه المراسم الدينية في عيدي الفطر والنحر

ولا يمكن لكل درزي ان يكون عاقلاً وان الصعود الى تلك المرتبة الرفيعة متوقف على ان يكون الرجل هادئاً عفيفاً بعيداً عن بذائة اللسان غير متأنق بانتقاء الثياب غير سكير ولا شارب دخان ولا مرتكب مالاً حراماً وعلاوة على ذلك فانه يجب على العاقل ان يكون متعمماً ومكتسياً طاقية وعباءة ويشترط ان يكون ذا لحية ايضا

٢ — دين الدروز واعتقاداتهم — من الصعب الخوض في هذا البحث بصورة صريحة وواضحة فان الدروز الذي عوملوا معاملة الخوارج من حيث الظلم والتشديد عليهم اعتادوا على الكتمان والاخفاء الشديدين . ولا نرى سبباً لاصرار العقلاء الذين رغبنا اليهم ان يطلعونا على شيء من معتقداتهم سواء كان في سياحتنا هذه او في غيرها من الاوقات على الامتناع عن اطلاعنا على الحقيقة — سوى اعتيادهم على تلك العنعنة المظلمة المتوارثة بينهم

ويدعي الدروز ان الدرزية ليست مخالفة للاسلامية التي يعرفها كل فرد . وانه ليس لهم علاقة او رابطة مطلقاً مع طائفتي الاسماعيلية والقرامطة . ومع اشتهار بعضهم للصنمية فانهم يقولون بتناسخ الارواح ويؤمنون بوجود الآله ويغلب على الظن ان القائلين بعبادة الدروز للعجل مخطئون في اعتقادهم . ولكن ليس من الخطأ القول بان الدروز يعتقدون بحلول الحق تعالى شأنه في شخص الحاكم بامر الله احد الملوك الفاطميين وبتمثله به وبتجليه فيه

ويصر الدروز على ادعائهم بانهم يقولون بالوحدانية الآلهية وبعدم نهايتها وبابدية الارواح



مشايخ الدروز

وعدم فنائها وبالحشر والنشر وبـ « التقمص » اي انتقال الارواح من جسم الى جسم وبالكتب الدينية وبحرمتهم لجميع الانبياء

ورغماً عن جميع هذه التصريحات فان عدم التردد والشك بالمذهب الدرزي غير ممكن لاننا نرى الدروز يؤمنون على العمياء بالكتب التي وضعها « حمزه بن علي » احد الرجال المقربين من الحاكم بامر الله · وترى الرسائل التي تسمى (الحكمة) والتي يقال انهم يتوارثونها بطنا بعد بطن ويحافظون عليها بكل اعتناء واحترام ويتلونها في خلواتهم بكل خضوع وخشوع — مملوءة بالمعتقدات المخالفة للتوحيد · ومن اعظم الادلة على صدق مدعانا رسالة (ميثاق ولي الزمان) المدروجة ادناه وهي من وضع حمزة المذكور :

(توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن فلان انهُ قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والادين والاعتقادات لها على اصناف اختلافاتها وانه لايعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وانهُ لايترك في عبادته احداً مضى او حضر او ينتظر وانه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع احكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيءٍ من افعاله ساءه ذلك ام سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره و خالف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباري المعبود واحترم الافادة من جميع [illegible] من [illegible] العلي جل ذكره ومن اقران ليس له في السماء آله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين)

فاذا قرأنا كتاب (ميثاق ولي الزمان) وجدناه مملوءاً من اوله الى آخره بما يخالف الوحدانية والصمدانية ومنبعاً بالافكار الباطلة · ويدعي مؤرخو الاسلام والافرنج ويصرون على دعواهم بان الدروز يقدسون مثل هذه الرسائل ويؤمنون بما جاء فيها · ويظهر بين معتقدات الدروز الظاهرية وبين الاعتقادات الكفرية الواردة في مثل هذه الرسائل تباين مدهش · ولقد رغب كثير من العلماء المتنورين الوقوف على الحقيقة من عقلاء الدروز ولكن عبثاً حاولوا فان التعصب والجهالة المستولية في الوقت الحاضر على البلاد الدرزية تحول دون تصريح (عاقل) من عقلائهم بالحقيقة · وعبثاً استعمال الوعد والوعيد معهم ليقروا بحقيقة دينهم

ولا يمكنني ان امسك نفسي بهذه المناسبة عن التصريح بما يأتي : اعد من النقص المعيب ان تعجز المدنية الحاضرة التي جاءت بالاعاجيب من الاختراعات الفنية والاكتشافات المدنية في القرن العشرين عن النفوذ في العقيدة الدينيه لطائفة الدروز التي عاشت زمناً مديداً بين المسلمين والمسيحيين

وقدعاملوها واءتزجوا معها امتزاجا تاما وان لا تكتب معتقداتهم بصورة صريحة وقطعيه . ونا وطيد الامل ان ينتشر العلم الصحيح والمدنيـة الراجحة في بلادنا فيكشف ارباب العلم من الطائفة الدرزية حقيقة هذه المسئلة المهمة خدمة للعلم والفن . وهذا رجاؤنا !

٣ — المسيحيون

[١] الروم الاورثوذكس — يتبع القسم الاعظم من مسيحي الشرق الكنيسة الرومية ولكنهم يستعملون اللسان العربي في عباداتهم . غير ان الرهبان اصحاب المراتب العاليـة واكثرهم من اليونانيين الاجانب يستعملون اللغة الرومية في عباداتهم . وللروم بطركيتان احداهما في القدس والاخرى في انطاكية (وهي اليوم في دمشق) . ويقيم المطارنة التابعون لبطركية القدس في اديرة القدس الشريف . اما مطرانا عكا وبيت لحم فيقيمان في مركزي ابرشيتيهما . ولبطركية القدس رؤية مصالح الكنائس عموماً في فلسطين . اما بطركية انطاكية فترى مصالح كافة الكنائس من صور حتى اسيا الصغرى . ويلحق هذه البطركية ابرشيات الشام وبعلبك وحلب . وعرف الاروام ببغضهم وعداوتهم للطائفة اللاتينية اكثر من بغض البروتستانت لها . وترى الاروام شديدي التعصب ضد اللاتينيين . وبسبب التشويقات التي كانت تقوم بها الجمعية الفلسطينية الروسية حتى اعلان الحرب الحاضرة اصبحت الطائفة الرومية ذات نفوذ عظيم

[٢] — اللاتين الكاثوليك — يقيم في بيروت رئيس مطارنة هـذه الطائفة الحائز على الوكالة من البابا ويديرشؤون الادارة الروحية لكنائس حلب والشام وبيروت . ولطائفة اللاتين اليوم جمعيات مذهبية معروفة باسماء الفرانسسكين . الجزويت . اللازاريست . اخوة القديس يوسف . اخوة الناصره . وقد ظفرت هذه الجمعيات منذ القديم بالتحكم والنفوذ على الطوائف النصرانية في سورية وخصوصاً الكاثوليكيين منهم حتى ان سلطتها نفذت في حياتهم الادبية والمادية . ولقد كانت هذه الجمعيات حتى اعلان الحرب الحاضرة قائمه بايقاع الدسائس السياسية والاجتماعية بين العثمانية والاسلامية ببذر بذور الشقاق والنفاق بين افراد الامة العثمانية وذلك بفضل ما كانت ترسله اليها الحكومات الكاثوليكية الكبرى في اوربا من المبالغ الجسيمة

[٣] — الموارنة — تتم طائفة الموارنة النصرانية بشكل كتلة متكاثفة في المنحدر الغربي من لبنان ما بين نهر الكلب ونهر البارد ويوجد قسم منها في بيروت والقسم الباقي منها في لوائي طرابلس الشام واللاذقية . ولقد اجتمعت الطائفة المارونية التي تقدر نفوسها بثلاثمئة وخمسين الفاً في المحلات الصخرية والمنيعه من جبل لبنان في اواخر القرن السادس الميلادي بفضل

الراهب « جان مارون » وحافظت بفضل مناعة مواقعها على استقلالها تقريباً حتى القرن الثاني عشر من الميلاد رغماً عن مجاورة الدروز لها . ولقد بدأت الحكومة العثمانية في العصرين الاخيرين بإثارة الموارنة على بأسها وقوتها فأسست في مناطق البلاد التي يقطنونها كثيراً من القرى للدروز

ولا يمكن في وقت من الاوقات ان يصل الموارنة الى الدرجة التي وصل اليها غيرهم من عشائر العرب من حيث الرعاية والحرمة للضيف . ولقد كانت المرأة المارونية حتى النصف الاخير من العصر التاسع عشر لا تخرج الى الاسواق الا متزرة ولكنها تخلصت اخيراً من هذا الاسر واخذت تتقرب في حياتها ومعيشتها من حياة المرأة الاوربية

ويملك رجال الدين في الطائفة المارونية اكثر من ربع الاراضي في لبنان ولهم اكثر من مائتي دير في المنطقة ذاتها وللخوري الماروني الحق بالازدواج ولكن لايحق له الزواج ثانية اذا توفت امرأته

وينتخب خورة القرى الذين هم في الدرجة الثانية الخورة الذين ينتخبون بطريرك الموارنة الذي يصدق عليه البابا . ويؤدون عباداتهم باللغة السريانية التي لايفهمها احد من الموارنة

وقد اخذت في السنين الاخيرة الجمعيات الكاثوليكية وفي مقدمتها الجمعية الجزويتيه بانشاء مئات من المكاتب في المناطق التي يقطنها الموارنة واجتهدن بتعميم اللغة الفرنساوية ونشرها . وترى اليوم ان القسم الاعظم من الشبان من ابناء الطائفة المذكورة في الوقت الحاضر سواء كانوا في المدن اوفي القرى يتكلمون ويكتبون اللغة الفرنساوية بسهولة اكثر من لغتهم الاصلية . ولقد فطر شبان هذه الطائفة على حب التجارة والتشبث الشخصي وفضلاً عن ذلك فان الاستفادة التي يحرزونها من دراستهم في المكاتب سبع سنين او ثمانية واستحصالهم الشهادة هي لاتتعدى على الاكثر تعلم اللغة الفرنساوية ونمو الجسارة المدنية في انفسهم وكثرة ميلهم الى التشبث الفكري والشخصي . والدليل على مانقول هو نجاح تجار الموارنة ونهوضهم في مصر وفي اميركا وفي البلاد الكبرى من اوربا وفي بيروت

— الاروام المتحدون — يطلق هذا الاسم على العرب العاربة الذين هاجروا من اليمن قبل ميلاد عيسى واستوطنوا جنوبي الشام وغربيها وتنصروا حين ظهور الديانة المسيحيه فهؤلاء المتحدون لاعلاقة لهم مطلقاً لابالاروام ولا باليونانيين وهم يؤدون عبادتهم باللغة العربية غيران مرجعهم البابا ولرئيسهم المقيم في الشام عنوان بطريق انطاكيه والاسكندريه والقدس . ولقد انتشر العلم والعرفان بين هؤلاء الاروام المتحدين المدعوين بالروم الكاثوليك او بعبارة اصرح المسيحيين الذين امتازوا بذكائهم وبحسن اخلاقهم بين كافة المسيحيين في اسيا . وليس بين جميع نصارى الشرق الادنى من ينطق بلغته الاصلية بطلاوة وحلاوة مثل هؤلاء . ومما يوجب الحيرة والعجب

ورغماً عن ان قسما منها يعمل بهدوء وسكينة في لواء القدس الشريف تحت ستار الدين دب ...سم الاعظم من تلك الطرائق بعمل بجد ونفوذ في كافة انحاء سوريه كما يظهر من البيان والارقام التي نذكرها فيمايلي :

جاء في الرسالة (L'UNIVERSITÉ ST. JOSEPH) التي تنشرها سنوياً (الكلية اليسوعية لطائفة الجزويت (LA CIE DE JESUS) في بيروت (صحيفة ١ — ٥) علاقة هذه الطريقة بالحكومة الفرنساوية وجاء في فصل النصرانية من مقدمة كتاب فلسطين(LA PALASTINE) الذي نشرته الهيئة العلميه التي تشتغل بالمسائل التديني في القدس الشريف بيان عن المؤسسات والمباني الكاثوليكيه في القدس ويلي ذلك جدول عن عدد الرهبان والراهبات والتلامذة في المؤسسات المذكورة وقد اشارت الجمعية في كتابها هذا الى اعمال ... وخدمها وانا ننقل هنا صورة الجدول عيناً

عدد	
٧٢٠	الرهبان في الاديرة
٤٢٠	الراهبات في «
١١٤٠	يكون
٢٤٠٠	الطلبة الذكور في المكاتب
٥٨٠٠	« الاناث «
٥٢٠٠	يكون
٣٦٠	الاولاد الذكور في دور الايتام
٤٣٠	« الاناث « «
٧٩٠	يكون
٦٠٠٠	المرضى الذين يدخلون المستشفيات ويخرجون منها
٣٠٠٠٠٠	« « يراجعون دور المعاينة والصيدليات
٣٠٦٠٠٠	يكون

فاذا تصورنا ان كل فرد من هؤلاء الذين تحدث لهم علاقة مع المؤسسات الكاثوليكيه يقبل مايلقى اليه مرة في العام من الافكار والدسائس وتوسعنا بهذه النسبة نعرف درجة نماء الافكار والآراء المضرة التي يبذرها هؤلاء في الارض المقدسة وفي سوريه

اذا ذكرنا للقاريء بعد هذه الارقام شيئاً من التفاصيل عن احوال هذه الطرائق يحصل عنده فكر خاص عن تأثير المؤسسات الكاثوليكية في بيروت . وسنذكر للقاريء فيما يلي تاريخ مجيء هذه الشيع الى محيط سوريا

[١] الجزويت LES CIE DEJESUS اسسها يغناس دولويولا IGNAS DELOYOLA احد امراء اسبانيا . ومركز الجزويتيين Les Jesuites في الوقت الحاضر روما . ولقد جاء الجزويت قبل عصرين او ثلاثة الى سورية فأسسوا الاديرة التي يشغلها اليوم رهبان (اللازاريست) ثم غادروا البلاد السورية وفي عام ١٨٣٠ عادوا الى بيروت وانشأوا مكتبهم في غزير من اعمال قضاء كسروان في جبل لبنان وبقي الجزويت منذ ذلك الحين في البلاد السورية وفي عام ١٨٧٦ افتتحوا كليتهم اليسوعية وديرهم الكبير في بيروت . وللجزويت اليوم اديرة ومكاتب نهارية في بكفيا والمعلقة وزحلة وغزير والشام وحلب وتعنايل وجزين غير ان مكتبهم في بيروت ليلي ونهاري وفيه درجات التعليم الثلاثة وقد اضافوا اليه في الايام الاخيرة شعبة تعليم الالهيات والطب والحقوق والهندسة فاصبح بشكل دار الفنون . ويعرف الجزويت في سورية (بالاباء اليسوعيين)

[٢] — الفرنسيسكان Les Pères Franciscains . تأسست هذه الرهبنة عام ١٢١٠ ميلادية . وهم لا يزالون في محيط سورية وفي الاراضي المقدسة منذ الحروب الصليبية وقد جدوا بالعمل كثيراً منذ عام ١٨٤٨ فزادوا عدد اديرتهم وانشأوا ملاجيء للزوار في القدس وللرهبنة الفرنسيسكان ستة ملاجيء فقط في القدس الشريف . ولهم علاوة على ذلك اديرة وملاجيء في المحلات الاتية (١) بيت لحم (٢) عين كريم (٣) طبريا (٤) جبل الطور Mont TALOR (٥) الناصرة ( ) قانا (٧) عكا (٨) صور (٩) صيدا (١٠) بيروت (١١) حريشة لبنان «١٢» طرابلس الشام «١٣» اللاذقية «١٤» الشام «١٥» حلب «١٦» اسكندرونه «١٧» عنتاب «١٨» نصيبين «١٩» يكي قلعة «٢٠» مرعش . وللفرنسيسكان مكتب يديرونه في حلب . ويعرف هولاء الرهبان الذين يعملون بجد في انحاء سورية « بالاباء الفرنسيسكان »

[٣] — رهبان الكرمل Les carmes يسمى هولاء الرهبان باسم جبل الكرمل المتصل بقصبة حيفا ولقد كان هولاء تركوا جبل الكرمل المقدس في النصرانية مع القافلة الاخيرة من الصليبيين . ثم عادوا الى جبل الكرمل في اواسط القرن السابع عشر سنه « ١٦٣٦ » وبنوا ديراً ومحلاً للضيافة في الجبل . ولرهبان الكرمل اديرة في حيفا وفي طرابلس الشام وفي قرية القبيات من قضاء عكار . ورغماً عن ان هؤلاء الرهبان لا يشتغلون بمسائل التعليم فانهم افتتحوا مكتباً في قرية « بشرى » في لبنان ويعرف هولاء الرهبان في سورية باسم « الاباء الكرمليون »

[٤] ـ راهبات القديس يوسف Les sœurs de saint Joseph de L'Apparition . جاءت هذه الراهبات من مرسيليا الى القدس الشريف عام ١٨٤٨ وقد اسس جمعيتهن الراهبة املي دي فيالرد Emilie de Vialard في قصبة كياك Gaillac من فرنسا . ومركز جمعيتهن العام في مرسيليا ولهن شعب في اميركا . والراهبات المذكورات ٣٠ ديراً ويطلق على هذه الراهبات في سورية اسم « الراهبات اليوسفيات » . ولهن في فلسطين ثلاث عشرة مؤسسة وثلاثة مستشفيات « الاول » في القدس « والثاني » في يافا (والثالث) في الناصرة ولهن في المحلات المذكورة ثلاثة دور للايتام تضم ٩٠ ابنة صغيرة . ولهن مكتبـان نهاريان يضمان ١٨٠ طالبة وخمسة مكاتب دينية يتعلم فيها اكثر من الفي تلميذ وعلاوة على ذلك فقد افتتحن المكاتب الآتية «١» مكتب ليلي ونهاري في بيروت «٢» دير في صيدا ومكتب نهـاري فيها «٣» دير في دير القمر ومكتب «٤» ديران ومكتبـان ليليان ومستشفى في حلب «٥» دير ومكتب في اسكندرونه

[٥]– راهبات الناصرة Les Dames d Neazareth . اسست هذه الراهبات جميتهن في مبدأ الامر لتكون الناصرة مركزاً لها ثم انشأن المكاتب الآتية في غاليله La galilée «١» مكتب نهاري في حيفا «٢» مكتب في شفا عمر «٣» مكتب في عكا . وعلاوة على ذلك فقد انشأن (دير الناصرة) القائم في احسن نقطة من بيروت وتعرف هولاء الراهبات في سورية باسم (راهبات الناصره) وقد جئن الى سورية عام ١٨٥٥

[٦]– الكارمليت Les carmélites اسست هذه الجمعية (الاخت روزا) وينتهي تاريخ تأسيسها لعام (١٨٧٠) ومركز هذه الجمعية روما وقد جاءت راهبات هذه الجمعية الى القدس الشريف عام ١٨٧٣ واشدن في جبل الطور او في جبل الزيتون Mont olivier القريب من القدس ديرهن المعروف . ولهن دير في بيت لحم وآخر في سفح جبل الكرمل بالقرب من حيفا . وفي الاديرة الثلاثة اربعون راهبة ويعرفن باسم (الراهبات الكرمليات)

[٧]– الفرير Les Fréres des écoles Chretienes تأسست هذه الجمعية في فرانسا عام ١٧٢٤ ميلادية ومؤسس هذه الجمعيات (جان باتيست دولاسال) ومركز الفرير باريس . وقد جاءت الجمعية الى البلاد السورية عام ١٨٧٨ وللفرير مؤسسات واسعة في سورية ولهم المكاتب الآتية (١) القدس (٢) حيفا (٣) الناصرة (٤) بيت لحم وفي هذه المكاتب اكثر من الف تلميذ (٥) بيروت (٦) طرابلس الشام (٧) اسكندرونه والمكاتب الاخيرة ليلية ونهارية ويعرف الفرير في سورية باسم (اخوة المدارس اليسوعية) ووظيفتهم الاساسية التعليم

[٨] — اخوة سن جان ده ديو Les Fréres de Saint de Jean Dieu
اسست جمعية هؤلاء عام « ١٥٧٢ » في مدينة غرناطه من اعمال اسبانيا ومركزها في روما وقد اخذ الاخوة على عهدتهم معالجة المجانين والمعتوهين و فتتاح المستشفيات ولجمعيتهم مستشفيات في ايتاليا وفرانسا وبافاريا وبروسيا والمجر واسبانيا ويؤخذ من الاحصاء الاخير الذي نشر عام ١٨٩٧ ان رهبانهم بلغوا ١٧٨١ وهم يمرضون ١٣٠٤٨٣ مريضاً وقد جاء هولاء الاخوة الى القدس عام ١٨٧٩ فاسسوا مستشفى في طنطور على طريق بيت لحم . ولهم مستشفى آخر ودار للمعاينة في الناصرة ويعرف هولاء الرهبان في سورية باسم (رهبان مار يوحنا الآلهي)

[٩] ـ راهبات سنت قلر Les Religieuses de saint claire اسست الراهبة (قلارا) جمعية هذه الراهبات في مدينة زيس Assise من اعمال ايتاليا عام « ١٢١٠ » ميلاديه وقد جئن الى محيط سوريه عام ١٨٨٤ واسسن ديراً على طريق بيت لحم بجوار القدس الشريف ولهن دير آخر في الناصره وفي الديرين ما يقرب من ٣٠ راهبة ولا يشتغلن بالتعليم مطلقاً

« ١٠ » ـ راهبات الفرنسيسكان Les soeurs Francisscaines : جائت الراهبات المذكورات عام ١٨٨٥ الى القدس وانشأن بناية ترابي ٦٠ يتيمة فقط . ويدرن اليوم مكتباً يعلم ١٠ ابنة في يافا . وقبل عدة سنين ... منذ الشاء ... الآن مكتبة فيهما وليس لهن في سوريه سوى هاتين المؤسستين

« ١١ » لاسور دى شارتيا Les sœurs de Charité اسس جمعية هذه الراهبات في فرانسه الآب دو پول عام ١٦٣٢ وقد جئن الى القدس عام ١٨٨٦ وهن ينظرن باحتياجات كافة طبقات البشر من اطفال الرضاعة الى الايتام والعميان والعجزة ويخدمن في مستشفيات البلديات . ولهن مستشفى ودار للايتام في بيت لحم ومستشفى ومكتب في حيفا ومستشفى في الناصره ولهن في بيروت مستشفى عظيم ودار للايتام ودار للصناعة للذكور والاناث ولهن في بيروت علاوة على ذلك ثلاثة مكاتب صغيرة وقد انشأن في طرابلس مكتباً للصنائع خاصاً بالايتام واشدن محلات للنقاهة « سناتوريوم » في « اهدن » وفي « بجنس » ويدرن مكتباً في « برج البراجنه » ويعرفن في سوريه باسم « راهبات المحبة »

« ١٢ » اخوة باويرا Les sœurs Bavaroise de saint charles ومركز هذه الراهبات باويرا . وقد اشتهرت الراهبات المذكورة وعرفن بادارة المستشفيات . حتى انهن يدرن اهم المستشفيات في برلين وقد اسسن في سورية المحلات الآتية « ١ » مكتبان ودار للايتام في القدس « ٢ » مستشفى ودار للمعاينة في حيفا « ٣ » مستشفى ومكتب ليلي ونهاري للاناث في

بيروت « ٥ » مؤسسة في اللاذقية وقد جائت الراهبات المذكورات الى القدس عام ١٨٨٧ ويعرفن في سوريه باسم « الراهبات الالمانيات »

[١٣] — راهبات رهباراتريس [Les Religieuses de Marie Reparatrice] مركز الراهبات المذكورات في رومة وقد جئن الى القدس عام ١٨٨٨ واسسن فيها ديراً كبيراً ثم جئن الى بيروت وفتحن محلاً للعبادة ويعرفن بين السوريين باسم « راهبات السجود »

[١٤] — الالازاريست [Les Lazaristes] ينقسم اللازاريستيون الى قسمين احدهما رهبان اللازاريست وهم المان وقد عهدت اليهم الجمعية المسيحية في قولونيا عام ١٨٩٠ بالمجيء الى القدس فجاؤوا اليها واستوطنوها واسسوا فيها مكتباً بالقرب من الباب الشرقي

والقسم الثاني رهبان فرنساويون قد تأسست جمعيتهم عام ١٦٣٢ وجاؤوا الى سوريه قبل عصرين تقريباً واحتلوا الاديرة التي كان الجزويت بنوها قبلاً ومركز اللازاريست الفرنساويين باريس . ولهم مؤسسات في المحلات الآتية « ١ » ازمير « ٢ » طرابلس الشام « ٣ » عنطورا في جبل لبنان « ٤ » اهدن في جبل لبنان « ٥ » دمشق « ٦ » ريفون في جبل لبنان ولهم مكتب في الشام وآخر في عنطوره . ويشتغل اللازاريستيون بالانشاء والتحرير ويعرفون بين السوريين باسم « العازاريون »

[١٥] — رهبان السالزين Les Pères Salesiens اسس جمعية هؤلاء الرهبان (الدون يوسقو) الايتالي عام ١٨٦٠ ثم جاؤوا الى القدس عام ١٨٤١ بتشويق (الدون بالوني) راهب كنيسة Saint Spulere ولهم [illegible] مؤسسات (١) دار الايتام في بيت لحم (٢) دار الايتام [illegible] (٣) [illegible] (٤) مثلها في الناصره وفي المؤسسات المذكورة ٢٢٠ طالباً ويا [illegible] شأن هذه المؤسسات ٤٠ راهباً ولهم في بيت لحم مكتب ابتدائي يضم ٢٢٠ طالباً ويعرف هؤلاء الرهبان في سوريه باسم « الاباء السالزيون »

[١٦] — الراهبات السالزيات Les Religieuses Salesiennes اسس هذه الجمعية للراهبات (الدون يوسقو) [illegible] السالزيين [illegible] القدس عام ١٨٩١ ويشتغلن اليوم مع الرهبان السالزيين [illegible] سوريه [illegible] السالزيات)

والقد ذكرنا حتى الآن [illegible] ولاية بيروت . وتوجد شيع اخرى قد شادت مؤسساتها [illegible] بذكر [illegible] وتاريخ تأسيسها

١ — Les Dames de Sion [illegible] مؤسسة في كنيستهن المسماة (اكس هومو) Eccé Humo وقد جئن الى القدس عام ١٨٠٦

٢ — *Les pére blanc* — تألفت هذه الجمعية عام ١٨٧١ وجاء رهبانها الى القدس عام ١٨٧٨ وقد اسسوا كنيستي «سنت آن» و«بهتسدا» ويعرفون هناك باسم «الاباء البيض»

(٣)—اباء القلب المقدس **Les péres du Sacré Coeur de Bétharram**

جاء هولاء الرهبان الى القدس عام ١٨٧٩ واشادوا مؤسسة بالقرب من بيت لحم

(٤)— **Les soeurs de Rosair** الف هذه الرهبنة الكاثوليكية (دوم طنوز) راهب (سن سه بولقرل) عام ١٨٨٠ وتعرف الراهبات باسم (الراهبات الورديات)

(٥)—*Les péres de Notre Dames de Sion* جاءت هذه الرهبنة الى القدس عام ١٨٨٤

(٦)—*Les péres Dominicains* جا هولاء الرهبان الى القدس عام ١٨٨٢ويعرفون هناك باسم (رهبان مار عبد الاحد) او (الدومنيكان)

٧ — **Les Augustins de l'Assomption** جاء هؤلاء الرهبان عام ١٨٨٧ واسسوا في القدس مأوى نوتردام دوفرانس . ويعرف هؤلاء الرهبان باسم (الصعوديون)

(٨)—*Les Péres Trappistes* . جاء هولاء الرهبان عام ١٨٩١ واشادوا ديرًا لهم في العترون بجوار (*Emmaus*) ويعرفون باسم (الاباء الترابيون) المشهورون بمعرفة فن الالبان والزراعة

(٩)—*Les Benedictins du Calvaires* جاءت الراهبات المذكورات الى القدس سنة ١٨٩٦ وهن اثنتا عشرة راهبة تسكن في جبل الطور بالقرب من القدس الشريف

(١٠)—*Les Riligieuses de l'Hortus Conclusus* جا ت هذه الراهبات الكاثوليكيات الاميركانيات الى القدس عام ١٩٠١ واسسن ديرًا لهن في بيت لحم

فهم من الايضاحات السالفة ان عدد الجمعيات الكاثوليكية في سورية يبلغ الستة والعشرين ويظهر لاول نظرة مقدار التلامذة والمرضى والايتام الذين يأوون الى مكاتبهم ومستشفياتهم ودور الايتام عندهم

(٦)—البروتستانت تألفت هذه الجمعية التي يبلغ افرادها عددًا اقل من القليل بواسطة الجمعية الدينية الانكليزية في لوندره لتنصر اليهود في سورية وقدتم امرها بمساعي المبشرين الاميركان والانكليز ومصارفهم المادية والمعنوية وتعاليمهم التي لا تكل ولا تمل . ورغماً عن صرف الملايين بل المليارات لنشر البروتستانتية وتعميمها في سورية فان اتباع هذا الدين الجديد لا يزالون عددًا قليلًا

٤ — اليهود والصهيونيون (١)

عرف من الكتب المقدسة ان اليهود قضوا اياماً جيدة وحياة طيبة في الارض المقدسة ثم اصيبوا بالفشل والخيبة فمزق اعداؤهم شملهم وفرقوهم ايدي سبا في انحاء الدنيا الاربعة . اما اليهود القاطنون اليوم فلسطين فهم اما من اليهود الذين هاجروا اختياراً من انفسهم وجاءوا من الديار الاجنبية حباً بسكنى الارض المقدسة واما انهم من اليهود الاجانب الذين جاءت بهم من روسية ورومانيا شركات الاستعمار اليهودية الغنية واسكنتهم في القرى التي انشأتها على احسن طرز واجمله . ومن المحتمل ان يكون يهود دمشق من احفاد الموسويين الذين لم يتركوا فلسطين منذ القديم

اما يهود فلسطين فهم من المغاربة والاسبانيوليين اليهود الذين طردوا من اسبانيا في اوائل العصر التاسع عشر اذا اخرجتهم منها مظالم الاينكيزيسيون في زمن فردينان الكاثوليكي وفيليب الثاني . ويسمى هؤلاء « سه فارديم » *Sephardim* اي اهل الكتاب . وفي النصف الآخر من العصر التاسع عشر اخذت قوافل ثانية كثيرة من يهود البلاد الروسية تهاجر الى الارض الموعودة ويسمى هولاء (اشكنازيم) اي يهود اوربا الشرقية . وقد ظهر من الاحصاء الذي اجرى عام ١٨٤٠ ان مائة الف روسي من روسية اعتقدوا بقرب الموت العام فركبوا من العاربة وكانوا يهاجرون الى فلسطين) ولهجرتهم هذه اسباب وعوامل دينية فانهم يعتقدون ان الذي يدفن في الارض المقدسة لا يلاقي صعوبة بالبعث والنشور في يوم الدينونة والحساب . وان الذين دفنوا بعيداً عن الارض المقدسة فانهم يضطرون لحفر طرق طويلة تحت الارض حتى يقدروا على اجابة نداء الحق تعالى والوصول الى الارض المقدسة

ويعتقد يهود المانيا وروسيا ورومانيا اعتقاداً تلمودياً ان السيد المسيح يضع في مدينة صفد تحت ملكه حين هبوطه ولهذا نرى ان قسماً عظيماً من اليهود (الاشكناز) يتخذون قصبة صفد وطناً لانفسهم . و يعتقد الوف من يهود اوربا ان السيد المسيح سيظهر ثانية في طبريا ولهذا يرجحون المدينة المذكورة ويرجح الوف منهم القدس ويقطنونها

ولما ظهرت المظالم الروسية في اواخر القرن التاسع عشر وجرى القتل العام في اليهود الروسيين ازدادت المهاجرة اضعافاً مضاعفة عن القديم ولكن خطة المهاجرة تبدلت قليلاً فان المهاجرين مالوا الى ارض [يهود] واتخذوها وطناً لهم وابتاعوا اراض وسيعة فيها

---

(١) سنشرح الاحوال الاجتماعية والادبية عن اليهود حين الكلام عن نابلس وحيفا وطبريا والجاعونه وصفد

لا ريب ان شدة المهاجرة والقيام بها لم تكن منبعثة عن التشبث الفردي في الامة اليهودية فبدأت صغيرة ثم نمت تدريجاً حتى وصلت الى هذه الدرجة. ولكن الروساء اليهوديين (لواونتن ووايتبرغ) الروسي و (فرايين) البولوني و (هابسمن) الروسي و (هابغمن) الذي لا يزال حياً يرزق في مستعمرة ريشون لوزيون قد اسسوا عام ١٨٨٠ جمعية لترويج فكرة المهاجرة وبعد سنين من تأسيس الجمعية جاءت اول قافلة من مهاجري روسية اليهود فبنى هولاء المهاجرون قرية (ريشون لوزيون) في منطقة يهوذا وفي عام ١٨٨٣ الف يهود رومانيا جمعية جديدة للغاية ذاتها فجمعوا كمية من الدراهم واقنعوا مقدار عشر عائلات جاءوا بها الى هذه البلاد واسكنوها في جوار حيفا واسسوا هنا قرية (زمارين) او قرية (زيكرون جاقوب) حسب التعبير اليهودي في الاراضي التي توفقوا لاشترائها

واخذ اليهود الذين قطنوا الجهة الغربية من فلسطين بمساعي الجمعيتين المذكورتين يشتغلون بالزراعة والفلاحة. ولكن جهل هولاء المهاجرين وعدم معرفتهم ادى بهم الى الفشل وعدم النجاح فاصبحوا بحالة يرثى لها واصيبوا بالجوع والفاقة ولحقت بهم الامراض السارية وحاصل القول ان جميع البلايا صبت على هولاء المهاجرين من اليهود حتى اضطر هولاء المهاجرون الذين جاءوا الى الارض المقدسة ليعيشوا فيها براحة وهناء ورفاه ان يتسألوا ويطلبوا من الاهلين صدقاتهم. وهلك قسم كبير منهم حتى ان الحكومة العثمانية اضطرت الى اعادة عدة قوافل منهم الى المحلات التي جاءوا منها

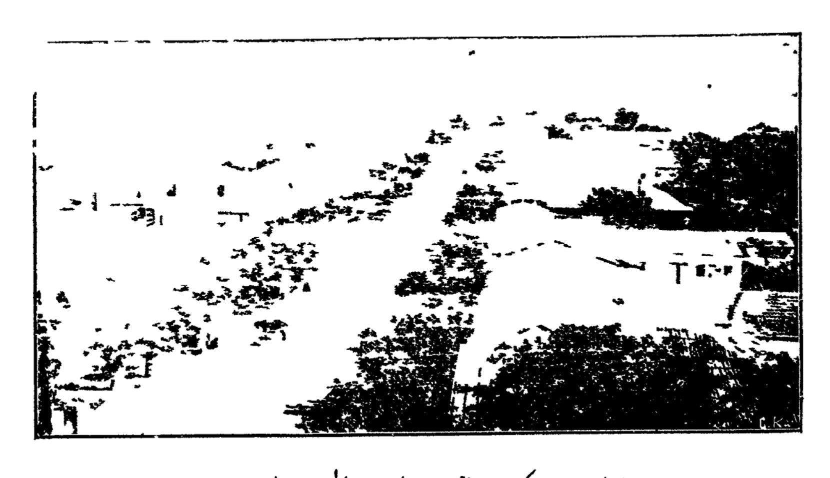
واحس عدة من نبهاء اليهود بهذه الحالة الرديئة فنظروا في الامر نظرة تفكر وامعان وقرروا ارسال المستعمر (وايتبرغ) الذي جاء اسمهُ قبلًا الى اوربا ليطلب شيئاً من الاعانات من اغنياء اليهود فيها او ان يعقد قرضاً بمبالغ طائلة لتلافي هذا الامر وفي عام (١٨٧٧) توصل اليهودي وايتبرغ الى المثري الشهير (ادموند روتشلد) اليهودي بمعرفة كاهن اليهود في باريس فشرح لهُ حالة اخوانه اليهود بلسان يجرح الفوءاد ويدمي القلب فهيج بطلاقة لسانه وعذوبة بيانه عواطف البارون روتشيلد فادى به الامر اخيرًا الى النجاح في مسعاه فارسل البارون (روتشيلد) الى قرية ريشون لوزيون مندوباً خاصاً من قبله مع حوالة مالية غير معينة فكانت هذه الحادثة واقعة مهمة في تاريخ الاستعمار اليهودي فانهم لم يتفقوا على حد صرف مئات الالوف من الليرات بل انهم ضاعفوا ذلك واخذت الاموال تدفق كالسيل من باريس الى سوريا. ولم يكتفِ البارون بارسال الدراهم بل انه ارسل رجالاً من ارباب الفن فوضعوا له التقارير الكافية عن طبيعة الاراضي وعن القابلية الزراعية في هذه الجهات وهكذا كان يصدر امره باشتراء اراضٍ جديدة حتى ان

اراضي قرية (ريشون لوزيون) اصبحت بعد زمن قليل ملكا صرفا للبارون

فاساء اليهود الاستعمال امام هذه الاحسانات والانعامات واخذوا يسرقون ويبذرون حتى ان البارون اضطرّ لان يعلن لهم بانه لا يدفع سوى مصارف الماء والمكاتب والامور الصحية والمباني العمومية في البلدة اما المصارف الزراعية فلا يدفع منها شيئاً واصدر امره من طرف آخر الى رجاله بان يبيعوا اراضي (ريشون) الى القرويين ببدل مقطوع وقدره (سبعة فرنكات) ثمن الدونم ولكنه تفضل على ابناء جنسه بعناية اخرى عظيمة وهي قرانهم المبالغ الكافية لمدة عشرين سنة بلا فائض . ورغماً عن اعلانه سابقاً (٩١٠) بانه عازم على استيفاء واحد او اثنين في المئة فائضاً عن امواله فان اليهود المهاجرين قابلوا هذا الاعلان والانذار بالسخرية والاستهزاء لان الذين دفعوا باوقات المهاجرة الاموال التي استدانوها من البارون بلا فائض هم عدد قليل ومعين

كانت منطقة الاستعمار التي سكنها يهود رومانيا واسرائيليا زمارين (ريشرون جكوب) جبلية تقريباً وقد ابتاعت جمعية الاستعمار الرومانية اراضيها بمقدار ... عن الدونم عشرين فرنكاً واسكنت فيها المهاجرين الرومانيين ولكن بعد ... الذي ... في منطقة ... قد اصيبوا باعظم منه في هذه المنطقة . وحينما احسوا الضيق والشدة رجعوا الى البارون (روتشيلد) كما فعل اخوانهم يهود روسيا فاخذوا منه الوفاً من الليرات وبنصائحه اتخذوا عادة اراض في جوار زمارين فامنوا بذلك حالتهم الزراعية واصلحوا شيئاً من شأنهم واخذ البارون روتشيلد يقرض هؤلاء اموالاً كافية جديدة على ان يستردها منهم في المستقبل و... وجد اليهود نفسهم اغنياء دفعة واحدة بعد ان كانوا لاشيء اخذوا يتفننون بصرف ... وصرفوا نظرهم عن غرس المزروعات الموقتة وبدأوا يحرثون احراجاً من الاشجار المثمرة . وشادوا معملاً لتصنيع الخمور من الكرمة التي انشأوها ولكن هؤلاء المستعمرين اكلة الميراث لم يكونوا انفسهم ... حينئذ بحتة النظار بانه لا يمكنهم مراقبة الاجانب في مثل هذه الاعمال فصرفوا مبالغ طائلة بدون جدوى وبما لم ينجحوا بعملهم هذا اخذوا يقلعون الكرمة ويغرسون عوضها اشجار اللوز والبورتقال والليمون

وعوضاً عن ان يتأثر البارون من كل هذه التبذيرات فانه امر بتأسيس معمل للزجاج في (طنطوره) فصرف ملايين من دراهمه التي لا تنفد سياسة لابناء وطنه ورغبة بايجاد اشغال لهم . ومن الغريب ان وكلاء البارون يدفعون منذ عشرين سنه خمسين ليرة سنويا تحت عنوان رسوم متنوعة بسبب هذا العمل الزجاجي الذي صرف البارون على تأسيسه اكثر من نصف مليون فرنك ثم اغلق لانه بني على غير فكرة وامعان



زمارين «ريكرودد تاقوت» احدى المحلات اليهودية

واصيب معمل الطربيات الذي انشئ في الجاعونه وصرف عليه من ٣٠٠ الى ٤٠٠ الف فرنك بالعلة ذاتها . وقد اشتغل المعمل المذكور مقدار سنة او سنتين بين ايدي اولئك اليهود المختلة ثم اغلق بعد تسلية هذه الامة التي (لم تر وجه الشمس) منذ سنين

ورغماً عن عدم النجاح بهذه الالعاب الثمينة فان مثرى اليهود في اوربا لم يصرفوا نظرهم عن مسئلة المهاجرة بل انهم رغبوا بقلبها الى حالة ثابتة على وجه حسن فجرت بينهم مناقشات ومذاكرات مديدة وانتهى بهم الامر الى تأليف جمعية في لوندره تحت عنوان (جويشين قولونيزهشين) وذلك عام ١٨٩٠ وغايتها تخليص اليهود الذين كانوا يأنون تحت مظالم روسيه المتواليه . وقوام هذه الجمعية المثرون (نارسيس لووهن) و (فرانسيس فيليسون) و « ادمون لاهمن » و « سالامون راينلق » و « هارتي فرانق » وامثالهم من الاغنياء المختلفي التابعيه وكان مسعى هذه الجمعية اشتراء اراض واسعة في فلسطين وكندا والارجانتين والبرازيل واسكان مهاجرى اليهود فيها

وقد عرف اعضاء هذه الجمعية في اوربا بثرائهم ومراكزهم . ومن جملة اعضاء هذه الجمعية البارون هرش الذي كان اخـذ امتياز السكة الحديدية في الروم ايلي ويقال انه وهب كافة ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى جمعية علـه J. C

و كان « نارسيس لووهن » احد اعضاء هـذه الجمعية رئيساً لجمعية « الاليانس الاسرائيلية » وظل محافظاً على رياستها الى حين وفاته . وتوفى « لوون » اثناء الحرب العمومية . ولهذا لا يعرف موظفو هذه الجمعية في فلسطين اسم الذي خلفه في الرياسة بسبب انقطاع المخابرات بين الطرفين

[٢] — الصهيونيه — هي كناية عن جبل «سيون» القائمة عليه القدس وغاية الصهيونية السياسيه تأسيس دولة يهودية مستقلة في فلسطين

كانت هذه الفكرة غير متعممة بصورة واضحة بين اليهود الذين كانوا يأنون من مظالم روسيا ورومانيا حتى عام ١٨٨٢ ولما ظهر القتل العام بين اليهود في روسيا اخذت هـذه الفكرة تظهر وتتجلى بصورة صريحة

فكان البارون روتشيلد يُسكن بملايينه للمهاجرين من اليهود في القرى الجديدة التي يؤسسها في فلسطين . وكان البارون النمساوي هرش Hirsch يرتأي ان المفيد لليهود هو اسكانهم في بلاد الارجانتين وكان يؤسس لمهاجري اليهود مستعمرات ومستملكات زراعيه في الاراضي المذكورة . ولما كان عام ١٨٩٦ نشر « هرتزل » Herzel المجري الشهير كتابه « الحكومة اليهوديه » الذي جمع فيه بين المقاصد السياسيه لكافة الصهيونيين ولهذا فان اليهود يعتبرون كتاب «هرتزل» تلموداً ثانياً لهم

ومن الامور الجديدة بالاعتبار ان فكرة الصهيونية ليست مسئلة عنصرية خصوصيه بل ان موءلفي (التلمود) كانوا يتسلون بهذه الخيالات ويتفكرون بها . وعلى كل يهودي متعصب ان يعيش متسلياً بهذه الاوهام بل هو مجبور على قرائة عدة آيات من التلمود تتضمن رجوع اليهود الى فلسطين

ويكفينا لاثبات مدعانا ذكر المراثي التي يتلوها اليهود امام جدران النواح وهم باكون . وهذا انموذج من المزامير التي يقرأها اليهود بصوت عالٍ :

«نضرع اليك ان ترحم صهيون ! اجمع ابناء القدس في محل واحد ! يامنقذ صهيون ! استعجل ! وقل لقلب القدس ان ترحم صهيون وتمتــلأ عظمة وسروراً . انظر الى القدس بقلب شفوق ! وليوءسس الملك في سيون باقرب آن »

اذا نظرنا بعين الامعان في الحياة التاريخية للامة اليهوديه التي انتهت حياتها السياسية واجبرت على اخلاء ارضها الموعودة منذ ايام الرومانيين وتبعثرت في انحاء الدنيا الاربعة — نجد ان المفكرين الذين ظهروا بينها في العصر الاخير يسعون سعياً حثيثاً وراء جعل التعصب الديني عندهم في قالب مملوء بالعنعنات في الامة اليهوديه

نهض المفكر اليهودي موءيز مندلسون Mendelshon عام ١٧٦٠ ميلاديه فوضــع في برلين اساس اليهوديه الجديدة واستقر رأيه اخيراً على اتخاذ النظرية الآتية : على اليهود ان لا يكونوا ذوي عنصرية منفردة فاليهودي مجبور على اتخاذ البلاد التي يسكنها وطناً له ففرنسا وطن لليهودي الذي يسكن فرانسه والمانيا وطن لليهودي الذي يقطن المانيا

وقد اثرت فكرة مندلسون في الحياة السياسية للامة اليهودية وبقيت متبعة عندها حتى اواسط القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٦٢ نشر يهودي الماني يسمي (موئيزهەس) كتابه المسمى روما القدس فتكلم فيه عن تشكل العنصرية اليهودية بلغة يفهمها الميالون للعنصرية في العصر الحاضر ولكن مساعيه لم تحدث تأثيراً مطلقاً . غير ان هجمات الروسيين الدموية على اليهود في زمن اسكندر الثاني قيصر روسيا وايقاعهم القتل العام بهم جعلت مسئلة المهاجرة حديث الخاص والعام في افواه اليهود قاطبة فنهض حينئذ اليهودي بنسكر Pinsker ونشر كتاباً توسع فيه بشرح اراء (موئيز هەس) . وكان بنسكر يتسأل من الامة اليهودية عن الوطن الجديد الذي يجب عليهم اتخاذها هو فلسطين وسوريه ام اميركا ؟

وبعد زمن قليل من نشر الكتاب المذكور هاجرت بضع عائلات روسيه الى فلسطين وانشأت قرية ريشون لوزيون

فرقت مسئلة المهاجرة المتفكرين من اليهود الى قسمين مهمين فاخــذ قسم العملة من اليهود

الذين لايفتكرون بغير الربح وتأمين المعيشة يهاجرون الى اميركا · واخذ اليهود المتفكرون بالمسائل العنصرية وبامر الاستقلال وتأسيس دولة مستقلة يهاجرون الى فلسطين فقطع البحر المحيط خلال عشرين سنه ثلاثمائة الف عامل هاجروا الى اميركا . وتأسست في المدة المذكورة عدة شركات صغيرة لاستعمار فلسطين . وقد صرف (البارون) هرش ملايين من ثروته فانشأ مستعمرات لليهود في الارجانتين ولم يتعرف على الفكرة العنصرية الثانية مطلقاً

وقد كانت الانباء التي تصل الى اوربا عن سفالة المهاجرين الى فلسطين وعن فقرهم سبباً لايقاظ الموسويين في اوربا وداعياً لاستلفات نظرهم

فظهر عام ١٨٩٦ شخص عظيم جداً على مرسح اليهوديه وهو الدكتور (هرتزل) المجري فاريد ان اتكلم عنه ؟

احرز الدكتور [هرتزل] الذي احيا الفكرة الحاضرة للصهيونية ووضع بصورة محكمة الخطة السياسية للمتفكرين والمتعصبين من كافة ابناء الامة اليهودية في الحاضر والمستقبل — مقاماً سامياً في العالم اليهودي حتى ان كل يهودي يزين اجمل غرفة في داره برسم [هرتزل] وقد رسم الصهيونيون على اوراقهم البريدية الخاصة التي يستعملونها في فلسطين صورة [هرتزل]

كان الدكتور (هرتزل] عالماً ذا قدم راسخة في الادبيات الالمانية · ولكنه بدل خطته العلميه منذ عام ١٨٩٦ وصرف كافة اقتداره وعلمه وذكائه الى حل المسئلة اليهودية . ولم يبدل الدكتور خطته لغير سبب من العوامل الخارجية بل كانت الاحوال في ذلك الحين داعية الى ذلك فان التيارات السياسية كانت مندفعة بصورة مدهشة ضد اليهود في البلاد الوسيعة ما بين انهر السن والتايمس ونوا . حتى ان الصحف والمجلات في ذلك الحين كانت تملأ اعمدتها بالمقالات المهينة للامة اليهودية وكانت حكومات اوربا تتخذ التدابير المضرة بحق افراد هذه الامة . فلما احس الدكتور بحرج الموقف لامته تهيجت عواطفه العنصرية فاندفع الى ساحة المجادلة عن امته وقرر الدفاع عنها بلسانه وقلمه وعزم على انقاذها من هذا الاسر . فلم يتكلم عن فلسطين في كتابه (الحكومة اليهودية) لانه كان في ذلك الحين متردداً بانتخاب الوطن الجديد . ثم اتفق مع شركات الاستعمار واتى عدة خطابات في موتمر الصهيونيين الذي عقد في (بال) عام ١٨٩٧ فتكلم فيها عن العلائق والغايات التي يجب ان تكون بين بلاد الاجداد وبين العواطف الروحية في الامة اليهودية في العصر الحاضر)

عقد هذا المؤتمر الذي ظل من ٢١ آب الى واحد ايلول عام ١٨٩٧ بدعوة من العالمين الدكتور (هرتزل) وماكس نورداو Max Nordau وكلاهما من مشاهير الصهيونيين وقد ضم المؤتمر

اكثر من مائتي منـدوب من فلسطين واميركا وروسية وبعد مناقشات وخطابات عديدة عن الوسائط المؤثرة التي يجب ان تتخذ للنهوض بالصهيونية تقرر وضع الاسس الاصلية لبرنامج الصهيونية الذي يجب تطبيقه فاتفقوا على ان الغاية من الصهيونية هي انشاء قرى خصوصية تكون حائزة للحقوق العمومية في ارض فلسطين . وللنجاح في تطبيق هذه الخطة قرروا اتخاذ التدابير الآتية .

١ً المثابرة على استعمار فلسطين بواسطة الزراع وارباب الصنائع الاختصاصيين

٢ً ايجاد وحدة مليه ضمن القوانين المحلية بين اليهود المنتشرين في انحاء الدنيا الاربعة

٣ً ارشاد الموسويين الذين ينظرون الى اليهودية التي تفهم ابناءها سمو الفكرة العنصرية بنظر الاستهجان والانحطاط وافهامهم ان مبدأ العنصرية امر مقدس ومحترم

٤ً اتخاذ الوسائط المقتضية لافهام كافة الحكومات غاية الصهيونية واساساتها العامة وعلاوة على ذلك فقد قرر المؤتمر انتخاب هيئة ادارية دائمة مؤلفة من ٢٣ شخصاً على ان يكون مركزها (ويانه) وقرروا في مؤتمرهم ان تكون هيئة الادارة تحت رئاسة الدكتور (هرتزل) وان يستوفي من كل صهيوني فرنك واحد في السنة . وان يكون لكل مائة صهيوني يدفعون الاشتراك السنوي حق بارسال مندوب من قبلهم الى المؤتمر العام

وبفضل هذا المؤتمر انتقلت الصهيونية من النظريات الى الاجوآت

الوسائط المؤثرة للصهيونية — قال الدكتور (هرتزل) في كتابة (الحكومة اليهودية) : وعلى اليهود ان يهاجروا من الممالك المتمدنة التي تظهر فيها العداوة لليهود الى حيز الوجود . ويجب ان تتألف شركة رأس مالها مليار فرنك فتبيع الاموال المنقولة وغير المنقولة لهؤلاء المهاجرين وتبتاع لهم عوضاً عنها في البلاد الملائمة لهم وعليهم ان يؤسسوا هناك مزراع ودوراً حسب الاصول الجديدة وان يبتاعوا الآت زراعيه جديدة

ولم يغفل الدكتور الذي وضع هذه الخطة عن نظريات (السوسياليست) الراقين بل اوجب على اليهود الذين ينتقلون الى الاوطان الجديدة ان يتبعوا الخطة (السوسياليستيه) حرفياً فقال : وعلى ابناء ملتي ان يتبعوا في حياتهم خطة (السوسياليست الديموقراطيين) المياله الترقي والتجدد والمشبوعة بالمدنية الغربية

ولقد صادف اليهود صعوبات عظيمة بتطبيق هذه النظريات فاسس الاغنياء المتفكرون منهـم بنكاً يهودياً رأس ماله مليونا ليرة انكليزية . ولم يتمكنوا من تأسيس البنك ايضاً الا بصعوبات ومشاكل شديدة

نعم ان النجاح الذي احرزه الصهيونيون في الوقت الحاضر حقيقة لاتنكر . وان ترتيباتهـم

ومؤسساتهم وخصوصاً في رومانيا وروسيه متقنة جداً . وهم يجبرون المستعمرين منهم في فلسطين على تعليم اولادهم اللغة العبرانية . ولقد وجدنا لغة التعليم في كافة المكاتب اليهودية التي زرناها هي العبرانية . حتى ان اللغة الاسبانية والاشكنازية لايتكلم بهما الا الشيوخ منهم

ظهر من هذا ان العاطفة الملية ثابتـــة في المكاتب وان الصهيونيين وعاشقي العصبية هاجمون بكل قواهم لاحراز الغاية والفوز بالمقصد الاصلي . ولكننا لا نعلم هل تتمكن هـــذه الاقلية القليلة من الامة اليهودية المبتلاة بالاسراف والتطرسة من ان تصل الى (الغاية اليهودية) بفضل ملايين البارونات واصحاب الثروة التي لاتعرف النفاد ؟ !



« الاحوال الطبيعية في الولاية بيروت وعكا ونابلس »

١ — الجبال

ولاية بيروت جبلية بوجه العموم . وجبالها التي تمتد فيها من الشرق الى الغرب حتى ساحل البحر متوسطة الارتفاع ماعدا عدة جبال في حدودها الشرقية . والجبال في شمالي الولاية هي اكثر من جنوبيها . ويحيط بالجهة الشرقية من الولاية سلسلة الجبال الممتدة الى الجهة الجنوبية منها وهي جبال لبنان ويفرق ولاية بيروت عن ولاية سوريه في الجهة الشمالية جبل النصيريه الممتد من الشمال الشـــرقي في لواء اللاذقية حتى جبل لبنان ويبلغ ارتفاع جبل السواد بالقرب من طرابلس الشام ٣٠٥٠ متراً كما ان جبال عكار التي تصل جبال النصيريه بجبال لبنان يبلغ ارتفاعها ٣٠٧٤ متراً وتعتبر جبال عكار من سلسلة جبال (النصيرية) القائمة في شمالي الولاية

تختلط هذه السلسلة الجبلية في جبل لبنان وتمتد حتى الجنوب ثم تتصل باراضي الولاية في قضاء صيدا ثم تمتد الى الجهة الغربية حتى تصل الى قضاء صور . يتألف من هذه السلسلة الجبلية في هذا القضاء الساحل العلوي من نهر الليطاني ثم تمتد الى الجنوب قليلاً فتشكل الساحل العلوي ايضاً من نهر القاسميه وهو نهر الليطاني نفسه وتمتد على الساحل حتى تنتهي بمصب نهر القاسميه

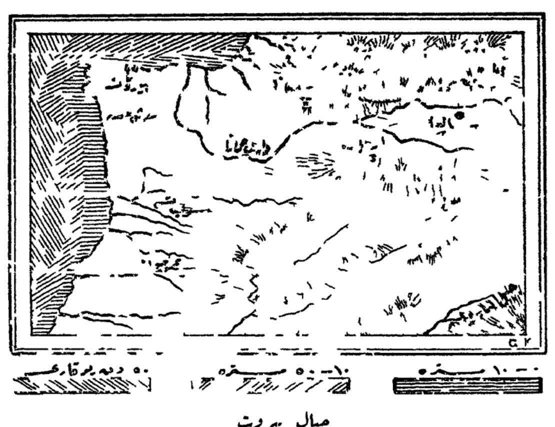
وليست حفرة القاسمية التي يتألف منها القســم السفلى من نهر الليطاني سوى حادثة عاديه بنظر فن مباحث الجبال وقد سميت بهذا الاسم لتشكيلها الحدود الجنوبية من جبل لبنان . واذا نظرنا بحسب الظاهر الى سلاسل الجبال الممتدة من ضفة النهر اليسرى نحو الجنوب والى داخل فلسطين نحسبها من سلسلة جبل لبنان ولكن عدم انتظامها وتخالف ارتفاعها وتباين وضعياتها منحها

شكل سلسلة جبال مستقلة . وتشكل جبال صور وعكا والناصره وصفد وسائر اقضية فلسطين المنطقة الممتدة مابين البحر الابيض ووادي الشريعه . واعلى نقطة من سلاسل الجبال في الجهة الشرقية لا تتجاوز الالف متر وهي تشكل الجهة اليسرى من وادي نهر الشريعه ويقوم على هذه السلسلة الشرقية خط عمودي من الشرق الى الغرب مؤلف من ذروات مرتبطة بذروات اخرى صغيرة على الساحل مما يدل على صحة قول القائلين بوجود سلسلة جبال موازية للساحل قبل هذا

وخلاصة القول انه يبدأ من الجهة الجنوبية في مصب نهر القاسمية سلسلتا جبال تمتدان الى داخل فلسطين احداهما تبدأ من رأس الابيض والاخرى من رأس الكروم وتتألف من السلسلة الاولى جبال بلاط . اداثير . جرموق . طابور . داهر . جلبوع وبعد جبل (عرعره) الذي يبلغ ارتفاعه ٦٩٦ متراً في الجهة الغربية تنتهي هذه السلسلة برأس الاقرع المستند على جبال التي هي من اهم شعبات سلسلة الكرمل الجبلية . ويفصل بين هاتين السلسلتين الممتدتين من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي وادي عكا ومرج بني عامر المشهورين بالخصب والاتساع

واعلى جبال (عاليه) في الجهة الشمالية من منطقه فلسطين جبل الجرموق وارتفاعه ١١٨٩ متراً وهو على موازاة الذروات القائمة على السطح المائل ما بين نهر الشريعه والبحر الابيض في الشمال الغربي من قصبة صفد . اما جبل الطابور وعلوه ٥٦١ متراً فهو غير ممتاز بارتفاعه بين الجبال القائمة في جنوبي جبال الناصره ولكنه ارفع نقطة مشهورة في منطقة (عاليه) [illegible] ورغماً عن عدم ارتفاع هذا الجبل فانهُ قائم في ناحية متسلطة على مرج عامر ولهذا وهم ينظرون اليه بنظر موقع مستحكم . ويوجد [illegible] من بقايا الاستحكامات التي اقامها العبرانيون والرومانيون ورجال القرون الوسطى في جهات مختلفة منه ولجبل الطور (وهو تعريب الطابور) موقع مهم في تاريخ النصرانية وسنشرح اهميته التاريخية حين الكلام عن تلك الانحاء

تتبدل العوارض الطبيعية في جنوبي جبال (عاليه) دفعة واحدة وتبدأ [illegible] مرج بن عامر او صحراء (جزر ائيل) او (اسدرالون) *Esdraelon* [illegible] البحر الابيض ووادي نهر الشريعه ويظن ان هذه الصحراء كانت [illegible] بكثرة نحو الجنوب . . الجبال الشمالية والغربية . ويوجد في انحاء مختلفة من تلك الصحراء تلال منفردة اقمتها فيها الاتربة التي نقلتها اليها الانهر من جبال الحاوية [illegible] . ولا ريب ان القوة الانباتية التي توجد في تلك الانحاء الصحراء ناشئة عن كثرة المواد البركانيه التي انتقلت اليها في ذلك الحين . ويبلغ ارتفاع المرج بالقرب من قرية (زرين) ١٢٠ متراً ويتضاءل ارتفاع المرج



مثال بيروت

افقيا في الجهة المتقدمة الى البحر الابيض . واما القسم الثاني وهو القائم في الجهة الشرقية النازلة الى وادي الشريعة فان ارتفاع المرج فيها يتناقص مائلياً حتى ينتهي الى ماتحت البحر

يقسم مرج بني عامر القطعة الفلسطينية الى قسمين مستقلين عن بعضهما . ولقد حدث في المستوى الوسيع من الاراضي كافة الحروب اليهودية والكنعانية في الازمنة القديمة ووقع فيها قسم مهم من الحروب الصليبية . وحدثت هنا وقائع شديدة بين الجيش العثماني وجيش الجنرال الفرنساوي بونابرت الذي نهض في مبداء العصر التاسع عشر من مصر قاصداً فتح سورية والاستيلاء عليها

وسلسلة جبال الكرمل الكاسية الصخور التي تبدأ من راس الكروم في جوار حيفا وتمتد من الجنوب الشرقي منها هي اكثر جبال فلسطين انتظاماً . وبعد ان يتألف من هذه السلسلة ذروات يتراوح ارتفاعها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر تفقد ارتفاعها دفعة واحدة في جهة الشمال الشرقي وتنتهي باتصالها في تلك الجهة بمرج بني عامر . وتتصل في الجهة الغربية بصحراء صارونه وفي الجهة الجنوبية بصحراء ساماريه . وفي هذه المنطقة الاخيرة يتكون من السلسلة المذكورة جبلا عيبال وغاريزيم المطلاين على مدينة نابلس وهما اعلا جبال السلسلة المذكورة

٢ — الانهر

قسمت وضيعة الجبال الطبيعية في ولاية بيروت اراضي الولاية الى سطحين مائلين ووزعت مياهها الى مصبين مختلفين احدهما البحر الابيض والثاني بحيرتا الحوله وطبريا

واننا نذكر هنا انهر الالوية الثلثة الداخلية في منطقة تدقيقاتنا : فيصب في البحر الابيض انهر : بيروت . الاولي . الزهراني . القاسميه . الكابره . نعمين . المقطع . دغله . زرقه . المعجز . اسكندرون ويصب في البحيرة انهر الشريعة وادي السلامة وادي السمك

فنهر بيروت يجيء من جهة حمانا في جبل لبنان ويفصل بيروت عن جبل لبنان ويصب في البحر بجوار مقام الخضر عليه السلام . ويخرج نهر الاولي من محل الباروك في جبل لبنان ويصب في البحر بجوار صيدا . اما نهر القاسميه فنبعه الاصلي في محل يدعى (الليتاني) او *Séntes* حسب التعبير القديم شمالي قصبة بعلبك وهو بعيد عن منبع نهر العاصي مئات من الامتار في الجهة الجنوبية منها . اما منبعه الذي يرى بالعين فهو وادٍ في (انتي لبنان) يبعد ٢٥ كيلو متراً في جنوبي بعلبك ويصب في نهر الليطاني اعتباراً من هذه الجهة عدة جداول فيقذف النهر المذكور في الدقيقة ١٤٣ متراً مكعباً . ويجري نهر الليطاني من الشمال الى الجنوب على

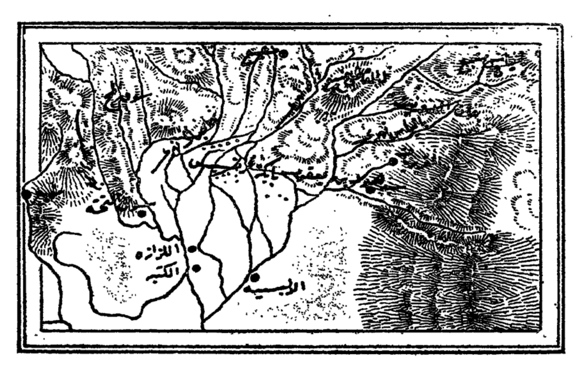
استقامة جبل الشيخ ويظل سائرا في واديه القائم فيه بعض المواقع الطبيعية من صخور وامثالها حتى يصل الى نقطة تبعد مقدار ثلاثة كيلو مترات عن قلعة الشقيف في طريق مرجعيون من الجهة الجنوبية فيبدل مجراه ثمت دفعة واحدة ويجري نحو الجهة الغربية فيطلق عليه اعتباراً من هذه النقطة اسم (نهر القاسميه) وتبلغ المسافة بين هذه النقطة وقصبة صور سبعة كيلو مترات او ستة . ويبلغ طول مجرى نهر الليطاني ٣٦٠ كيلو متراً منها (٥٠) كيلو متراً في اقضية مرجعيون وصيدا وصور

نهر الكابره —: يخرج هذا النهر من قضاء صفد ويسقي كثيراً من الجنائن والبساتين ويؤمن احتياجات الاهالي في عكا

ويخرج نهر النعمين في قضاء عكا ويصب في البحر بجوار المدينة المذكورة

نهر المقطع — يتشكل هذا النهرمن فخذين احدهما يخرج من جبل جلبوع والثاني يخرج من جبل طابور في جوار الناصرة فيجري الفخذ الاول من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ويجري الثاني من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ويلتقيان بفخذ ثالث في نقطة تبعد مقدار عشرة كيلو مترات وبعد ان يقطع النهر المذكور مسافة ٥٠ او ٧٠ كيلو متراً في مرج بني عامر اعتباراً من جبل جلبوع يصب في البحر بين عكا وحيفا . ولا يتجاوز مجرى نهر المقطع قضائي الناصره وحيفا . ويخرج من السطوح المائلة في جبال عيبال وغاريزيم جداول مياه كثيرة تمرّ في سامارية وتسقي صحراء صارونه . ويحسبون نهر الازرق ونهر الاخضر ونهر ابو زابوره من جملة هذه المياه

نهر الشريعة — يبلغ الانحطاط درجة تذكر في مجرى نهر الشريعة الذي يفصل ولاية بيروت عن ولاية سورية من حدود متصرفية جبل لبنان الجنوبية حتى متصرفية القدس الشريف . وبسبب هذا الانحطاط في المجرى كان نهر الشريعه موضوعاً للكلام عند علماء الجغرافيا وفن طبقات الارض . ويتكون نهر الشريعة من ثلاثة فروع اساسيه وهي الحاصباني وبانياس ودان اما فرع الحاصباني فيخرج من موقع يبلغ ارتفاعه ٦٦٠ متراً بالقرب من قصبة حاصبيا غربي السطح المائل من جبل الشيخ . ويخرج فرع بانياس من فوهة يبلغ ارتفاعها ٤٦٠ متراً بالقرب من قصبة بانياس في السطح المائل من الجهة الجنوبية الشرقية لجبل الشيخ . واما فرع دان فيخرج على بعد ٢٦٠ متراً من جنوبي بانياس . وتتحد الفروع الثلاثة على مسافة عشرة كيلومترات من شمالي بحيرة الحوله البالغ ارتفاعها مترين و ١٥ سانتياً وتجري نحو الجنوب تحت اسم نهر الشريعة ورغماً عن قلة هذه المسافة فان الارتفاع بين منبع نهر الحاصباني وبين الموقع الذي يصب منه نهر الشريعة في بحيرة الحوله ظاهر الاختلاف تماماً ويقدر بـ ٦٥٨ متراً فيصيب كل كيلومتر انحداراً في مجرى نهر الشريعة ١٣ متراً و ٦



منابع نهر الشريعة

سانتيات بسيره نحو الجنوب

وبعد ان يقطع نهر الشريعة بحيرة الحوله ويسير نحو الجنوب يزداد انحداره . وحينما يصل الى بحيرة طبريا البعيدة ٤٠ كيلو متراً عن بحيرة الحوله جنوباً يبلغ انحطاط مجرى نهر الشريعة اي في الغور ٢٠٨ امتار عن سطح البحر ويزيد الانحطاط بين البحيرتين على ١٢ متراً في كل كيلومتر

واذا عرفنا ان طول مجرى نهر الشريعه من منبعه حتى مصبه في بحيرة طبريا يبلغ ١٩٠ كيلو متراً ولاحظنا درجة انحطاط بحيرة طبريا عن سطح البحر — وجدنا ان الدرجة الوسطى لانحدار مجرى نهر الشريعه وهو الغور تبلغ ٥ امتار و٥٨ سانتياً في كل كيلو متر . ولا ريب ان التمكن من اسقاء الاراضي وارواتها من مثل هذا النهر الكثير الانحدار سعادةٌ عظمى لاتنكر وان من السهل اقامة الحواجز والسدود لمياه نهر الشريعه التي تنحدر من الشمال الى الجنوب قبل وصولها الى بحيرة طبريا . فهل يظهر المستقبل هذه السعادة للوطن ؟

٣ — البحيرات

ليس في ولاية بيروت بحيرات ذات اهمية غير بحيرتي الحوله وطبريا

اما بحيرة الحوله فهي الحفرة التي كان يسميها العبرانيون « مياه مه‌روم » وهي متكونة من المياه التي تفيض من نهر الشريعه الجاري من الشمال الى الجنوب . ويؤخذ من التدقيقات الفنية التي قام بها بعض المدققين من الانكليز ان ارتفاع البحيرة عن سطح البحر يبلغ تقريباً من مترين وجاء في التدقيقات التي اجريت عام ١٨٨٥ ميلادية ان عمق البحيرة يتراوح من مترين الى خمسة امتار وهي بشكل مثلث منتظم . وفي الجهة الشمالية منها صحراء منتظمة بشكل حوض ويبلغ عرضها ساعتين . اما الجبال القائمة في الجهة الشرقية من البحيرة فهي منخفضة عن الجبال القائمة في الجهة الغربية منها . ورغماً عن وجود مستنقعات في وسط صحراء الحوله فان عشيرة (الغورانه)[١] يقطنونها اليوم . وقد تأسست قبل الحرب الحاضرة شركة من اغنياء بيروت المعتبرين لتجفيف المستنقعات المذكورة واصلاحها وجعلها قابلة للزراعة

بحيرة طبريا — يؤخذ من التدقيقات التي قام بها الملازم لينش LYNCH ان طول بحيرة طبريا من الشمال الى الجنوب يبلغ ٢٦ كيلو متراً و٨٢٤ متراً وعرضها الوسطى من الشرق الى الغرب يبلغ تسعة كيلومترات و٢٥٥ متراً . وتبلغ مساحتها السطحية ١٩٢ كيلو متراً مربعاً . اما عمقها فيبلغ ٤٥ متراً في الجهة الغربيــة . وتنحط عن سطح البحر ٢٠٨ امتار ويقال ان

« ١ » وسنتكلم بالتفصيل عن هذه العشيره حين الكلام عن التدقيقات المحلية

انحطاطها عن سطح البحر يبلغ ٢١٢ متراً . ويوجد في مياه طبريا الصالحة للشرب انواع كثيرة من السمك اللذيذ . ويصرف اكثره في قصبة طبريا

وان بحيرة طبريا التي كان يسميها بنو اسرائيل كزنت KEZNETH او كنه زارت GENESARETH تفرق بين ولاية سورية وولاية بيروت . ويتبع منها الثلثان لولاية بيروت في الجهة الغربية . ويظن ان حفرتها كانت في عداد الحفرات البركانيــة . وان سطحها كان في الازمة القديمة اوسع من الوقت الحاضر بكثير . ويؤيد هذا القول حالة الصخور القائمــة على ضفاف البحيرة .

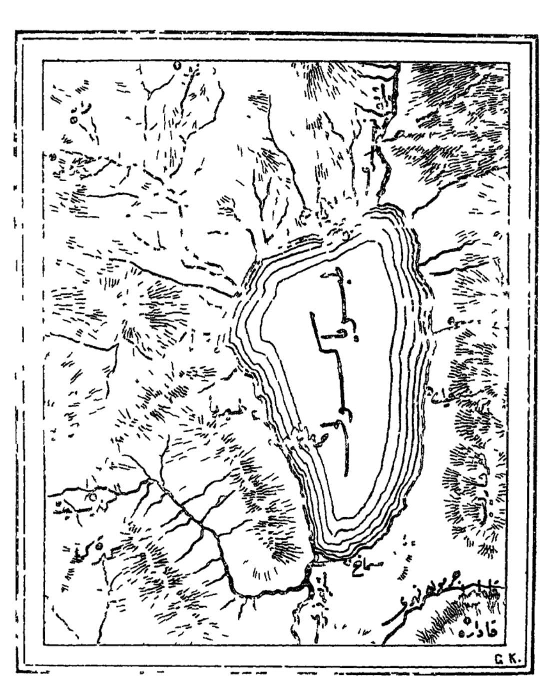
ويظهر ان بحيرة طبريا كانت متصلة بالبحر الابيض بواسطة مرج بني عامر فقذف احــد البركانات التي كانت ملتهبة بحممه عليها فسد طريق الاتصال بينها وبين البحر الابيض ويقيمون الدليل على ذلك وجود مواد بركانية في طبقات المرج السفلى . ومن الادلة على ان حفرة البحيرة حفرة بركانيه وجود الحمامات المعدنيه في اطرافها وتكاثف طبقات البازالت في قعر البحيرة وتوالي الزلازل في انحائها

٦ — احوال طبقات الارض

يتشكل القسم الاعظم من جبال فلسطين من طبقات كلسية (تباشير) ويصادف قليــل ان اقسام للمستودعات الصخرية المختلفة الالوان . وليست صخور فلسطين القديمة المتبلورة او لتا كسدة سوى آثار البركانات القديمة وتبدلاتها . ولا يوجد من هذه الصخور في الوقت الحاضر في غير الضفة الجنوبية الشرقية من بحيرة لوط وفي الساحل الشرقي من الغور . ويستر الصخور طبقات مؤلفة من حبات الكلس الفحمي الجامع للكلس والمانغــانز . ويرجع اصلهما الى دور الكلس والفحم

اما الطبقات العليا من هذه الاراضي فهي (تباشيرية) وهي كثـيرة التباشير والجفصين ذي الفحم الكلسي المتضمن للمغانز ويوجد هذا النوع كثيرًا في الساحل شرقي بحيرة لوط . و يرى بين هذه الطبقات كثير من الحيوانات البحرية كالاستريديه وامثالها وعلاوة على ذلك فانه يوجد بين الطبقات المذكورة كثير من الحيوانات الناعمة المستحثة . ويوجد من الحيوانات الناعمة المستحثة في فلسطين وفي المنطقة الشرقية من وادي نهر الشريعة وفي الجهة الغربية من القدس

وعلاوة على هذا فانه يوجد تلال من التباشير والفحم الكلسي المانغنزي والرمال حتى انهُ يوجد من هذه التلال في نفس مدينة القدس . ويوجد في جبــل الزيتون صخور تباشيريه اللون



بحيرة طبريا وضواحيها

مائلة الى الصفرة مخلوطة ببقايا الحيوانات الناعمة ذات صوت كالمعادن اذا تحركت وتستعمل فوق القبور . ويوجد بكثرة في اراضي غاليله صخور تباشيرية صدفية وهي نادرة الوجود في ساماريا ومفقودة في الاراضي الجديدة . وفي مقابل ذلك فان الاراضي الراسبة تشكل القسم المهم من سواحل ولاية سورية وتتشكل هذه الانواع من الاراضي من ترسب الرمال التي يقذف بها البحر ويشاهد بكثرة على ضفاف الانهر الكبيرة كثير من الطبقات المتشكلة من الجنسين

٧ — الاقليم والهواء

١ — الاقليم

لم يمكن الحصول على معلومات كافية وصريحة بهذا الخصوص حتى اواخر العصر الاخير. الا انه تألفت عام ١٨٩٥ جمعية فنية المانية واخذت تعمل في هذا الموضوع بطريقة علمية فاوقفت العالم على اقاليم هذه المنطقة المهمة من المملكة العثمانية

ويمكننا ان نقسم الالوية الثلاثة التي طفنا فيها الى ثلاثة اقاليم من حيث حالتها الطبيعية فالساحل اقليم بحري ومناطق الجبال اقليم بري ووادي الشريعة اقليم حار

ويمكننا القول بوجه عام ان موسم الشتاء في هذه المنطقة هو ايام المطر وموسم الصيف هو ايام الجفاف فلا يهطل المطر فيها . فيبدأ الريح عقب انقطاع الامطار ويمتد شهراً ونصفاً (من ١٥ مارت الى اوائل مايس) ثم يبدأ فصل الصيف . وتنقطع الامطار تقريباً تمام الانقطاع في النصف الاخير من مايس. وينقضي حزيران بدون مطر تقريباً . اما تموز فيكون جافاً تماماً . ويشبه شهرا اغستوس وايلول شهر حزيران تمام المشابهة . ويبدأ نزول المطر في اواخر تشرين الاول واوائل تشرين الثاني فتسقي الاراضي اليابسة وتصبح صالحة للزرع بما ينزل عليها من الامطار الغزيرة . وبعد فاصلة قليلة يحل فصل الشتاء بعد نصف كانون الاول . ويهطل المطر بكثرة في كانون الثاني ثم يأخذ بالانقطاع في شباط . وتسعف امطار مارت ونيسان المزروعات على النشوء والنماء . وبين نزول الامطار بقدر كاف او نقصها في اشهر السنة وبين نجاح المواسم والمحاصيل وعطلها — تناسب متلازم

اما درجة الحرارة التي ترتفع في الساحل وفي المناطق المنحطة من الولاية فانها تعتدل جداً في مناطق الولاية العالية . وفي ايام مارت التي تهبط فيها درجة الحرارة ليلاً الى ما تحت الصفر في الصحراء الشرقية من وادي نهر الشريعة فانها لا تقل ارتفاعاً في كثير من الاوقات عن الدرجة

الخامسة والعشرين فوق الصفر في وقت الظهر من اليوم التالي

ورغماً عن ان درجة الحرارة في القسم الساحلي من الولاية هي اعلى منها في المناطق الجبلية فان الهواء البحري الذى يصل تأثيره حتى منطقة القدس يخفف شدة الحرارة في السواحل

وتوقف الجبال العالية هواء البحر وتمنع وصوله الى مدينتى حلب والشام فتكون الحرارة شديدة في المحلين المذكورين . وتعدل درجة الحرارة بالحساب الوسطي ٢٤ فوق الصفر في اشد مناطق الولاية حرارة وهي وادي الشريعة ولكن وصولها احياناً في منطقة الحوله ايام الصيف الى الدرجة (٥٠) غير نادر مطلقاً . وبوصول الحرارة الى هذه الدرجة يصبح وادى الشريعه شبيهاً بصحراء (النوبه) ويبدأون في وادي الشريعة بحصاد المواسم في شهر نيسان فيسبق الحصاد هنا المناطق المرتفعة او الساحلية من الولاية بعشرة او خمسة عشر يوماً

٢— الاهوية

يتبع الهواء الجنوبي (Monsoon) الذي يهب من الهند بتبدلاتة هواء البحر والبرّ. ولا يخفى ان الهواء الشمالي بارد والهواء الجنوبي حار والهواء الغربي راطب والهواء الشرقي يابس . يمتـد حكم الهواء الراطب في فلسطين ٥٥ يوماً في السنة . والهواء الجنوبي والجنوبي الشرقي ٤٥ يوماً . اما الاهوية التى تهب من الشمال ومن الشمال الشرقي وتكتسح مناطق سوريه وفلسطين فتخفف درجة الحرارة فيها وتجري حكمها فيها ١١٤ يوماً على التعديل الوسطى . وتمر الاهوية الجنوبية او الجنوبية الشرقية على المناطق اليابسة والحارة فتورث اضراراً جمة حين وصولها الى سوريه ويشعر السوريون على الغالب بهذه الاهوية الخالية من الجسم المسمى (اوزون) في النصف الاخير من مايس وتهب احياناً في المنطقة السوريه قبل حلول موسم الشتاء فتوصل درجة الحرارة الى ٤٠ بحساب سنتغراد

— ٨ —

المعادن

لا يوجـد في ناحية من انحاء الولاية البيروتية معدن قد كشف واستثمر بصورة منتظمة . ولا يمكننا الادعاء في الوقت ذاته بان كثيراً من تلك المعادن ظلت مجهولة لدى المتفننين . وهذا بيان بالمعادن المعروفة في الالوية الثلاثة من ولاية بيروت :

لواء بيروت — توجد في قضاء صيدا معادن الحديد والنحاس والعنبر والكهرباء . وتوجد عروق مهمة ذات كميات جسيمه جداً من الخشب المتفحم LIGNITE والقسم الاعظم من هذه الثروة الطبيعية قائم في قرية « نيها » شرقي صيدا البعيدة عن الساحل مقدار ١٣ كيلو متراً . ويمكن نقل هـذه الخيرات الطبيعية بسهولة الى الساحل بواسطة خط حديدى ضيق (ده قوبل) .

ويوجد في تلة يبلغ ارتفاعها ٧٥٠ متراً بالقرب من محل يدعي (المراه) جنس من معدن «ليغنيت» الاسود البراق المتحجر اي غير المنقلب الى شكل تام وهو موجود بكثرة على سطح الارض . وتبدأ عروق هذا المعدن من هذه الجهة وتمتد حتى قرية « عين التاجورة » المرتفعة ٩٠٠ متر ويظن انها تمتد ايضاً الى مابعد ١٢٠٠ متر نحو الجنوب ما بين قرية « كَركبا » و « زحلتا » وهناك ينقطع اثر هذا المعدن ويظهر بصورة موكدة ان عروق هذا المعدن المذكور تمتد ايضاً الى مسافة ٩٠٠ متر بعد تلك الجهة ولكنها مدفونة تحت الارض وغير ظاهرة للعيان . وقد استخرجت في بعض المحلات عدة قناطير من الليغنيت على عمق ستة اوسبعة امتار وثخن الطبقة من هذا المعدن مابين ٥٠ سانتيماً ومتراً و ٦٠ سانتيماً

ويوجد معدن « الشيست » بين طبقتين من « التباشير » فوق عروق الخشب المتفحم على بعد ٣٠٠ متر تقريباً من شمالي «عين تاجورة» وثخن الطبقة من هذا المعدن مابين ٧٥سانتيماً و٣ امتار و٥٠ سانتيماً ومساحة محل المعدن ١٠٠٠ متر

ويوجد الخشب المتفحم في الجهة المقابلة لهـذا الجبل في قرية «بيرته » البالغ ارتفاعهـا ٨٠٠ متر والقائمة بين قريتي (نيها) و (مشغره) على بعد ١٦ كيلو متراً شرقي صيدا . ويوجد في قرية (حيتوره) التابعة لمتصرفية جبل لبنان معدن الخشب المتفحم ومعدن الكهرباء . ويوجد معدن العنبر في المحلات التى توجد فيها هذه المعادن

ويوجد في مدينة بيروت مقالع الاحجار الرملية التي بنى منها ملوك الفنيكيين المباني الجسيمة بالاحجار التى استخرجوها منها . ويستعمل الاهلون هذه الاحجار حتى اليوم في بناء بيوتهم

ويوجد معدن البتوم في قرى (عين ابل) و (عيديب) و (هريقه) التابعة لقضاء صور

لواء عكا — لا يوجد في هذا اللواء الذي يتشكل من غاليله القديمة معادن مستقلة . ولكن يوجد في جبل جرماق المطل على قرية صفد معدن الرخام الاصفر . ويوجد في محلات متفرقة من اللواء معادن البتوم ويتألف الجبل الذي تستند عليه مدينة الناصره من صخور تباشيريه شديدة البياض ولينة ولكنها فاقدة [للسيلكس)

اما لواء نابلس فيظهر ان المعادن مفقودة فيه . واكثر جباله وتلاله من الصخور التباشيريه البيضاء

المياه المعدنيه — لايوجد في داخل الولاية مياه معدنيه مفيده ومجربة سوى حمامات طبريا ونكتفي هنا بذكر تركيبها المعدني ونترك التفصيل عنها الى محلها المخصوص حين الكلام عن قضاء طبريا وقد اخذنا الارقام الآتية من سالنامة الولاية الصادرة عام ١٣٢٦ هجرية .

الحرارة : ٦٠ — ٧٠.

الثقلة الاضافية ١ و٢٣٤٣

القلورور	١٨ و٤٦		قلورور دوسوديوم	١٧ و٧٤
حامض الكبريت	١ و٩٠		〃 مانغانزيوم	٢ و٧٨
مانغانز	١ و١٣	وهذه بنسبة اقسام الالف	〃 قاليسوم	٨ و٩٤
حامض القالسيوم	٤ و٩٦		كبريتيت القالسيوم	١ و٠٨
السودا	٩ و٤١			٣٠ و٥٤
حامض الفحم	٠			
برويت	٠			
	٣٥ و٨٦			

ومن تحليل منابع الحمامات على حدة تظهر النتيجة الآتية :

قلورور	١٧ و٨٠٠	قلورور دي سوديوم	١٨ و٨٦٠
اوكسجين	٤ و١١	〃 دي منغانزيوم	١ و٢٨
اسيدسولفوريك	٠ و٦٣٤	〃 قالسيوم	٨ و٧٣٦
حامض قاربون	٠ و٤٥	كبريتيت قالسيوم	١ و٧٩
مانغانز	٠ و٤٣٣	قابورنات دي قالسيوم	٠ و١٠٠
سودا	٩ و٩٩٤		٢٩ و٨٠١
حامض قالنسيوم	٤ و٩٠٦		
	٢٩ و٨٠١		

- ٩ -

الاحراج

١ - الاحراج

يوجد في اكثر الالوية والاقضية من الولاية محلات حرشيه مابين صغيرة وكبيرة ولكن الاحراش الصالحة للاستعمال والاحتطاب هي داخل لوائي طرابلس الشام واللاذقية فنصرف النظر عن البحث عنهما لان اللوائين غير داخلين في منطقة تتبعاتنا . ويوجد في الجهة الجنوبية من مدينة بيروت وعلى مساواة الرمل حرش من شجر الصنوبر يبلغ وسعه الفي دونم تقريباً وعلو الشجرة يتراوح فيه من خمسة امتار الى ستة ومحيط الشجرة ما بين ٤٠ و ٥٠ سانتياً ويعتني بامر المحافظة عليه وخصوصاً من قبل الشركة التي تألفت حديثاً لهذا الغرض . ويروى انهم بدأوا بزرع هذا الحرش عام ٧٦٧ هجرية منعاً لتوسع الرمال التي اخذت تهاجم بيروت من غربها الجنوبي حتى انها استولت على اراضيها المزروعة . وقد زرع تدريجياً حتى وصل الى هذه الحالة . وطريقة التحريش طريقة حسنة جداً حتى انهم يزرعون اليوم في اوربا احراشاً صغيرة بالقرب من المدن الساحلية المعرضة لخطر استيلاء الرمال عليها

وفي قضائي صيدا ومرجعيون من ملحقات مركز الولاية احراش صغيرة متفرقة وهي لا تكاد تكفي للاحتطاب حسب الاحتياج المحلي

اما قضاء صور فيوجد فيه اراض حرشية تبعد عن قصبة صور ثماني ساعات بالحساب الوسطي وهي احراش وادي النصارى . وشمل علمان . ووادي الخنازير . واراضي حلت غير ان الاشجار في هذه الاحراش من جنس السنديان فلا تعلو اشجارها على خمسة امتار او ستة ولا يزيد محيط الشجرة على متر مهما بلغت من الكبر ولهذا عدمت الفائدة من اتخاذ هذه الاحراش للاعمال الخشبيه واصبحت الفائدة منها منحصرة بالاحتطاب وصنع الفحم . وفي الجهة الجنوبية من القضاء احراش صغيرة تدعى وادي كركر . وادي البالون . وادي النهور

اما الاحراش في لواء عكا فهي في الجهة الشمالية من ناحية شفا عمر على بعد خمس ساعات بالحساب الوسطي ما بين عكا والاسا كل المجاورة لها وتسمى هذه الاحراش باسم الغربي . مرج . عاد الهوانى . الزيب . ويبلغ اتساعها تقريباً اربعين الف دونم وكافة اشجارها من السنديان .

وارتفاع اشجارها يتراوح مابين ٤ و٦ امتار ومحيطها مابين ٥٠ سانتيماً ومتر. ولا تصلح هـذه الاشجار للاعمال الخشبيه ولذلك جعلت احواشها للاحتطاب

وفي قضاء حيفا احواش قائمة على التلال والجبال المرتفعة عن سطح البحر مقدار ٤٠٠ او ٥٠٠ متر ويبلغ اتساعها اربعين الف دونم وتسمى احواش الكرمل · وادي العسل · عضامه · حارى · باجور. والاشجار في هذه الاحواش صغيرة وقصيرة ولهذا خصصت للاحتطاب اسوة بامثالها من الاحواش في قضائي صيدا وصور

٢ — ملاحظات على الاحراج

بدأ التخريب منذ الازمنة القديمة في احواش الارض الفلسطينية التي يقال انها تدر لبناً وعسلاً وقد احدث التخريب المذكور النتائج الآتية

١ — عريان الجبال

٢ — حدوث الاكثبة الرملية

٣ = حدوث المستنقعات

[١] عريان الجبـال = من المحقق ان عريان الجبال وفقدان اراضي السطوح المـائلة للاشجار يسبب شدة التأثيرات الهوائية وحصول الانتكالات المعروفة · لحينما يقع فصل الشتاء وتسقط الامطار بشدة تحصل سيول قوية وشلالات متعددة فتقذف الى الارضي القابلة للزراعة بالاتربة التي تحصل خلال سنه من تفتت الصخور ولهذا نرى اكثر جبالنا قاحلة عارية تشبه الهياكل العظمية وبسبب عراء هذه الجبال يضيع على البلاد اكثر من ثلثي الاراضي القابلة للزراعة

(٢) تشكل الاكثبة المتحركة = ان تخريب الاحواش وبعبارة اصح امحاء الاشجار يسبب حدوث الاكثبة الرمليه المتحركة · ويؤيد هـذا القول روايات المؤرخين فيذكر ارباب المعرفة والوقوف من المتتبعين للتاريخ انه كان شـرقي قيساريه محلات للاستراحـة على مسافة ستة كيلو مترات او ثمانية فكانت النساء الرومانيات يخرجن اليها ويمضين مدة القيلولة فيها ويلتجئن الى تلك الظلال اتقاء من الحر وقوارص الشمس. وكم للادباء من المدائح والتخيلات في تلك الظلال · ولو نظرنا اليوم الى تلك الجهة لا نجد فيها الا اكثبة رملية متجمعة · ويؤخذ من المنقولات التاريخية ان الاكثبة التاريخية الممتده على عرض ستة او ثمانية كيلومترات على طول السواحل الفلسطينية هي نتائج الفين من السنين · وقد ثبت بالارقام المحققه ان المساحة السطحيه للاكثبه السياره في فلسطين يبلغ مليون دونم وتبلغ مساحة الاراضي التي تستولي عليها الرمال سنوياً وتحرم الزراعة منها لا اقل من خمسة الآف دونم

ولهذا فان تخريب الاشجار وقلعها من سواحل فلسطين افقد البلاد اكثر من مليون دونم من الاراضي ولا يزال يفقد زراعة فلسطين نحواً من خمسة الآف دونم في كل عام . ويجب على الحكومة ان تجعل من اهم مشاغلها تجديد الاحراش وتنمية الاشجار حتى تتمكن من ايقاف هذه الاكثبة المتحركة

وهل ذلك يمكن ؟ ونجيب على ذلك بان مدينة بوردو كانت معرضة في الازمنة الاخيرة لاستيلاء الاكثبة الرملية المتحركة . اما اليوم فترى في جوارها حرشاً واسعاً جداً من شجر الصنوبر المسمى (شجر الذهب) وقد حصل هذ الحرج الذي غرس حسب الاصول الفنية في نصف عصر تقريباً

(٣) حدوث المستنقعات — يرى غريباً لاول وهلة ان نجعل حدوث المستنقعات متسبباً عن تخريب الاحراش ولكن الفن اثبت هذه النظرية في الايام الاخيرة واليك البيان :

حينما يسقط المطر على الجبال المستورة بالاحراش تتوزع حباته في انثناء بين الاوراق والاغصان فتنقسم وتتجزأ وبهذه الواسطة تقع على الارض دفعات تحتوي هذه المياه طبقة متكونة من بقايا الاوراق والغصون وهي قابلة للنفوذ وسريعة الامتصاص . وبهذه الصورة تسيل المياه المذكورة تدريجاً من الطبقات السفلى في السطوح المائلة فتمر بصورة مفيدة وصافية في الصحارى فتوافق منفعة الاهلين ثم تنحدر الى مجاري الانهر والوديان بصورة صافية وبراقة . ولها دخل كبير بتطهير المجاري والانهر المذكورة . اما المياه التي تقع على جبال فلسطين فانها لا تلاقي امامها شيئاً يعرقل صدماتها فتنحدر عن الصخور العارية التي لا تنفذ فيها وتجري دون توقف وحينما تصب المياه في المراعي والاراضي الخالية تنقلب فيها الى سيول عظيمة . ولا تمضي ساعات قليلة على هذه السيول التي تتراكم في الاراضي المشبعة بالمياه حتى تتكون في الاراضي اوحال كثيرة . وعوضاً عن ان تتكون من هذ الارحال تربة مفيدة (صلصال) ينتفع منها الزرع فانها بالعكس تضر بها وتوسع مجاري المياه وبهذه الواسطة يتكون في تلك الصحارى خلال مدة قليلة مستنقعات تجف بسرعة ولكن اضرارها تبقى مدة طويلة . واذا بدأت اضرار المستنقعات في جهة من الجهات فان زوالها صعب ولا تزل بازدياد حتى النهاية . ولهذا يقول ارباب الاختصاص في الاحراش ان تخليص الصحارى من المستنقعات يتوقف على محافظة الجبال ووقاية احراجها

وحينما تجري هذه الانهر المتبدلة المجرى البطيئة السير نحو البحر وقد ازدادت كميات مياهها بسبب الاوحال النازلة عليها من الجبال تجد بالقرب من مصباتها صعوبة بسبب حيلولة الاتربة

السيارة ووقوفها امامهافتأخذ مياهها حينئذ با نشعب يمنة ويسار فتنشا بسبب ذلك ايضاً المستنقعات

وحاصل القول ان المستنقعات الناشئة عن عرى الجبال وعن اتساع مساحة الاكثبة الرملية السيارة كانت من اعظم الآفات على زراعة فلسطين . والواجب يقضي بان تدخل مسئلة المستنقعات وتجفيفها في عداد اصلاح الاحراج واحيائها

وبسبب خراب الاحراش عندنا اضطررنا لاخراج اموال طائلة الى الخارج فاذا عرفنا اننا ندفع كل عام ثمن اخشاب تدخل الى مرافئ بيروت وحيفا ويافا ٤٠٠ الف ليره عثمانية لا نكون قد تعدينا الحقيقة مطلقاً

ولقد كانت صناديق البورتقال التي ترسلها بلادنا الى الخارج لا تتجاوز بضعة آلاف قبل ثلاثين سنة فاصبح اليوم عدد الصناديق التي ترسل من ميناء يافا فقط اكثر من مليون . ومن المنتظر ان تصل الى ثلاثة ملايين بعد خمس سنين . ويستحضر ابناء البلاد الصناديق التي يضعون فيها البورتقال من روسيه والنمسا . واذا عرفنا ان ثمن الصندوق ثلاثـــة غروش وجدنا اننا نخرج الى البلاد الاجنبية سنويا ثلاثين الف ايره عثمانية ثمن صناديق لنقل البورتقـــال . واذا امعنا النظر قليلاً في هذه المسئلة نجـــد اننا ندفع رسماً معيناً عن كل صندوق بورتقال نرسله الى اوربا وهذا الرسم يزيد عدة اضعاف على الويركو الذي تستوفيه الحكومة العثمانية عن ثمره . فهل من نظرة اعتبار الى هذه الحالة التي تنتقم الطبيعة بواسطتها من بلادنا ؟

(٤) — الوسائل لايقاف تخريب الاحراش — عرفت الحكومات التي تشتغل بمنع تخريب الاحراش وبمسئلة تجديدها واحيائها — من التجارب الخصوصيـــة ان هذه المسائل المهمة لا تتم الا بقوانين مستوفاة وبتوزيع المخصصات الكافية بصورة مرتبة ومكفولة وبانتخاب اناس اكفاء وارباب اقتدار . وبتتبع هذه المسئلة وتدبيرها بصورة حكيمة

فعلى الحكومة التي تحب الدخول في كل هذه المسائل الحياتية ان تجعل مسئلة الاحتطاب وقطع الاخشاب وتصدير مثل هذه المحاصيل الطبيعي ضمن شروط معينة ومحدودة . وان تمنع قطع الاشجار في زمن نموها وان لا تجيز القطع الا في الاوقات التي تشتد فيها الحرارة

وفضلاً عن ذلك فانه يجب ان تمنع قلع اصول الاشجار وان تجعل المراعي ضمن نطاقات معينة ومرتبة وان تأخذ رسوماً باهظـــة عن الماعز التي يحسبونها من اهم العوامل المضرة في الاحراش . وان تصرف النظر عن رسوم الاغنـــام وهذا من اهم التدابير لحفظ الاحراش ووقايتها

ولقد نشر قانون يقضي باعفاء الذين يشجرون الجبـــال بالزيتون من رسوم الويركو من

ثلاث سنين الى عشرة ولكن الذين استفادوا من هذا القانون قليلون جداً . واذا نظرنا في الامر نجد ان مدة الاعفاء التي جعلت للتشويق وهي عشر سنين قليلة جداً . فالواجب يقضي بان يعفى الذين يشجرون الجبال باشجار الزيتون خمس عشرة سنة على الاقل من الرسوم . ويليق بنا حين الكلام عن هذا البحث ان لا ننسى تعديات الظلام من متعهدي الحطب لادارة الخطوط الحديدية فانهم يقطعون الاشجار اليابسة والطرية المثمرة وغير المثمرة ولا ينصفون في عملهم مطلقاً

— ١٠ —

حياة النبات

تتبدل حياة النبات العمومية في الالوية التي عهد الينا التدقيق فيها حسب الاحوال الاقليمية في المناطق الثلاثة المنقسمة اليها تلك الالوية . فالقسم الساحلي منها وهو منطقة البحر الابيض منبتة وتمتاز بكثرة اشجارها ذات الاوراق الزمردية والثابتة وبنباتها الربيعي الذي يزول بسرعة . فتشبه سورية بنباتاتها هذه اقليم الساحل في اسبانيا وفي الجزائر وفي سجليا . ومما يجعل مشابهة بين مدينة بيروت والبلاد الحارة كثرة شجرة (الاندرخت) في جوارها ووجود شجر (الجميز) في محلات متعددة من الساحل . اما حياة النبات في الساحل الماثل شرقي لبنان وفي جبال فلسطين فانها تشبه تمام المشابهة حالة النبات في الشرق . فيخرج في تلك الاراضي في فصل الربيع نباتات سنجابية اللون مختلفة الاشكال ولا زهر لها . وتكثر الحشائش الربيعية ايضاً . وعلاوة على ذلك فانه يخرج في هذه المنطقة كافة النباتات الخضراء واشجار السنديان والفستق ذات الاشواك بشكل احراش صغيرة ويوجد فيها احياناً اشجار من الفصيلة الصنوبرية

والمشابهة تامة بين وادي الشريعة بجدبه الاقليمي وبين بلاد النوبة والحبشة القائمة في حدود المنطقة الحارة فيوجد في ذلك الوادي نبات يدعى (اوشر) وهو من النباتات التي تخرج في المنطقة الجنوبية من الصحراء الكبيرة . ويخرج منه نوع من الاقاسيا يشبه بشكله (المظله) ويخرج في هذه المنطقة ايضاً شجر غريب الشكل يسمى (شجر الباز **Maringa Apera**) . وينبت في ضفاف بحيرتي الحوله وطبريا شجر (بايدوس)

اما من جهة المحاصيل الزراعية فانه يمكننا اعتبار هذه البلاد من المنطقة الكثيرة المحاصيل الكافية لمعيشة اهاليها هذا اذا لم نعتبرها من المناطق المنبتة جداً . وكثيراً مايعطى القمح في اراضي يافا وحيفا ثمانية مقابل واحد والشعير ١٥ مقابل واحد . ولقد احب مهاجرو الاجانب في ازمنة

الاخيرة زراعة الكرمة التي كانت ذات اهمية عظمى في سوريه خلال القرون القديمة والوسطى حتى الزمن الاخير ثم اهمل شأنها وكادت تتلاشى . وقد اقام المهاجرون من الاجانب مزارع متقنة للكرمة في لبنان وحيفا ويافا

ولقد اشتهر اخيراً قضاء حيفا بنجاح الكرمة حتى انه صنع من العنب الذي خرج فيه قبل بضع سنين نحو من اربعة ملايين كيلو من الخمر . وفي عام ١٣١٣ انشأ البارون روتشليد معملاً للخمور في قرية زمارين وهم يصنعون فيها حتى اليوم الخمر . والعرق . والكونياك

امتاز العنب الذي يخرج في حيفا بحسنه وبكثرة محصوله ولكنهُ اصيب قبل بضع سنين بعلة (الفيلوكسرا) فاتلفت العلة المذكورة قسماً عظيماً منه . ويبذل الاهلون الهمة كل عام بغرس الكرمة الاميركية منعاً لمرض (الفيلوكسرا) وتلافياً للخسائر التي اصيبوا بها وقد خصصت جمعية (ايقا) الموسوية في قرية زمارين مقدار خمس دونمات لتجربة زراعة الكرمة الاميركية . وهم يجربون في نموذج (عتليت) الزراعي كافة انواع الكرمة الاميركية فيعرفون كل جاس منها ويفرقونه حسب التربة والاقليم في بلادنا ثم يوزعونه ليغرس في المحلات التي تصلح له

ويبلغ المقدار الاصغر من (المادة الكلسيه) في المواقع المختلفة من التربة ٨ في المئة والمقدار الاعظم من ٢٥ — ٣٠ والمقدار الاوسط من ١ — ١٨ في المئة . ومن الضروري الاعتناء جداً بغرس الكرمة وتجربة زرعها في التلال والذروات الصالحة لزراعة هذا النوع حسب تربتها ومقتضى طبيعتها وذلك بتوزيع المشاتل الاميركية التي تستحصلها الحكومة في مشاتلها .

كانت العناية والهمة متوجهتين اكثر من اللزوم الى مرسم الشرانق واشجار التوت التي دخلت الى البلاد السورية في العصر الرابع الميلادي، حتى ان ولاية بيروت كانت تحتوي على ٠٠٠و ١٧و٩ شجرة من التوت تشغل ٤٥٠٠ هكتار من الاراضي . وكان في لواء عكا فقط ١٢٠ الف شجرة

ومن الاشجار التي تشغل دوراً مهماً بين الاشجار السورية شجرة الزيتون . فان صحاري الالوية الثلاثة ومزارعها مملوءة بالزيتون حتى ان اشجار الزيتون تستر اراضي لوائي عكا ونابلس باجمعها ولا يعتني الزراع بخدمة شجر الزيتون ويتركونها لطبيعتها . ويوجد بينهم فريق من اصحاب الاعتناء فانهم يجعلون على اطراف الاشجار شيئاً من الاحجار في ايام الشتاء حفظاً لها من الآفات السماوية ويستر بعضهم اطرافها بالتراب على طول ٦٠ الى ٦٠ سانتياً وعرض ٧٠ الى ٨٠ سانتياً وحينما يذهب فصل الشتاء يرفعون هذا التراب ويكنسون اطرافها . اما المستعمرون الالمانيون والروسيون فانهم علاوة على العمليات المذكورة يحرثون اراضي الزيتون في كل عام ويخدمونها الخدمة اللازمه ويسمدونها في كل سنتين او ثلاثة مرة واحده

اما محاصيل الزيتون فيستخرجون زيت القسم الاعظم ويتركون القسم الجزئي منه للاكل :
ويؤخذ من التقرير الذي وضعه مركز التجارب الزراعية الموسوى في قرية عتليت من قرى حيفا انه جرب ٢٥ نموذج من الزيتون الوطني فظهر ان مقدار الزيت في احسن شجرة منها لا يتجاوز ٨٦ و٣٦ في المئة ٠ مع انه لم يتجاوز وياللأسف مقدار الزيت في اشجار اخرى بالقرب منها ٥٤و١٩ في المئه فيظهر من هذا ان مقدار الزيت يحصل من تأثير التربة فقط كما كان يظن

اما التجربتان المذكورتان فقد اجريتا في اثمار شجرتين مجاورتين لبعضها فى جبل الكرمل :
وقد تبينت النتيجة الآتية من تجربة اثمار ٢٥ شجرة :

فقدار الزيت كان في ٧ منها اكثر من ٣٠ في المئة
وكان في ١١ « « : ٢٥ : :
وكان في ٧ وهي الحد الاصغر ٥٤و١٩ : :

وقد زرعت في اراضي زمارين ثلاث شجرات من احسن انواع الزيتون الاجنبي ثم عصر من اثمارها فتبين بعد التحليل النتيجة الآتية :

	ا	ب	ت
فقدار الزيت في المئة	٤٩و٢١	٠٥و٢٦	٥٩و٢٤

و يؤخذ من التجارب التى اجريت في معاصر الزيتون انه اذا مزج الزيتون البلدي بالزيتون الاجنبي تكون نسبة الزيت الخارج من عصرهما سواء من ١٦ — ١٨ في المئة ٠ اما اذا عصر الزيتون البلدي على حدة فان نسبة الزيت منه تتراوح ما بين ٢٣ و٢٥ في المئة ويبلغ احياناً (٣٠) في المئة ٠ ومن هذا يظهر ان الزيتون الوطني اكثر فائدةً من الزيتون الاجنبي

و يعتني الاهلون بالاشجار ذات الاثمار مثل اهتمامهم بشجر الزيتون ومن اهمها شجر البورتقال والليمون حتى انهم يقدرون الحاصلات الوسطى في السنة من نوع الليمون والبورتقال بثمانية وعشرين مليون كيلو في عموم الولاية ٠ ولقد اشتهرت قصبة صيدا باشجار البورتقال ذات الروائح المسكية المفرحة للقلوب والمنعشة للافئدة

— ١١ —

حياة الحيوان

يوجد الحمار الوحشي في الجهة الجنوبية من الولاية و يوجد في وادي الشريعة الجاموس المستعمل في الحراثة والفلاحة ٠ و يكثر في الجبال وجود الذئاب التائهة فتلتجأ ايام الشتاء الى الصحاري المرتفعة قليلاً فتخرب الزرع وتهاجم الانسان احياناً و يكثر وجود الخنزير البري احياناً في

المحلات التي يمكن المرور والعبور منها من وادي الشريعة بسبب الاعشاب والنباتات المتلاحمة فيها . وتعيش الضباع الموجودة في جبل الطابور بما تصطاده من الارانب والغزلان ويكثر وجود طيور الماء والكنار البري والوز في بحيرة الحولة كما ان الافاعي السامة والحيوانات السامة الزاحفة توجد بكثرة في وادي الشريعة وفي الغور . ويدعي كثيرون وجود التمساح في نهر الزرقة وفي نهر المقطع اللذين يصبان في البحر بجوار مدينة قيسارية القديمة ويؤخذ من تتبعات الدكتور لورنهل انه لاتوجد مشابهة بين التماسيح في هذين النهرين وبين تماسيح النيل المدهشة ويقال ان التماسيح المذكورة التي لا يزيد طولها عن متر ونصف تخرج من النهر الى البر في شهر مارت فتبيض ثمة فيجب على الانسان اجتنابها في ذلك الحين . ومن ينظر بامعان يجدان حياة الحيوان في فلسطين هي مصرية اكثر منها آسيوية ويقول (تريستزام) احد المتخصصين بفن التاريخ الطبيعي حين كلامه عن وجود التمساح في نهر (الجوده) : الم يكن في التاريخ القديم اتصال بين انهر الجودة ونهر النيل ؟

ويوجد شبه تام بين حياة الحيوان في منطقة الغور وحياته في افريقيا نظراً لوجود المشابهة في الحالة الاقليمية . وقد تبين حتى الان ان الثلاثمائة واثنين وعشرين نوعاً من الطيور التي عرفت في فلسطين يشبه منها ٥٨ نوعاً طيور منطقه النيل في افريقيا الشمالية

ـ ١٢ ـ

المحاصيل الصناعية

لم يبق اثر للصنائع في ولاية بيروت غير ان الصنائع الزراعية لم تفقد اهميتها القديمة ويمكننا ان نقول انها ترقت قليلاً ويوجد في انحاء متفرقة من الولاية معامل للطحين ولزيت الزيتون ولكنها لاتزال في الدور الاول من الرقي اي انها تدور على الماء او بواسطة الحيوانات ويوجد في كافة الولاية مئة مصنع للطحين تشتغل على الماء ومقدار عشرة مطاحن تشتغل على الهواء وقد ترقى صنع الصابون في مدينتي نابلس وطرابلس ولكن الصنائع المذكورة لاتزال ابتدائية جداً لعدم وقوف اربابها على المدنية الحديثة تمام الوقوف وسنشرح هذه المسئلة بايضاح كاف حين الكلام عن نابلس

ومما يستلفت النظر ان الفرنساويين ادخلوا في المدة الاخيرة صنع صفار البيض والالبومين فانتشرت هذه الصناعة بين الاهلين في مدة قلية وبسبب قلة مصرف هذه الصناعة وسهولة تعلمها

فقد سرق الدهاون سرها من الاجانب ونجحوا فيها بل اصبحوا يراقبون الاجانب رقابة مدهشة حتى ان رجحان الوطنيين ظهر تمام الظهور قبل سنين (اي قبل اعلان الحرب بالطبع) وقد بلغ مقدار الالبومين الذي اخرجته المصانع الوطنية وارسلته الى اوربا ٤٢٧و١٠ كيلو غراماً بسعر ٣ فرنكات و٥٠ سانتيماً الكيلو ٠ واصدرت المصانع المذكورة من صفار البيض ٥٨٦٤٥ كيلو غراماً بسعر فرنك واحد الكيلو ويؤخذ من الاحصاآت الدقيقة ان الكيلو الواحد من الالبومين والصفار يخرج من ستين بيضة وعلى هذا الحساب تستهلك بلادنا المقادير الآتيه من البيض :

عدد	
٧٠٠و٥١٨و٣	لاستخراج الالبومين والصفار
٨٠٠و٣٣٤و١	يرسل عيناً الى اوربا
٥٠٠و٨٥٣و٤	

فقد ظهر من هذا ان ولاية بيروت تخرج في كل عام الى اوربا ٥٠٠و٨٥٣و٤ بيضة عدا عن البيض الذي تصرفه في بلادها وقد كانت هذه الصناعة سبباً لتشويق الاهلين على تربية الدجاج والاستفادة منه

اما الصنائع النسجيه فرغماً عن افول نجمها فانها لاتزال محافظة على موقعها الممتاز ولا تزال بيروت وعكا وطرابلس معروفة بمنسوجاتها القصبية وقد اختصت طرابلس بمنسوجاتها الحريرية الممتازة وتستحضر مصانع النسيج المواد الابتدائية التي تحتاجها من جبل لبنان حتى ان جبل لبنان يبيع كل عام ٣٥٠ الف كيلو غرام من الشرانق لمصانع طرابلس و٢٠٠ الف كيلو غرام لمصانع بيروت

اما الحرير الذي يصنع في مصانع بلادنا فيرسل قسم منه الى مارسيليا وينسج القسم الباقي منه على المنوال العربي ٠ وينسجون في مصانع بيروت وطرابلس وصيدا نوعاً من المنسوجات الحريرية والقطنية التي تسمى (الاجه) وقد اظهرت مشاهر اوربا العظيمة رغبتها واعجابها بالمنسوجات الحريرية المصبوغة باللون الاحمر

ونالت مصنوعات مدينة بيروت الفضية والذهبية التي تستعمل للزينة رغبة واقبالاً في اوربا حتى ان صياغة نوع من الاقفاص المصنوعة من الخيوط الذهبية والفضية قد احرزت نوط الافتخار من الدرجة الاولى في معرض ويانه

ولا يمكن تقليد مثل هذه الزينات اللطيفة الرقيقه التي تصنع في البلاد العثمانية في بلاد غير

البلاد البورتغالية . وان الصياغة في مدينة جنوره من البلاد الايتالية بعيدة جدًا عن الذوق السليم في صناعتها وانتظام ترتيبها وحسن تركيبها . و يصيغون في بيروت وصيدا والناصره من البلاد الكبيرة في الولاية اوان خشبية مطعمة بالصدف وهي من اجمل المصنوعات التي تستجلب انظار ارباب الذوق السليم وتنال رغبتهم

—١٣—

الحالة الزراعية

ننشر هنا فصلًا خاصاً كتبه حضرة الفاضل المحترم حسين كاظم بك افندي المعروف بوقوفه واختصاصه بالامور الزراعية :

١ — كلمة عن الزراعة في سورية

اذا اجلت نظرك في اي ناحية من انحاء سورية تجد الحالة الزراعية بدائية لم تفارق طبيعتها الاولى . بل لم تتبع سير التكامل في الصنائع ذات العلاقة بالعلم . وقد اوجبت هذه النقيصة جمود الفائدة من الزراعة على درجة معينة . بل اقصتها الطبيعية عن النتيجة التي ينتظر الحصول عليها بفضل جودة التربة وتأثير الاقليم والهواء الفياضين كما هي الحالة في كثير من البلاد الاناضولية . ويرى المتتبع في البلاد الاناطولية ان ابسط صحاريها واوسع مزارعها واجمل جبالها لا تزيد حاصلاتها الشتوية على خمسة او ستة في المئة . وان الاستفادة من اراضيها التي تنضب عناصرها المغذية سنة بعد اخرى بما تؤخذ منها من المحاصيل سواء كانت حسنة او رديئة انما هو بفضل الصدفة وحسن الطالع . مع ان الحالة خلاف هذا في البلاد السورية فانه رغماً عن جمود الاصول الزراعية فيها علي حالتها الابتدائية فانها تأتي على قدر الامكان بحاصلات شتوية جيدة بفضل هوائها الجيد وتربتها الفياضة . ويمكننا اجمال القول حسب فن الزراعة الاقتصادي عن الحالة الزراعية في الاناطولي بانه يمكن الحصول فيها على موسم قليل بعمل كثير ومصرف جزئي . اما الحالة الاقتصادية في سورية فانها تأتي بارباح على قدر الامكان . وقد ظهر ان الزراعة فى هذه البلاد عامل مؤثر كبير . ولا ريب ان الاقبال الزراعي هو اثر من آثار الاقليم والتربة . ولا يوجد فرق علمي بين اصول الزراعة فى الاناطول وفى سورية . ونرى ان المقابلة بين زراعة سورية القديمة والحديثة والمقارنة بينها وبين المغروسات التى جاء بها الزمن بحث مفيد جدًا . فنرى ان المحاصيل الزراعية ناقصة جدًا عن مثلها فى الازمنة الماضية مع ان الامر بالعكس فى البلاد الاخرى . ولا يخفى على احد ان التربة فى جميع الانحاء تفقد بصورة دائمة شيئاً من موجوداتها وان الحاجيات الاقليمية والزراعية قد تغيرت وتبدلت فى جميع الانحاء من اكثر البلاد عمراناً حتى اقصى البلاد بعدًا وجفاء فقد

كان القسم الاعظم من العالم مملوءاً بالاحراش المتفرقة او المتلاصقة في الازمنة السالفة فكانت ولا ريب الحاجيات الاقليمية والزراعية في تلك الاحيان خلاف الوقت الحاضر تماماً . ثم تبدلت الحالة بسبب تخريب الاحراش وقطع النباتات الطبيعه فتجرأ البشر على العمل بما نالوه من جودة المحاصيل والمواسم في السنين الاولى من المزارع التي قلعت احراشها وقطعت نباتاتها . واتسع نطاق الاحراش عاماً بعد عام . ولم تكن مسئلة تعويض التربة التي تفقد قواها بقوى اخرى امراً معروفاً في العالم . فاخذ قطع الاحراش بلا عدل ولا انصاف دوراً مهماً وكانت المزارع الجديدة تزداد بسبب ذلك حتى ان المزارع التي حصلت زادت عن احتياجات الخلق اضعافاً مضاعفة في كل البلاد . وفي مقابل ذلك قلت الاحراش ولمازادت الاراضي التي فقدت قواها احس العالم حينئذٍ بالحاجة الزارعية . ولكن ظهر آنئذ في بعض البلاد ان العلم والصناعة يعيدان للتربه مافقدته من القوى وينهضان بها واظهر علم الزراعة الكيميوي بصورة واضحة ما تسلبه النباتات من قوى التربه وان اعادة هذه العناصر الحياتيه الى التراب ممكن بفضل المواد الكيمويه والمعدنيه والصناعيه حتى يمكن بذلك الاستفادة من التربه في اي زمن كان سواء كانت تلك الاستفادة قليلة او كثيرة

لم تكن العلاقة بين التراب والنبات ظاهرة ومعروفة تماماً حتى الادوار الاخيرة وكانوا لايعرفون فائدة للتربه سوى امساكها اصول النبات والشجر . وكان الاعتقاد سائداً بان النبات يعيش بما يأخذه من الهواء بواسطة اغصانه واوراقه . ولكن بعد ان عرفت العلائق والروابط بين مركبات النباتات وعناصر الاتربة قويت الآمال بامكان انقاذ الحياة الرراعية من الصدفة والطالع . واخذت نظريات الفن الزراعي شكل المسائل الفنيه التي يمكن فحصها وحل معضلاتها في دار الاستحضارات الكيموية . فحلل العلماء النباتات التي نغرسها وعرفوا خاصة كل نبات وما يحتاج اليه من العناصر الترابية . ثم اعملوا ذهنهم بطريقة غرس النباتات العنصرية في الاتربة التي يتعلق بها . ووجدوا حينئذٍ طريقة حفظ التراب من فقدان قواه فعرفوا الطريقة العلمية المفيدة وهي طريقة (الزراعة المتناوبه) . وقبض الانسان بفضل العلم والصناعة على زمام التحكم والسلطة على التربة . ثم فتشوا على الطريقة الممكنه لمنع العوارض الاقليمية والهوائية فاوجدوا طريقة لتشغيل الاراضي على غير الطريقة المعروفة وذلك بالالات الزراعة الميكانيكية وبتنويع المواسم وباستعمال المحاريث العميقه والخفيفة وبحرث الارض او قلبها وباصول التفجير والاسقاء فتمكنوا بتلك الواسطة من تعديل التأثيرات الاقليمية على حسب منفعة الزراع وتمكنوا حسب الامكان بواسطة فن الزراعة الراطبه واليابسه من التغلب على الطبيعة . . . فاخذت الزراعة في البلاد التي تتقدم فيها فن الزراعة هذه الاشكال والطرائق التي ذكرناها واصبحت الزراعة فنا وصناعة حقيقية بكل

معنى الكلمة . ولا ريب ان سوريه نحسبها في عداد تلك البلاد . ولكننا قلنا ان التربة السوريه هي اكثر جودة واقبالاً من غيرها من البلاد ولا يخلو من الفائدة بيان اسباب ذلك . فقد قص علينا التاريخ ان سوريه كانت ملأى بالاحواش من ساحلها حتى داخليتها فكانت تجارة الفنيكيين البحرية تامة الرواج ويعرف ان البلاد الحورانية كانت اعظم الاراضي اخراجاً للذخيرة في ايام الرومانيين ولا نشك ان المدن العظمى التي قامت فيهـا كانت تعيش بفضل منتوجات تربتها ... ولكن الحاجيات الاقليميه في تلك الازمنة قد تبدلت وتغيرت تماماً عن الحاجيات المذكوره في الاعصر التي وصلنا اليها حتى لم يبق من نسبة او اضافة بين الدورين . فالاحواش قلت وقوة التربة ضعفت . والبحيرات والمستنقعات كثرت بسبب فيضان الانهر وارتفاعها وتبدل مجاريها . ومع ذلك فقد بقيت التربة وظل الهواء جيداً ومباركاً في سوريه . ولم تفقد حوران خصوصيتها المعروفة بانها بلاد القمح . ولهذا لم ينقطع رجاؤنا بان تصبح هذه البلاد في المستقبل بلاداً زراعية على مقتضى الطريقة العلميه المعقولة . واطمأننا بان رؤس الاموال التي تصرف هنا في هذا السبيل لا تضيع ولا تذهب سدى ...

ان البحث عن زراعة ولاية بيروت وبعبارة اعم عن زراعة سورية من الوجهة العلمية غير مفيد مطلقاً . فلا ريب ان الآلات التي تعمل في تربة هذه البلاد لا تزال ابتدائية وعلى غاية من البساطة المطلقه . ولا تزال الفائدة التي تستحصل من الزراعة محدودة جداً . ولا ينتظر استحصال المواسم والارباح العظيمة التي تأتي بها اصول الزراعة المتناوبه او المتكاثفة او العناصـر المنبتة الكيمارية منها او المعدنيه . ولكن يجب علينا ان ننظر بعين الدقة والاعتبار الى تأثير الحاجيات الاقتصادية في الزراعة السوريه . ولا ينكر ان سواحل الولاية البيروتيه الممتدة على البحر الابيض جامعة لقسم كبير من حاجيات الزراعة الاقتصاديه مثل طرقها المعبده وخطوطها الحديدية ووسائطها النقليه في البحر . ولا يخفى على احد ان الزراعة تأتي بارباح وفوائد كثيرة اذا توفرت لها مثل هذه الاسباب فمن هذه الجهة نرى ان زراعة البلاد تأتي بارباح لا تنكر وفضلاً عن ذلك فان الحاجيات الاقليميه مسعفة لزراعتها ايضاً :

فالرطوبة والجفاف مبذولان في هذه البلاد وهما شرطان مهمان في الحياة الزراعية . ولا ينقص هذه البلاد شيء من انتظام الاقليم واطراد سيره وانتظام التعاقب في المواسم والفصول . وكثرة الامطار حتى ان بدائع الحياة الارضية ونضرتها المباركة تظهر في كل ناحية من ارجاء هذه البلاد ماعدا الجبال القاحلة والعقيمة في جبل لبنان وترى الطبيعة ضاحكة باسمة في وجه انسان . فالبلاد السوريه بحالتها اليوم بلاد زراعيه . فاستخدموا آثار العلم والصناعه الكاملة في هذه التربه .

وجددوا غرس الاحراش على قدر الاستطاعة . وانمشوا العناصر المغدية الكثيرة حسب الطبيعة في تربتكم . وامنعوا هجمات البحر على سواحلكم . وجففوا البحيرات والمستنقعات . واوجدوا طريقة الاسقاء لمزارعكم . واعتنوا بالبذاو واستنبتوا المراعي الصناعية . وفتشوا على طرق الاستفادة من الاحراش والمراعي التي هي القوى المطيعه للطبيعه — تصبح بلادكم السورية في اقرب وقت في عداد البلاد الزراعية الراقيه . ولا تغفلوا عن تحسين طريقة الزراعة وخصوصاً طريقة الزراعة المتناوبة . فاذا عملتم ذلك تؤسسون في هذه البلاد طريقة الزارعة العلمية المعقوله

يخرج في ولاية بيروت بالوقت الحاضر القمح والشعير والفول والذرة والعدس وامثالها من الحبوب الكثيرة . غير ان الطريقة المتبعة باصول الزراعة المتناوبة هي لاتزال على شكلها الابتدائي وهي زارعة الارض سنةواراحتها سنة اي تطبيق قاعدة (النطس) . ولو اتبعت طريقة الزراعة المتناوبة لثلاث سنين او اربعه لاصبحت الاستفادة من التربة عظيمة جداً . ولا تفقد الارض حينئذٍ قواها . بل كانت تتحسن اجناس الحيوانات الزراعيه بفضل ايجاد المراعي .وبفضل طريقة الزواعة المتناوبه تعاد الى الارض عناصر الانبات التي تفقدها زراعة الحبوب التي تتنوع مرة في الثلاث سنين اوالاربعه حسب قابلية الارض وذلك بما يزرع فيها من المحاصيل المختلفة وبما يطرح فيها من الماء . وبهذه الواسطه ايضاً تعم زراعة الطاطا والشمندر والجزر وامثالها من النباتات ذات الجزوع التي تكون اغدية عظيمه ومفيدة للانسان والحيوان ويتهياء بهذه الواسطة عشب طرى وحشيش يابس وهو عداء مفيد كثيراً للحيوانات — ولا نبعد بالقول لنشرح المنافع التي تأتي بها طريقة الزراعية العلمية فانظر الى النموذجات الزراعية التي انشأها المهاجرون الاوربيون في حيفا وفي عدة محلات من بلادنا تظهر لك نجاح الطريقة الزراعية العلمية في القرى . ولنا ثقة بان هذه الطريقة الفنية التي نسميها —الزراعة الاستعمارية — وان تطبيقها ينهض بالزراعة السورية نهوضاً محموداً .وان هذه الطريقة تعيد الى التربة بواسطة الوسائط الصناعية والطبيعية وبتنويع الزراعة وبالسماد العادي والكيموى ما تأخذه المحاصيل الزراعية من القوى المغدية . ولا وسيلة لانقاذ بلادنا من انحطاط الزراعة ولاحياء تربتنا واعاشة سكانها سوى هذه الطريقة الزراعية الفنية وانني ارى ان قرى المهاجرين في سورية هي مكاتب زراعية —بل نموذجات زراعية علمية — وقد ازالت التدقيقات العميقة التي اجريت في اقليم هذه الارجاء في تأثير اهويتها وفي تركيب تربتها —فكرة الترددوالخوف من التجدد . واثبتت طريقة الزراعة المتناوبه المتبعه في المزارع القريبة من حيفا الفوائد العظيمه التي تأتي بها الاصول الزراعية المستندة على قواعد العلم والفن . ولا ننسى هنا ان الانقلاب والتجدد التدريجي في الزراعة يمكن ويبقى ويدوم . فلا

يمكن الانتقال دفعة واحدة في البلاد من الطريقة التبعة في الزراعة منذ اعصر الى طريقة المتاوبه الزراعية التي هي احسن طرز علمي بل هي الغاية المقصودة من الفن الزراعي . بل يجب ان تأخذ طريقة الزراعة المتاوبة اشكالاً مختلفه حسب احتياجات الاقليم والتربة وحاجيات البلاد اقتصادياً وتجارياً وعلينا ان ننظر قبل كل شيء في الاسباب التي توصلنا الى معرفة الاشكال. ولقد روعيت الشروط المقتضية في الزراعة الاستعمارية وهي التجارب الزراعية التي اجريت في بعض الولاية وفقاً لاصول الزراعية الاوردية فنظر اصحابها في قابليسة التربة من جهة وبتأثير الاقليم من جهة اخرى . وخلاصة القول ان تطبيق هذه الاصول في الانحاء الاخرى من الولاية ممكن . ولا ريب ان الزراعة الاستعمارية هي اعظم اساس لترقي الزراعة في ولاية سورية وبيروت

يعرف ارباب الاختصاص بالفن الزراعة معنى الزراعة المتوسعة او المتكاثفة ويعرفون مدلولها وما يؤدي الى معناها من الحاجيات . وكل طريقة من هاتين الزراعتين اسباب وعوامل وللاستفادة والربح من الزراعة يجب التدقيق والامعان في الاسباب والعوامل المذكورة

— فالزراعة المتكاثفة — هي علم وصناعة يؤخذ بها ما يمكن من المحاصيل بروس اموال كبيرة من اراض قليلة ويمكن تطبيق هذه الطريقة في البلاد التي توجد فيها بكثرة روس الاموال الزراعية والمواد الكيموية والمعدنيه المنبتة وفي البلاد التي يتمكن فيها اصحاب المحاصيل من اخراج مواسمهم من ايديهم بسهولة وبشروط مفيدة لهم . وفي البلاد التي يمكن لكل فرد منها الاستفادة من تسهيلات العلم والصناعة . نعم ان هذه الطريقة هي الغاية المقصودة من الزراعة كما سبق لنا القول وعلى كل زارع ان يسعى ويجد ليصل الى هذه الغاية في كل مكان

واما الزراعة المتوسعة — فهي بالعكس صناعة استخراج المحاصيل قليلة كانت او كثيرة بمصارف جزئية من اراض واسعة . وهذا الفن الزراعي يناسب حالتنا الاقتصادية والاجتماعية . ولقد انتقلت الغاية الزراعية في كل البلاد من الزراعة المتوسعة الى الزراعة المتكاثفة . وان تتبع الاسباب وبيان العلل التي تسهل التكامل في هذه الخطة او تعرقله والبحث في شروط ذلك — يبعد بنا عن الغاية التي نتكلم عنها الآن . وانما نحب ان نقول اننا نحتاج للتفكر والامعان في امور كثيرة حتى نتبع السبيل المؤدي الى هذه الغاية فاذا نظرنا في هذه الامور ووضعنا نصب اعيننا ناموس التكامل التدريجي ومراعاة العوامل والاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية حسب مقتضى الزمان والمكان امكننا حينئذ ان نسير بخطى ثابتة في سبيل هذا الفن . غير انه توجد اسباب عديدة توجب علينا المحافظة على اصول الزراعة القديمة المتبعة في كثير من انحاء الولاية . وما دامت هذه الاسباب والدواعي موجودة فان الانتقال الى طريقة الزراعة المتاوبة فضلاً عن

طريقة الزراعة المتكاثفة يضر عوضاً عن ان ينفع ويفيد . ولكن علينا اولاً ان نهيئ الاسباب ونستحضر الحاجيات وان نكتفي بتقليد اصول الزراعة المتناوبة والمتكاثفة المتبعة في مستعمرات المهاجرين الاوروبيين . فاذا تم الاستعداد المطلوب بين الاهلين ظهر التقليد الذي نسعى اليه من حد نفسه . ويمكننا تلخيص المسائل التي يجب علينا اتباعها بما يأتي :

ا — التتبع في زراعة الولاية من الوجهة العلميه

ب — النظر في الحاجيات الاقتصادية ذات العلاقة الشديدة بالزراعة

پ — الاعتناء بتدريس فن الزراعة في دار المعلمين وفي المكاتب الاعدادية . ووضع كتب زراعية عمليه

ت — وضع رسائل يفهمها الخواص والعوام عن ابسط نظريات العلم الزراعي واكثرها فائدة وتوزيع هذه الرسائل في كافة انحاء الولاية

ث — تأسيس مشاهر زراعية مرة في السنة في القصبات الكبيرة من الولاية واعطاء جوائز

ج — تأسيس بنك لاقراض الزراع اموالاً على محصولاتهم الزراعية لمدة جزئية وبفائدة قليلة

چ — تأسيس شركة التعاون الزراعي في محل او محلين على سبيل التجربة

فاذا تم استحضار هذه المسائل وظهرت الحالة الزراعية بشكلها وحاجياتها الحاضرة تأخذ حينئذٍ زراعة البلاد دوراً جديداً وتأخذ شكل المسائل المعتد بها

ويمكن الاستفادة من تربة سوريه بطريقة واسعة النطاق جداً وهي استحصال الاثمار والفواكه منها . فان ساحل الولاية من اوله الى آخره قابل لزراعة البورتقال والتين والزيتون والنخل والموز والعنب وامثالها من الفاكهة ولا ينقصه شئ لزرع قصب السكر . على ان زراعة اشجار هذه الفواكه والاشجار واجتناء المنافع الكبيرة منها ليس بالامر الصعب مطلقاً . وفي تربة الولاية قابلية كبرى ايضاً لزراعة الخضرة والاثمار . ولزراعة الكرمة وللتحريش . ولصناعة الحرير ولامثالها من الصنائع الزراعية

وفي صناعة توليد الحيوانات والدجاج وعمل السمن ارباح طائلة وهي صناعات ذات علاقة قريبة او بعيدة بالفن الزراعي

ولا يخفى ان فن الزراعة علم نظري وعملي . فالعمل الذي لايتعدى حدود عادات التقليد لايأتي بارباح طائلة . واما النظري الذي يعتمد على العلم الصحيح وعلى فنون النباتات وطبقات الارض والحيوانات والحكمة الطبيعيه والكيميا والميكانيك فهو الذي يمكن وصوله الى الغاية الكاملة من الزراعة . وهو الفن الذي يمكن تهيئة عوامله واسبابه التي يستمدها من الاقليم والهواء

ومن الحاجيات الاقتصادية والاجتماعية ومن قواعد الحماية في الرسوم الكمركية فنحن اليوم في حاجة كبرى الى العلم في زراعتنا كما هي الحالة في كل شيء . وهذا هو النقص الذي نشعر به في جميع امورنا.

نعم ان البلاد تنتظر اشياء كثيرة من الزراعة ومن الصنائع الزراعية ولكننا لا نزال في الوقت الحاضر بعيدين جداً عن دور الانتقال من الزراعة الى الصناعة وخصوصاً بعد ان قطعت البلاد التي ترقت في صنائعها شوطاً مهماً في زراعتها وربحت منها ارباحاً طائلة

الزراعة ذات علاقة شديدة بالقوى الصادرة من الطبيعة والانسان . وهي اعظم معاصر للحياة الانسانية بل هي النقطة الجامعة للطبيعة والبشرية كما يقول الاصطلاح الزراعي لان العامل هو الانسان والمعمول هو التراب وقد امتاز الانسان بتسليط عقله على الطبيعة وتحكمه عليها وباستحصال حياته وسعادته من قوى الطبيعة وخزائنها ولا تحصل تلك المجاهدة و... البارزة الشريفة الا في تربة المزارع والكرمة والجنائن . وبعبارة قصيرة ان عمل الانسان ... يظهر باجلى مظاهره في الزراعة والفلاحة واذا نظرنا بعين الامعان الى العلائق والمناسبات بين الدماغ والمعدة وقابلناها بعلاقة الانسان والتراب نعرف ان دورة التكامل في العالم الانساني بدأت بتحكمه وتسلطه على الزراعة والطبيعة وبتأمين منفعته وفائدته منها ومن قواها . ولا ريب ان الزراعة التي هي السائق والدافع للعمل في الحياة هي اساس المدنية

٢ — التشكيلات والمؤسسات الزراعية (١)

لم يكن قبل اعلان الدستور تشكيلات زراعية في ولاية بيروت اسوة بسائر المحلات . وقد بدأت نظارة التجارة والزراعة الجليلة تهتم بهذا الامر العظيم منذ عام ١٣٢٥ فيوجد اليوم في الميزانية العمومية تخصيصات لمدير الزراعة ولمعلمي الزراعة في حيفا وعكا وطرابلس واللاذقية وبيروت . وقد وجد حضرة عزمي بك افندي والي الولاية الحالي ان وجود بضع مأمورين غير كافيين لترقي الحالة الزراعية في الولاية فامر بتنظيم ميزانية خصوصية للولاية عن عام ١٣٣٢ بصورة اوسع وشكل اكمل . فقرر مجلس عمومي الولاية الذي اجتمع في بيروت في كانون اول سنة ١٣٣١ ادخال ١١٣٨٠٠٠ غرش لتنظيم الامور الزراعية في الولاية وتدرجت عام ١٣٣٢ ميزانية الزراعة الخصوصية لولاية بيروت . ويفهم من النظر في هذه الميزانية انه تقرر تأسيس مكتب زراعي في كل لواء من الوية الولاية وقد ابتاعت الولاية الاراضي اللازمة لهذه المكاتب

---

(١) اخذنا هذه المعلومات من مديرية الزراعة في بيروت

وقد بدئ باشادة ابنية مكتبي صور وطرابلس وهما على اهبة الخلاص . وبسبب الاحوال الحاضرة لم يباشر باشادة ابنية المكاتب الاخرى . وقد افتتح حضرة عزمي بك افنـدي في تشرين الثاني سنة ١٣٣١ نموذجاً زراعياً وداراً للحليب في بيروت وادخل لهذا المكتب ١٢١ الف غ ش تخصيصات سنوية في ميزانية سنة ١٣٣٢ ولما رأى دولة المشار اليـه تأخر صناعة الالبان والجبن في البلاد اصدر امره بافتتاح مكتب الالبان في شهر نيسان سنة ١٣٣٢ احياء لهذه الصناعه وترغيباً لاربابها وقد ظهر هذا الامر من حيز القوة الى حيز الفعل وتقرر قبول عشرين تلميذاً في كل عام يعلمون على نفقة الحكومة وهكذا تم . ويتعلم الطلاب الذكورون في المكتب ضمن دائرة العلم والفن صناعة اللبن والزبدة والجبن بانواعه كالكشكوان والابيض والحلوم والجبن الارناودي . وانواعاً من الجبن الاوربي ويتعلمون صنع القشدة . وبفضل هذه المؤسسة العلمية ستترقى صناعة الجبن الابيض المعروف في هذه البلاد ويتعمم صنع الكشكوان وامثاله من الاجبان الاوربيه

ويوجد في بيروت دار للحرير يصرف عليها من الميزانية العمومية منذ عام ١٣٢٦

وتتولى مديرية الزراعة في بيروت ادارة المؤسسات الزراعية سواء كانت عائدة للميزانيـة العمومية اوللموازنة الخصوصية ويرجع اليها امر النظارة ايضاً على كافة مأموري الزراعة

اما مقدار الخصصات التي ادخلت في الميزانيـة العمومية لادارة الزراعة في بيروت عن واجب عام ١٣٣٢ فهي كما يأتي :

سنوياً	
٠٩٦٠٠	رواتب سنة لمدير الزراعة ولخمسة معلمين ولكاتب وخادم
٠٠٣٠٠	اجار سنة لادارة الزراعة في بيروت
٠٠٠٩٠	مصارف تنوير وتستخين
٠٠٧٨٠	قرطاسيه
٠١١٠٠	متفرقه
١٣٠٠٠	مصارف طرق ويوميات
١٧٤٠٠	رواتب دار الحرير
٠٦٧٠٠	اجار ابنية ومزارع توت
٠٥٠٠٠	متفرقة ومحروقات ومغروسات وغيرها
٠١٨٠٠	يومية صناع القز (مصرف نفر للقز وعاملين عن ثلاثة اشهر)
١١٨٥٧٠	يكون

- ١٩ -

امور النافعة

١ — الطرق والمعابر

قدم رئيس المهندسين في ولاية بيروت عام ١٣٣٢ تقريراً الى المجلس العمومي في الولاية بين فيه الاعمال الفنيه والاداريه التى اجريت خلال عام ١٣٣١ فننشر من هذا التقرير القسم العائد لالوية بيروت وعكا ونابلس وهو كاف ببيان شيء من غرضنا في هذا الموضوع قال :

ان مجموع طول الطرق التي انشئت حتى الآن داخل الولاية هي عبارة عن ٥٥٠ كيلو متراً منها ٢٠٠،٣٣١ طرق عموميه ومنها ٣٥١،٨٠٠ طرق خصوصية وقد تبين من التدقيقات الفنيه ان الطرقات التي انشئت لم تكن موافقة للفن كما هي الحالة في سائر الولايات . ولما كانت الاقسام التي انشئت لم يهتم بامر تعميراتها المتمادية في الحال وبقيت متروكة اصبحت غير قابلة للمرور بما حصل فيها من التشعث ولذلك صرفنا النظر عن انشاء طرقات جديدة عدا الطرق اللازمة قبل اكمال اصلاح الموجود تماماً . وانني اعرض لكم الايضاحات عن مندرجات ميزانية عام ٣٣١ وعن الذي حصل من الاحوال بخصوص العمليات التي اجريت والتي لم تجر وعن الانشاآت والعمليات التي اجلت والتي لم تؤجل

١ = طريق اطراف بيروت = ادخل في ميزانية السنة الماضية مع الزيادة ٢٢٠٠٠٠ غرش لاكمال انشاآت هذه الطريق وبوشر بالعمل وقد تم حتى الآن فيها ٢٩٠٠ متر بالتسوية الترابية و٨٦٢٥ بالاملاء و٩١٩٥ بالحفر و٥٧١ متر مكعب بالتسويه الترابيه الناعمة و٥٩٧ متراً مكعباً بالاحجار غير المشغولة واقيم من الاعمال الصناعيه عشرة جدران وهي ٣٢٥ متراً مكعباً بالحجاره المنحوته وقد صرف مقابل ذلك جميعه ٢١٩١٤٠ غرشاً فبقي من تخصيصات هذه السنه ٨٦٠ غرشاً ومع هذا فان المبالغ التى خصصت لم تكن كافية لاكمال العمل فاذا نقل من ميزانية الطرق الاخرى التى لم تصرف بسبب الاحوال الحاضرة مقدار مائتى الف غرش وخصصت هذه المبالغ لاكمال الطريق المذكور [illegible] كن اكمال عملياتها حتى نهاية السنه وقد وضع في ميزانية سنه ٣٣٢ مبلغ مائة الف غرش [illegible] . الطريق المذكورة وتأمين اتصالها وان اوراق كشفها بيد العمل وفي الوقت ذاته تجري العمليات من جهة اخرى

[illegible] اما طريق [illegible] [illegible] [illegible] خلال سنة ٣٣ بمعرفة المتعهد ١٦٠٨ مترا مكعب على طول ٣٠٣ مترا ووضعت وتم ٩٥ مترا بتكسير الاحجار و ١٨ مترا بتهيئة الاحجار العادية . وقد اجريت جميع هذه العمليات بـ ٨١٨٩٤ غرشا وبقي من الطريق المذكورة ٤٠٢ مترا وسينجز تمامها على كل حال في نهاية السنة وبذلك يكون المتعهد قد اوفى تعهده .

٣ — اما طريق صيدا — مرجعيون فقد احيل للمتعهد واكملت عملياته وجرى قبولها المؤقت بنقص خمسة في المئة ولكن المتعهد لم يقم بعد مضي سنة من العمليات باجراء التعميرات العادية المكلف باجرائها بين القبولين ولما لم تكن الطريق المذكورة صالحة للقبول القطعي خصم بامر النظارة الجليلة ٣٤٢٢ غرشا من استحقاق المتعهد مقابل قطع الحساب ونواقص العمليات وحبس عليه ١٤٥٩٩ غرشا ضمنت بها العمليات المتممة باسم المتعهد فاذا بقي شيء من الاموال المحبوسة بعد اتمام العمليات تعاد للمتعهد [illegible] ثم ان المتعهد لم يدفع قسم من الفعلة استحقاقهم مقابل عملهم بالطريق المذكورة اثناء الانشاءات ثم ثبتت صحة ذلك بافادة الفعلة وقبول المتعهد فاخذ قسم من العشرة في المئة من الاموال التي حبست عن المتعهد لاكمال العمليات والتي لا يمكن صرفها في سبيل التعميرات ووزعت تلك المبالغ بحضور المتعهد على اصحاب الدين من الفعلة .

لواء عكا

١ — طريق الناصرة = طبريا = تخصص التقسيم الثاني والثالث من هذه الطريق ٤٣٧٥٧٣ غرشا في قسم التعميرات من ميزانية ٣٣١ ولقد سبق القول بانه احيل القسم الثاني للمتعهد عام ٣٣٠ فعمل فيه حتى نهاية ايلول وبسبب الاحوال الحربيه الحاضرة ترك الشغل دون ان يقطع حسابه [illegible] الجهة العسكرية التقسيمين المذكورين . اما القسم الثالث فقد تعمل اوراقه الكشفيه ولقد اهملت [illegible] هذه السنة غير ان شدة لزومه للجهة العسكريه قضت بان يعمل تماما وبصورة مستعجلة بواسطة طوابير العملة ولهذا السبب فانه لم يدخل في ميزانية هذه السنة

٢ — طريق حيفا — الناصرة — تخصص للتقسيمين الاول والثاني من هذه الطريق ٥٧٩٤١٢ غرشا في ميزانية ٣٣٠ واحيل امر تعميرها حينئذ للمتعهد وبالنظر للزوم الذي احس به مقام الولاية العام فقد فسخت المقاولة وبوشر بالعمليات فيها بصورة التعميرات المتمادية من طرف الاهالي حسب القانون الجديد واكمل امره ولهذا لم يدخل في ميزانيـة عام ١٣٣٢ وعلى هذا الوجه فقد اقتصد المبلغ الذي ادخل في ميزانية هذه السنة

٣ — طريق الناصره — عفوله : ادخل في ميزانيـة سنة ٣٣٦ مبلغ ١٤٧٣٠ [illegible] غرشا

لانشاء هذه الطريق بصورة مجددة وقد شرع على العمل بمعرفة المتعهد في الطريق المذكورة حتى نهاية عام ١٣ ثم ترك المتعهد العمل فيهـا بسبب عدم التمكن من تسوية استحقاقاته بواسطة الاحوال الحاضرة فاكملت الجهة العسكرية العمل فيها ولم يتم قطع الحساب مع متعهدها

— طريق عكا — صفد : خصص في ميزانية عام ٣٣١ للقسمين الاول والثاني من هذه الطريق ٧١٧٤٥٣ غرشاً مدورة من سنة ٣٣٠ ولكن الاحوال الحربية الحاضرة قضت بعدم انجاز العمليات المدورة في هذه السنة علاوة على ما ذكر من عدم تعيين امر هذه الطريق قبل المباشرة بعملياتها بصورة قطعية وكذلك التبديلات الكثيرة التي جرت في مبدا العمليـات فنتج ذلك نكول المتعهد وتركه الشغل وكانت سبباً لفسخ المقاولة وبناء على هذا فانه لم تجر عمليات ولا صرفيات مطلقاً خلال سنة ٣٣١ ومع هذا فانه من اللازم الالتزام بانجاز هذه الطريق في عام ٣٣٢ ولهذا فقد ادخل في الميزانية المتقدمة لسنة ٣٣٢ مبلغ ١١٧٤٥٢ غرشاً رسماً لبذل الجهد والهمة لاكمال هذه الطريق حتى نهاية السنه

لواء نابلس

١ — طريق جنين — نابلس — وضع لهذه الطريق مبلغ ٢٩٠ ١١ غرشاً في ميزانية عام ٣٣٠ لاتمام العمليات الباقية فيها من سنة ٣٣٠ . بسبب الاحوال الحربية الحاضرة لم يمكن اجراء شيء منها ولم يصرف عليها شيء في هذا العام غير ان الاحجار المكسرة التي هيأها المتعهد عام ٣٣٠ اصبح القسم الاعظم منها مانعاً للمرور ففرشتها الجهة العسكرية في تلك المحلات حتى اصبحت الطريق صالحة لامرار المدافع . اما النواقص الباقية من العمليات فانني بعد القيام بالتفتيش هناك نجريها اما بطريق الامانة او بطريق البايعه او بواسطة المتعهد القديم ولهذا لم يدخل شيء لهـذه الطريق في ميزانية عام ٣٣٢

— ١٥ —

شيء من تاريخ القطعة السورية

١ — القرون الاولى

اطلق قبل ثلاثة آلاف قبل الميلاد اسم (سوريه) المشتقه من كلمة « سوري » التي اطلقها البابليون على المقاطعة المحدودة شرقاً بجبال مديه وغرباً بجبـال طوروس وجنوباً بمملكة بابل

وشمالا بارمينيا . وبمرور الزمن اطلق هذا الاسم على البلاد المعروفة اليوم

ويرجع السوريون المعروفون منذ الاعصر القديمة في التاريخ الى العرق (السامي) ولا تتعدى لغتهم التي انشقت الى عدة شعب اللغة (العبرانية)

ويؤخذ من المخطوطات التي وجدت في خرابات بابل القديمة ان الملوك الكلدانيين هاجموا القطعة السورية مرارًا عديدة في الازمنة التاريخية القديمة وادخلوا تحت طاعتهم سكانها الذين كانوا يعيشون بحاله البدوية والتوحش . ولما طرأ الوهن على ملك الكلدانيين هجم الاراميون والكنعانيون الذين كانوا يقطنون جهات العراق وسواحل الخليج العجمي على البلاد السورية فاستولوا اولاً على الجهات الشمالية منها ثم احتلوا سواحلها . ولقد كانت العشائر السورية حينئذٍ اي قبل عشرين قرناً من البلاد تقطن القسم الساحلي من هذه البلاد وهي (فينيقيا) . وقد سمى المصريون هذه البلاد باسم (پونا) المشتقة من كلمة (فينكس) اي شجر النخل ثم حرفها اليونانيون القدماء فسموها (فينيك) . ومن المحتمل ان شجر النخل كان كثيرًا في سواحل سوريا في تلك الازمنة

ويؤخذ من الروايات التاريخية ان الساميين نهضوا في ذلك الزمن من داخلية البلاد العربية فهجموا عليها مرارًا فتم لهم [illegible] ذلك [illegible] عدة مناطق من سوريا ولقد كان في مقدمه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذين اتخذوا الجهة الغربية مسكنا [illegible] ان [illegible] (العموريين) في [illegible] القديم هم القبائل التي استوطنت ما بين البحر الابيض ونهر الشريعة . وجاء في [illegible] ([illegible]) [illegible] ان آخر المهاجرين الى سوريا كانوا [illegible] فانهم [illegible] من [illegible] وستوطن اقرباؤهم ([illegible]) الجهة الجنوبية [illegible] شرقي نهر الشريعة ثم انتقل قسم كبير من [illegible] و ([illegible] رنك) اي الجهة التي [illegible] من (الشام) [illegible] العرب الاسيوية الصغرى قد هاجموا الى [illegible] من [illegible] بالساميين

ولقد استاقت [illegible] الكبير . فتذكرت الفراعنة بجيوشهم [illegible] عصرًا فهاجمتها جيوشهم مرارًا عديدة [illegible] ولقد [illegible] الرسم المحفور على الصخور في جهات نهر الكلب بالقرب من [illegible] بيروت [illegible] لذكر [illegible] رعمسيس الثاني

[illegible] فراعنة مصر بشكل الآلهة

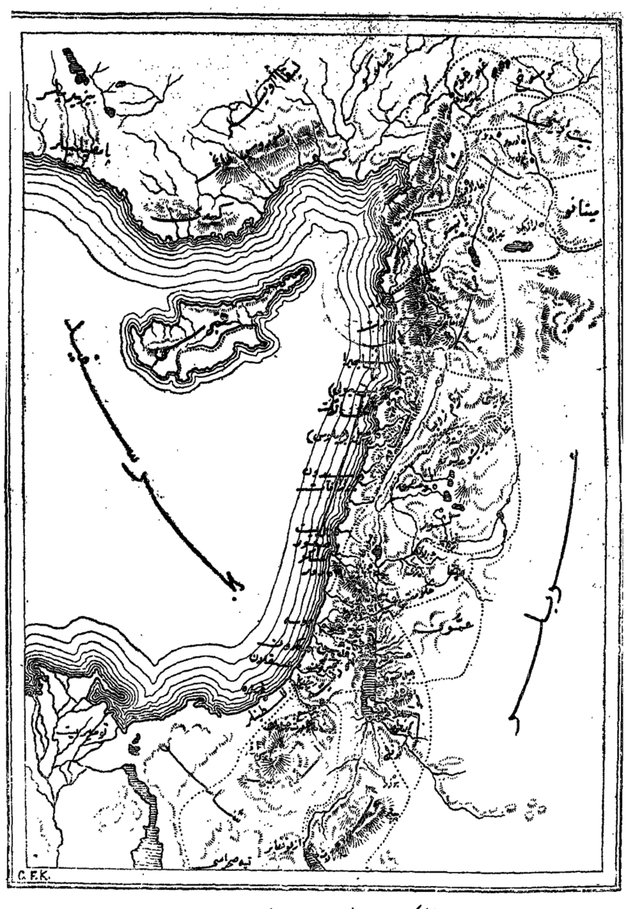
وقد حكمت فراعنة مصر البلاد السورية والفلسطينية مقدار خمسة قرون. وقد وجدت في خرابات (تل عمارنا) بالقرب من مدينة اسيوط في مصر التقارير التي ارسلها ولاة سوريه المصريين الذين كان لهم شبه استقلال في هذه البلاد الى فراعنة مصر عام ١٨٨٧ قبل الميلاد. وقد كتبت هذه التقارير باللغة الكلدانية وبالخط القديم

ويؤخذ من هذه الآثار التاريخية القديمة ان المدنية الكلدانيه كانت مستولية على القطعة السوريه مثل استيلائها على كافة المناطق الاسيويه. وقد جاء في هذه الكتابات شيء كثير عن عدة بلاد في سوريه وفلسطين وعن ملك القدس. وقد ذكر في الكتابة المدونة والمحررة على باب خرابة (قارناق) الشهير في مصر ان (تحوتمس) الثالث كان مستولياً على [illegible] بلدة وقصبة في فلسطين. وقد تكلم (نا ستازين) الاول في الواحه عن [illegible] بلدة في سوريه وعن اربع بلدان كانت في شرقي قصبة صور.

ولما بدأ العبرانيون يوسعون ملكهم في داخلية البلاد من الجهة الشرقية في وادي الشريعة كانوا عشائر مرتبطة مع بعضها باواصر الايمان بالوحدة الالهية التي جاءت بها شريعة موسى عليه السلام. وقد انتقل الكنعانيون في تواريخ مختلفه من الجهة الشرقيه في وادي الشريعة واختلطوا بالعبرانيين. وكان العبرانيون في ذلك الحين اثنتي عشرة قبيلة حسبما جاء في الانجيل الشريف ثم انضمت اليهم قبائل اخرى وسموا جميعهم باسم واحد. ومن ذلك انضمام قبيلة (سيمون) مع قبيلتي (يهودا) و (لاوي) [illegible] تعيين المواقع التي كانت تقطنها كل قبيلة على حدتها. وغاية ما يعلم ان سبط (افرايم) وقبيلة (يوسف) المؤلفة من نصف عشيرة (منا[illegible]) كانت تقطن النقطة المركزية من هذه المنطقة [illegible] بالقرب منهم اقرباؤهم سبط بنيامين. وكان سبط (يهودا) المساوي لسبط (يوسف) مستولياً على القسم الجنوبي. وكانت قبيلة (يساشار) ساكنة في وادي (جزرائيل) — مرج بني عامر — الممتد شمالاً من وادي الشريعة. ثم يأتي بالترتيب بعد هؤلاء اسباط (زابولون) و (نفتالي) و (آزر) بالقرب من الساحل. وكان سبط (دان) يقطن القسم الجنوبي. وكان سبط (روبن) يسكن منطقة جنوبي الشرقي من وادي الشريعة وكان المؤابيون يعتدون على هذا السبط في اكثر الاحيان.

ويؤخذ من مزامير (بوره) التي تحسب من اقدم المنابع التاريخية ان اليهود في ذلك الحين كانوا يقدرون بمائة وستين الفاً

ولقد كانت تعديات الفلسطينيين على بني اسرائيل ومقاومة الاسرائيليين المتحدين سبباً



الحكومة العبرانية على عهد سليمان عليه السلام

تأسيس الحكومة اليهودية . فاجاس (سامونيل) احد انبياء ... (بنيامين)
ودعي (ساوئل) على عرش الملك نظراً لمزاياه وصفاته العالية . غير ان (ساوئل) لم يتمكن من
تأسيس دعائم الدولة الجديدة بسبب ما ظهر حوله من الرقابة الشخصيه

كان حضرة داود من ... ولكنه مماو ذكاء ودهاء فاسس اولاً امارة يهودية تحت
رعاية الفلسطينيين واخذ بعد وفاة الملك (ساوئل) يناقش عائلة الملك وافراد المملكة الحساب
وبعد وفاة (ايزبوزت) ابن الملك (ساوئل) تمكن داود عليه السلام من الجلوس على عرش
المملكة اليهودية باجمعها . فاتسعت حدود المملكة اليهودية في ايام ملكه . وجعل داود عاصمة
ملكه « جبوش » وهي القدس باسمها القديم . وضرب الفلسطينيين الذين كانوا يعتدون على
... منذ القديم في واقعة (...) وادخل (الموابين) و(العمونيين) تحت طاعته وضرب
الخراج على البلاد ... و... (آبسالون) في داخلية البلاد وادب
العصاة الذين ظهروا في ... من المملكة . وبعد ان اسكن داود عليه السلام هذه الفتن
اشتغل باصلاح البلاد ... ووضع على البلاد الضرائب واسس جيشاً صغيراً للدولة .
وبعد ان ... عليهما السلام مدينة القدس اشاد فيها قصراً فخماً ومعبداً
... وجعل بينه وبين ... فراعنة مصر ... . ويغلب على الظن
ان الدنيه ... دخلت في هذا الاثناء الى الشعب اليهودي الذي
كان عائشاً في ... دبت الحالة في الملك السلياني بعد ذلك الاقبال الذي
كان يصاحبه في مبدأ تأسيسه ... حكومة ... الدولة اليهوديه وتناصت من اعطاء
... من ايالات الدولة اليهوديه . وبعد ان توفي سليمان
... فقامت في البلاد الجنوبيه (الحكومه
...) واشتعلت نيران الحروب بين الطرفين

... الحكومة الاسرائيلية عرش ملكه في سيشم (نابلس)
... ثم ... هذه المملكة في ايام ملك (اومرى)
... ليهود ... امدلثهم فغلب امراء
... من اراضيها . ثم تمكنت
... حدودها القديمة واوجدت
... الآن هي التي تتكلم عن هذا
الزمن ... وجد في قرية ديبان في حوار ...

وفي اواسط العصر الثاني قبل الميلاد لم يتمكن ملك اليهود « اشاز » من دفع تعديات يهود الشمال الذين اوقعوا ملكه وتاجه في خطر عظيم الا بمعاونة الاثوريين ومساعدتهم له . وفي عام ٧٢١ « ق.م » هجم الاثوريون الذين كانوا بدأوا باخذ الجزية من يهود الجنوب على المملكة الاسرائيليه فانتصروا على حكومتها ونفوا اهاليها الى الجهة الشرقية واسكنوا ابناء اثور في بلاد فلسطين ولم يأخذ اليهود عبرة من هذه الاحوال فلم يجمعوا انفسهم ولم يؤسسوا فيما بينهم رابطة واتحاداً حتى جاءهم بختنصر عام ٥٩٧ (ق.م) فانتصر عليهم وبدد شملهم ونفى عشرة آلاف يهودي الى بابل . وبعد عشر سنين ثار يهود القدس وعصوا الحكومة البابلية فهدم البابليون القدس وشتتوا شمل اهلها .

ورغماً عن هذه المصائب فان الحالة العموميه كانت تسعف اليهود وتساعدهم قليلاً . فحينما استولى كيخسرو ملك ايران على مدينة بابل عام ٥٣٨ « ق.م » تم لليهود العودة الى وطنهم المحبوب . فاعاد هؤلاء الذين رجعوا من منفاهم الحكومة الموسويه ولكن حدودها لم تتعد حدود المملكة الجنوبيه القديمه

وفي ذلك الحين جدد بناء المعبد في القدس عام ٥١٦ (ق.م) ونظراً لعدم اعتراف اليهود بالسامريين الذين حصلوا من تناسل مهاجري آثور وسكان فلسطين كما اشرنا اليه قبلاً فان السامريين المذكورين انشأوا لانفسهم معبداً ثانياً على حل ذروة جبل « غاريزيم » المطل على نابلس

وبعد اسكندر الكبير الذي فتح سوريه عام ٣٣٢ « ق.م » حصلت في البلاد وقائع دموية كبرى بين ورثة هذا الفاتح . وانتهت بدخول البلاد السوريه تحت حكم « سلوقس » [illegible] اسكندر الكبير . فاشتهر القائد المذكور بحسن ادارته وقد اتخذ (انطاكيه) [illegible] . ثم اشتغل بالشؤون العموميه . وبسط بساط العدل والانصاف [illegible] وصلح حاله . وقد زين سلوقس مدينة انطاكيه بالقصور والمتاحف و[illegible] العموميه [illegible] مدينتي (انطاكيه) و (اللاذقيه) نسبة لاسمي والدته وزوجته وتولى ادارة هذه المملكة بعد سلوقس ١٨ ملكاً الى ان جاء (انطيوخوس) الثالث فحارب العجم زمناً طويلاً ثم اتفق مع انيبال عدو الرومانيين الاكبر . فادى به الحال الى الانكسار والانكسار الشديدين في موقعتي (ترموبيل) و (مانيزيا)

ويستدل من الآثار الرومانيه واليونانيه القديمة المنتشرة في انحاء فلسطين وسوريه ان المدنيـة اليونانية ابتدأت في ذلك الحين بالدخول الى هذه الجهات غير ان اليهود اخذوا على انفسهم معاكستها ومقاومتها بكل قواهم محافظين على اعتقاداتهم وموروثاتهم الاخلاقية القديمة ولكن الشبان منهم

كانوا يتخذون التكلم باليونانيه والكتابة بها عادة مستحسنه . ولما رأى (انطوخيوس) الرابع ملك انطاكيــه تعصب اليهود عاملهم بالشدة فاستولى على اورشليم واقام صنم المشترى في معبدهم بالقدس واجبر اليهود على الشرك والصنمية . ولكن اليهود اصروا على عنادهم وبفضل الجسارة التى اظهرها رئيسهم الروحي (ماتاتياس) وابنهِ (ماقابه) انتصــر اليهود على السوريين ودام الحرب زمناً مديداً بين (الماقابيين) واخلاف انطوخيوس الى ان اضطر (ديمتريوس) الثاني لتصــديق استقلال (شمعون) احد سلالة « الماقابيين » . وقد كانت ايام السلطنة « الماقابيه » (١٤٣—١٢٥) سعيدة الطالع على اليهود حتى ان ملوك اليهود من (اريستوبول) الاول فما بعد نالوا لقب ملك .

وفي عام ٦٣ (ق.م) بدأ اليونانيون بالتضييق والتشديد على اليهــود الذين كانوا يعيشون عيشة سياسية مستقلة نفتح الجرال (بومپه) الروماني القدس وضرب الجزية على ملوك اليهود . وفي عام (٤٠) قبل الميلاد انتهز (هرود) احــد افراد اليهود فرصة الاضطراب الواقع من هجوم (البارتيين) على سوريه وفلسطين فصعــد على كرسـي الحكومة اليهودية بدون حق مشروع . وبعد ثلاث سنين استولى على القدس وعقد اتفاقاً بينهِ وبين الحكومة الرومانية وانشأ قصوراً ومعابد عديدة على الطراز الروماني تزلفاً للحكومة الرومانية

وبعد ان توفى (هرود) الذي نال عنوان (الكبير) وحكم في زمن الميلاد العيسوي انقسمت المملكة اليهودية بين اولاده . وفي ذلك الحين تفاءل الرؤساء الروحانيون لليهود بعيسى عليه السلام واعتقدوا بان عيسى هو المنتظر ظهوره وانهُ هو المسيح الذي يبني عرش المملكة المنتظرة فطلب (الناسيوناليست) اليهود من مؤسس الديانة النصرانية ان يشتغل بالمسائل السياسية لابنــاء جنسه ولمــا رفض المسيح هذا الطلب غضب اليهود وبسبب ذلك طلبوا من (بيلات) والى الحكومة اليونانية في سورية ان يصلب المسيح واجبروه على ذلك

ومن ذلك الحين اخذ الرومانيون يثبتون سياستهم تدريجاً في سوريه فاشادوا في القطعــه المذكورة قصوراً وحمامات وملاعب وعبدوا الطرق . ويوجد من الآثار الرومانية اشياء كثيرة في مدينة بيروت التى كانت تحسب احدى مستعمرات الرومانيين . وقد عين (اوغست قيصر) صهر (مرقس وسپسيانوس آغريپا) والياً علي بيروت وجعل في معيته فرقتين من الجند . وعلاوة على ذلك فقد سمى مدينة بيروت باسم ابنته (جوليا) وضرب بهذه المناسبه عملة جديده . ولما شاهد (هرود) الكبير ملك اليهود محبة الامبراطور (اوغوست) وميله الى مدينة بيروت اخذ يزينها ويزخرفها على طرز يرضي الرومانيين . فوسع طرقاتهــا . وجعل فيها باحات كبيره . وركز في

انحائها هياكل بديعه فاصبحت تشبه روما بزينتها وزخرفها حتى ان كبرا من الرومانيين تركوا البلاد الايتاليه واستوطنوا بيروت

ويقدر انه كان بالقرب من (مينة الحسن) في هذه الايا ... وبعد ان ترقى (نيرون) ... هذا المحل اعان القومندان (وسپسيانوس) ... وقد احتفل ابنهُ (تيتوس) في هذا المكان بقتل الوف من اسرى اليهود ... (اورشليم)

وقد افتتح الرومانيون في مدينه بيروت مكتبا لتعليم ... وكانوا يعلمون الحقوق الرومانيه في هذا المكتب الذي اسسوه في اواخر ... من الميلاد

كان الملك الجالس على عرش الامبراطورية في ذلك الحين ... سبتيموس ساويروس مؤسس السلالة السورية وطنياً · فتزوج بـ (...) ... العجم حروباً دامية واستولى على عاصمتهم (...) ... وطنه السوريين كافه الحقوق الرومانيـه وذلك ... بعلبك الذي بدأ والده باقامته ولم يتمه

وقد تخرّج من المكتب الحقوق المار ذكره ... (...) الصوري (ويوليوس) الحمصي · واحرز المكتب ... فائقـه حتى ان الامبراطور (ديوقلسيانوس) اعفى المتخرجين منه من كافه ... وقداستخدم الامبراطور ... (ژوستينيان) الاساتذه (اودكسيوس) ... المذكور بوظيفة تعديل القوانين الرومانيا

وبينما الاحوال جارية على هذا ... اللفظ حتى ان السلطة والحكم ... الرومانيين · فادت المظالم العظيمة التي ارتكبها ... وقيامهم بصوره هائلة · فادرك الرومانيون شدة ... (٧٠) م جيشاً تحت قيادة الجنرال « تيتوس » ... وبعد اثنين وستين سنه ظهرت ثورة ثانية ... المسيح نفسه ولم يتمكن الرومانيون ... حينئذٍ اليهود كافة من القدس وجعلوا مدينة ...

ورغماً عن هذه المحن والمشاق التي ... وعنعناتهم التاريخيه وبذلوا جهدهم بتوسعتها ...

من بينهم بجمع وتأليف المعتقدات اليهودية التى كانت متناقلة بينهم بالافواه . وليس « التلمود » الذي ظهر بعد ثلاثة اعصر او اربعة من ظهور المسيح سوى مجموع هــذه الرسائل المكتوبة في ذلك الحين .

ولقد كان من اشهر المدن السوريه اعتباراً من مبدأ الدور اليوناني فيها مدينة « انطاكيه » التى انشأها « سه لوقوس نيقاتار » ودعاها باسم ابيه « انطيوس » حرمة وتبجلاً له . وكانت مدينة دمشق مركزًا للقوافل . وكانت « تدمر » مدينة تجارية وهي من اشهر المدن السورية منذ ابتداء التاريخ الميلادي . ولقدكانت الحكومة العربية التى تأسست هنا تابعة بحسب الظاهر للدولة الرومانيه ولكنها مستقلة في الحقيقه . ومن ينظر في الآثار القديمة التى بقيت الى زماننا هذا يجد انها نتيجة الذوق العربي الممزوج بالطرز المعمارى الروماني . وهذه القصور العظيمة والمعابد الجسيمه دليل قائم على حياتهم السياسية الشريفه . ويعتبرون ان هــذا الدور كان من اسعد الادوار واحسنهــا على سورية وفلسطين . ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية عام ٣٩٥ انتقلت القطعة السورية الى حكم الدولة الرومانية البزانسية

قسم الامبراطور (آرقاديوس) القطعة السورية الى ثلاث ولايات : فجعل مركز الولاية الاولى (انطاكية) ومركز الولاية الثانية (افاميه) وكان والى الولاية الثالثه المجاورة لسواحل الفرات يقيم في مدينة «منبج» التى كانت تسمى في ذلك الحين (هيرابوليس) . وقسمت قطعة فلسطين الى ثلاث ولايات ايضاً . وكانت مراكز الولايات المذكورة (قيصريــه) (وسيتوبوليس) و (بيسان) اما جهات فينيكه التي لم تدخل في هذا التقسيم فقد جعلت ولايتين ايضاً وكان يقيم والي القسم الاول في صور ووالي القسم الثاني في دمشق . والحقت بالولايه الثانيه تدمر . وحمص وحمــاه والقلعة وامثالها . وسميت جهات حوران باسم (الولايه العربيه) وكان واليها يقيم في قصبة (بصرى) ولقد ادت هذه التقسيات التي كانت مفيدة من الوجهه الاداريه الى ضعف القوة الرومانيه وفقدانها مكنتها وسهلت لاعدائها الفوز والنجاح فتمكن خسرو الثاني ملك العجم من الاستيلاء على القطعة السورية عام ٦١١ غير ان الامبراطور (هراقليوس) تمكن من استردادها بعد ١٧ عاماً

« العلماء السوريون الذين ظهروا في الدور الروماني » — ظهر في بيروت الاديب اللاتيني الشهير (مرقس ڤاليريوس پروبس) ونال شهرة عظمى في عالم الادب والخطابة وله آثار مفيدة في الفنون الادبية . ومن الذين ظهروا في بيروت (ثاودروس) احد مروجي مذهب افلاطون الفلسفي

وكان (مالك) الصوري واسمه الروماني (پورفيرلوس) من عظماء رجال العصر الميلادي . وقد نبغ بالفنون المنطقية فعين استاذاً في مكتب روما ثقــة بفضله واقتداره . وكان مالك

هذا تلميذا للاستاذ «لونجينوس» السوري الذي كان يحسب اكبر رجل في فنون الادب والفصاحة. وعلاوة على هؤلاء فقد نبغ في سورية المؤرخ الدمشقي (نقولا) ومطران غزه (بمفيليوس) الذي اسس مكتبة عظيمة فيها و « كبروتس » راهب بصرى و « يوحنا » الذي لقب بفم الذهب لفصاحته وبلاغته. وغيرهم من العلماء والادباء

٢ ـ القرون الوسطى

انتشار الاسلام في سوريا—قضى العرب حياتهم صابرين على الفقر والشدة في شبه جزيرة العرب منذ الادوار التاريخيه القديمه وقد اهمل شأنهم في تلك العادات الفاقة الى ان كان زمن الرومانيين فاسسوا لانفسهم حكومات محميه في حوران والعراق وتدمر. وتنصر فريق منهم . ولقد كان العرب حتى ذلك الحين ينقسمون الى قسمين (قحطانيين) و (عدنانيين) ولكن الشقاق والنزاع لم ينقطعا من بينهما . ولما ظهر حضرة نبينا الكريم محمد رسول الله (صلى الله عليه و سلم) في جزيرة العرب اثناء دور الانحطاط لدولة روما الشرقية دعا العرب الى التوحيد فآمنوا به واهتدوا بهداه واصبح العرب حينئذ رقباء مدهشين لحكومة استانبول. ففي وقعة (اليرموك) المشهورة التي حدثت في ايام خليفة المسلمين الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه (٦٣٥ م) انبلج صبح السعادة والاقبال للامة العربية . و بفضل الجهاد الساعم فتحت جيوش الاسلام القطعة السورية في ثلاث سنين وطهرتها من البزانسيين وصبحت سورية منذ ذاك الحين بلاداً اسلامية عربية

ولقد كانت اسعد الايام واسطعها نوراً على البلاد السورية ايام الدولة الاموية التي اسسها حضرة معاويه فقد ارعبت قواد الجيوش الاسلامية اخاء المعمور الاربعة حتى انهم تمكنوا من الاستيلاء على قسم مهم منها وفي ذلك الحين بدأت حياة الرفاه والرخاء وعيشة القصور وحب البذخ والمباهاة ببناء الجوامع والمعابد—تتأسس في نفوس الامة العربية التي كانت بعيدة عن العظمة والابهة

لايمكن لاي مؤرخ ان ينكر على العائلة المالكة في الدولة الاموية حزمها وسعيها بنشر الدين الاسلامي حتى ان امراءها هم واضعو اسس المدنية الاسلامية . ولكن انهماك الخلفاء الامويين بملذاتهم وشهواتهم وتضحيتهم كل شيء في سبيل منافع انفسهم الذاتية وعملهم لايصال الاذى والضرر لآل بيت الرسول عليه السلام وخصوصاً في حادثة كربلا المؤلمة — اوجب نفرة الامة الاسلامية منهم وفتح في قلوبها جروحات لاتندمل فاصبحت الامة الاسلامية ميالة لزوال هذه العائلة المالكة ولقد زاد تثبيت الامة من اسعافها ثورة تقوم ضد الدولة الاموية—تلك الدماء البريئة التي سفكها الحجاج الظالم فهيأ ابو مسلم الخراساني الثورة المعلومة واظهرها من حيز القوة الى

حيز الفعل فانطفأ سراج العائلة الاموية وظهرت الحكومة العباسية في العراق عوضاً عن الشام

ولقد نبغ في زمن الامويين الشعراء العربيون المشهورون : الاخطل وجرير والفرزدق واشتهر خالد بن يزيد احد الامراء الامويين وصاحب اليد الطولى في علم الكيمياء وظهر الفيلسوفان يوحنا بن منصور وتلميذه ابو قره

اتسع في ايام الحكومة الاسلامية الجديدة نطاق المدنية الاسلامية وازهر غراسها واينعت ثمارها فظهر في عصر العباسيين الذهبي وخصوصاً في دور هارون الرشيد والمأمون علماء متبحرون في كل فن من الفنون واكتسبت الادبيات العربية حلة البهاء والفخر فتجلت بالطف مجالي الحسن الرقيق والفكر الدقيق والذوق اللطيف ولم تكن فنون الطبابة والفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات احط درجة عن سائر العلوم بل انها تقدمت واتسع نطاقها

لم ينجح العباسيون في خطتهم السياسية مثل نجاحهم في خطتهم العلمية والادبية فزعزعت سياسة الخلفاء العباسيين العوجاء وخطة القواد الغدارين السفاكين دعائم الخلافة في ذلك الحين فادت هذه الحالة الى النتيجة الطبيعية وهي ظهور التفرقة بين المسلمين عوضاً عن الوحدة فظهرت على الاثر حكومات قوية كالامويين في الاندلس والفاطميين في مصر والهمدانيين في حلب والسلجوقيين في الاناضول وسوريا

ومن الادباء والمؤرخين المسلمين الذين ظهروا في هذا العصر ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وابن القلانسي الذي كتب تتمة تاريخ ابن عساكر وكمال الدين صاحب تاريخ حلب والفيلسوف الكبير ابو العلاء

الحروب الصليبية — ظهرت الحروب الصليبية في اواخر العصر الحادي عشر الميلادي فنجح رجال الكنيسة بتهييج النعرة الدينية في شعوب اوربا غير المتمدنة وارسلوا الجيش الاول لاهل الصليب فتولى قيادة هذا الجيش الذي جاء لمحاربة الحكومات الاسلامية المشتتة — القواد ريمون لمير طولون • وروبر دوق نورمانديا • وروبر كونت فلاندر • وغودفرواد وبوييون وامثالهم •

فاستولى بودوين شقيق غودفروا على كافة القسم الشمالي من سوريا حتى آسيا الوسطى واستولى بوهمون على مدينة انطاكية وثبتت دمشق في دفاعها وقاومت الاعداء ولقد سكر المسيحيون بخمرة هذا النصر الاول الفجائي فظهر الشقاق بينهم في ادارة البلاد التي اكتسحوها عوضاً عن ان يقوموا جميعهم باتحاد ووفاق بحسن ادارتها حتى ان هذا النزاع اكتسب دوراً حاداً في بعض الاحايين واعلن غودفروا نفسه ملكاً لاول مرة في القدس التي فتحت في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ ثم تولى بودوين الاول و بودوين الثاني بعد غودفروا ولقد كان عام ١١١٨ من اقوى ادوار السلطة للصليبيين في

سوريا حتى نه تأسست في ذلك الاثناء الجمعيتان الدينيتان **Templier** و **Hospitalier** اللتين كان لهما الخدمة الكبرى بانتشار النصرانية في سوريا ولقد انبعت الحكومات الجديدة في ادارتها خطة عدم المركزية فاحدثت امارات في انطاكية · وطرابلس · وطبريا · ويافا · وعسقلان

كانت تظهر على هولاء الطغمة من النصارى آثار القوة المادية ولكن نظرياتهم وافكارهم السياسية كانت محدودة وضيقة للغاية · فبينما كانوا يضيعون اوقاتهم سدى بهجماتهم التي لم تجلو نفعاً على الشام ظهر امامهم فجأة الامير « عماد الدين الزنكي » ووقف في وجههم بصولته وقوته · فاستولى الامير عماد الدين حاكم الموصل بشدته وسلطانه على مدينة الرها « ئه دس » وحارب في ذلك الحين «جان قومن» الثاني امبراطور البزانسيين وافتتح القسم الشمالي من سورية ولكنه لم يتوصل لنتيجة مفيدة سوى ازعاج الفرنجة · ولما توفى الامير عماد الدين الزنكي ترك لولده وخلفه « نور الدين » مملكة واسعة تضم القسم الاعظم من الموصل والعراق وسورية

وعلى اثر هذا الانتصار الاسلامي تألف جيش صلبي ثان وهاجم البلاد السورية ولكن الفرنجة لم يفوزوا بشيء في حربهم هذا من عام ١١٣٧—١١٤٩ وفضلاً عن ذلك فان الشاه نور الدين دخل دمشق واستولى عليها · وفي عام ١١٦٠ ارسل نور الدين الى مصر احد قواده المسمى شيركوه مع صلاح الدين الايوبي فاستولى صلاح الدين بفضل ذكائه وشجاعته الخارقين للعادة على مصر خلال مدة قليلة · ولما توفى الشاه نور الدين الحق صلاح الدين القطعة السورية بملكه عام « ١١٧٣ » م · ولقد كانت انتصارات صلاح الدين الايوبي الباهرة ضربة قاضية على الفرنجة لان الجيوش الاسلامية الباسلة التي قاومت الفرنجة ووقفت امامهم هي الجيوش التي رتبها صلاح الدين وبعد ان هيأ القائد المحترم المشار اليه كافة ما يلزم من الاستحضارات هجم بكافة قواه على جيوش الفرنجة في صحراء « حطين » البعيدة عن طبريا مقدار ساعة ففرق شمل اعدائه وافنى جيوشهم · فاضطر الصليبيون عقب هذا الانتصار للانسحاب تماماً من فلسطين « ١١٨٧ » م · ولا يزال مؤرخو الافرنج يذكرون بالشكر والامتنان آثار الرحمة وعلو الجناب التي اظهرها صلاح الدين الايوبي بمقابلة الصليبيين الذين غلبهم ومزق شملهم

وعلى اثر استيلاء جيوش الاسلام على فلسطين والقدس تألف جيش ثالث لاهل الصليب في اوربا عام « ١١٨٩ » م وقد انضم الى هذه الحملة اعظم ملوك اوربا واكثرهم اهمية وفي اثناء سفر الجيش غرق فردريك [illegible] امبراطور المانيا في نهر [illegible] وقد تمكن الانكليز والفرنساويون الذين جاؤا مع هذا الجيش من الاستيلاء على قلعة عكا بعد حصار طويل · غير ان ظهور النزاع الشديد بين « فيليب اوكوست » ملك فرنسا و « ريشار »

قلب الاسد ملك انكلتره . وقيام الجيوش الاسلامية سدّاً منيعاً وحصناً حصيناً في وجوه الصليبيين منع هؤلاء عن التقدم والتخطي وبقيت القدس في يد المسلمين . وانتهى الامر بعقد الصلح بين رؤساء النصارى وصلاح الدين الايوبي واتفق الطرفان على اعطاء النصارى قطعة من الاراضي ضيقة جدّاً واطلقت حرية النصارى بزيارة القدس . وبعد مبارحة جيوش الفرنجة لسوريا توفى صلاح الدين الايوبي فلم يقم احد من اخلافه بعمل جدي سوى الملك العادل ولم ينجح جيش الصليبيين الرابع الذي تجمع عام «١٢٠٤» ولكن بحارة ريزا وجنوه وونديك في ايطاليا رجوا منهم اموالاً طائلة مقابل نقل جيوشهم فى البحر . وبسبب اصرار البابا وتهديده تألف جيش صليبي آخر تحت قيادة فردريك الثاني امبراطور المانيا وهاجم سوريا فاستولى على مدينة القدس بموجب معاهدة عقدت لمدة عشر سنين قضى بها الخلاف الذي كان قائماً بين الحكومات الاسلامية فى القطعة السورية « ١٢٢٩ » . ولم ينل الجيش الفرنساوي الذي جاء لهذه الغاية عام ١٢٤٠ سوى دفن شبان فرنسا فى اراضي فلسطين . لقد اصيب الملك « سن لويس » بالنتيجة ذاتها فى هجومه الذي قام به على تونس بعد ثمان سنين من هذا التاريخ

وفى النصف الاخير من العصر الميلادي الثالث عشر ظهرت مقدمات التبدل الاساسي في عالم السياسة السورية فقد كان امراء المسلمين يبتاعون غلماناً باسم « المماليك » واكثرهم من الاتراك ويستخدمونهم في قصورهم . فاكتسب هؤلاء المماليك تدريجاً قوة وسلطة حتى ادى بهم الحال اخيرًا الى الاستيلاء على ادارة الحكومة في مصر . ثم هاجم « ايبك » مؤسس هذه العائلة المالكه البلاد السوريه مرارًا عديدة فاخذها من يد الايوبيين . وصادف في ذلك الحين تقدم هجمات « المغول » نحو هذه البلاد

ولما استولى هولاكو على مدينه حلب عام « ١٢٦٠ » اطلق النهب والسلب في سوريه لمدة موقته . ثم تمكن السلطان « قوطوز » احد المماليك من استرداد القطعة المذكوره بمعاونة القائد « بيبرس » وبعد مدة قليلة عصى « بيبرس » امر سيده واعلن استقلاله في سوريه واستولى على قيساريه وارسوف . وصفد وبيسان وانطاكيه . وتوفى « ركن الدين بيبرس » الذي نرى اليوم اسمه محفورًا على اكثر الآثار الاسلاميه القديمه عام ١٢٨٧م فجاس ابنه على عرش ملكه . ولكن لم يمض عليه مدة قليلة حتى خلفه القائد المنصور سيف الدين قلاوون . وقد استرد هذا الامير الشهير الذي نقش اسمه على جدران الاثار القديمه في الشام كافة السواحل السوريه من الفرنجه ما عدا بعض القصبات . ثم اجبر الفرنجه على اخلاء هذه البلاد مع قلعة عكا واعادها الى المسلمين عام « ١٢٩١ » م

٣ ــ القرون الاخيرة

لم يشتهر في الحروب الكثيرة التي حدثت اثناء العصر الرابع عشر للميلاد اسم رجال يذكرهم التاريخ او يشير اليهم ولكن هجمات تيمورلنك المدهشة التي استولت على الشرق الادنى فى عام ١٤٠٠ بدلت الحالة العمومية فى سوريا وقذفت بها الى الهوات المهلكة فقد نفى تيمورلنك الى سمرقند قسماً كبيرًا من العلماء والمتفننين وصناع الاسلحة فى الشام

وفي عام ١٥١٦ حصلت وقائع حربيــة بين العثمانيين والمماليك فغلب السلطان سليم جيوش مصر في مرج دابق شمالي مدينة حلب وفاز في مدة قليلة فاستولى على كافة سوريا

وفى اوائل العصر السابق (١٧٩٩) جاء القائد الفرنساوي المشهور « بونابرت » بجيشه من مصر لفتح البلاد السورية فانتصر على العثمانيين فى المحل الذي تقوم به قرية عفولة اليوم فى سفح جبل الطابور وتمكن من التقدم الى مدينتى صفد والناصره و بفضل مقاومة جزار باشا والي ايالة صيدا فى ذلك الحين و بمعاونة الاسطول الانكليزي لم ينجح بونابارت فعاد من حيث اتى

و بسبب سياسة عبد الله باشا نجل جزار باشا والى عكا وعناده هجم محمد علي باشا والي مصر عام ١٨٣١ على القطعة السورية بجيشه المنظم واعلن الحرب على متبوعه الحكومة العثمانية بمعاونة الامير بشير حاكم جبل لبنان استولى ابراهيم باشا الولد المعنوي لمحمد علي باشا على مدينة عكا والشام ثم انتصر على الجيش العثماني فى حمص و بيلان ودخل الى البلاد الاناضولية ومداخلة الدول المعظمة سلمت اداره القطعة السوريه لوالى مصر

وفى عام ١٨٣٩ تراخت العلائق ثم انقطعت بين الحكومة العثمانية ومحمد علي باشا فتلاقى جيشا الطرفين فى صحراء «نزيب» ورغماً عن انتصار الجيوش المصرية فان القطعة السورية اعيدت الى الامبراطورية العثمانية بمداخلة الدول المعظمة وعلى عقب الوقائع التي دون التاريخ وقوعها عام ١٨٦٠ اعطيت الادارة الممتازه لجبل لبنان وقد ظهرت اخيرًا مضرات الطرز الاداري المذكور فالغي الامتياز تماماً عام ١٩١٦

ــ ١٦ ــ

الآثار العتيقة فى سوريا

اشادت اكثر الحكومات الكبيره التى تمكنت فى القطعة منذ قبل التاريخ مبانٍ عظيمــة ونقشت رسوماً بديعة واقامت هياكل متنوعة فى كثير من المحلات فى القطعة السورية ولكن

تعاقب الحروب وجهل سكان سوريه وعدم اهتمامهم بالاثار التاريخية درس قسماً مهما من الآثار القديمة فيها . ولا ريب انه اذا بحث احد المتخصصين في انحاء القطعة السورية يجد فيها آثاراً قديمة نفيسه . ويرى القارئ اننا نصنف هنا الآثار العتيقة على حسب ادوارها التاريخيه ونبذل الجهد ببيان ماهيتها التاريخيه :

آثار الازمنة قبل التاريخ — يوجد في جبال سورية كثير من المغارات الطبيعيه والصناعية التى اتخذتها الاقوام القديمة مساكن لانفسها . ويحتمل ان تكون المغارات القائمة في جبال حوران وفي قرية (بيت جبرين) على طريق غزه وخليل الرحمن من آثار الازمنة قبل التاريخ . ويرى في هذه المساكن القديمة الواسعه ان سكانها الاقدمين نحتوا حجارتها بكل مهارة بآلات حديدية . وقد عثر الباحثون في الحفريات التي اجريت في محلات عديدة من سورية على سكاكين ومقصات ومقاطع « بالطه » مصنوعة من الصوان . وفي اكثر متاحف اوربا وفي متحفى الكليتين الاميركيـة واليسوعية في بيروت شيء كثير من هذه الآلات الاوليه

زمن الكنعانيين — تبدأ الآثار التاريخيه من هذا الزمن . فمن هذه الآثار القديمة مدينة (اريحا) القديمة المبنية بالاحجار الجسيمة وقد قام بكشفها في المدة الاخيرة عدة علماء نمساويين . و يوجد في الجهة الشرقية من وادي الشريعه وفي حوالي الكرك الآن ابنية قديمـة صنعت من الاحجار وكان يقطنها الموآبيون ويستدل من هذه الآثار القديمة على ان عبادة الاحجار كانت منتشرة في سورية . ومن الادلة الظاهرة على ذلك وجود خوانات مصنوعة من الحجر وهي التى كان القدماء يستعملونها لتقديم القرابين ولعرض موتاهم وتشهيرها . ويوجد في شبه جزيرة سينا كثير من هذه الهياكل . ومن هذه الآثار العتيقة العائدة لهذا الزمن المغارة التى دفن فيها ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب عليهم السلام . وكذلك المعبد الذي اشاده يعقوب عليهِ السلام بالقرب من نابلس

زمن المصريين القدماء — لما استولت فراعنة مصر على القطعة المصرية كانت سورية تقلد آثار المصريين وابنيتهم . فاقام السوريون في قصبة جبيل من اعمـال جبل لبنان هيكلين لاعظم آلهة المصريين « ايزيس » و (اوزيريس) ويجد الباحث في انحاء سوريه كثيراً من الهياكل الدينيه والمحفورات العائدة للمصريين . ومن ذاك هيكل « رعمسيس » الثاني احد فراعنة مصر المشهورين القائم بالقرب من مدينة بيروت . فقد حفر هدا الاثر التاريخي في الصخور المطلة على نهر الكلب وهو يمثل فرعون منتصباً بقيافة الآلهة وذلك في العصر الرابع قبل الميلاد . وفي اسفل الهيكل كتبت فتوحات فرعون بالتفصيل

زمن الهيتيتيين — كان الهيتيتيون الدين استولوا على الاناضول في الازمن التاريخية القديمة قد جاءوا

الى سورية في احدى الازمنة واسسوا فيهـا عدة مدن . ومن تلك المدن قصبة « القدس في جوار حمص » وكوكيش » بالقرب من قرية جوابلس الآن . وقد بحث الانكليز والالمان في المدة الاخيرة في قرية «جوابلس» واخرجوا منها آثاراً قديمة كثيرة . ويظهر من تدقيق هذه الآثار ترقي الهيتيين وتقدمهم في المدنيه . ولكن الكتابات التي عثر عليها الحافرون لم يمكن قراءتها حتى الآن

زمن اليهود — انتقلت الى العبرانيين الصناعة المعمارية من الفنيقيين الذين كانوا يقلدون تماماً صناعة المعمارين المصرية . وقد استخدم داود وسليمان عليهما السلام البنائين ابناء السواحل حين اقاما القصور والمعابد . فاليونانيون قد اشتهروا باقامة الاعمدة في بناياتهم . اما الفينيقيون فكانوا يخالفون ذلك كثيراً فيستعملون في ابنيتهم الصخور النقوشة . ولهذا كانوا محكومين في ابنيتهم وفي ترتيباتها لمقادير لوازمها واجناسها . ومن يمعن النظر في الابنية التي اشادها العبرانيون يجد انهـم كانوا يستعملون الاحجار الضخمه و يرتبونها على بعضها بدون كلس او طـين « مونه » ويعتنون بتحديد اطرافها وتسنيمها بصورة منتظمة جداً

ومن آثار اليهود المعروفة اليوم آبار الملك حزقيا . وحوض سلوان واورشليم وحصون سوريه وبرج انطونيا وقبور سلوام المنحوتة في ابيشالوم وبرقيا في جوار القدس

زمن الآثوريين — اقام الاثوريون مثل المصريين نموذجات كثيرة من آثارهم في سورية . ولقد نقشوا على صخور نهر الكلب بالقرب من بيروت عدة رسوم لملوك بابل واثور بجانب هياكل الفراعنة . ويعرف من بين هذه الرسوم رسوم الملك (اسرحدون) . وقد اكتشفوا في جبل آروم في الغرب الجنوبي من قصبة حمص هيكلاً يمثل ملكاً اثورياً يصـارع الاسد . واكتشفوا في وادي (بريسته) على نقوش وكتابات آثوريه كثيرة

زمن الفينقيين — ذكرنا قبلاً ان المصريين والبابليين كانوا اساتذة الفينقيين ولكن لا يصعب علينا ان نجد لهؤلاء صناعة خاصة بهم ويكفينا لاثبات دعوانا ما نجده من الآثار الفينيقيه القديمة في انحاء كثيرة من سوريه ولبنان . مثل هيكل كفور كسـروان الذي يمثل الواقعة الخرافيه التي جرت بين عشتروت وتموزه معشوقة (آستارته) ومثل هياكل جبيل وصنين وصيدا الخاصة بعبادة بعل

زمن اليونانيين والرومانيين — كانت علوم اليونانيين والرومانيين وفنونهم معروفة وظاهرة في البلاد السورية قبل استيلاء اسكندر الكبير عليها واذا صح الادعاء بان الشرق اهدى طراز « ايوني » المعماري للبلاد اليونانية . فان هذه البلاد اهدت الشرق التزيينات اليونانية المعمارية وصناعة الجفصين . ويوجد في البلاد السورية آثار يونانية كثيرة

ومن آثار اليونانيين القديمة التي اكتشف عليها آثار ام العواميد في (رأس العين) بالقرب من

قصبة صور . والآثار القديمة النفيسة التي اكتشف عليها العالم الشهير المرحوم حمدي بك مدير المتحف السلطاني في قبور الملوك في صيدا فرفع بها درجة المتحف في استانبول وزاد في قيمته (١)

ولقد ترك الرومانيون اثاراً لهم في عدة مواقع من سوريه . حتى ان الطرق العسكرية الرومانية الواصلة لاقصى البلاد لا تزال مشاهدة في بعض الاماكن

وقد زين (هرود) الكبير ملك اليهودية بلاده بالمباني التي كان يقيمها على الطراز الروماني تحبباً للرومانيين وتزلفاً لهم . ولما اخذ الرومانيون باستعمار سورية (وخصوصاً ايام الامبراطور تراجان) اقاموا فيها عدة مدن وقصبات تماثل المدن والقصبات الرومانية . ومن اظهر العلامات الفارقة لهذه المدن — العواميد التي كانت تقام صفوفها من باب المدينة ومدخلها حتى منتهاها . وكانوا يقيمون في انحاء المدينة المعابد والحمامات والملاعب وغيرها من المباني العمومية . وليست تدمر وبعلبك وجرش وخرابات بترا التي نحتت في الصخور سوى مدن رومانية انشئت في العصر الميلادي الثاني حين اخذت الصناعة الرومانية النفيسة بالانحطاط والتأخر

اما بنايات المعابد اليهودية التي اقيمت في غاليلة في العصرين الثالث والرابع الميلاديين فقد كانت خلاف سواها من المباني لانها كانت تقام على قاعدتين مدورتين في منتهى الجهة الشمالية الداخلية . وتسقف بالاخشاب . وكانت رسوم الحيوانات التي تنقش على جدرانها تستجلب الانظار وتستلفتها

وان كنيسة بيت لحم الكبرى وكنيسة القيامة التي تبدل طرازها بعد هذا — هما من آثار الامبراطور البيزانسي (جوستينيان) . وان جامع سبسطيه بالقرب من نابلس . والمعبد الذي اكتشف عليه اخيراً في سوق (البازركان) في بيروت اثناء الهدميات التي اجريت لتوسيع الطرق في المدينة — هما كنيستان اقامهما الملوك البزانسيون في ذلك الحين

زمن العرب — كان طرز البناء في ازمنة العرب الاولى مؤلفاً من الطرز اليوناني . فكانت المشابهة تامة بين بناء العرب وبناء المسيحيين . ويظن انه لما اشيد جامع عمر في القدس نظر بانوه في مصورات كنيسة القيامة وساروا على شيء منها

وبعد اشتغال العرب مدة من الزمن بفتح البلاد ونشر الدين الاسلامي فيها اخذوا يصنعون اشكالاً وطنية جديدة للرسوم والنقوش التي استعاروها من البزانسيين وانتهى الامر بتعديلاتهم هذه الى اتخاذ قواعد اساسية في هذه الصناعة . ولقد اخذ العرب يجعلون القبب التي كانت معروفة

(١) وسنشرح بالتفصيل هذه الآثار النفيسة حين الكلام عن احوال صيدا

[illegible] سوريا وفي اوربا على شكل [illegible] [illegible] الصماء و [illegible] يزينونها من الداخل بكثير من الزوايا بصورة المسلات . ثم اخذوا بعد هذا يستعملون في قصورهم وجوامعهم الاقواس التي اخترعوها بشكل النعل البيضوي . واهتم البناؤون العرب في مصر بالفروع اكثر من الهيئات العمومية فكانوا يعتنون بالنقوش والمزينات . ولهذا لايمكن ان نجد مشابهة ووحدة تامتين في المعابد والقصور التي زينت تمام الزينة على الطريقة العربية . وان الطرز العربي في البناء هو اختراع شخصي للبنائين العرب لم تسبقهم اليه امة من الامم . وحين استولى العرب على سورية وضعوا يدهم على كثير من المعابد والمباني . وبشيء قليل من التبديل امكنهم استعمالها كيفما يشاؤون . ولهذا كانت آثارهم النفيسة التي اشادوها مباشرة في هذه الانحاء هي اقل من آثارهم التي قاموها في الاندلس وفي غيرها من البلاد الاسلامية المفتتحة . ويحسبون المسجد الاقصى والجامع الاموي اللذين اقامهما الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك من آثار العرب النفيسة . وعلاوة على ذلك فان مستشفى الشام والجوامع والمدارس المتعددة التي انشأها الفاطميون في الشام وجوامع بعلبك وحلب اللتين انشأهما (بيبرس) — هي من الآثار العربية الجليلة . ومن اراد الوقوف على زيادة تفصيل في هذا الموضوع فعليه بمراجعة كتاب (تاريخ مدينة العرب) تأليف الدكتور « كوستاو لوبون »

القلاع والكنائس في القرون الوسطى — يوجد في سورية وفلسطين قلاع كثيرة بقيت من ايام القرون الوسطى . وقد انشأها العرب او الصليبيون الذين حاربوا العرب في ذلك الحين . وقد اقام الصليبيون في داخلية سورية وسواحلها اربعين قلعة ومن اشهر تلك القلاع . قلعة حمص والمرقب وحصن الاكراد وبيروت وجبله والكرك وصهيون

ويمكن تقسيم الكنائس التي اشادها الصليبيون الى صنفين . فالمعابد التي اشادوها ما بين عام ١٠٩٩ و ١١٨٧ م تؤلف من ثلاثة مداخل متساوية وجناحين وثلاثة محاريب متلاصقة واما الدوائر البيضية فهي قائمة في كل ناحية من انحاء البناء وهذا هو الصنف الاول من تلك المعابد . واما الصنف الثاني وهي الكنائس المنشئة في العصر الثالث عشر الميلادي فجميعها مبني تقريباً في السواحل السورية على الاسلوب الفرنساوي في ذلك الزمن . غير ان سقوفها مستوية وغير مدوره ولم يقلدوا طرز البناء الاسلامي بالدوائر البيضية التي كانوا يقيمونها فيها ولكنهم قلدوا طراز البناء المسمى «غوتيك » الذي كان مبتدأ في اوربا

التدقيقات والتتبعات المحليه

التدقيقات والتتبعات المحلية

— ١ —

نحو سلفيت

حينما كنا نبارح نابلس كانت بارقة غريبة من التردد تبدو لنا ايضاً حتى في نظرنا. فكنا نرى ان تقييد ازمنة التدقيق والتتبع بخطة معينة للسفر والسياحة تارة يكون ممكنا وتارة يكون مستحيلاً وهو مايدعو الى الافتكار والامعان . وفي اول خطوة من السياحة اضاءت علينا صعوبة تدارك الوسائط النقلية يومين ثمينين من زماننا . وفي الوقت ذاته دعتنا لعمل صعب جداً وهو تسطير كلمة (اضطرار) في اول سطر من الجدول الذي بدأنا بوضعه . فتركت لنا هذه الحقيقة اثراً ممقوتاً في ادمغتنا المفتونة بالانتظام وبالقطع بالامور . ولقد كنا نشعر من انفسنا بصورة واضحة اننا في وادٍ عميق من المجاهل

لم يكن لمنطقتنا مصور او بيان ولم يكن في ايدينا دليل ثمين فكانت سياحتنا على الوجه الذي يراد امراً عسراً

لم نكن نتعرف على الطرق والقرى والقصبات الا من الاهلين فتتراءى لنا المعلومات التي نأخذها متناقضة وغير تامة وكانت طريق نابلس — سلفيت مثلاً تظهر لنا صعبة لمرور احياناً وسهلة الاقتحام طوراً و كانت تتراوح طولاً وقصراً من اربع ساعات او خمسة الى ست ساعات او سبعة . فما هي المسافة الحقيقيه لهذه الطريق ? بل كيف ممرنا ومن اين ? وما هو موقع المحل الذي نذهب اليه ? وكيف يكون ? بل اين يكون ? . .

اسئلة كانت تتوارد على ذهننا فكنا نسير مستسلمين للطالع والحظ . مررنا امام الشكنة القائمة في الشرق الجنوبي من نابلس . فكانت خيولنا تسير على طريق عرفته هي من انفسها ونحن مستسلمون لها الاستسلام المعتاد . اما انظارنا فكانت متجهة نحو دليلنا . ولقد كانت هذه السلسلة من الاستطلاعات يتمزع شملها وتنتهي بالاجوبة المتقطعه والناقصه التي ترن على اسماعنا من افواه الذين رأوا هذه المحال مراراً عديدة

كان ممرنا طريقاً معبدة منتظمة فلم نكن منزعجين من هذه الجهة . ولكن اشعة الشمس التي اشتدت دفعة واحدة بعد ساعات من الظهر احدثت واحات حامية في الاراضي والطرق. وكانت

سهامها المنعكسة على سائر الانحاء تأخذ شكلاً لا يطاق . واصلنا السير على طريقنا وكان جبل غاريزيم يسمو بعلوه على الجهة اليمنى من الطريق وقصبتا (بلاطه) و (عسكر) تستلفتان نظرنا عن بعدبابنيتهما البيضاء الضاحكة تارة وبآجرهما الاحمر طوراً . كما انموقع (بير يعقوب) قد استجلب نظرنا عن قرب

وبعد خمس عشرة دقيقة لم يبق من حائل امامنا فاخذت الطريق المبدة تمتد بين اراض وسيعة قد زرع بعضها بالذرة البيضاء والصفراء والسمسم واهمل القسم الآخر منها

وبعد ساعة ونصف او اكثر عدنا الى الطريق السابق . ولم يكن من حوائل سوى تلال صغيرة متفرقة امامنا وعن يميننا وشمالنا وهي سلسلة جبال جماعين . ثم تركنا الطريق المؤدية الى القدس الشريف واتجهنا نحو الجنوب الغربي من امام قرية (حواره)

اخذنا من هنا بالصعود في طريق ضيقة وواقفة . وبدأنا نتسلق جبال جماعين فكان ممرنا في شعاب ومزارع زيتون . وكنا ننحط تارة الى وديان صغيرة ومنخفضات جزئية

انقضت علينا ساعتان ونحن على هذه الصورة غير ان الخطر كان يزداد حين مرورنا في الوديان ولكننا بقينا محافظين على الحيطة ولم نهتم بالتأخر . وحينما اخذت الشمس بالغروب توقفنا مدة بالقرب من قصبة « ياسوف » المرتفعة والمخبأة بين المزارع الخضراء . فكانت عجائز القرية متجمعات حول منبع « ياسوف » القائم على الطريق وعلى رؤسهن جرار الماء يستقين . وكان احياناً احد الرعاة الصغار يسوق بقراته الى الماء فيفسح له المجتمعون طريقاً . مررنا من امام الاحجار المتراكمة فوق بعضها . وحينما كنا نرى صغار القرويين يرمقوننا شذراً بنظراتهم الوحشية كنا نتنفس الصعداء باسم كافة الموجودات الكونيه التي لم يمكنها ان تظهر وتتجلى تماماً . وكان الظلام يرخي سدوله فيمحو من آماقنا مايحيط بنا . ثم اصبح بعد هذا ضوء القمر الضئيل دليلاً لنا فاضاء طريقنا فقط . اما المحلات البعيدة فكانت مخفية عنا تتبدل من اشجار متراكمة الى بقعات مظلمة

وبعد ساعتين سمعنا صوت الدليل مشيراً باصابعه الى محل امامنا وهو يقول قد وصلنا الى (سلفيت) فاتجهت انظارنا للاستضاءة بنور القصبه فلم نجد لها اثراً . وبعد قليل اراد دليلنا ان يسرع الى داخلها فيستدعي المختارين والاختياريه واشراف البلدة تبعاً للعادة المتبعة منذ سنين فنعناه عن ذلك وقصدنا دار الحكومة بلا ضوضاء ففتح لنا محافظان من الجاندرمه بمفتاح كبير الباب العظيم لدار الحكومة التي لم تر وجه مأمور منذ زمن مديد . فدخلنا غرفة خالية وحاولنا ان نستسلم فيها لنوم متعب تحت شعاع مختنق

— ٢ —

سلفيت

١ — منظر سلفيت وحالتها الخارجية

تقوم سلفيت بشكل قرية كبيرة ذات ابنية باسمه وسط اشجار الزيتون في الطرف الممتد نحو الغرب من جبل « سلفيت » الممتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي . وتمكن الاحاطة بالقصبة بنظرة واحدة اذ لا يمتد طول واديها الممتد من الشمال الى الجنوب اكثر من مئات من الاقدام . ولا يزيد امتداد الابنية حتى ذروة الجبل على هذا القدر فاذا صعد المتطلع الى الجهات العالية من القصبة تتراآى له مناظر البيوت السمراء المستولية عليها طبقة من النبات — كأنها كتلة احجار قد سترت بالتراب والاحجار الصغيرة . ويحيط بالبيوت جدران خربة وغير منتظمة قد بنيت من الاحجار القذرة وهي تعلو قامة الانسان . ويستدل احياناً على وجود بناء داخل الجدران بظهور شجر باسقة من داخل الدار . ويمكن تقدير ابنية هذه القصبة التي يقطنها الفان وخمسمائة شخص من خمسمائة الى ستمائة . وتتعرج الازقة الضيقة على طول ابنية القصبة المتفرقة وهي عبارة عن ركام من الاحجار الصغيرة . ومن المحال ان يعثر على فكرة حية في هذه القصبة . فلا يوجد في القصبة سوى فقدان الانتظام والاهمال وعدم الاعتناء بطرز البناء الذي استولى عليها منذ سنين . ورغماً عن حرمان هذه القصبة من يد الصناعة النفيسة فان يد الطبيعة منحتها محاسن جميلة في مناظرها . فعلوها عن سطح البحر ٦٧٠ متراً وهي مطلة من الغرب على قريتي « حارس » و « كفرحارس » ومن الشمال على قريتي « زيتا » و « جماعين » . ومن الجنوب على سلسلة جبال . وقد غرست ساحاتها بشجر الزيتون . ومنحتها المزارع والجنائن اللاصقة لها بهاء آخر

٢ — داخل سلفيت

١ — ابنية القصبة ولوازمها البيتية — ليس لابنية القصبة طرز بناء خاص ولكن الدور تشبه بعضها حسب ما هو مألوف ومرأى . والغالب ان الدار تكون ذات غرفتين واذا زدت على ذلك تكون ذات اربع او خمس غرف . وهي ذات طابق واحدة قائم حول حوض مبني من التراب اما سطح الحوض فمكشوف . ومن المتعسر ان يوجد في الدار مطبخ وغرفة من المتفعات . ويطبخون طعامهم امام غرفهم او في باحة الدار التي يجمعون فيها اكداس الحطب .

وهناك يغسلون ثيابهم ويربطون حيواناتهم . ويغلب ان يكون هواء الغرف عفناً لقلة النوافذ فيها . اما موجودات الغرف فهي عبارة عن حصير رفيعة مبسوطة وفرش متراكمة فوق سرير . وصندوق او صندوقين مبعثرين في اطراف الغرفة ومرآة صغيرة . ولقد كانوا يعلقون قديماً في جدار الغرفة ضوأ من الكاز ينير اكنافها . واما موجودات المطبخ فمحدودة وقليلة جداً وهي عبارة عن عدة صحون من الفخار . و « قدرة» وجرة ويسمونها «عسلية » وجرن ويستعملون المصنوعات الزلابية البيضاء التي تخرج من محل يدعى «محفره » في موقع « كفرلد » ويرجحونها على الاواني النحاسية لرخصها . واذا اضفت الى موجودات الدور هناك المخضات التي يستخرجون بها السمنة من الحليب ويسمونها « سقا » . وعدة اقداح « كاسات » وسريرًا وارجوحة للاولاد ومطحنة يد من الحجر — تلم حينئذٍ بكافة موجودات الدور في سلفيت

هذه هي موجودات الدور في قصبة سلفيت جميعها . ماعدا دور عدة أسر معروفة فيها فان الدور التي بنتها هي ذات طابقين ونوافذها كثيرة وقد سقفت بالاجر « القرميد » . ومما يستلفت النظر اكثر من هذه البيوت في سلفيت ابنية « دار الحكومة » و « المكتب الابتدائي » و الجامع الشريف »

اهملت هذه الابنية الثلاثة تماماً . وقد بقي بناء دار الحكومة من ايام كانت سلفيت مركزاً للناقدمية . كانت دار الحكومة بناء جميلًا مستطيل الشكل مفروشاً بالبلاط ذات خمس عشرة غرفة تقوم حول باحة لطيفه . اما اليوم فقد اصبحت بشكل غريب جداً نبتت في باحتها اشجار التين وامتلأت بالاحجار والتراب . تكسر زجاج نوافذها . ونسج العنكبوت شباكه في غرفها القذرة . حتى انهم ربطوا في غرفة منها الخيول . واتخذت غرفتان منها محلا لمنام الجاندرمه واضحت عشر غرف اخرى منها محطباً مملوءاً بالحوانات المتكسرة . ويقيم مدير الناحيه في غرفة واحدة من غرف البناء

اما المكتب الابتدائي فحسن البناء ولكنهُ مهمل ايضاً . ومن الغريب ان الجامع ليس فيهِ حصير ولم ينظف مدة . وربما ان بابه لم يفتحه احد منذ زمن طويل . . . . !

وفي داخل سلفيت اربع او خمس حوانيت لم تكلس وهي مهملة الشأن ايضاً

٢ = ازقة القصبه = في قصبة سلفيت جادة معروفة فقط تبدأ من امام دار الحكومة في منتهى الجنوب الغربي من القصبة وتمر من امام المكتب والجامع والحوانيت وهي ترابية غير منتظمة . ولكنها احسن طرق القصبة باعتبار اتساعها اربعة او خمسة امتار . وعدا عن هذا ففي القصبه عدة طرق قائمة على جادتها الكبيرة ولكنها ضيقة كطرق الماعز فلا فائدة من تعدادها

على الانفراد . وحينما تهب الارياح في ايام الصيف تقذف باتربة هذه الازقة وبغبارها الى بيوت القصبه . واذا سقط شيء قليل من المطر في ايام الشتاء تصبح هـذه الازقه بحاراً من الاوحال . وحاصل القول ان طرق القصبه بلاء عليها . وعلى كل فان سلفيت فقيرة من حيث الطرق

٣ — ماء القصبة — يستقي السلفيتيون من «منبع» يخرج في وادٍ في الشمال الغربي منها ويبعد عن قصبتهم مقدار خمس دقائق فتجيء النسوة صباحاً ومساء الى النبع وعلى رؤوسهن الجرار فيستقين منه . ويجيء صغارهم بالابقار فيسقونها منها فتتعكر مياه النبع . واذا نظرنا الى ما يغمس في النبع من اواني السقايه التي تترك هنا وهناك . وما يعود اليه من مياه الغسيل وما ينضم فوقه من الاوحال التي تحصل وما يتكون هنـاك من الاوساخ والدنس وما يحوم في تلك الناحية من الذباب لا يصعب علينا حينئذٍ معرفة حالة النبع المستكرهة . ومع هذا فان ماء النبع باعتبار اصله راق ونظيف فيتعجب الانسان من عدم ستره وحفظه . وبسبب صعوبة نقليات الماء يقتصد الاهلون جداً بصرفياته

٣ ـ الاحوال العمومية

تقوم قصبة سلفيت وهي مركز ناحية على ذروة مغروسة بشجر الزيتون وترتفع عن سطح البحر ٦٧٠ متراً وتبعد من جهة الجنوب الشرقي عن نابلس مركز اللواء ١٣ كيلو متراً . ولقـد عبّدت ثمانية كيلومترات من الطريق مابين نابلس وسلفيت وهي قسم من طريق القدس المعبده واما القسم الباقي منه فلا يزال جبالاً واودية صعبة المرور كثيرة الاخطار مما يقل ان يرى مثلها . وفي هذه الطريق البالغ طولها ١٣ كيلو متر والتي تشبه طريق الماعز عوارض وحوائل كثيره . حتى ان الحيوانات لتقطعها بصعوبة زائده . وسكان سلفيت ١٧٠٠ شخص هذا اذا لم نضف عليهم الخمسمائة شخص الذين ماتوا بالتيفوس والثلاثمائة شخص الذين جندوا . وجميع اهل القصبه مسلمون ماعدا عائلتين منهم فانها مسيحيتان . وعلى بعد ست ساعات في جنوبي سلفيت توجد قلعه تعرف باسم (رأس العين) في جوار قرية مجدل . وعلى بعد ساعة ونصف من الشمال الشرقي لسلفيت توجد في قرية (ياموق) عدة مغارات ودوائر ذات خمس او ست حجرات منحوته في الصخور ولكنها متهدمة نوعاً ما

وفي مركز الناحيه مكتبان ابتدائيان احدهما للاناث والثاني للذكور وفي الاول منهما عشر طالبات ويداوم على الثاني مائه تلميذ تقريباً وهذا مدة النفير العام . وبسبب تأخر الرواتب على المعلم منذ ثمانيه اشهر فقد صرف نظره عن فتح المكتب والتجأ الى تأمين معيشته بالبيـع والاتجار . والسبب باهمـال امر التعلم هو الجوع . ولقد بات الاهلون بحالة شديدة من السفاله بسبب

تسلط الجراد عليهم في السنه الماضيه فهم كما قال عنهم مختار القرية بحالة النزع والاحتضار . ولقد كان المختار يكرر قوله : اننا سنموت في شهر شوال من هذا العام . وبسبب اشتداد الحرارة هذه السنة لم يثمر شجر الزيتون الذي يستر القسم المهم من الناحية ويمتد من سلفيت حتى حدود القدس واما محصول الزيتون في القسم الشمالي فهو معتدل

كانت حاصلات زيت الزيتون في مركز الناحية تقدر قبل الحرب بعشرة آلاف جرة . اما شجر التين فهو اكثر الاشجار تعمياً وانتشاراً بعد شجر الزيتون

واكثر المواقع محصولاً من الزيتون في كافة لوائي القدس ونابلس قرية (اللد) في الدرجة الاولى وقرية (سلفيت) في الدرجة الثانية وقرية (قباتية) في الدرجة الثالثة

ومن العبث البحث عن شيء في سلفيت باسم الآثار العمرانية فطرق القصبة ضيقة وقذرة ولا تزال الابنية التى بقيت منذ الغاء القائمقامية عام ١٣١٧ معطلة وغير مأهولة على ان الدور التي في القصبة هي من بقايا ذلك الدور

٤ — الاحوال الاجتماعية

[١] — طبقات الاهالي . طراز لباسهم ومعيشتهم — لايمكن ان يوجد بين اهالي هذه القصبة وجميعم من المسلمين طبقات مختلفة للاهلين او طرق متنوعة في المعيشة . ورغماً عن وجود اسر معروفة في القصبة منذ مائتين او ثلاثمائة من السنين . فليس لها ايضاً خطة ارستوقراطية في المعيشة . ولكنها تعيش مرفهة اكثر من سواها . يلبس الذكور من الاهلين ثياباً (غنابيز) مصنوعة من القماش السوري مفتوحة من امامها مقطوعة قليلاً من جانبيها مخطاة من رقبتها ويلبسون فوقها اعبية تسمى (بشت) وقد اعتادوا التمنطق فوق (الغنباز) بزنار . اما رؤوسهم فيستر ونها اما بـ (عقال وكفيه) او بطربوش وبعمامة صغيرة وضيقة و يلبسون في اقدامهم احذية وطنية (مداسات) بدون قلاشين

اما نساءهم فيلبسن ثياباً تشبه اقمصة النوم وهي مصنوعة من القماش الشامي المسمى (ديما) ولونها اما ان يكون ازرق او ممزوجاً بالاحمر والاصفر و يسترن رؤوسهن باغطية بيضاء طويلة وعريضة وبالمناديل المعتادة وارجلهن تكون على الغالب مكشوفة . و يستعملن من الاحذيه (المداس)

يشتغل اهالي سلفيت عموماً بالزراعة فلكل اسرة ولكل بيت مزرعة كبيرة كانت او صغيرة فشغلتهم الوحيدة حرث مزارعهم وزرعها وجمع محاصيلهم منها . ومن لم يكن له ملك من الاراضي فانه يعمل عند صاحب الاراضي اما مقابل اجرة او على طريقة شركة المضاربة فيجمع

هوءلاء ايضاً محاصيلهم في نهاية السنه . و بناء على هذا فان عموم السلفيتيين من صنف القرويين (الفلاحين) وتتجلى حياة الفلاحين ببساطتها تماماً في سلفيت . فتجتمع كافة الذكور من ابناء سلفيت في شهري كانون الاول وكانون الثاني و يخرجون الى مزرعهم المتصلة بالقصبة فيحرثونها بكل صعوبة بواسطة آلاتهم وادواتهم العتيقة المعلومة و يبذرون القمح والشعير وامثاله وتكون النساء حينئذ جميعاً في البيوت يهيئن الطعام لرجالهن و ينظرن في شئون اطفالهن ولا تخرج النساء الى المزارع الا بعد ان يعود الرجال منها وتأخذ المزروعات بالظهور فتخرج حينئذ كافة النساء مع اولادهن الى المزارع فيشتغلن بجمع الاعشاب الطفيلية من الاراضي . وفي ذلك الوقت لايقعد الرجال خلواً من العمل بل هم يشتغلون بكشف التراب عن اشجار التين والزيتون القائمة في اطراف القصبة . و يظل الاهلون رجالاً ونساء على هذه الخطة حتى شهر مايس فيخرج حينئذ الرجال والنساء سواء الى الحصاد فيشتغل الرجال بحصاد المزروعات و يعمل النساء بجلم (حزمات) و يعاونهن في ذلك الاولاد : و بعد ان ينتهي الموسم يأخذ الاهلون لانفسهم راحة غير انهم يشتغلون في ذلك الحين اي في شهري تموز واغستوس بجمع التين وتيبيسه ومن بعد هذا بجمع الزيتون وعصره فينقضي عامهم جميعه بالسعي والعمل المتواصل . ولما كان السلفيتيون يعملون لتأمين معيشتهم ومأكلهم فقط فان مساعيهم في هذا السبيل تكون محدودة ومعينة فلا تتجاوز الدرجة المعتادة وعلى النساء الاستقاء وخدمة الاولاد وطبخ الطعام وغسل الثياب ولهذا فانهن يعملن و يشتغلن اكثر من الرجال . وعلاوة على ذلك فانهن يملن الى املاء الفراغ من ازمنتهن بصنع نوع من اغطية الروؤس (العراقي)

يأ كل السلفيتيون باكراً وينامون باكراً ويستيقظون كذلك فحياتهم جميعها عبارة عن تكرر مطرد . و يجتمع احياناً في بعض الليالي عدة من الرجال او عدة من النساء في محل واحد فتدور بين الرجال اقاصيص الابطال . اما حديث النساء فيدور حول اخبار ضرائرهن ورجالهن

اخذت الحياة البيتية في سلفيت اشكالاً موءلمة لكثرة تعدد الزوجات فيكون للرجل على الاكثر زوجتان او ثلاثة او اربعة ورغماً عن ان بعض ارباب السعة يفرقون بين زوجاتهم بالسكنى فان اكثرهم يجمعون بينهن في دار واحدة فتلد كل واحدة منهن عدة اولاد وهناك التشويش في المعيشة والاضطراب في الحياة فالاولاد يتضاربون والضرائر يتشاتمن و يتضاربن او يضرب الرجل زوجته فيرتفع الصراخ وتعلو الضوضاء . ولكن لاتلبس الزوجة ان تذهب ثاني يوم الى عملها صابرة متوكلة وكانه لم يجرِ شيء بالامس . ورغماً عن جميع هذه الاختلافات والمنازعات فان الرجال لايطلقن زوجاتهن حتى ان الطلاق في سلفيت من المعيبات . و يمكن القول بان الحاجة للعمل في المزارع والميل الى تشكيل اسرة بسرعة هما السببان اللذان عودا الرجال على تعدد الزوجات وهما اللذان

ربطا الرجال بالنساء

يخرج رجال سلفيت في ازمنة معينة الى الصيد : ولكل رجل بارودة صيد و (سترة صيد) مستطيلة الشكل مصنوعة من القماش الاسود بطول متر . ويجعل في وسط السترة شبهُ عينين وفي اسفل منهما شكل عامودي مخصوص لاخراج البارودة فينصب الصياد هــذه السترة ويقف وراءها و يخرج بارودته و يظل منتظراً بلا حراك ورود الطير حتى اذا تمكن من اصطياد عدة طيور امّن معيشته في ذلك اليوم

٢ — العادات الاجتماعية — يتزوج شبان سلفيت باكراً في مقتبل الحياة و بسبب الاشتراك بالعمل نساء ورجالاً ولاشتغال الطرفين في محل واحد حسبما تقتضي به معيشة البلاد فان اهالي القصبة جميعاً يعرفون بعضهم بعضاً ولهذا فان الراغب بالزواج من الرجال لا يحتاج لارســال من يفتش له على ابنة كما انه لايتزوج على العمياء. فاذا اعجبته ابنة ارسل واحداً او اثنين من عائلته الى اسرة البنت فيطلبها حتى اذا تم الاتفاق قرروا الصداق و يتراوح مقدار المهر في سلفيت من الفي غرش الى عشرة آلاف غرش . ويعقد النكاح بعد تعيين المهر وعلى الاكثر بعد تأديته . وعلى عقب ذلك فان الرجل يذهب الى نابلس فيشتري الاقمشة و يرسلها الى خطيبته و بعد خياطة الثياب تبدأ النساء بالاجتماع في دار البنت فيتسامرن ويقمن فيما بينهن المراقص

و بعد عدة ايام يعين يوم الزفاف فيرسل الزوج من قبله نسوة يزين العروس واما ان يركبنها على فرس او يحضرنها بذاتهن الى دار الزوج و يكون الزوج مدعواً عند اصدقائه وحينما تدخل العروس دار زوجها يدفعون اليها ابريقاً وخميرة فتصب الماء فوق الخميرة وتلصقها فوق باب الدار و بعد مدة يحضر الزوج وحده الى الدار حيث تستقبله النساء على الباب و يرقصن رقصة (الدبكه) ثم يبدأ (النقوط) فيضع الزوج على جبهة العروس شيئاً من العملة وحينئذٍ تأخذ الضيوف من النساء بالعودة الى دورهن وهناك تنتهي ليلة الزفاف. ومن العادة ان يكرم الزائرون لدار الزوج في اليوم التالي بتقديم الطعام لهم وحينما يلد للاسرة ولد يذبحون القرابين ويقيمون المراقص ولكن هذه العادة اهملت في الايام الاخيرة بسبب ضيق المعيشة و يخوفون اولاد سلفيت بمجنون يطوف عارياً في سلفيت . ومن المعتاد ان يخوف الاولاد بالضبع او بحيوان موهوم يدعى (هامه)

ومن العوائد المتبعة حتى اليوم ذبح القرابين في ايام الاعياد او حين عودة الغائب و يدعون بعضهم اليها

يختتن الصبيان في سلفيت قبل ان يتجاوز عمرهم السنتين او الثلاثة فيجيء في العام عدة من الختانين فيختتنون صبية القصبة سواء وهناك تبدأ الحفلات والمسرات العمومية فيلبسون الصبية

البسة حمراء و يزينونهم بالحلي القصبية و يذبحون القرابين وتجتمع النسوة فيغنين و يصفقن وتقام المراقص (الدبكات)

واذا توفى احد في سلفيت تسود النسوة وجوههن و يمزقن البستهن ويصرخن وتجتمع النساء حول الميت و يرمين بانفسهن عليه حتى ان الرجال ليصعب عليهم تخليص الميت من ايدي النساء حين يأخذونه للغسيل . وتسير النسوة وراء التابوت بالعويل والندب واذا كان المتوفي من المنتسبين لاحدى الطرق يقرعون الطبول امام الجنازة و بعد ان تدفن الجثة خارج القصبة يقرأون على القبر القرآن الكريم ثلاث ليال

٣ — المتنزهات والسباق — يعود رجال سلفيت مساء الى بيوتهم تعبين منهوكي القوى بسبب اشتغالهم طول النهار بحرث مزارعهم او بحصادها او بتفريق التراب وجمعه حول اشجار الزيتون والتين في قصبتهم . فلا يكاد الرجل منهم يتنـاول عشاه حتى يستلقي ويستغرق في نومه . ولهذا فان منتزهات القصبة هي محلات الشغل والعمل . وحينما تذهب النساء الى (النبع) الاستقاء يقوم ذهابهن وايابهن مقام التزهة لهن . ويصبح الوقت جميلاً في سلفيت خلال شهري تموز واغستوس . فان السلفيتيين يذهبون الى مزارع التين . ولا شيء الذ واهنأ عندهم من ان يقطف الرجل او المرأة منهم حبة التين من الشجرة ويلقيها في فمه . ويتخذ كثيرون منهم اكواخاً من اغصان الاشجار واوراقها يبيتون فيها ولا يعودون الى القصبة

ويوجد قسم منهم يمضون طول النهار في المزرعة ويعودون مساء الى دورهم . اما الاولاد من ابناء سلفيت وهم الذين لا تتجاوز اعمارهم الخامسة عشرة فانهم ينقلبون الى الطريق ما بين القصبة والنبع فيلعبون العاباً مختلفة ولكل منها اسم معين وزمن مخصوص . فيلعبون ايام الشتاء لعبة تسمى (مسحال) وهي عبـارة عن المسابقة بالقوى فيجتمع عدة اولاد ويأخذون بايديهم عصياً بحجم واحد فيمسك واحد منهم العصى من طرفها ويقذف بها على ان يصيب الطرف الآخر منها الارض . ثم يرمي آخر عصي اخرى على هذه الطريقة بشرط ان تسبق مسافة الاولى . فان اتم الثاني عمله فاز على رفيقه وربح . ولهم العاب اخرى بالاحجار على هذه الطريقة ايضاً

وعلاوة على ذلك فلصبية سلفيت العاب اخرى مثل العاب الكرة (الطابة) و(الكورة) و (الصوملمح) و (القال) وهو الرمي بالاحجار . ولقد كان ركب الخيل والمطاردة عليها من الاعمال التي يشتغل بهم كبارهم . ثم اخذت تتدنى . اما المصارعات فلا توجد في القصبة بل هي من المعيبات

ظهر من هذا ان الاعمال البدنية في سلفيت لا تتعدى سن الخامسة عشرة . ثم يبدأ دور الانحطاط والسكون بعد هذا العمر وتصبح كل رياضة عندهم من المعيبات

٥ – الاحوال الروحية

[١] – الاخلاق والطباع – ليس اهالي سلفيت بهيئتهم العمومية حديدي المزاج . فهم ميالون لطباع المسالمة والتسليم . ينسون الاساءة بسرعة . ولا يحقدون كثيراً . محبون للضيف مثل سائر القرويين . يخدمون ضيوفهم بايديهم . ولا يجلسون امامهم حرمة لهم . ويمكن ان يقال ان عموم اهالي سلفيت متمسكون بدينهم . ويعملون ليكونوا متدينين . غير ان تمسكهم بالدين ظاهري لانهم لايعرفون الدين بحقيقته . فهم لا يعملون كثيراً من لوازم الدين لانهم لا يدركون لزومها . فلا يوجد اليوم مثلاً في قصبة سلفيت اكثر من خمسة عشر او عشرين شخصاً يصلون . ويقال ان هؤلاء الذين يذهبون الى الجامع آخذون بالتناقص يوماً بعد يوم . كما ان الثبات على الاقوال بين القسم الاعظم من اهالي سلفيت غير معتني به . فهؤلاء لايثبتون على اقوالهم ويقسمون كاذباً . حتى يمكن ان يقال ان خصلة الكذب اصبحت مرضاً موروثاً بين هؤلاء . ولقد قال لنا احد الوجهاء في سلفيت :

«اننا كذابون . نحلف كذباً . فلا تصدقونا ولو اقسمنا بالله والنبي . حتى ولو حلفنا بالطلاق»

ومع هذا فانه رغماً عن ان لواء نابلس مهد الكذب فان مواقعه متفاوتة الدرجات . فبني صعب بالدرجة الاولى ثم يأتي بعدها نابلس فناحية جماعين فقصبة سلفيت . اما جنين فانها ممتازة على سواها . ومع هذا فان السلفيتيين يعتقدون بان عدم الثبات على القول وعدم المبالاة بالكذب منتقلة اليهم من نابلس . ويقول فريق منهم :

ان اهالي سلفيت لم يكونوا كذلك قبل عشرين او ثلاثين سنه . ولكن لما تحول مركز القضاء الى ناحية وارتبطت القصبة مباشرة من الوجهة الادارية بنابلس تبدلت احوالنا تماماً . فقد بذر النابلسيون بيننا بذار الشقاق وفساد الاخلاق تأميناً لمنافعهم الشخصية . فاصبح السلفيتيون لايحبون بعضهم بعد ان كانوا يعيشون كالاخوة . ثم بدأ السلفيتيون باضرار غيرهم لمنافعهم الشخصية . علمنا ذلك النابلسيون فاخذنا نتضارب ونتجارح ويقتل بعضنا بعضاً بالرصاص والبارود واخذنا نكمن لبعضنا وراء الاحجار والدور فنقتل انفسنا . ولقد وجدت الرقابة اولاً بين ابناء العم والخال وسرت الى مابين الاخوة . ثم انتقلت الى النفار وانتهت باهراق الدماء . اما النابلسيون فقد استفادوا من هذه المنازعات . فسلبوا ما عندنا بداعي انهم ينقذوننا مما نقع فيه من المهالك حتى اصبحنا اذلاء فقراء اسرى بين ايدي النابلسيين»

وفي الحقيقة ان الفقر في سلفيت امر يستلفت النظر . ولكن وقوعات الجرح والقتل وسرقة الحيوانات والذخيرة بسبب الفقر اصبحت مفقودة تقريباً منذ اعلان النفير العام . ويمكن ان يقال ان سلفيت تقضي دوراً من السكون لم يكن منتظراً وقوعه حتى الآن

ان مسائل السرقة كثيرة جداً في سلفيت بدرجة انهُ يقال في وجه السارق ان فلاناً سرق الشيء الفلاني . فيجب حينئذٍ على السارق ان يذهب الى مقام (الشيخ جلال الدين) في سلفيت ويقسم هناك . ويروى ان كافة اهالي ناحية جماعين وقريباً من القدسيين يحضرون الى هذا المقام ويبرأون انفسهم مما ينسب اليهم . ويعتقدون ان الذي يقسم كذباً في هذا المقام يصاب حالاً فتخرب داره او يموت احد اقربائه

يتألم السلفيتيون من اهالي نابلس واندهم ... ويبعد ... يتهمون النابلسيين ويراعون شأنهم اصبحوا بعد ان افتقروا لا يأتون ... ايديهم ... ولا يخفون تأثرهم منهم ورغماً عن معرفتهم هذه الحقيقة فلا يزالون معتادين اليه يرجعون الى النابلسيين في امورهم ويستقرضون منهم بالفائض . واذا حدث فيما بينهم اختلاف على اراض يرجعون في حلها الى النابلسيين .

ان بنية السلفيتيين باعتبار الاكثرية ضعيفة وقابلة الدم . ويمكن ان يقال ان رجال سلفيت الذين يعملون لتأمين معيشتهم ويقنعون بالقليل ولا يفتكرون بشيء آخر هم كسالى بالنسبة الى نسائهم . وان ميل السلفيتيين الى تكثير الاولاد هو اكثر من اللزوم . وان اضطرارهم الى تعدد الزوجات وافراطهم بالمناسبات قد ساق ... [illegible]

يبدأ الوهن والانحطاط ... [illegible]

ولكن يمكننا ان نقول ان الاشتراك ... [illegible] العلائق والمناسبات غير المشروعه . فلا يمكن ان يكون بين ... رجل ... [illegible] على انهم يمتنعون عن ذلك خشية ... [illegible] امرأة ترتكب مثل ... [illegible] والمشروبات الكحولية ... [illegible]

لم يتخذ السلفيتيون ... [illegible] اصبحت متفرقة ... لكنها يتهيأ الاهالي هنا ... [illegible] في ادوار ... ويتراكضون الى الحيوان المفترس ... [illegible] ذكره وتتداول ... مدحه مدة من الزمن

(٢) — الحالة الفكرية ... [illegible] في ... وفي طور المعيشة ... وفي الحالة

الاهالي وطبائعهم — تتجلى لنا الدرجة الابتدائية التي لاتزال عليها الحالة الفكريه في سلفيت . ويقال ان امرأتين او ثلاثة يقرأن القرآن الكريم في القصبه . اما الرجال منهم فالربع يقرأون ويكتبون بصورة بسيطة جداً . واما الطلبة الذين اخرجهم المكتب الابتدائي الوحيد باسم المعارف في هذه القصبة فاكثرهم نجاحاً هو الذي يحسن قرآة القرآن الكريم . ولكنهُ يعجز عن اتمام عمل جمع بسيط من فن الحساب . . . ولهذا فان مكتب سلفيت لا يزيل عن عون السلفيتيين اغشية الجهل . ولا يبعث فيهم شعور الانتباه والبقظه . وبسبب صعوبة الطرق الموصلة الى سلفيت وبعدها . وعدم قيام القصبة على ممر تجاري فانهُ لا ذهب ليها احد في العام اذا لم يكن سلفيتياً والذلك فان سلفيت محرومة من الانتداد . . . تنتسب القصبة دائماً من دائرة معينه ومحصورة الى مثلها . ولهذا فان القوة الفكريه في سلفيتيين ضيقة جداً . فينتهي علمهم وسائر ما يفتكرون به عند مزارعهم غير المرتبة وآلاتهم الزراعية الناقصة ودورهم غير الموافقه للصحة ومآكلهم وعاداتهم [illegible] روثة منذ سنين . ولم يمر على اذهانهم ان يستفيدوا كثيراً من مزارعهم او ان يعيشوا عيشة [illegible] حياتهم

وتضعف نسوة سلفيت يوماً بعد يوم بسبب عدم الرفاهيــة والرعاية . ورغماً عن ان هواء قصبة سلفيت جيد جداً فان اعظم الذين يعمرون فيها لا تتجاوز سني حياتهم الخامسة والخمسين . اذهم لا يعرفون معنى للنظافة وتضطر الام لا [illegible] ولدها وعدم الاعتناء به . وماذا ينتظر من الخير والخدمة من والدة تضع كل سنة ولداً ؟ وخصوصاً اذا كان الجهل سائداً في الاسرة . واضف الى ذلك سوء الغداء . فما اشد آلام هذه الحياة واكثر عذابها ! ولهذه الاسباب اصبح من المحال ان نجد في سلفيت قوة مدركة صحيحة او فكرة ثاقبة ناضجة

يجهل السلفيتيون طبعاً معنى المقدسات القوميــة كالعلم والوطن والفاداة . والحكومة في نظرهم عبارة عن مدير الناحية وعدة انفار من الجاندرمة . ولهذا فان خبث نفر من الجاندرمه وظلمه الشخصي ينتهي بتلويث الشخصية [illegible] نظر الاهالي عموماً . وبناء على ذلك فالاهلون يعتقدون ان الحكومة [illegible] لا يشبعه شيء

[٣] — الذوق في القصبة — [illegible] الابتدائية . بل ظلوا على خشونتهم . ولم يجل في [illegible] ان [illegible] التي نحتتها يد الطبيعــة لوطنهم فهم يرون ان غروب الشمس [illegible] السحابة الوردية وادمع السماء المتقطرة . [illegible] الزرع المائسه سوى واسطه لتأمين معيشتهم [illegible] . اما حاسة الشم عندهم فليس علاقة مع الروائح اللطيفه . ويتجلى الذوق على الاكثر في النساء . و[illegible] نساء سلفيت ؟

ان نساء سلفيت اللواتي لا يتركن المجرفه والمنجـل من ايديهن . ولا يتزلن الجرار عن روسهن — يسمن وجوههن بنقوش زرقاء . ويزين معاصمهن باساور ثقيلة ومنقوشه قـد صنعت من الفضه ولكنها قد اسودت لمرور الزمان عليهـا واصبحت بشكل النحاس . ويوجد احياناً على الاساور نتوآت بقدر البندقه . ويسمون هذه الاساور (سنارات) كما هي العاده في بقية المحلات . ويعلقنَ في اعناقهن ورقابهن التي لم يمسها الماء منذ سنين وقد اسودت من اشعة الشمس المحرقه حلياً تراكم بعضها فوق بعضها ويبلغ طولها متراً وتسمى (قلادة) وهذه القلادات عبارة عن خيط ربطت به ثلاث حبات من تقليد الكهرباء وقد علق بواحدة منهـا خرز ازرق مع قطع من العملة النحاسيه القديه ولا يسمع صوت القلادات ترن في اعناق النساء حتى يسمع ايضاً اصوات مثلها للحلق المعلق في اذانهن وهي عبارة عن حلقات معدنيه قد علق بها شيء من العملة النحاسيه او الفضيه

ويعلق السلفيات على ضفائرهن التي يسمينها (قرمه‌ل) شيئاً من الحـلي يدعى (برابخ) وهو عبارة عن قوس من الفضه يعلق فيه بخيوط طويلة شيء من الحلقـات المعدنيه والدراهم . ويخرج لتلك الحلى صوت من اطراف شعورهن

ويضعن على اصداغهن شيئاً من الحلى تسمى (مطاويخ) وتعلق المطاويخ على الصدغين بخيط متدل من فوق . وهي عبارة عن دراهم مربوطة بحلقات على شكل زنجير فوق صفائح فضية بشكل مدور ومبسوط وتختلط بالقلادة الاقسام التي تسقط من المطاويخ فوق الخدين والكتفين ويضاف على البرابخ (تفاحات) مصنوعة من الفضة على شكل فوانيس صغيرة وتربط بالشعر

واذا اضفنا الى هذه الحلى حلياً اخرى تسمى (زيبقه) — تلبس بالعنق وتدخل تحت الابط وهي عبارة عن شيء من الحلق والدراهم مع اسطوانة من الفضه — تعرف ان النساء ينقلن حمـلاً ثقيلاً من الزينه

غير ان هذا الجنس اللطيف الذي لايستصعب نقل جرار الماء الثقيلة فوق رأسه يحسب هـذا الحمل من الحلى خفيفاً جـداً عليه . وحينما تمر هذه النسوه بثيـابهن الوسخه ووجوههن المحترقة ورناتهن المعدنيه يفتتن الرجال بهن . واذا اجتمعت عدة من النساء ايام الاعراس او في اوقات المسرات وضربن بايديهن ورفسن الارض بارجلهن ورقصن رقصتهن المعهوده سمع لذلك صوت عظيم ورنين كبير فتتمثل حينئذٍ اصوات اجراس قافلة عظيمة . ومع هذا فان الخشونة التي تبدو على النساء تظهر اضعافها في الرجال فان الرجل يدوس احياناً على نسوته بارجله السوداء الملطخة بالترابة التي تشبه النعل ويضربهن بايديه الجافية القاسية . ومع هذا فان الرجل والمرأة يعيشان حياة مملوءة بالاستسلام

واجهل الذي يذكرنا بالقرون الاولى . ويعملان لتسكين احتياجاتهما الذوقيه المنبعثة عن العضوية الانسانية بعلاجات ثقيله

٦ - الاحوال الصحية

ان موقع سلفيت مرتفع وحسن حسب طبيعته ولكن عدم اعتناء السلفيتيين قطعاً بالنظافة وعدم اعتادهم على العلاج حين سراية الامراض وفقدان التشكيلات الصحيه — احدثت بينهم في هذه الايام الاخيرة تأثيراً كبيراً بسبب تفشي الامراض . ولا تزال الامراض الساريه العامه . والامراض الموقعية الخاصة تفتك بالسلفيتيين. لم يألف اهالي سلفيت رجالاً ونساء واطفالاً وشيوخاً النظافة والطهارة . وليس من رأيهم الاعتنــاء بها . ولم يعتادوا جميعهم على غسل ايديهم بعد الاكل . وليس في القصبة حمام . على ان السلفيتيين لايفهمون معني الاستحمام . حتى ان الانسان يضطر للصبر وتحمل المشقة اذا اراد الوقوف في جانب رجل او امرأة ليحادث واحداً منهما

يعتبرون مراعاة قواعد الصحة كافة لالزوم لها . واذا سألت اي فرد منهم عن السبب كرر على مسمعك باعتقاد تام هذه الالفاظ :

(ان جميع الامراض التي تصيبنا هي من الله . وما كتب في القضاء والقدر واقع لامحالة . فاي فائدة بعد هذا من معالجة المرض . فالذي يمرضنــا يشفينا . وان المحي والمميت هو الله . ويكفي الانسان ان يتكل على الحق تعالى) . ولكن الغريب في ذلك انهم يتظاهرون بهــذه العقيدة ويلتجأون الى التوكل امام الامراض التي يجهلون امرها . فاذا حصل مع احدهم مغص او وجع في البطن يسارعون لاكل (النعنع) ويطعمون اطفالهم بذر الخوخ معتقدين ان ذلك احسن علاج شافٍ . وهم يعتقدون ان هذه الآلام تأتيهم من البرد . اما اذا جهلوا مرضاً ولم يعرفوا اسبابه رجعوا الى عقيدتهم الاولى

ولم يخف على احد منهم اسباب ظهور مرض (التيفوس) الذي فتك فيهم في الايام الاخيرة فاودي بحياة الفين وخمسمائة شخص او ثلاثة آلاف . فاذا سئلت اي واحد من ابناء القرية عن اسباب ذلك صرح لك بما يأتي :

« ان السنة الاخيرة هي سنة بلاء فانهُ لم يبق من الفين وخمسمائة شخص سوى الف وسبعمائة وقد ذهب خمسمائة منهم الى الجندية وضربت الحرارة روٌس ثلاثمائة منهــم فماتوا . والسبب في ذلك فقدانهــم شيئاً يأكلونه . فسكان القصبة فقراء وعاجزون . ولا تحسبوا ان المرض هو الذي اماتنا . بل الذي لماتنا هو الجوع »

نعم ان سوء الغذاء يجعل في الاجسام استعداداً للامراض . ولكن ماذا نقول عن الرجل الذي يتزوج اربعة وعن المرأة التي تلد ثمانية او عشرة من الاولاد ؟ بل ماذا نقول عن توكل الذين يرمون بانفسهم على جثث الاموات باي داء كان ويبكونها . وعن التوكل الاعمى في الذين يعيشون في غرف عفنة ومظلمة بين الحيوانات ؟

لايمكننا ان نعرف مقدار الذين يموتون من الرجال والنساء بهذه الاسباب . كما اننا نجهل مقدار الذين يموتون من الاطفال حين ولادتهم . او الذين تنطفي زهرة حياتهم قبل ان يشبوا وتنمو اجسادهم . او للذين يقضي عليهم بسبب الامراض الارثية التي يهديها اليهم آباؤهم . بل لايعرف ذلك سوى الله .

لو لم تكن التولدات كثيرة في سلفيت لكان يقضي على هذه الكتلة البشرية المتروكة في زوايا الاهمال بالمحو والاندراث . ومع هذا فانه لايمكننا ان نلوم هؤلاء الجهال على اعمالهم اذا لم يتسن لهم من يفهمهم معنى الصحة ويوقفهم على التدابير الصحية . ولاعجب اذا مات هؤلاء المساكين او عاشوا بعد ان نعرف انهم لا يرون وجه الطبيب عدة اشهر ولا ينالون حبة من (الكيناء) في سنين

٧ — اللسان والادبيات

يتكلم السلفيتيون اللسان العربي الخاص بالعوام . ورغماً عن وجود مكتب ابتدائي في قصبة سلفيت منذ سنين فانه لايوجد بينهم احد يفهم اللغة التركية او يتكلم بها . ويظهر على مختاري القرية انهم يفهمون عدة كلمات من التركية بسبب اختلاطهم مع مأموري الحكومة . ولا يعثر في هذه الجهات على شخص ذهب الى محلات اخرى فتعلم التركية وعاد اليها . وبسبب صعوبة الطرقات في هذه الانحاء وكثرة الموانع وصعوبة السير اليها والسياحة فيها فان اصابع الاجانب لم تدخل اليها . ولهذا لايوجد فيها من يعرف لغة اجنبية . واللغة العربية هنا لهجة خاصة تشبه لهجة النابلسيين فيضيفون على الافعال حرف (الشين) ولكنهم لا يمدون اللفظ ويظهرون (القاف) . ويوجد بينهم شخص او شخصان واقفان على اللغة الفصحى في العربية . ويقال ان في القدس شيخاً سلفيتياً . وله عدة مدائح وغزليات منظومة ولكنها غير مطبوعة

لا يوجد في سلفيت مؤلفات تتجلى فيها روح القصبه وان تكن محررة باللغة العاميه ولكن يعثر على بعض مقطعات تتناولها الافواه منذ سنين . ورغماً عن بطلان استعمالها في غير جهات فانهم لايزالون محافظين عليها لملاءمتها لروح السكان

فالامهات مثلاً ينشدن هذه المصاريع حينما ينمن اولادهن في السرائر وفي الارجوحات تحت الاشجار في المزارع او بين الحقول او في داخل البيوت

تهليل

هللي لو يا حمامة وانفشي ريشك عليه

يا حمامة الوادي هاتي النوم لولادي

يا حمامة البستان هاتي النوم للصبيان ... الخ

وربما يشارك حينئذٍ الحمام والقمري او الطير الطائر فوق الاشجار بتغريده نغمات الامهات . وتنشد النسوة احياناً التهليلة الآتية بعاطفة دينية

الله معك الله معك

الله والنبي يحفظك

اما الاغاني والمدائح التي تنشد في الاعراس وفي غيرها من الافراح فهي ذات اشارات خاصة وتدل جميع هذه المقطعات التي تنشدها النساء على ضعف المرأة امام الرجل . ومنها

هو هو يا مرحبا بك ثمان ميه من الترحيب

ياعز الاصحاب ما يعلى عليك صحيب

ان غبت عنا العيش ما يطيب ... الخ

وبعد ان تُنشد عدة مقطعات مثل هذه باصوات عالية ترتفع اصوات النسوة دفعة واحدة بقولهم (لو . لو . لو . لو) ويسمون ذلك (زراغيت)

وقد حافظ السلفيتيون منذ اربعين او خمسين سنة على اغانٍ معروفة وهم — لا يزالون ينشدونها بشوق ورغبة

ويمكن لاي اغنية تخرج من احدى جهات سرية ويمر عليها العهد ان تدخل الى سلفيت ومن ذلك

منديلي يا يما منديلي   منديلي يا يما منديلي

منديلي طلب الفستق   منديلي طلب الفستق

يامن هو في الديوان يصدق   ابوفلان في الديوان يصدق

منديلي يا يما منديلي   منديلي يا يما منديلي

تلك الاغنية التي لا تزال تدور على الالسن منذ عشرين او ثلاثين سنة

وحاصل القول انه لا يوجد في سلفيت غير هذا من الآثار . وليس في السلفيتيين اساساً قابلية للشعر الغرامي . ولا يقرأ شيء من آثار الاقدمين في سلفيت سوى سلسلة حكايات (قصص بني هلال) الحماسية فيجتمع الرجال مساء في محل واحد ويأخذ واحد منهم يقرأ ويسمع له الآخرون فاذا سمعوا انه لم يلد للامير (رزق) من زوجاته العشرة سوى بنتين وولدا المقطوع الايدي يأسفون . وحينما يسمعون في الليلة الثانية ان الامير رزق تزوج بابنة شريف مكة (الخضراء) وجعلها زوجته الحادية عشرة ومع هذا فقد جاء طير اسود واخبره بانه سيلد له ولد اسود يحتدون ويأخذون بتفريك ايديهم . ويتحرك في انفسهم شعور الانتقام حين يسمعون ان (الخضراء) التجأت الى قبيلة زحلان واحتمت بها حين عودتها الى دار ابيها

وتنشرح صدورهم حينما يقرأون قصص الفروسية التي اظهرها الولد (بركات) المسمى (ابو زيد)

ويتعقبون بهياج وتأثر كبير اخبار الحروب التى وقعت بين الامير رزق وابو زيد ....

ولا يقرأ اهالى سلفيت سوى (قصص بني هلال) . والسبب في ذلك انه جيء بهذه القصة الى سلفيت فقرأها الاهلون فاعجبتهم لانها جاءت موافقة لاذواقهم . ومن الغريب انهم لا يُسمعون هذه القصة للنساء فهم يقرأونها على الانفراد . حتى ان الرجال لا يسمحون للقارئات من النسوة ان يقرأن شيئاً سوى القرآن الكريم . فاصبحت قصص (بني هلال) ممنوعة عنهنّ

وعلاوة على ذلك فان للسلفيتيين قصصاً وحكايات ليلية تسمى (حديته) وهي لا تتعدى وقائع العشق والخوف والشجاعة . ومأخذ هذه الحكايات الاساطير القديمة . ولكنهم اضافوا عليها بمرور الزمان قسماً من المواضيع الشخصية وحوادث سلفيت الخصوصية . وترى السلفيتيين يلقون باسماعهم الى هذه الحكايات باهتمام كبير . ويمكننا ان نعتبر كتاب (الف ليلة وليلة) من جملة المآخذ الخرافية التى يعتمد عليها في (الحديته) . ويجهل اهالي سلفيت ان منبع حكاياتهم هو هذا الكتاب . ويحق لهم ذلك لان انتقال هذه الاقاصيص من لسان الى لسان اكسبها شيئاً من الحقيقة . حتى اصبح كل فرد منهم يسمع هذه الاقاصيص باعتقاد تام وهو واثق بوقوعها وحدوثها ويعتقدون اليوم ان هذه الاقاصيص حوادث جارية وحقائق واقعة اكثر من انها خرافات مصنعة . او حكايات موضوعة . ويقال ان شيوخ القضية يستفيدون من هذه الحكايات لتربية اخلاق الشبان فيها

اما الصنائع النفيسة في القصبة فمعدومة . ولا يعثر طبعاً على هياكل او رسوم . ولقد حكم بالموت على الموسيقي في سلفيت فلم يدخل الى سلفيت لا عود ولا كمنجة ولا قانون ولا طنبور .

حتى ان الطبل والدربكة لم يدخلا اليها بل يحسبها الاهلون من المعائب . ولا ريب ان كل صوت لا يصحبه شيء من الآلات الموسيقيـة ينطفأ ويذبل . ورغماً عن رقص النساء في بيوتهن وطربهن ونشيدهن بعض الاغاني فانهن لا يتبعن في ذلك قاعدة مرعيـة او اصولاً مرتبة . وبسبب ذلك حرمت القصبة من وسائط النزهة وراحـة النفس . يتدهور سكان سلفيت القاطنين وسط الجبـال والاحراج والذين لا يرون على التمادي وجه احد في هوة من الاضمحلال فجيعة . وتجف دماؤهم . وتتلاشى اجسامهم . بل ان القصبـة باجمعها تقطع دوراً اليماً من الخراب ....

— ٣ —

ناحية جماعين

١ — قرى جماعين

قبل ان نغادر سلفيت اوردنا هذا السؤال باخلاص : هل تشبه بقية القرى في جماعين قصبة سلفيت ؟ ويظهر ان سؤالنا اثر على احد مختاري القرية المتقدم بالسن فاجابنا بلا اختيار بقوله : (هي اكثر شؤماً من بعضها) . فكان جوابه المختصر الواضح مهماً جداً في تعديل خطتنا الاستقرائيه . ومع هذا فقد كنا مصرين على المرور في قرى هذه الناحية افرادياً ومشاهدتها باعيننا فما انفع واحلى الطواف في كافة القرى التى تقع على طريقنا في خطتنا التي نجري عليها حيث بدأنا من الجهة الغربية متجهين نحو الجنوب .

هيئت لنا الخيول بعد الظهر بساعتين فركبنا من امام دار الحكومة وقد شيعنا المختار بنظرات حزينة ومبهمه . وكانت سلفيت تلتهب تحت اشعة الشمس المحرقة . وكانت شرارات غير مرئية تخرج من الاحجار والتراب الملتهب فتحرق اعيننا . وبعد ان ابتعدنا عدة دقائق عن القرية نظرنا اليها فوجدنا دار الحكومة وبناء المكتب والجامع قائمة وسط لهيب ابيض . وابنية القصبة اجمعها وسط دخان قاتم ! وجميعها تندب يتمها

وبعد قليل غابت القصبة عن اعيننا . وقد بدأنا من هنا بالمرور وسط حفرات الجبال المتشكلة من صخور صعبه . وكنا نقطع احياناً منحدرات معوجة . وهي عبارة عن ركام من الاحجار . ومضى علينا زمن انحصرت فيه انظارنا بين الجبال . وليس من احد سوانا في تلك المحلات

فما اكثر الخفايا في هذه الجبال غير القابلة للزرع والتي لم تعمل بهـا يد الانسان ؟ . كانت

الطيور الصغيرة تطير تعبة منهوكة القوى فوق النباتات والحشائش التي اخرجتها يد الطبيعة ٠ وكانت العصافير الجبلية والحمام البري الذي لم ير وجه الانسان منذ سنين يفر الى ظل شجيرة ويختفي تحتها وتظهر من جهة اخرى رتيلات سوداء رؤسها من اخاديد الصخور ثم ترجعها ٠ ولا نعلم مقدار الافاعي التي كانت تدلع لسانها فتمتص حرارة الشمس المحرقة ٠ وكلما كنا نتقدم بين الجبال كانت الحرارة تشتد ٠ وبعد مسيرنا ساعتين متماديتين اشار لنا دليلنا بيده اليسرى وقال لنا

(ان هذه الابنية البعيدة هي قرية حارس ٠ ولقد اهلكت الامراض هذه القصبة وافنتها)

ولما كانت خطتنا الجهة الغربية فلم نرغب ان نذهب الى قرية (حارس) التي ظلت في الجهة الجنوبية ٠ فواصلنا السير على الطريق حتى وصلنا لى قرية (كفر حارس) بعد ان اجتزنا مزارع الزيتون قابلنا المختارون حالاً وتألبت حولنا الاهالي ٠ فقلنا ما اعظم الشبه بين هؤلاء والسلفيتيين في ملابسهم ومشيهم رجالاً كانوا او نساء ؟ نزلنا عن الخيول وطفنا انحاء القصبة ٠ وسألنا ووقفنا على ما نريد ٠ ولقد وجدنا ان المرض محتها والجهل المطبق افناها ٠ وما اكثر النساء التائهات امام البيوت بهيكلهن العظمي ؟ والاطفال الذين استولى عليهم الدنس والوحل فسدت عيونهم وسترت وجوههم وايديهم وارجلهم وغطتهم طبقة من الذباب ؟ وكذلك الرجال الذين خارت قواهم فسقطوا لاحراك بهم ؟ اثوابهم وسخه ٠ بيوتهم دنسه ٠ غرفهم مملوءة بالدخان والعفونة ٠ فما اكثر المعلات القذرة ؟ يأخذون الدلو الملقى في جانب افرازات الابقار فيغمسونه في بئر القصبة ثم يخرجونه منها ٠ فلا يرى احد بأساً من ان يدخل فيه انفه بمخاطه ٠ وفمه ببصاقه ٠ ولحيته وشاربه بوسخهما ٠ وان يدس فيه يده بقذارتها ٠ وكنت تظهر آثار النظافة والذكاء على الوجوه ٠ وما اعز اكثر من اطفال القرية الذين يطوفون عراة وينامون عراة ويترعون بالتراب ٠ ماذا يكون لو حفظت ارواح البشر في هذه الغرية من القذارة والوسخ ٠ اسألنا اين شئت من شيوخ هذه القرية هل عندكم مكتب ؟ وكم ولد يقرأ في هذا المكتب ؟

هناك تختلف الاجوبة وتتناقض : فترد على سمعك الفاظ : يوجد ٠ لايوجد ٠ مغلق مفتوح وبعد هذه الالفاظ ٠ ثمانية ٠ خمسة عشر ٠ عشرين ٠ ثم اسكت قليلاً فيخجل هؤلاء ويأخذون بالمذاكرة والمناقشة فيما بينهم ثم يقر قرارهم على ان موجود المكتب عشرة او خمسة ... واذا تعمقت معهم بالسؤال يظهر لك ان باب المكتب لم يفتح منذ سنين ٠ وانه لايوجد طالب واحد اواه ما اعجز هؤلاء البشر وما اعظم بلاهتهم ٠ اذا سألتهم عن بعد قرية (ديرابستيه) لايعرفون فليس عندهم تصور او تخيل لتقدير البعد والمسافة ٠ بل ليس في اذهانهم رابطة بين شيء وآخر من موجودات هذا العالم ٠ وغاية الامر ان محفوظاتهم عبارة عن ذرات دخانية تدور بعجلة في ادمغتهم

ولم يخطر في بالهم ان يجمعوا ماحفظوه من تلك المواد المتشتتة ، لايعرفون مقـدار النفوس في تلك القصبه الذين لا يتجاوز عددهم بضع مئات بل هم لم يفتكروا بان يعرفوا مقدار الدور في القصبه وعلى كل حال فاننا فارقنا (كفر حارس) متأثرين جداً . وكنا نتكلم اثناء السير بجدة وتأثر عن هذا السقوط الاجتماعي وعن حالة المسلمين المساكين . ولكن كلمة من احد الرفقاء ايقظتنا ونبهتنا فقد قال : الم اقل لكم يلزم ان نسحب على هؤلاء جميعنا اشارة ضرب كبيرة ؟ نعم انهُ رأي متشاوم . ولكنه صحيح وحقيقي بشرط ان نصل الى النتيجة ونجربها ...

وبعـد مدة قليلة وصلنا غير منتبهين الى قصبة (ديرايستيه) فوجدنا آثار القواعد العمومية موجودة تماماً هنا غير ان اهالي هذه القصبه اكثر شكاية من نابلس حتى ان احدهم قال لنا :

ان الله تعالى رمى بآدم الى سيلان . وبالجنة الى اصفهان . وبابليس الى بيسان . وان اراضي بيسان هي نابلس . ولهذا فان نابلس مهد الفساد فنسأل الحق تعالى ان ينقذنا من شرها

وقال لنا آخر :

— دخل الشقاق بين اخين فاهلكت الاسرتان بعضهما . ولقد حصل ذلك باغوآت النابلسيين ومفاسدهم فنرجو الله ان يخلصنا من هؤلاء المنافقين

وكان آخر يزيد على ذلك فيقول

— فاغسل يدك اذا صافحت نابلسي

واستخرج آخر لم يكن مشاركاً لنا بالحديث النتيجة الآتية :

— اذا ازالوا نابلس من بلادنا حينئذٍ تمتلأ بالانوار

وحاصل القول ان كافة الاهالي متألمون من النابلسيين . ويظهر من هذا ان بعض المتنفذين من اهالي نابلس سحقوا اهالي ناحية جماعين . ولكن ما دام ان بعض المتمولين هم المعتدون على الناحية وهم الذين يظلمون . فلا معنى اذاً لالصاق هذه التهمة بالنابلسيين عموماً . ولا ريب ان ذلك ناشئٌ عن جمود في العقول بين ابناء الناحية . وبعد ان هدأنا تلك الدماء الفائرة واصلنا السير على طريقنا . وكان الليل قـد ارخى سدوله . واخذ البدر يضيُ تلك الانحاء . فجالت في ذهننا حينئذٍ فكرة مختار سلفيت . ووقفنـا آنئذٍ على ماجريات تلك القرى المنتشرة على ذروات هاتيك الجبال الشاهقة ورجحنا صرف وقتنا لاكتشاف غير ذلك من المجهولات لدينا . فوجهنا عزيمتنا الى الجهة الشمالية الشرقية انتهازاً وقت اعتدال الهواء ولطافته في ضوء القمر وبوصولنا الى قرية (زيتا) استشعرنا بالعفونة وفساد الهواء لدرجة انها كادت تلمس بالايدي . وكان دليلنا يكرر على مسمعنا قوله : كان في زيتا ثلاثمائة شخص فلم يبق منهم الآن سوى اربعة او خمسه

ولقد قابلنا شخص خارج القصبة فسألناه عما جرى لاهالي زيتا فاجابنا بما يأتي : (كانوا ثلاثة عائلة فاخذت العسكرية ثلثهم . وقتلت الامراض نصفهم . ولم يقدر الباقون على العيشة هنا بسبب الجوع فهاجروا الى حوران وانا نحن واقفون هنا على باب الآخرة) . ولقد اثرت فينا كلمات هذا الرجل المجهول فتقلصت منا الاعصاب . وحين مرورنا في القرية وجدناها خالية خاوية . قد تبعثرت فيها جثث الحيوانات هنا وهناك . فتجمعت حولها الكلاب واخذت تنهش منها ما تقدر عليه ولقد استولى على محيط القرية الخالية العاطلة نتن ورائحة عضويه كريهة تخرج من تحت التراب ومن بين الاحجار ومن وراء الجدران

تباعدنا عن زيتا مفضلين الفرار فكانت ادمغتنا فى حالة الاشباع حتى اننا كنا نقطع اطراف الوديان والممرات الكاسيه المزحلقه . ونصعد وننحدر ونحن صامتون لا ننبث ببنت شفة وكنا نشعر بضجيج في ادمغتنا تحت تأثير الظلام وذلك الانفراد المحزن . وبعد ست او سبع ساعات تركنا قريتي (عينابوس) و (حواره) على يسارنا ووصلنا الى طريق القدس المعبدة وحينما كنا ندخل ابواب نابلس منهوكي القوى خائري العزيمة كانت الشمس تشرق من وراء جبل (عيبال)

٢ — الاحوال العموميه في الناحية

تقوم ناحية جماعين في الجنوب الشرقي من لواء نابلس ويحدها شمالاً قضاء جنين ونابلس وشرقاً ولاية سورية وجنوباً لواء القدس الشريف وغرباً قضاء بني صعب ونابلس

يقدر طول الناحية بتسع ساعات وعرضها بستة . ويبلغ عدد نفوسها ٢١٢٣٤ وهي مؤلفة من ٤٥ قرية والقسم الاعظم من نفوس الناحية اسلام ويوجد فيها من المسيحيين موارنة وارثوذكس

اذا اردنا ان ننظر نظرة عمومية فى الحالة العمومية للناحية نجد لن سببين اصليين يلقيان بالناحية في نار محرقة من السفالة والحاجة : احدهما الجوع والآخر الامراض السارية . ان بلية الجوع العظمى التي شاهدنا باعيننا استيلاءها على كل قرية مررنا بها ناشئة عن اسباب طبيعية وغير طبيعية . اما الاسباب الطبيعة فهي استيلاء الجراد وعطل المواسم بسبب اشتداد الحر ولا سبيل لمثلنا ممن يقر بعجزه في المسائل الفنيه والصناعيه سوى التسليم امام هذه الاسباب

اما الاسباب غير الطبيعية فيفترض على الحكومة في الوقت الحاضر ازالتها ورفعها . وهذه هي الاسباب :

١ — ظلم اعيان نابلس واعتسافهم . فان الاغنياء يقرضون الفلاح اموالاً بفائض

خمسه عشر في المئة لستة اشهر . واما الجاهل المحتاج للدراهم فانه لا يفتكر بثقل الشروط اوضعفها بل غاية ما يتصوره الوصول الى الدراهم باي طريقه كانت . وبعد ان يقرض الغني شيئاً من المال للفلاح يصبح سيداً له وحاكماً عليه لان القروي الفقير الذي لا يملك سوى النذر القليل من الدخل السنوي — لا يتمكن حين حلول الوعدة من اداء الدين فيتهدده الغني الدائن بماله من النفوذ لدى رجال الحكومة فيضطر القروي اخيراً لتجديد معاملة الدين بشروط اثقل من الاولى . ومن المحقق ان اكثر اغنياء نابلس تقريباً يقرضون اموالهم سنوياً بفائض يتراوح ما بين (٦٠ و ٧٠ في المئة) ولقد اعادت مسئلة الاقراض والاستقراض طريقة الاستعباد في بلادنا الدستورية . لان القروي الذي يعجز عن تأدية الديون المتراكمة عليه يصير عبداً لذلك الغني المقرض—والغالب ان يكون الغني ظالماًوعديم الوجدان—وحباً بدوام ارضائه واستدراء رحمته يُبقي القروي لنفسه نذراً قليلاً من محاصيله الصيفية والشتوية ويقدم الباقي للمقرض الغني على امل ان يحسب ذلك من اصل الدين الذي له . ورغماً عن تكرر هذه المعاملة في كل سنة فان القروي المسكين لا يتخلص من الدين . ويكثر في نابلس عدد المقرضين الذين تتراوح ثروتهم من العشرة آلاف الى الاربعين الف ليرة بسبب معاملة الاقراض والاستقراض ولا يطلب فلاحو الناحية من الحكومة سوى افتتاح مؤسسة مالية لقرضهم اموالاً بفائض معتدل . وان البنك الزراعي لا يقوم بتهوين الاحتياجات المبرمة للقروي ما دامت شروطه الحاضرة متبعة

٢ — الجاندرمه . يؤخذ من وصف محاطبنا القروي ان الجاندرمة الدستورية هي اعظم ضرراً بالوف من الدرجات من الجاندرمة في الدور الاستبدادي. فقد كان نفر الجاندرمة في الدور السابق يأخذ ما يطلب من الرشوة بلا ضوضاء ولا جلبة ويركن الى الفرار من القرية . اما الجاندرمة الدستوري فانه يسلب الفلاح ماله ودجاجه وطعامه وشعيره . ويضربه علاوة على ذلك. ولذلك اصبح من الضروري اصلاح هذه الشيعة من محافظي الامن تأميناً لسلامة الشعب وحفظاً لراحته

٣ — فقدان الوجدان من المخمنين وجهلهم بوظائفهم—لا يمكننا ان نتصور قروياً لم يصب بضرر المخمنين وظلمهم فان كافة المأمورين الذين انتخبوا لهذه الوظيفة المهمة قد قاموا بتأدية وظيفة التخمين قبل ان تنضج المزروعات وبعد ان اتموا وظيفتهم هجم الحر على المزروعات بصورة غير اعتيادية فجف الحب في سنبله وفسد . ولم يهتم بالضيق الفاحش في التخمين كما انه لم ينظر لما اصاب الزرع من الجفاف بسبب ضربة الشمس المحرقة . فذهب المتعهدون والجاندرمه فاخذوا جميع ماحصل عليه الفلاح وسلبوا كافة ما عنده من المؤنة فملأوا بها الانبار غير ناظرين في عملهم الى

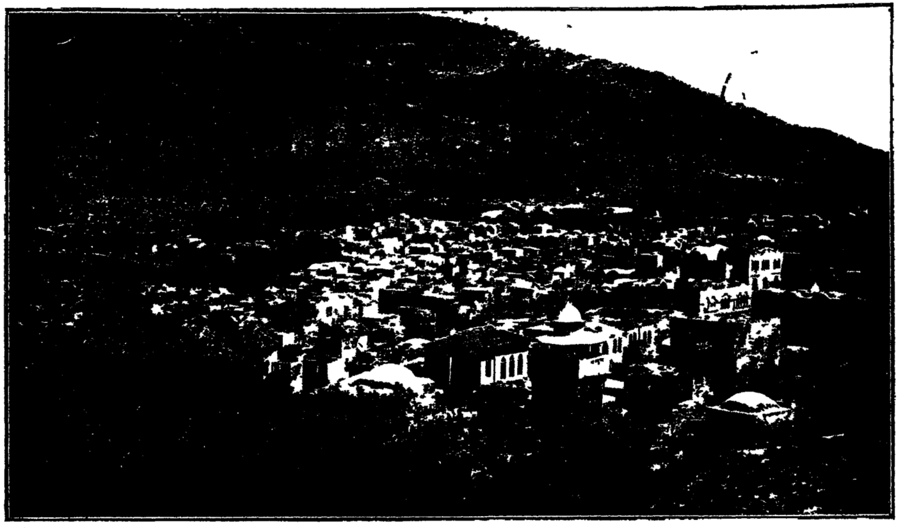
ب ١٤٠٠ متر وعرضها ب ٥٠٠ ولا يمكننا ان نحمل التناقض الغريب وعدم الاطراد في الابنية القائمة في هذه القصبة منذ سنين عديدة — الا على مجاورة ذوق التجدد المهيأ للظهور والانكشاف لتلك الفكرة القديمة الراسخة . ولكن الظاهر ان فكرة التجدد ستقلد جارتها القديمة . ومن جميل المناظر ان نرى طفل صنعة لطيف جداً يلد من هيكل عظمى دس في التراب بعد سعال مديد ادى به الى الانحلال

ويمكن ان يقال على وجه العموم ان القصبة لاتزال ظاهرة في دورها القديمه . فالدور القديمة هنا هي عبارة عن منشور حجري . نوافذها قليلة وضيقة . وسقوفها مكلسة على الغالب . قد تلاصقت ببعضها الدرجة ان الضياء والهواء لايجدان طريقاً للنفوذ فيها . ولهذا لا يمكن ان يوجد بين الدور فسحة صغيرة . او جدار . او سياج . او شجرة . حتى ان الازقة التي تؤدي الى الدور هي عبارة عن انفاق سوداء قذرة متعفنه . ويوجد بعض من الدور ذات طبقتين . وليست الطبقات السفليه سوى خرابات مظلمة ترابية . تتساقط من جدرانها المياه وغيرها من الترشحات الضارة . ولا يحسبن القاريء ان الطبقات العاويه احسن من السفليه . ولكن يوجد بين دور نابلس محلات اشادتها الثروة الجديدة بكل اهتمام . وترى هذه الدور القديمه الممتازة قد فرشت الطبقة السفلى منها بالاحجار المالطيه او بالمرمر . واقيم في وسطها حوض صغير يتدفق منه الماء الزلال وقد صنع من المرمر اللطيف . وامام الحوض غرفتان او دائرة ويطلقون اسم « ديوان » على الهيئة العمومية لهذه الحالة

اما الدواوين فهي منفصلة تماماً عن مأوى النساء ومختصة بقبول الزائرين من الرجال . واما محلات النساء فهي اما ان تكون ملاصقة للديوان او فوق غرف الديوان وللنساء مداخل لا يمكن ان يراها القاعدون في الدواوين

ومع هذا فان الدواوين وغرف النساء على شكلها وبناياتها القديمة ليست سوى اقفاص ذات ارواح او سجون خفية جعلت لتسجن فيها اجسام النابلسيين

ومن المسائل التي تستلفت النظر الاستطالة نحو الغرب او الشرق في تلك المغارات الصغيرة والكبيرة التي تشغل المحلات الوسطى من نابلس . وتوجد عدة ابنية على هذا الشكل هي اكبر من السجون ايضاً . فهي اشبه بقلعة كبيره او باستحكام عظيم ناطح السماء بعظمته وغروره فحق ان يكون ملجأ ومأوى لاحد امراء الفرنجة القدماء « شواليه » وقد كان الاعيان من نابلس يقيمون في هذه القصور الثقيلة الشكل المبنية على عدة طبقات والتي يبلغ ارتفاعها من الامتار ما يزيد على مراتب العشرات . وهي تنطق بلسان فصيح ان في كل حجر من احجار اطفالها الدور



نابلس العمومية

يسمى (كنيسة السمراء) . ومما يستلفت النظر باللطف والظرف بناء (المستشفى الوطن) الذي اشيد في الجهة الشرقية من القصبة باعانة الاهلين . اما (برج الساعة) فهو قائم امام دار الحكومة في باحة صغيرة وضيقة . وهو عار عن التزيينات وعن الصناعة المعمارية

و اما مصانع الصابون فليست اكثر من خرابات كبيرة قذرة ليس لها نوافــذ . مملوءة من داخلها بالحفر المظلمة والبراميل السوداء . وقداستولت عليها روائح الصابون وزيت الزيتون الحادة

ويبلغ عدد حوانيت القصبة [illegible] . وهي قائمة في الجهة الشرقية من القصبــة على طريقين متوازيين بترتيب وهي مطلية من داخلها بالكلس ويغلب ان تكون ابوابها من تراب واغطيتها من خشب . اما قذارتها وانحطاطها فما يستلفت النظر . ولقد كتب عليها اسماء اصحابها في تعاليق من البلور . واضيف على جميع هذه كلمة (عثماني)

[٢] — اللوازم والامتعة البيتية — من السهل معرفة قواعد الفرش في ابنية نابلس سواء كانت الدور مبنية على الطرز القديم او الحديث ويغلب على الساكنين في البيوت المحافظة على القديم . فهم يحافظون على ما تركه لهم آباؤهم ويرون الاكتفاء به والمحافظــة عليه . فطراز الفرش المتبع في عموم الشرق متبع ايضاً هنا . فترى في وسط الغرفة حصيراً او سجادة . وفوقها طراحة تقوم احياناً مقام الفراش للنوم . ومن وراء ذلك مخدتان او اكثر . واذا كانت الحالة مساعدة زادت مفروشات الغرفة مرآة او خزانة صغيرة . وعدة قناديل [illegible] و [illegible] ومبخرة وقمقماً . ويعلقون في الجدران لوحات كتب فيها شيء من الآيات الكريمة [illegible] . . . وهذا كافة ما هو متبع من الاصول بفرش الدور

ومع هذا فان الدور التي فرشت على الطريقة الشرقية لا تفقد منها آثار التجدد احياناً فترى ان المقاعد مرتفعة قليلاً . وفي الغرفة [illegible] . وربمــا يرتقون في الاتقان فيزيدون سريراً [illegible] . ولكنهم لا يدركون الفائدة المتبعة عندهم من حيث النوم والاكل في [illegible]

ويمكن تلخيص [illegible] بتفريش دور نابلس على وجه العموم بقولنا : « ان دور نابلس تحب ان تتفرنج »

ولكن يجب علينا ان نعترف بانها لا تقدر ان تتفرنج بشكل من الاشكال . اذ يظهر لاول وهلة ان النابلسيين يتصنعون ويتكلفون اضطراراً في تفريش دورهم فترى في الغرفة التي تدخل اليها خزانة بمرآة ومزهريات وكراسي طويلة ومقاعد هزازة وخوانات ومقاعد على الطرز الحديث حتى انك لتجد فيها ايضاً مقاعد ارضية . واسرة وثريات . وحاصل القول انك تجد

فيها كل شيء . لا تجد الا فرقاً قليلاً بين هذه الغرفة بما فيها وبين مخزن لبيع الامتعة . وليس الفرق سوى نظافة الموجودات في المخزن . . . وعكسه في الغرفة . والاغرب من ذلك انه رغماً عن الكلفة وكثرة المصارف في تفريش الغرف فان كثيراً من نوافذها تبقى بلا ستائر . وزد على ذلك فان مكنسة الدار تعرض شكلها على الزائرين للغرفة وهي واقفة وراء الباب . . .

واذا كان يوجد شيء من الترتيب في اصول التفريش في نابلس فهو الطراز القديم المتبع . فترى حوض الماء المبني من المرمر . ومن حوله مقاعد مرتفعة قليلاً وقد جعلت من المرمر ايضاً فيفرش النابلسيون على هذه القاعد السجاد . ويعلقون في سقف الديوان فانوساً كبيراً بزنجير . ويجلسون فوق هذه القاعد ويستعملون (الاراكيل) ذات (النباريش) الطويلة تحت اشعة ضئيلة يرسلها عليهم الفانوس المعلق . فلا ترى في ترتيب هذه المجالس تصنعاً وكلفة . وتزيد على ذلك ان النابلسيين يتغالون بملء دورهم بالاشياء والامتعة التي يشترونها وهم ميالون الى ذلك باسراف تام . ولا تقتصر هذه الحالة على الاسر الكبيرة بل هي سارية للاسر الصغيرة ايضاً . حتى انك لتجد في مطابخ اكثر الاهالين شيئاً كثيراً من الاواني النحاسيه . وهكذا لوازم خوانات الطعام . اما الاغنياء منهم فقد اصبحت هذه الحالة علةً وداء بينهم

وبهذا الاعتبار فان بيوت الاغنياء في نابلس حانوت نحاس ومخزن بلور ومعمل نجار ولايقتصر الاغراق والمبالغة في مستلزمات البيتيه . بل ترى هذه العلة سارية ايضاً عندهم في جمع الذخيرة والحبوب فانهم يجعلون دورهم انبار مأكولات . وينصرف حرصهم احياناً لجمع الدراهم حتى انهم يتباهون بان دورهم اصبحت حانوت صراف او كنز معادن واحجار كريمة

[٣] — محلات القصبة وازقتها — يوجد في نابلس ستة محلات كبرى وهي (حارة الحبلة) في شمالي القصبة وتحتوي على الدور القائمة في سفح جبل عيبال وفي القسم الواقع في شرقي الوادي . وفي منتهى الشمال من هذه المحلة تقوم دور نابلس التي بنيت اخيراً على احسن طرز صحي موافق . ويجد الداخل الى نابلس من طريق القدس في الجهة الشرقية والشرقيـة الجنوبية من القصبة (حارة القيسارية) . وهذه المحلة تأتي بعد (حارة الحبلة) باعتبار وسعتها وجسامتها

ويسمون المحلة التي تمتد من شمالي الحبلة الى جبل غاريزيم اي في الجهة الجنوبيـة من القصبة (حارة العقبة) ويطلقون على المحلة القائمة في وسط القصبة والملاصقة الوادي اسم (حارة القريون) وسوق نابلس قائم ضمن هذه المحلة . ويسمون القسم الممتد نحو جبـل غاريزيم من هذه المحلة باسم « حارة الياسمينه » . وتقوم هذه المحلة في الجهة الغربية من القصبة . والمحلات الاخيرة هي اصغر من المحلات الاولى . وتقوم دار الحكومة بين (حارة القريون) و (حارة الياسمينه)

ويطلقون على مجموع الدور في الجهة الغربية والشمالية الغربيـــة من نابلس اسم « حارة العرب » او « الشويتره » وفي قسم من هذه المحلة يسكن المسيحيون . اما السامريون فانهم يسكنون « حارة الياسمينه »

واكثر المحلات عمراناً وترقياً محلة « الشويتره » . فان الدور الكبيرة والنزل . والمستشفيات ومحلات العبادة وحديقة البلدية قائمة في هذه المحلة . اما محلات « قريون » والعقبة والياسمينه فانها اصبحت قسماً واحداً بسبب الجدران القديمة التي تصلها ببعضها . ولهذا القسم بابان قديمان احدهما في الشرق والثاني في الغرب . ويسمون الباب الشرقي « الطريق الشرقي » ومنه تبتدأ جادة القدس . ومن الباب الغربي تبتدأ « الطريق الغربية » ومنه يذهب الى قرى «المسعودية » « سباستيه » و « طول كرم » ... الخ . ومع هذا فـان الطريق الشرقى والطريق الغربي ياتقيان ببعضهما خارج البلدة على ضفة الوادي في شمالى محلة « قريون »

وفي داخل نابلس طريقان يقطعان المحلات القديمة في داخل القصبة . وفي هذين الطريقين تتجلى حياة نابلس اليومية بل حياتها الليليه . فسوق نابلس تقوم في هذه الطريق . وحوانيتها في هذه الطريق . وفي وسط هذه الطريق توجد حوانيت بائعي الاقمشة وقـد سقف هذا القسم حتى اصبح كالنفق . وتوجد طرق اخرى بالدرجة الثانية قائمة بشكل عمودي على طريقي نابلس الشرقي والغربي المتوازيين . وجميعها مفروشة ببلاط قديم ولا يزيد عرض هذه الطرق الاوليـــة على خمسة او ستة امتار . ويقال ان الطريقين المذكورتين كانتا بحالة قذرة جداً فيما سبق . اما اليوم فقد اصبحتا نظيفتين للغاية بفضل المراقبـــة من الجهة العسكرية وخصوصاً على هذين الطريقين

اما الطرق الموصلة للمواقع المرتفعة من القصبة فهي ردئية جـداً . وجميعها صعبة وذات مرتفعات وبلاطها فاسد تماماً . وخصوصاً طرق حارة الياسمينه فانها جميعها عفنة وقذرة وذات انفاق . وحاصل القول ان اكثر المحلات في القسم القديم من نابلس ردئية متلاصقة الدور قذرة الطرق عفنة المواقع . واما القسم الجديد منها فدوره مضيئة ومطلقة الهواء بالنسبة وطرقه متسعة . ولا يعثر السائر في هذه المحلات على القذارة التي يجدها في المحلات الاخرى

[٤) — ماء القصبه — يخرج ماء نابلس من منابع متعددة في جبل غاريزيم . ثم يخرج بعد مسافة قليلة من اثنين وعشرين محلاً بشكل منابع مستقلة . ولكل منبع اسم خاص به فتخرج في محلة الشويترة مثلاً «عين الصيبان » و (عين بتليمه) وفي الغرب من مقبرة السامريه عين (رأس العين) وعين (مرصرصه) وفوق محلة الشويتره (عين الكفير) وفي محلة قريون (عين القريون) وفي جوار

الثكـنه العسكرية (عين الدفنه) وفي محلة بوابه الخضرة بالقرب من الجنائن « عين العسل » وفي الجهة الاخرى « عين القوأد » و « عين الطيباوي » وهـذه اشهر المنابع . ويوجد قسم من هذه المنابع تتبدل اسماؤها بعد ان تجري مسافة قليلة فمثلًا (عين القريون) يتبدل اسمها الى « عين الصيباط » بعد مسافة قليلة . وبعد ان تجري هذه العيون في قساطل غير منتظمة او في مجاري واسعة مبنية من التراب تصل الى المحلات التى تقسم فيها . ومن هناك توزع على الدور وتنتقل من دار الى اخرى . ويوجد غالباً حوض في كل دار يصل اليها الماء . ويطلق النـابلسيون على الحوض اسم « ران » ومنه يشرب النابلسيون . اما الدور التى لاتجري اليها المياه فان اصحابها يستقون من الحياض العمومية القائمة في جهات مختلفة من البلدة . وقد انبتت المياه التي تجري في الوادي جنائن الخضر والفاكهة . ولا ريب ان المحلات الخضراء القائمـة في اطراف القصبة وفي وسطها مديونة بالشكر لهذه المياه

وبسبب تعرض ماء نابلس لسائر انواع الترشحات فانه دنس وغـير موافق للصحة ، ويقال ان البلدية تفتكر منذ مدة باستحضار ميـاه القصبة بقساطل من حديد ولكنها لم توفق الى ذلك بوجه من الوجوه

وعلاوة على ذلك فانه يوجد في بعض الدور آبار ولكن مياهـا غير حلوة . وفي بعضها (صهاريج) يملأونها بماء الشتاء ويمكن ان يقال ان مياه الصهريج هي احسن ماء يوجـد في نابلس .

٣ — الاحوال العمومية

[١] — الموقع والنفوس — مركز اللواء قصبة نابلس وهي بلدة جسيمة ومعمورة بالنسبة . قائمة في واد لطيف يتألف من جبل عيبال وجبل غاريزيم . تبعد عن بيروت ٢٠٠ كيلو متر من الجهـة الجنوبية وعن القدس ٥٥ كيلو مترًا من الجهة الشمالية وعن اسكلتها يافا ٦٨ كيلو مترًا من الجهة الشمالية الشـرقية . مياهها الجارية غزيرة . محاطة بالحدائق وهواؤها معتـدل . ترتفع عن سطح البحر ٥٧٠ مترًا . ارضها منبتة وتكثر في اراضي قضاء المركز اشجار الزيتون ومزارع الحبوب واشجار الفاكهة . حرارتها المتوسطة ١٤ درجة بحساب سانتغراد . وترتفع درجة الحرارة ايام الصيف الى ٢٨ وتهبط في فصل الشتاء الى ٧ . وترتفع درجة الحرارة في عدة ايام من فصل الصيف الى ٣٤ في الظل والى ٥٠ في الشمس

يبلغ مجموع النفوس في نابلس ٢١٠٧٢ هي منقسمة باعتبار العنصرية الى الوجه الآتي:

هذه نفوس نابلس باعتبار التحرير الذي اجرى عام ١٣٢٧

ذكور	اناث		محله	دور
١٠١٤١	١٠٠٢٧	اسلام	٦	٢٢٢٤
٢١٨	٢٠٩	روم		
٥٨	٥٠	لاتين		
٩٣	٨٧	بروتستان		
٩٤	٦٦	سامري		
١٣	١٦	يهودي		
١٠٦١٧	١٠٤٥٥			

[٣] — تاريخ نابلس — عرفت نابلس باسمها القديم سيشهم (اي الذروة) منذ ازمان الانبياء العظام . ولقد ركز حضرة ابراهيم وحضرة يعقوب و ولاده خيامهم في صحراء سيشهم . واقام شعيب مجتمعه العمومى الاخير في هذا المحل . ولقد خرجت نابلس في حصة قبيلة (افرائيم) اثناء تقسيم فلسطين . ولما عقد بنو اسرائيل مجلساً كبيراً عاماً اثناء سلطنة (رحبعام) عام ٩٣٣ قبل الميلاد وقرروا فصل عشر قبائل اسرائيليه عن ملك حضرة داود — انتخبت قبيلة (يوربعام) مدينة نابلس عاصمة للدولة الجديدة . وبعد خمسين سنه نقل « اومرى » احد ملوك هذه الدولة عاصمة الملك الى مدينة (سامره) المنشأة حديثاً . ولما نفى الاثوريون قسماً من اليهود عام (٧٢٢) ق . م وجاؤا بالاجانب لاملاء الفراغ الذي احدثه اولئك اخذ هؤلاء الاجانب عقائد اليهود وموروثاتهم تدريجاً ومشوا عليها وهؤلاء هم السامريون . وبعد حادثة الاسر في بابل لم يكتف اليهود بعدم مشاركة السامريين لهم بالمراسم الدينية في القدس بل اخذوا يهينونهم ويحقرونهم فانشأ السامريون حينئذٍ معبداً خاصاً لانفسهم في سفح جبل غاريزيم . وقد هدم « يوحنا هرقانوس » الملك السابع من ملوك سلفكيان هذا المعبد السامرى . وفي عام ٦٧ ميلاديه استولى (وسپاسيئن) احد ملوك روما على مدينة « سيشهم » وقتل احد عشر الفاً من اهاليها . وبعد انتهاء الحروب جدد بناء المدينة وسميت (فلاويانئابوليس) وتعريبها (نابلس) . وفي عام ٥٢٩ اضطرت جيوش الامبراطور (جوستينيان) لاطفاء نيران الفتنة الهائلة التى ظهرت في المدينة . وعلى اثر ذلك اغلقت الكنائس اليهودية ففرّ قسم مهم من السامريين الى بلاد العجم وتنصر القسم الآخر منهم . وفي العصر الثاني عشر الميلادي لم يكن في جميع انحاء فلسطين سوى الف سامري فكانت الاقلية

منهم في نابلس والاكثرية في دمشق . واستولى المسلمون على مدينة نابلس عام ٦٣٦ م وبقي الحكم الاسلامي جارياً في نابلس الى عام ١١٠٠ حيث جاء الصليبيون فحاصروهـا واستولوا عليها حتى انهم عقدوا فيها مجلساً روحانياً عام ١١٢٠ وفي عام ١١٨٧ استعادت جيوش المسلمين المدينة بعد واقعة حطين الشهيرة التي قام بها المجاهد المحترم صلاح الدين الايوبي . ولم يتأخر النابلسيون في العصر الاخير عن القيــام ضد باشاوات الشام وعكا . وفي عام ١٨٣٤ اعلنوا عصيانهم ضد ابراهيم باشا المصري والي سوريه فهجمت الجيوش المصريه فجأة على مدينة نابلس فنهبتها ولدبت اهلها وبهذه المناسبة جيء بشيخ البلدة حسين احمد مع اولاده الاربعة واعدموا شنقاً في دمشق

[٣] — المعارف — سنتكلم عن معارف مدينة نابلس حين الكلام بوجه العموم عن معارف لواء نابلس ولهذا نصرف النظر الآن عن بيان ذلك

[٤] — البلدية والمؤسسات الصحية والعمرانية — لا اعلم ما هو السبب ياترى ؟ اننا نحن الشرقيين لا نزال بعيدين عن فهم المعنى الحقيقي لكلمة بلديه . ان المعنى الذين نفهمه من كلمة بلديه هي انها دائرة رسمية جعلت رياستها اتقوية وتحكيم مراكز الاعيان اصحاب النفوذ او لاملاء جيوب البكوات الفقراء . لم نر في محـل من المحلات دليلاً او امارة تثبت لنا المفهوم الحقيقي او الرسمي لكلمة بلديه . فرئيس البلديه والموظفون معه يتعرفون لانفسهم بانهم موظفون يقومون بانفاذ اوامر مدير الناحية او القائمقام او المتصرف حرفياً بلا اعتراض ولا توقف . على انه لاتوجد فكرة غريبة او تصور اغرب في بلادنا من انتظار العمل او الخدمة من رؤساء البلديات . ولم نقدر ان نشاهد في كافة المحلات التي طفنا بها تقريباً المعنى المقصود في البلاد الغربيه من كلمة بلديه . ولقد تناسوا ايضاً في كثير من المحلات المقصد القانوني من تشكيلات البلديه وجعلوها مأكلاً صرفاً

ولا حاجة للبيان والتفصيل عن تشكيلات بلدية نابلس فالاقرب للعقل والتصور ان نطوف مدينة نابلس من اولها الى آخرها ونبحث عن اجرآت هذه الدائرة الرسمية وعن اعمالها المعدودة . ولا يتأثر رؤساء بلدية نابلس السالفون واللاحقون فان هذه الحالة مرض عام في الشرق . وانك لتجد هذا الانحطاط وذلك السقوط متجليين بابشع مناظرهما في كل محل وجدت فيه دائرة للبلدية من اكبر المدن الى اصغر القرى . واذا وجد شيء من الآثار المفيدة في احدى البلاد وقد انشئت باسم البلديه فانما تكون نتيجة تصورات رؤساء الادارة الذين وجدوا في تلك المحلات . فقـد كانت قصبة نابلس قبل ست سنين او سبعة سجناً لغير الوطنيين . فلم يكن فيها محل للفرجه . وليس فيها قهوة نظيفة (كازينو) يلجأ اليها اوحديقة غناء يستنشق منها الهواء فكانت البلدة غماً وكرباً ثم جاءها متصرف غيور فبذل جهده حتى انشأ حديقة للبلدية في محلة الشويتره في الجهة الغربية من

البلدة . وقد تأسست قهوة (غازينو) بالقرب من الحديقه . ولقد اهتم بمزروعات الحديقه ولكن النظافة فيها تشبه نظافة الازقة المساعدة للتنظيف ولو لم تكن باوكات التنظيف العسكرية موجودة في نابلس لما كانت القذارة في البلدة تخفى على المدقق . فاذا نظرنا في ميزانيــة البلدية التي عثرنا عليها تظهر لنا حالاً الاسباب التي تدعو لفقدان البلديات

ميزانية عام ١٣٣٢

الواردات		مصارف	
١٢٣٩٦٩	اجار العقارات سنوياً	٨٥٣٤٠	معاشات المأمورين والمستخدمين مع الهيئة التفتيشيه
١٠٠٠٠	رسوم الكاز	٥٧٢٠٠	للتنوير والتنظيف
٤٥٦٠٠	〃 الدخولية	٥٠٠٠	مخصصات الصحية
٩٨٩٥٠	〃 مختلفة	٣٠٢٠٠	〃 العجزه
١١٠٠٠	〃 الانشاآت	٦٠٠٠	〃 الزينة والمهرجانات
١٤٠٠٠	〃 الوسائط النقلية	٣٠٠٠٠	تعميرات وانشاآت
٨٠٠٠	〃 التمغا	٤٦٧٠٠	متفرقه
٢٥٨٠٥	〃 البلديه بنسبة ويركو المسقفات والتمتع	٢٥٢٤٤٠	
٣٥٥٠	〃 الرخصة		
٤٧٣٠٠	واردات متفرقة		
٢٨٧١٢٠			

تظهر غرائب كثيرة من التدقيق في هذا الجدول . فالغريبة الاولى زيادة واردات البلدية على مصارفها . وكيف تزيد الواردات على المصارف في زمن تفشت فيه الامراض السارية وفتكت فيه الحاجة والفاقة فاودت بحياة الفقراء وشعرت بلظاها ايضاً الاغنياء ? انه لامر لم يسمع بمثله في ناحية من انحاء العالم . فالموازنة مفقودة اليوم في اي بلدية كانت من بلديات العالم المتمدن لان البلديات في كل بلدة هي دولاب الاعمال بين الشعب بل الاب الشفوق على الاهلين . والبلدية ملجأ الاسر الفقيرة التي بقيت بلا رجال ولا معينين بسبب الحرب . ولا ريب ان عدم التوازن بزيادة الدخل في ميزانية نابلس هو دليل على بعدها عن الحقيقة بل هو امارة ظاهرة على ان الارقام التي ادخلت فيها قد وضعت بلا تبصر ولا امعان

والغريبة الثانية في الميزانية هي صرف الثلثين تقريباً من الاموال التي تجبى على الرواتب للمأمورين وللعجزة المنسربين للاعيان وعلى الزينة والمهرجانات وقد حرمت البلدية منها . فالاقلام التي يجب ان تصرف عليها البلدية هي التنظيفات والتنويرات والصحية والتعميرات . وهذه يصرف عليها في السنة ٩٣٢٠٠ غرش فقط . وهذا العدل كاف للاستدلال على ان البلدية في نابلس هي مؤسسة ادارية غير معقولة ولا يمكن التأليف بينها وبين احتياجات الاهالي في نابلس

...

(مستشفى الوطن) — جاء الى نابلس قبل ٢٣ سنة مبشر انكليزي واسس مستشفى في قصبة نابلس واخذ يعالج المرضى الذين يجيئون اليه فيأخذ من الفقير ٣ متليكات ومن الغني ١٠٠ بارة . وكان المرضى الذين يجيئون اليه صباحاً يدخلهم الى بهو كبير ويجبرهم على استماع مواعظه الدينية . وكان المقصد من ذلك نشر مذهب البروتستان في نابلس . وكان المبشر يغادي باكثر من ذلك لترويج مبدأه فكان يأوي مجاناً الفقراء الذين يقيمون في المستشفى ويعالجهم بلا اجرة ايضاً . وكانت الاجرة التي يستوفيها المبشر الانكليزي ايضاً عائدة لتقديره وميله ومع ذلك فقد كان جزئية ايضاً . واذا توفي قضاء احد المرضى في المستشفى يجري له اولاً جنازاً على الطريقة البروتستانية سواء كان المتوفي مسلماً او مسيحياً ثم يسلمه الى اسرته لتدفنه . ورغماً عن جميع هذه الاعمال خلال ٢٣ سنة فان مرأة واحدة من الاسلام هي التي تركت دينها ودخلت في البروتستانية . وقد وجد الانكليز الذين لا يعرفون الملل والسآمة ولا يتأثرون من مثل هذه الاحوال ان يتوسلوا بوسائط اخرى لترويج مساعيهم مثل زيارة ارباب الثروة والارتباط مع ارباب النفوذ وقد نجحوا كثيراً في مسعاهم هذا . ولكن النابلسيين احسوا اخيراً بلزوم الاجتماع ضد هذه الدعوة للديانة المسيحية والمدافعة عن دينهم بالسلاح الذي يحاربهم به الانكليز فدفعتهم الحمية الوطنية للاتفاق على تأسيس مستشفى وطني . فبدأوا بجمع الاعانات وانتهوا من بناء المستشفى في اربع سنين وتم افتتاحه قبل ست سنوات وثلاثة اشهر من هذا الوقت . وقد خصصت لمصارفه الدائمة رسوم الدخوليه تماماً ونصف رسوم الذبحيه . وبذلك تم لهم الحصول على ٨٠٠ ليره من المورد الاول وعلى ٢٠٠ ليره من المورد الثاني . وفي اليوم السابع من شهر مايس سنة ٣٢٦ جرت حفلة الافتتاح للمستشفى فجمعت في ذلك اليوم ٣٠٠ ليرة على سبيل الاعانة . وعلاوة على هذه الواردات الآنفة فان للستشفى يستورد سنوياً من ٨٠٠ الى ٩٠٠ ليرة من الاجور التى تستوفي من المرضى

يقوم بادارة امور المستشفى الادارية لجنة مؤلفة من عشرة اشخاص تحت رئاسة رئيس البلديه

ويقوم بالادارة الفنية للمستشفى احد اشبان المقتدرين وهو نور الدين بك الكريدي المتخرج من طبية العاصمة وقد استخدم قبلًا في طبابة بيروت وحلب واللاذقية . وفي مستشفى نابلس اليوم ٦٠ سريراً وقد كانوا اوصوا قبل الحرب على ٣٠ سريراً ودفعوا نصف ثمنها سافاً . وبسبب اعلان الحرب العام لم يمكن وصولها الى نابلس . ان الدكتور نور الدين بك طبيب بكل معنى الكلمة غيور همام ونطاسي ماهر . وبفضل ما ابرزه من الاقتدار والمهارة اصبح المستشفى في حالة حسنة جداً . واصبحت مساعي الانكليز وتبشيراتهم عقيمة منذ زمن مديد قبل اعلان الحرب العامة فكان الذين يرجعون الى المستشفى [illegible] من ٣٠٠ الى ٥٠٠ فتنازل عددهم بعد ظهور الانتظام في مستشفى الوطن الى [illegible] الستين والثانين . وترى الجميع معتقدين بانتظام المستشفى الوطني واقتدار طبيبه فيرجعون اليه في معالجة امراضهم بلا تردد ومن الادلة الحلية على اثبات مدعانا الاحصاء الآتي :

١ — المرضى الذين دخلوا المستشفى الوطني

العام

	١٣٢٦	١٣٢٧	١٣٢٨	١٣٣٠
نساء	٧٣	١٧٤	١٨٥	٤٣٢
رجال	١٦٤	٣١٣	٤٠٨	[illegible]
نابلسيون	٥	٥٠	١٠	[illegible]
قرويون	١٧٢	٣٣٧	[illegible]	[illegible]

٢ — النتائج [illegible]

العام

	١٣٢٦	١٣٢٧	١٣٢١	١٣٣٠
شفاء تام	٨٦	١٦٩	٢٢١	٤[illegible]٦
اصلاح حال	٥٧	١٥٤	٢٢٨	[illegible]٣٩
البقاء على الحالة	٣٠	٤٣	٧٠	١١٣
وفاة	٧	٢٠	٣	٥٠

٣ — عدد الذين دخلوا مستوصف المستشفى الوطني
عدد البطاقات والكشفيات
العام

	١٣٢٦	١٣٢٧	١٣٢٨	مجموع الثلاث سنين
فقراء	٦٩٠٧	٨٢٤٢	٧٠٦٧	٢٢٢١٦
اغنياء	٥٤٩٣	٦٩٣١	٧٠١٧	١٩٤٤١

[٥] — الصنائع — ان المعروف من الصنائع في نابلس هو صنع الصابون من محاصيل شجر الزيتون التي تملأ القسم الاعظم من اراضيها يوجد ٢٩ مصبنة منها ٢٣ مصبنة كبيرة وستة صغيرة وهي تصنع في كل موسم ٤٠٠ طبخه

ويكثر صنع الصابون ويقل بنسبة قلة زيت الزيتون وكثرته . وهم يضعون في كل طبخه ٢٥٠ جرة من الزيت وبحساب تقريبي يبلغ محصول زيت الزيتون العام في قضاء المركز ١٥٠ الف اقه باعتبار ان الموسم يبلغ مائة الف جرة وكل جرة [illegible] اقه . ويقرّ شجر الزيتون سنة ويسمى ذلك الموسم (الماسيه) ويحمل سنة اخرى ويسمى (شلتوني) اذا لم يظهر الجراد ولم تشتد الحرارة في موسم الصيف حينما يكون الزيتون على زهره واذا لم تمطر السماء بصورة غير منتظمة وبدرجة غير كافية قبل تفتيح زهر الزيتون — يكون الموسم في ذلك العام قليلاً . وفضلاً عن ذلك فان السنة التالية للاقبال لايكون موسم الزيتون فيها بدرجة كافية رغماً عن اسعاف الطبيعة له (ويغلب ان يكون المرسم في تلك السنة بنسبة ربع اساس الموسم الجيد)

ويتكرر صنع الاربعمائة طبخه من الصابون في كل عام في نابلس . فيصنع منها ١٦٣ طبخه لاسرة بني النابلسي و(٧٠) طبخه للمصريين و(٥٠) للزاريين و(٢٥) للشكعويين و(٢٠) الاغوات و(١٢) للتميميين و(٢٠) [illegible] . وفضلاً عن ذلك فان بني عاشور يصنعون (١٥) طبخه وبني اسناط (٢٠) و[illegible] (١٥) طبخه

وان الصابون المصنوع من الزيت [illegible] يكون اكثر بقاء . ويتم صنع الطبخه واستحضارها في ثمانية ايام . اما الصابون المصنوع بالنطرون فانه يكون اقل بقاء ويمكن اتمام الطبخة منه في ثلاثة ايام . وقد كانوا قبل خمسة عشرة سنه لايصنعون الصابون [illegible] المعادن الاتية (القالسيوم) ولكنهم اهملوا هذه المادة الابتدائية تدريجاً واخذوا يستعملون محلها النطرون الرخيص

مصرف طبخة الصابون

ليرة	
٢٥٠	ثمن ٢٥٠ جرة من الزيت (في الايام المعتدلة)
١٣	ثمن خمسة او ستة براميل من النطرون
٢٫٥	اجرة نقل النطرون من يافا
٤	كلس
١٠	بزر الزيتون (الجفت وهو الذي يستعملونه عوضاً عن الحطب)
٦٫٥	اجرة الفعلة
١	مصارف متفرقة
٢٨٧	

فيكون مصرف الطبخة ٢٨٧ ليرة وهي تعمل من ٢٠ — ٢٢ قنطار صابون فاذا قدرنا ان ثمن القنطار من الصابون في الايام العادية ١٥٠٠ غرش تبلغ قيمة الطبخة من ٣٤ الى ٣٥ الف غرش ويكون الربح الوسطى منها من ٥٠ الى ٨٠ ليره . ورغماً عن جميع هذه التقديرات فان ارباح الصابون تزيد وتنقص بنسبة معرفة ارباب المصانع ومهارتهم اوجهلهم بادخار المواد الابتدائية ولا يقل كثيراً من الاوقات ربح بعض الاغنياء عن مائة ليره في الطبخة

ورغماً عن كثرة اشجار الزيتون في نابلس فانــه من الامور التي تستلفت النظر انهم لا يصنعون في نابلس التي يكثر فيها صنع هذا الصنف انواعاً ظريفة من الصابون السهل الاستعمال مثل الصابون ذي الريحة اللطيفة اوالصابون الغودروني او الكلسريني وامثـاله من صابون الزينة . ولقد اراد محمد افندي النابلسي احد اغنياء نابلس تجربة ذلك فصنع كمية من الصابون ذي الرائحة وارسلها الى سوق استانبول ولكنه خسر بسبب غلائها وعدم ظرافة شكلها فصرف نظره عن العودة لمثل هذه التجربة

وان الآلات والادوات التي يستعملونها في مصابن نابلس لا تزال ابتدائية وعلى شكلها القديم فلا يمكن ان تجاري مصانع اوربا بصنع صابون الزينة اللطيف وامثاله . ولو افتكر واحد او اثنان من اغنياء تجار الصابون في نابلس الذين تبلغ ثروة الواحد منهم من ١٠ — ١٥ مليون غرش وارسلوا اولادهم الى اوربا ليتعلموا هذه الصناعة ثم سعوا بتحسين حالة المصابن النابلسية وادخلوا فيها الآلات والادوات اللازمة لكانت ثروتهم تزيد مرة او اثنين عما هي عليه . ولقد قنا

مما يلزم من التشويق اثناء سياحتنا فوعدنا عشرة من الاغنيـاء بارسال اولادهم عقب الصلح الى المانيا وفرانسه وبلجيكا . ولا ريب انه اذا ظهرت هذه الفكرة من حيز القوة الى حيز الفعل وبسبب اعتياد الاهلين والتهم لصنع الصابون تنمو ثرواتهم وتزيد الثروة العمومية ايضاً بهذه الواسطة زيادة مدركة

٤ — الاحوال الاجتماعية في نابلس

[١] طبقات الاهالي وطرز العيش — يمكن تقسـيم اهالي نابلس باعتبار الدين الى ثلاثة اقسام مسلمين ومسيحيين وسامريين . ولكل قسم من هذه الاقسام عادات معروفة . ولكن قلة المسيحيين والسامريين الذين لا يتجاوز عددهم الالف لا يجعل تأثيراً لهم في الحيـاة العمومية الا بهذه النسبة . فيجب ان ننظر الى مدينة نابلس بنظر عمومي انها مدينة اسلامية

ومع هذا فان الطبقات التي تتجلى بين المسلمين بخصوصيات معروفة لكل واحدة منها — يمكن حصرها في طبقات ثلاثة : طبقة الخواص . طبقة العوام . طبقة الجبالية

ثم يقال طبقة الخواص في نابلس يتبادر الى الذهن قبل كل شيء « المال والثروة » والاولى ان نسمي [illegible] صاحب ثروة » [illegible] نسميهم بالنبلاء « الخاندانات » . وهؤلاء طائفة ترد [illegible] منذ مئات من سنين اقتسموا فيما بينهم اراضي المقاطعات حتى انهم [illegible] بينها ما بين شرقيـه وغربية وطالما جرت بينهم وقائع ومخاصمات بسبب ذلك . فهؤلاء هم الذين يطلق على اولادهم اليوم عنوان « خاندانات » ومع هـذا فانه يوجد في نابلس اسر كانت درجة نفوذها محدودة بالنسبة لاولئك ولكنها استوطنت نابلس وجعلت لنفسها شهرة ومقاماً وهذا القسم هو اكثر احتياطاً ومحافظة على القديم

ورغماً عن المعاصرة بين طبقة الخواص لبعضهم بسائق محافظة النفوذ واعلاء الثروة فانهم انقسموا الى قسمين كبيرين — كما سنأتي على بيانه وشرحه فيما يلي :

ولكن هذا الانقسام ظاهري لانه مرتبط بمنفعتهم . وعلى كل فان الوثوق بعدم تبدل مراكز هذه الاسر بعد مدة لسائق تبدل المنفعة هو من البساطة وصفاء القلب . ويمكننا ان نقول انه لا ريب بان بعض هذه الاسر منحازة لاحد الطرفين حفظاً لمراكزها من الاعتداء والتجاوز

وتتنوع البسة الزعماء في هذه الاسر بنسبة التنوع بينهم فيكتسي احياناً بعضهم الكسوة العلمية ويكتسي القسم الآخر وخصوصاً الشبان منهم على وجه العموم البنطلون والجاكت

وتعتمد طبقة الخواص في معيشتها على الزراعة والتجارة والصناعة فيزرع طبقة الزراع منهم الاراضي التي يملكونها بواسطة (الفلاحين) ويتداخلون كثيرًا في مسائل الالتزام . وفي حقيقة الامر انهم يأخذون جميع ما يحصل من الارض وما يستغل منها كثيرًا او قليلًا . اما الذين يشتغلون بالتجارة فان القسم الاعظم منهم يشتغلون بتجارة الحبوب وبضائع الالبسة « المانيفاتورة » . وان اغنى الطبقات في نابلس هم التجار الذين يشتغلون بصنع الصابون وبيعه. ويغلب ان يكون المشتغلون بالتجارة والصناعة والزراعة مختلطون . فالمشتغل بالزراعة يصنع احياناً الصابون لحسابه ويبيعه . ويشتغل ايضاً في كثير من الاوقات باقراض الاموال . فان الادانة في نابلس مسئلة مؤلمة جدًا وان اكثر شكايات القرويين من هؤلاء المرابين . وعلى كل حال فان الذين يملكون الوف الليرات باملاكهم واراضيهم وثروتهم وكذلك الذين تكون وارداتهم السنوية الوفاً من الليرات هم عدد قليل في نابلس وهم على الاطلاق من طبقة الخواص

وبسبب توسع طبقة الخواص في معيشتهم فان كل شيء في دورهم كثير ووافر . ولا يمنعون شيئاً عن انفسهم . غير ان الذين يشتغلون بالزراعه هم اكثر ولا ريب اتساعاً في معيشتهم من المشتغلين بالتجارة. وبالنظر لقلة اشغال هؤلاء فان المحافظين على العادات القديمة في نابلس وهي حياة « الديوان » هم افراد هذه الطبقة من الخواص . فترى دورهم مفتوحة ليلًا ونهارًا لقبول الزائرين والضيوف

ولم تكن القهاوي في القديم معروفة في نابلس ولذلك كانوا يقضون اسمارهم في هذه المجتمعات المسماة (سهره) . ولكن افتتح في الايام الاخيرة قهوتان او ثلاثة . واسست حديقة للبلدية في الجهة الغربية من القصبة في محل ممتاز بنظارته ولطف موقعه فتباعد بعض النابلسيين وخصوصاً شبانهم عن حياة (الدواوين)

ورغماً عن ثراء صنف الخواص بهذه الدرجة فانك لا تزال تجد في طرز معيشتهم احوالاً ابتدائية . ومن العبث ان تجد في داخلية دورهم وفي معيشتهم وفي مأكلهم وفي ملبسهم انتظاماً وترتيباً . حتى ان بعض شبان هذه العائلات الذين يتعلمون خارج نابلس لا يحبون العودة اليها باي وجه كان . واذا عادوا اليها فانهم لا يميلون بوجه من الوجوه لاتباع هذه الخطة في حياتهم ومعيشتهم ولهذا يمكننا ان نخمن عدد الشبان الذين تركوا نابلس لهذا السبب بثلاثمائة شاب

اما نساء هذه الطبقه فانهن يعشن بصورة يحزن لها القلب . فخروج النسوة من ابناء هذه الطبقه الى الازقـة من الممنوعات فهن يقضين كافة اوقاتهن في تلك الدور الواطبة . ولا يزلن محافظات على زينتهن الاولى . ويمكن ان يقـال انصرفيات (البودره) و (الراستيق) عظيمة جداً . ولم تصرف النساء العجائز والشابات نظرهن عن تخضيب ايديهن بالحنـاء حتى الآن . ومن الغريب ان هؤلاء النسوة المخضبات ايديـن بالحناء يملن الى تزيين شعورهن على الطراز الافرنجي . ولا شك ان علاقة نسوة نابلس (بالموده) منحصرة باذواق عدة من خياطات نابلس

اما الطبقه الاسلاميه الثانيـة — فهي صنف العوام ومدار معيشة هؤلاء على مهن العملة وقلع الاحجار وبيع الخضر وامثالها من الاعمال الصغيره . ودورهم التي يسكنونها وحوانيتهم التي يعملون فيها عبارة عن اكواخ . ويلبس هؤلاء على الغالب نوعاً من الالبسة المساة (قنباز) وهي مصنوعة من الاقمشة الوطنية مشقوقة الجانبين بشكل مثلث ومفتوحة من امامها وقد التف قسم منها على القسم الآخر ويلفون فوقها زناراً بعرض خمسة عشر سانتياً . وفوق ذلك عباءة او رداء (جاكت) . ويغلب ان تكون ارجلهم عارية . لا لبس القلشين غير معتاد عنـدهم ويلبسون نوعاً من الاحذية الوطنية تسمى (مداساً) . ويسترون رؤسهـم بالطروش احياناً وبالعمامة اخرى

معيشتهم ضيقة جداً . وليس لهم عند صنف الخواص اهمية مطلقاً . ويرى الخواص ان من صلاحيتهم وحقوقهم استخدام صنف العوام باي مهنة كانت . ويرى كل فرد من العوام ان انتماءه لاحد الخواص نعمة لاتقابلها نعمة

اما الطبقة الثالثة — فهم الجباليون وهؤلاء يقطنون محلة القيساريه شرقي القصبه واصلهم من محلة « جباليه » في غزه . ولايوجد في نابلس طبقة احط من هؤلاء فنساؤهم لايحتجبن . وبالنظر لالبستهم الممزقة ومهنهم الخسيسة كالتسأل وامثاله فان النابلسيين يسمونهم « نَوَرَاً » ويرون ان ضربهم وشتمهم مباح لديهم ويقـال ان عددهم لايزيد على ثلاثمائة . وبزيادة الامالة في لهجتهم يمتازون عن صنف العوام

اما المسيحيون القاطنون نابلس — فيشتغل اكثرهم بصناعة الحدادة والصياغـة . وبسبب فقرهم لايوجد في بيوتهم الاشبه ترتيب ونظافة . ومع هذا فلا يمكن ان يوجد بين الناشئين منهم ايضاً نهضة عالية من جهة العلم . ومن الغريب ان نساء هؤلاء المسيحيين يحتجبن حين مرورهن في الاسواق . ولا يرضى النابلسيون بان يخرج نساء سائر العناصر مكشوفات ما لم يكن اجنبيات

واما السامريون — فيجب ان ننظر الى هؤلاء بانهم اتعس خلق الله في نابلس حياة ومعيشه · فقد افسد الفقرة والحاجة بنيان الحياة فيهم · حتى ان الاهانة والطعن والتحقير الذي يرونـه من النابلسيين حتى من صغارهم اورثهم في انفسهم حطة صغاراً بعيـدين عن الوصف · ولا تخرج النساء السامريات الى الازقة مكشوفات تبعاً لعقيدتهن (١)

[٢] — العادات والحالة الاجتماعية = « مسائل الزواج » تفترق طبقات المسلمين عن بعضها في مسائل الزواج افتراقاً محسوساً · ولهم في ذلك حالات خصوصيه · ولقد كانت العادة في نابلس ان الاسر المعروفة بشرفها في نابلس لاتزوج الا بعضها ولا يمكن لاحد ان يتزوج بابنة شريفة الا اذا كان من تلك العائلات · حتى لو كان غنياً وصاحب ثروة فلا يحق له ان يأخذ ابنة احـد الاسر المعروفة النسب ما لم يكن هو معروف النسب منذ مائتين من السنين · وكانوا يراعون هذه العادات مراعاة تامة · وكان الغلو يشتد احياناً بينهم حتى ان بعض الاسر كانت تحصر تزويج بناتها بافرادها الذكور فقط فكانوا متمسكين بتقاليدهم ومحافظين عليها شديد المحافظه · ولكن [illegible] الغنى والثروة قام مقام الشرف في المدة الاخيرة · فاصبح للغني حق بان يأخذ ابنة اية اسرة كانت من الاشراف · ومن غرائب مظاهر الغنى التي تتجلى [illegible] الاسر [illegible] تمنع تزوج بناتها لاحد اذا لم يكن في الاسر [illegible] يمكن [illegible] تزويج [illegible] رجل باقي وذلك خوفاً من ان تخرج ثروة الاسرة الى خارج محيطها العائلي ولقد حدث كثيراً [illegible] هذه البنات يتزوجن من رجال متأهلين من الاكفاء لهن خشية الوقوع بعد خروج الثروة الى اسر لاتليق بها ان تتداركها بثروتها

ومع هذا فان العادة الظاهرة الاتباع هي تزويج افراد كل طبقة من بعضها فالنابلسيون يراعون هذه التقاليد تمام المراعاة · ولا يلبث الثري ولو كان من طبقة العوام ان يصبح حالاً من طبقة الخواص بفضل ثروته

ولا تظهر طبقة العوام صعوبات في مسألة الزواج · فلا يتفكر الواحد منهم باقتداره على اطعام زوجته واولاده بل يسرع حالاً بالتأهل · وقد شوهد كثيراً ان الرجل الذي لا يملك في الشهر اكثر من مائة غرش يتزوج ويطلق ثلاث مرات او اربعة · ولا يخلو بيت من اسرة مكلف باعاشتها · ويزوجون احياناً شابة برجل بالغ الستين طمعاً بثروته · فيقتلون حياة البنت ويفقدونها نضارة الوجود

اما طريقة الزواج — فليس [illegible]

---

(١) وسنبين ماوقفنا عليه من التحقيق عن السامريين فلا لزوم لاعادته هنا

الثانية لليلة السمر « السهره »

فطبقة الخواص يقيمون ايام العرس اربع او خمس او عشرة مآدب عمومية . وللنساء فوجان من المغنيات المسلمات اللواتي يضربن بالعود والقانون والدف والدربكة . فيغنين ويعزفن على الآلات . ومن العادات ان تتغنى النسوة اللاتي يجتمعن في دار العرس بالمدايح المعروفة ويصرخن عقبها باصواتهن « لو . لو . لو . » . ومن العادات ايضاً ان ترقص الفتيات ليلة العرس

وتبقى قريبات العروسة ثلاثة ايام ضيوفاً في بيت العرس . ومن العادة ان يهدي اقرباء العريس للعروسة هدايا تسمى « نقوطاً » واذا كان للعروسة أب يزورها بعد ثلاثة ايام من ليلة العرس . ويأخذ لها هدايا وحلويات . ومن العادات الاولية ان ترسل للعروسة هدايا في ايام الاعياد

وتزيد مصارف الاعراس العظيمة في نابلس على مئات من الليرات . واذا اضفنا الى ذلك مصارف المهرجانات وغيرها فلا يقل مصرف العرس عن الف ليره

وللنابلسيين ميل شديد للاستيلاد . ومع هذا فانهم يرغبون الصبيان اكثر من البنات . وهم يتزوجون مراراً املاً بالحصول على هذه الغاية . وتجري مراسم الختانة في نابلس بلا جلبة ولا ضوضاء قبل ان يتجاوز الطفل عشرين يوماً من عمره

« حياة العائلة » — اعمل جهدي هنا لاشرح حالة مرض اجتماعي اصاب حياتنا الاجتماعية عموماً في الشرق وقد تجلى لنا تماماً اثناء التدقيقات التي اجريناها اخيراً في نابلس . ولا ريب ان بياناتي هنا ذات ماهية علمية عامة : ان حياة العائلة في نابلس تتجلى بمظاهر مؤلمة جداً فيمكننا ان نقول انه ليس للمرأة هنا حكم او تأثير مطلقاً اسوة بباقي الانحاء من بلادنا فيحبون حرمان كل شيء لهذا المخلوق الذي لا يريدون ان يخرج من بطون الامهات الى هذا العالم . ومن الواجب ان يكون تعليم الابنة ناقصاً . بل اي حاجة تقضي بتعليم المرأة . ولو فرضنا انهم احسنوا اليها وادخلوها احدى المكاتب فانهم يقيمون سداً في وجه تعليمها بعد ان تتم ختم القرآن الكريم . فيخرجونها من المكتب قبل ان تتعلم جمع الاعداد البسيطة بصورة تامة . وتبقى الابنة في البيت الى الخامسة او السادسة من عمرها وليس لها من الاهمية شيء وينظر اليها بكل اشمئزاز وعدم اعتبار لانها ابنة . وخصوصاً اذا كانت سبباً لدخول ضرة على امها في البيت فان حياة البنت تصبح حينئذ نقمة زائدة عليها . فتضرب وتصفع ولا يمكنها الفرار من الدار الا بصعوبة زائدة وترى البنات اللواتي يفررن من بيوتهن على هذا الشكل يخرجن الى الازقة فيلعبن مع

رفيقاتهن بالطين والتراب وحينما يقبل المساء يجتمعن صفوفا ويأخذن بالرقص في الاسواق وبترتيل الاناشيد والاغاني. وفي ليالي رمضان يطفن المحلات محلة محلة وفي ايديهن الفوانيس والاضواء. ولا تتخلص البنت في الدار من ضرب اصغر صبي ومن اهانتـه لها. وهي مضطرة لان تتحمل ذلك بالرضاء والقبول. واذا خرجت من الدار تبقى ايضاً محكومة بالصبر على اهانة صبيان المحلة وضربهم وصفعهم لها. وهي تتحمل كافة الالعاب. فاذا ادخلت في السنة السادسة من عمرها اصبح خروجها لظاهر الدار امراً ممنوعاً مطلقاً. ويحكم عليها بان تتنشق الهواء الراطب المتعفن المظلم وهي في دارها. واذا تيسر لها الخروج من الدار في السنة مرة صحبة والدتها فمن القواعد المتبعة ان تطرق البنت رأسها في الارض ولا تلتفت لجهة من الجهات. وبعد خمس سنين او ست ترسل هذه البنت المسكينة التي لاتعرف من العالم سوى تعداد احجار الازقة الى دار غريبة عنها تماماً تجهل فيها كل شيء فتصبح هناك آلة للولادة وخادمة للرجل وجارية للحماة ولابنه عمها. وتجبر تلك المرأة الصغيرة التي القيت بين ايدي الاغراب على ان لاترفع صوتها بالشكوى لا من حالتها ولا من دارها الجديدة ولا من زوجها. ولا سبيل لها الا الرضاء والتسليم بحياتها كما هي. ومع هذا فانه لو فرضنا انها تحملت كافة هذه المشاق. ولم تعرف لنفسها قصوراً او هفوة فانها لاتلبث ان ترى في يوم من الايام ضرة تشاركها في حياتها. فينفد حينئذٍ صبرها وتبدأ بالشكوى والتزمر من حالتها التعيسة فيختلط الحابل بالنابل ما بين حماة وابنة عم وزوجة اولى وزوجة ثانية ورجل واولاد الزوجات المختلفات. فتصبح تلك الدار حينئذٍ دار عذاب. وتبـدأ حياة المرأة بالذبول ويذهب عمرها ضحية. ومن العادة في نابلس ان لايهتم بمرض المرأة. حـتى انه ليس من العادة عندهم ان يستحضر طبيب او يشتري علاج للمرأة اذا مرضت فان اشتد المرض استحضروا الطبيب مرة او مرتين ولكن الزمن الذي يمكن للطبيب فيه انقاذ حياة المرأة يكون قد مضى فتذهب تلك المرأة المسكينة تاركة وراءها اطفالاً بحالة يرثى لها. على ان تلك المرأة تكون قد تماسكت بالحلقوم مع اولادها وهم اطفـال. تموت المرأة فلا يهتم الرجل لوفاتها. وفي اليوم الثاني يذهب فيتزوج ثانية وليس من العادة ان يذكر اسم المرأة المتوفاة على قبرها. ومن الصعب ان يوجد اسم امرأة مسلمة مكتوب على قبور نابلس. ويعتقد النابلسيون انه من المعيبات ذكر اسم المرأة المتوفاة

(مسائل الوفاة) — من المعتاد غالباً تشييع الجنازة في نابلس بالطبل. ولكن يشترط لهذا العمل ان يكون المتوفي من افراد السلك العالي او ان يكون له ولد محترم. فاذا توفي احد ابناء البيوت يدعي اقرباؤه في ذلك المساء وتقام لهم مأدبة. او انهم يرسلون الى دار المتوفي مائدة

وتبقى هذه الحالة متبعة ثلاثة ايام . لان من العادة ان لا يطبخ في دار المتوفي ثلاثة ايام . ويتلون القرآن الكريم في هذه الايام الثلاثة ويختمونه في الليلة الثالثة من كل بد . وفي ذلك الوقت ينتهي الفصل الاول من الحداد

اما النساء فانهن يلبسن السواد شهرين او ثلاثة او اكثر من ذلك ويستون رؤسهن بالمناديل والاغطية السوداء . وللنساء امام الجنائز وضعيات ومواقف غريبة الشكل خارجة عن دائرة التصور . فتمزق النساء نحورهن والبستهن وتتدفع امام الجنائز تندب وتعول . ويوجد في نابلس نساء تستأجر للعويل والصراخ وراء الجنازة وتسمى (نائحات) و (نادبات) . وتقوم مقبرة نابلس في سفح جبل عيبال في الشرق الشمالي من نابلس ومحلها كثير الهواء والنور . ويعتنون بان يكون القبر جميلًا وبديعاً . والمقابر هي اكثر المحلات اباحة لزيارة النساء النابلسيات . وان زيارة المقابر من يوم الجمعه الى قبل طلوع الشمس من يوم السبت وجيبة لاتغفل عنها النابلسيات ولا ينسينها . ويكررن ذلك كل اسبوع ويذهبن الى المقابر وفي ايديهن اغصان الآس وطاقات الازهار . فيزين القبور التي يزرنها . ويقال ان شعاع ارواح الاموات تزور اللحود في ذلك الحين وتفارق قبورها قبل طلوع الشمس من يوم السبت . فاذا مررت بالمقبرة في ذلك الوقت تجدها ملأى بالنساء والرجال والاطفال . ولا يمكن ان يتصور شئ اعظم في نابلس من زيارة المقبره يوم العيد ويستصحب النابلسيون معهم حين زيارة المقابر ايام الاعياد شيئاً من الملبس والبقلاوه وامثالها فيأكلون بعضها ويوزعون الباقي على الفقراء عن ارواح الاموات

ولا يمكن ان يتصور ذوق حسن لدى النابلسيات اعظم من ذهابهن الى المقابر كلما تسنح لهن الفرص حيث يتنفسن روائحها التي تظهر منها الرائحة العضوية الخارجة حتى من نباتها

« المآدب » — يظهر النابلسيون في مآدبهم ما اعتادوا عليه من الذوق الخاص بهم وهو رؤية الاشياء وافرة . فتكون المآدب التي يتكلف ابناء طبقة الخواص لاقامتها مطنطنة . فيقيمون على الاكثر خواناً مدوراً كبيراً ويضعون فوقه الصحون والملاعق والشوكات بدون سكاكين ويصفونها صفاً اولياً . ثم يضعون من ورائها صناً آخر مؤلفاً من اصناف الفواكه والمقبلات (الصلاطه) اما قطع الخبز فتشغل اماكن مختلفة ومتشتته من المائدة . وليس من العادة عندهم ان يكون لكل مدعو قدح ماء خاص فيمكن لكل شخص ان يشرب من قدح الآخر . ثم يضعون اطباق المآكل في الوسط . ويأخذ كل شخص لصحنه ما يشتهيه . ولكن يغلب ان تبقى الصحون الفارغة امامهم نظيفة كانها آلة للزينة فقط . فتسقط الملاعق جميعها على اطباق المآكل وربما لا يستعملون (الشوكات) اذا كان بين صنوف المآكل شيء يمكن الاخذ منه باليد والاصابع . وتبقى

الملاعق والشوكات هادئة منزويه في اطراف المائدة . ولا يستشكل النابلسيون بتصنيف المآكل فيجمعون في مآكلهم وفواكههم بين الاصناف التي لايمكن اجتماعها مع بعضها . وترى الاطباق التي تفرغ في المائدة اشبه بالقوافل المتواردة . يحضرون على المائدة انواعاً من الحلوى باوقات متقطعة . وهم يكررون مدائح طويلة على ما اشتهر عندهم من حلوى (الكنافة بالجبن) و (التوتيه) . ثم ينهضون بعد ذلك عن المائدة وقد اثقلوا بحمولة مدهشة من الطعام

ويتعاطى الخواص المآدب على سبيل التحابب المتقابل وربما اتخذوا مجيء احد الاقرباء او حضور مأ ور الى نابلس وسيلة لاقامة المآدب فيدعون الى المأدبة جميع من يعرفونه . وبعد انتهاء الطعام يشربون القهوة ولفائف التبغ بصورة متواصلة واذا كانت المأدبة في زمن الصيف يجتمعون حول الاحواض واذا كان ايام الشتاء فحول المجامر (منقل النار) وترتفع اصوات (الاراكيل) ثم تمد سجادات الصلاة ويقدمون للامامية اكبرهم سنا فيأتمون به في صلاة طويلة . وبعد الصلاة يطاف عليهم بالقهوة عدة ادوار . وهناك يبدأون بالمذاكرة اما في مسائل شرعية او يتحدثون حسب العادة باسعار البضائع او بما جرى من الوقائع الغريبة في ذلك اليوم . وفي ختام ذلك يخرجون من دار الضيافة وقد اوقدت امامهم (الفوانيس) الكبيره ويعودون الى دورهم مارين وسط تلك الازقة القذره الضيقة

[٣] محلات النزهة والسباق — لا ريب ان اعظم محل يستجلب النظر بين محلات النزهة للنابلسيين هو موقع (العراق) الذي يعلو قليلاً عن البلدة في جبل غاريزيم في الجهة الجنوبية من القصبة . ففي ذلك الموقع مغارة كبيره وطبيعية وفي مدخل الغار وعلى طرفها حفر دقيقة . ويبلغ ارتفاع باب المغاره خمسة عشر متراً تقريباً وعرضه عشرة امتار اما طول المغاره وتساعها من داخلها فيبلغ نحواً من مائتي متر . واما خارج المغارة فقد حفر على شكل نصف دائره . وقد قسمت بطبقات من الغرانيت ثخن كل طبقه نصف متر وفرشت تلك الطبقات بنوع من حجر الصوان الاسود

وترى الحمام والعصافير والغربان يطرن على اشجار التين البري القائمة ما بين احجار الغرانيت في محلات مختلفة من فتحة المغارة . اما داخل المغارة فمظلم . واذا دنوت منها تسمع حسيس الزيلاوات الكبيرة . ويخرج النابلسيون غالباً مساء ايام الجمعة الى هذا المحل ويجلسون على السطح المستوي امام المغاره الذي تبلغ مساحته مائة متر مربع . ويوجد هناك ظل من الشمس بواسطة اشجار الزيتون التي تستر ذلك المحل . فيسرحون انظارهم بمشاهدة انواع تراقص القديم من البلده . ويخرجون احياناً من الصباح ويبقون الى المساء حيث يقضون هناك يوم صفاء ونزهة

وعلى بعد دقيقتين من هذه المغاره يوجد سفح مستو على صخرة مرتفعة يسمى (مائده) وهي كرسي التطلع للنابلسيين. وبسبب ان وسط الصخره محفور فان رؤية الصخره ورؤية البلده من الصخرة منظران الطف من بعضها . ويروون خرافات عديده عن موقع المائده . فيقولون ان (الست سليمه) احدى صالحات مصر جائت بعد وفاتها الى هذه الحفرة واختفت فيها . ويوجد وراء موقع (المائده) مغارة اخرى تسمى (شق النمر) ويقولون انه يوجد في هذه المغاره طريق يوصل الى القدس

وعدا عن هذين المحلين فان النابلسيين يذهبون الى نبع يسمى (كفير) ويجلسون تحت الشجره الكبيرة هناك

وان مقام (عماد الدين) المدفون في جبل (عيبال) في الجهة الشمالية محل للنزهة في ايام الصيف بالنظر لارتفاعه ولطافة الهواء فيه . ويقال ان شيخاً يبلغ الخامسة والثمانين من عمره يقيم ايام الصيف في دار قائمة في اعلى نقطة من هذا الجبل وانه اعتاد الخروج الى هذا المحل منذ خمسة وثلاثين سنة . ويجيء كافة العظماء في نابلس الى هذا المحل فيزورونه فيه وحين عودتهم يضعون شيئا من الدراهم في صندوق موضوع هناك . ومن متنزهات النابلسيين اليومية خروجهم الى البساتين في الوادي وتمضيتهم فيها اوقاتاً مناسبة . وسيرهم على الطرق المعبده شرقي نابلس او غربيها وسيرهم عليها مدة قليلة قبل غروب الشمس من كل يوم . ومن المتنزهات التي اعتاد عليها النابلسيون في الايام الاخيرة السير في السوق بين الطريقين المتوازيين في القصبة او الجلوس في حانوت احد الذين يعرفونه او الذهاب الى حديقة البلدية وتمضية وقت مناسب فيها

اما المسابقات = فقد ضعف الاهتمام بما كانوا يعتنون به قبلًا من مطاردة الخيل ومن العاب (السيف والترس) فطبقة المتقدمين في السن من ابناء نابلس لايحبون ان يخرجوا من دواوينهم . وكذلك الشبان منهم فلا يجول بخاطرهم مسئلة الالعاب الرياضية والمسابقات مطلقاً . فيخرج المأمور صباحاً من داره ويذهب الى دار الحكومـــة . وكذلك التاجر يذهب الى حانوته . وفي المساء يعود المأمور من دار الحـكومــة والتاجر من حانوته فيستلقى كل منهما على ظهره في داره ويبقى فيها الى الصباح كسلان مخدر الاعصاب

مع ان صغار النابلسيين ميالون للعب والحركة فتراهم يتراكضون ويقفزون واذا سنحت الفرصة يلعبون بلعبة الاحجار المساة (دوش) وبالعاب (فشختين ونطه) و(العميشه) و(دقة الحمام) و (القلة) و (الطابه) وامثالها من الالعـــاب . وخصوصاً في الايام الاخيره فقد تعممت فيها على قدر الامكان الالعاب الرياضية في المكاتب وهي من الالعاب المفيدة للاولاد في نماء اجسادهم

ولكن النابلسيين لايبلغ الواحدمنهم رشده حتى يبطل كل حركة ورياضة ويندس بين اسوار بلدته وجدران داره المظلمة

٥ — الاحوال الروحية

[١] — المزاج . الاخلاق والطباع — يمكننا ان نقول ان مزاج النابلسيين الميالين للطول بقامتهم صفر الوجوه طوالها وفاقدي الدم منها — هو صفراوي باعتبار العرق . فيلد الولد منهم وهو مملوء ذكاء وفطنة . وتظهر آثار هذه الاستعداد الفطري عليهم منذ الصغر . فيحب الصبي النابلسي وهو في المكتب التفوق على كل احد في درسه ولعبه . ولا يضيع من يده وسيلة او واسطة صغيرة او كبيرة ومهما تكن حتى يتخذها ليفوز بما يريده . والشاب النابلسي يصر على عناده لينال برأيه الصغير كل شيء يمكنه احرازه سواء كان حسناً او قبيحاً في الحياة . وللفوز بما يريده النابلسيون يضطرون احياناً لسلوك طرق منتقدة . او للوقوع بآفة الافتراء والكذب . واذا اضطرهم الامر فانهم يعتمدون ايضاً على سواعدهم . واذا لم يتمكن الشاب منهم من انجاز العمل بنفسه فانه يجمع حوله اثنين او ثلاثة من اخوانه . وهم يعرفون جيداً طرق ... لرفقة ... خانهم وكيفية الاستفادة منهم خاصة . ولهذا ترى مكاتب نابلس تصبح احياناً منبع فساد وتزوير وطوراً ميدان ضرب وطعان ومرة باحة علم ودرس تفوق سواها بصورة حسنة جداً . والنابلسي مجتهد . يزاحم ويلازم . ولا يسأم مطلقاً . ولا يُغلب النابلسي لعواطفه فلا يستعجل باجراء ما يجب تأخيره . ولا يخرج عن دائرة التأني والتؤدة . وبهذه الواسطة يثبتون للملأ منذ صغرهم انهم قابضون على زمام ارادتهم

ولم يُر ان الاولاد الصغار يهملون جهة الانتفاع والاستفادة المخصوصة من مخالطتهم لاخوانهم الصغار فيجب ان لا يوثق بما يظهره النابلسيون لبعضهم من التحابب فهو ظاهري ولا يمكن ان يكون خالصاً من المنفعة والفائدة . وخصوصاً حينما يخرج النابلسيون من بلدتهم فانهم يتقربون الى بعضهم جداً . وهم يحسنون التصنع تماماً بايهام بعضهم بعضاً ان المحبة التي يظهرونها لبعضهم انما هي محبة اخوية لاريب فيها . فان النابلسيين يعتبرون التقرب الى بعضهم قوة لهم امام الاغراب عن نابلس ويكون ذلك عندهم وسيلة للطمأنينة والاعتماد

وان هذه الخصال والاوصاف التي تظهر عليهم في صغرهم تظهر باجلى مظاهرها بالنسبة للمحيط الذي يعيشون فيه . فانهم يقتطفون من آبائهم وامهاتهم ومن اعمامهم ومن سائر اقربائهم هذه الخصال ولا يجنون من الذين يخالطونهم من غير اقربائهم سوى هذه الاطباع . ومن

الموسف المؤلم ان حرصهم على صرف ذكائهم ومقدرتهم في سبيل منافعهم الشخصيه وتلبهم على كل شيء — يزداد جداً بنسبة واسعة كلما تقدموا في السن . بل يتجلى فيهـم اكثر من قبل وهم يرون ان كافة المتاعب التي صرفها من سبقهم للنجاح في مساعيهم وجميع الطرق التي اتبعها اولئك هي الخطة الوحيده التي يجب اتباعها والدليل القويم الذي يجب السير عليه . فتراهم مقلدين تمام التقليد كانهم آلة متحركة بارادة غيرهم يسلكون باسم الفوز والنجاح في الاعمال—خطة ابائهم واجدادهم في معاشهم ومسالكهم وصنائعهم وعقائدهم حتى انهم لايقبلون ان يبدلوا او يغيروا منها شيئاً جزئياً

يسكنون البيـوت التي سكنها اباؤهم ويأكلون من انواع مآكلهم ويقلدون آباءهم في ملبسهم وسيرهم . ويمكن ان يقال ان صفة التقليد في النابلسيين تتجلى في اجسامهم وارواحهم بسائق طبيعي لا صنع فيها ومن السذاجة الاعتقاد بان هذه الافعال الغريزية التي يجرونها ليست مبنية على غاية او قصد او انها غير مقرونة بذكاء . وحاصل القول ان الذكاء والسائق الطبيعي في النابلسيين اخوان لا يفترقان والاقرب الى الحقيقة والصواب القول بان السوق الطبيعي نفسه هو واسطة ذكية مدركة لنوال المقصد المعين باعتبار الاساس . وهذا الادعـاء هو اولى من ان يقال ان ذكاء النابلسيين مغلوب لسوقهم الطبيعي فهم يعملون ولا ذكاء كانهم آلة متحركة بارادة غيرهم

لهذه الاسباب نرى النابلسيين متمسكين بدينهم تمسكاً ، [illegible] يقال انهم متعصبون والسبب في ذلك انهم وجدوا آباءهم كذلك

والحاصل ان حب المنفعة والاستفادة الشخصية هي حالة روحية اساسية في النابلسيين . حتى انه يوجد في نابلس زمرة من الاهلين لا يتحاشون مطلقاً من اجراء كافـة ما يمكن ان يعمله الانسان لينالوا قصدهم في هذا السبيل فمثلاً نرى افراد هؤلاء الزمرة متمسكين باهداب وظائف صغيرة في الحكومة لا تزيد رواتبها على بضع مئـات من القروش مع ان ثروة احدهم تزيد على الوف الليرات فيندسون في اقلام الحكومة ويلازمونها من الصباح الى المساء وهل يظن ان ذلك بلا فائدة او منفعة . ؟ كلا ! فان [illegible] منهم ينجز اولاً اشغاله الشخصية التي تقع له باسهل طريقة واحسن وجه . ثم انه يكون محلاً لمراجعـة اصحاب الحاجات اكثر من مراجعتهم للمأمورين الاغراب بسبب انه وجيه معروف في البلدة . وتراه يقبل الهدايا من جهة . ولا يتحاشى من جهة اخرى عن استعمال كافـة ما يمكن اجراؤه من الوسائط بواسطة نفوذ وظيفته لسلب جميع ما بيد القروي وما يملكه . وهم من جهة ثالثة يحلـون مشاكل اخصائهم

الاقرب فالاقرب بصورة مستعجلة وعلى احسن طريقة . وبهــذه الواسطة يصبحون من ارباب النفوذ والخواطر المعدودة . وبالطبع فانه تضم الى رواتبهم الظاهرية التي لا تتجاوز المئات من القروش كميات كبيرة من الاموال . ولا يتحاشى امثال هؤلاء الذين يعملون على هذا الوجه عن افشاء الاسرار الادارية احياناً فمثلاً ينتشر خبر امر يصدر باجراء التحقيق عن مأمور ويسمع به كل احد

وهؤلاء لا يريدون ان يزعل المأمور منهم بسائق المنفعة الذاتية فحينما يأتي المأمور الجديد يستميلونه الى جانبهم ويتوسلون بسائر الطرق للاستفادة والربح من المأمور الغريب فيدعونه الى دورهم ويقيمون له المآدب. والحاصل انهم لا يتحاشون مطلقاً عن صرف الفكر والنقد لاخراج ذلك الى حيز الفعل . وبعد ان يستميلوا المأمور الى جانبهم تماماً يستخدمونه حينئــذٍ كيفما يريدون . ولايتسامحون ذرة بان يستردوا ما صرفوه عليه اضعافاً مضاعفة ولا يتأخرون عن الاستفادة والربح على قدر امكانهم

ويتزاحم الخواص من النابلسيــين على استمالة المأمور الى جانبهم وذلك بنسبة نفوذهم . فاما ان تنجح احدى الاسر لحدتها او لا تنجح فاذا لم تنجح تشعر حينئذٍ بالحاجة لتشريك اسرة اخرى معها بالمسعى فتجتمع وقتئــذٍ عدة اسر وتشترك بالربح والاستفادة من المأمور . وكذلك المأمور فانه ياخذ منهم . ولكن الذي يعطونه للمامور ليس من صناديقهم بل هو من دماء القرويين المساكين والفلاحين الضعفاء . ولا يحق للفلاحين والطبقــة العوام في نابلس مراجعة الحكومة او المداخلة مع مأموري الحكومة مباشرة . فهم مجبورون على الرجوع الى الآغا او الافندي الذي ينتسبون اليه . فمن ذلك الآغا او الافندي او البك محركين الفلاح وحاميه وواسطتــه والقوة الاجرائية ايضاً . والحقيقة الصحيحة انه الآمر المطلق على الفلاح وعلى غيره من الخلق

وقد شكل الخواص من النابلسيين شركات انحصارية مؤلفة من عدة اسر للاستفاده والربح بهذه الطريقة ويغلب ان يرأس هذه الشركة الانحصارية المامور الوطني الاكثر نفوذاً فتعمل هذه الشركة لستر كافة معائب هذا المامور ولاخفاء نقائصه ولاظهاره والنهوض به في نظر الاهلين . وتميل الاسر التي تبقى خارجة عن هذه الشركات الى الدخول فيهــا وتسعى وراء ذلك فان لم تنجح في مسعاها تندفع حينئذٍ بما عندهــا من سلاح العقل والمنطق والحق وجميع ما يمكن الاستعانة به من المقدسات وتاخذ بالصراخ والشكاية من ارتكاب هذا المــامور وتنشر قبائحه وتشهرها . وتعمل كافــة ما يمكنها من القوى والوسائط لاخراج هذا المامور من نابلس ولابعاده عنها

ولقد كانت هذه المشاحنات على النفوذ تؤدي احياناً الى مصادمات دموية فكانت اسرة تستولي على شرقي نابلس واسرة اخرى تستولي على غربيها فتنقطع الطرق حينئذٍ ويأخذون باستعمال السلاح ولا تنتهي المسئلة ولا ينحل الاشكال الا بوقوع عدة قتلى . وقد سرت مشاحنات النفوذ الى الملحقات فاشتعلت نيران الفتن الدموية بين الاسر ذاتها التي تقطن ملحقات نابلس

ولم تقتصر استفادة النابلسيين على مدينة نابلس بل انها تعدت الى انحائهـا فشملت قضائي جنين وبني صعب الملحقين بنابلس . وليس اولاد الاشراف (الخاندانات) هناك سوى وسائط بيد النابلسيين

يصبح موقف الشركات الانحصارية في نابلس مشكلاً جداً امام المأمور العفيف صاحب الناموس فيقبضون على السنتهم ويلتزمون الصمت طويلاً . ولاول فرصة تسنح يعملون كافـة جهدهم ويصرفون غاية قواهم لاخراج المأمور الذي لا يوافق رأيهم ولابعاده عن نابلس

قلنا ان فريقاً من الاشخاص المعروفين في نابلس لا يتأخرون عن اتخـاذ كافة انواع الوسائط لاظهار مقاصدهم ومآربهم المعينه من حيز القوة الى حيز الفعل . فهم يخرجون احياناً اتباعهـم نساء ورجالاً واطفالاً من الطبقة السافلة يدفعونهم الى لمحلات التي يريدونها وهم يصرخون باعلى اصواتهم جعنا . اصبحنا عراة . اليس من رحمة عندكم ؟

او انهـم يجمعون هؤلاء الاناس ويدفعونهـم على المأمور الذي لايريدونه فيبينه هؤلاء ويصرخون في وجهه

والحاصل انهم يتوسلون بكافة هذه الطرق حتى انهم اذا وجدوا لزوماً يرضون بترك موروثاتهم ونعنعاتهم في سبيل الوصول الى منافعهم . ومن ذلك مايعرف من تعمم المشروبات الكحوليه بين شبان نابلس في الايام الاخيرة

وترى النابلسيين للسبب ذاته على حذر ويقظة في جميع معاملاتهـم . فيبيعون ويشترون باحتراز ودهاء اكثر من اللزوم في المعاملات . ومع ذلك فهم يتجنبون كثيراً الضوضاء توصلاً الى غاياتهم ويظهرون مزية خاصة بتسوية اشغالهم بدون صوت . ورغماً عن عدم وجود السلام في طباعهم فان احتياطهم غير الاعتيادي بانتهاز الفرص انقدهم من مهالك مدهشة جداً

فاذا احس النابلسيون بمانع في سبيل اشغالهم يعمدون حالاً الى تسويته وحله على طريقـة سهلة بلا صوت ولا صدى . ينزل النابلسيون باعدائهـم الضربات الثقيلة بصورة خفية . ولا يظهرون انفسهم في هذه الاعمال مطلقاً . وتتجلى هذه الحالة في اصغر المناسبات والوقائع وقلَّ ان تسمع من افواه الاهلين في الاسواق وفي مجتمعات الناس الفاظاً قبيحة او شتائم . ويمكن ان

يقال ان النابلسيين بوجه العموم عيبر (بذيئي اللسان) ومع ذلك فان القلب يميل الى ان تنمو فيهم تربية روحية خيريه —ويقوم مبدأ اجتماعي مثمر بين النابلسيين الذين جنوا افضل اثمار الذكاء وهي قوة الاستنباط والاستدلال وتجلت فيهم اوفر مظاهر السعي والغيرة وقبضوا على اقوى عوامل الارادة المتينة . ولكن سقوط السوية الفكرة وياللاسف في نابلس اسوة لها بباقي المحلات كما سنذكره قريباً مزق اشعة هذه الانوار الثمينة واذهبها هباء مشوراً وباتت نابلس تأن بين مخالب مجتمع ما زال يأخذ بها الى القرون القديمة

[٢] — الحالة الفكريه — حينما ننظر في الحالة الفكرية في نابلس يجب علينا ان لا نغفل عن النظر بالثلاثمائة شاب نابلسي الخارجين من نابلس . فان القسم الاعظم من هؤلاء الشبان قد اكملوا تحصيلهم في استانبول وعدداً نادراً منهم اكمل دراسته في اوربا . وهم داخلون اليوم في وظائف المعارف والعدليه والملكية ويوجد بينهم قسم في وظائف ممتازة وجميعهم خارج نابلس ولقد فاز هؤلاء الشبان باظهار استعدادهم الاساسي في محيط بيروت اولاً ثم في محيط الاستانة وعرفوا معنى الحياة ووقفوا على لوازمها ولهذا صعب عليهم بعد ذلك — الامتزاج على اي وجه كان بمحيط نابلس . وبسبب ذلك اصبح من المحال ان نجد شاباً واحداً نابلسياً اكمل تحصيله بعلمه ثم عاد الى نابلس واختار الاقامة فيها زمناً طويلاً . فان هؤلاء حينما يعودون الى نابلس [illegible] حالاتها مطلقاً فمثلاً يصعب عليهم اخراج (البوتين) من ارجلهم والجلوس [illegible] . [illegible] انهم لايطيقون رعاية المراسم الشرقيه التي لا تحتمل . فلا تعجبهم مآكل اهليهم الثقيلة ولا مسامراتهم ولطائفهم السيطه . ولا القيل والقال المعتاد في البيوت . ولا يمكنهم تعويد انفسهم على الاكل باكرا والنوم باكراً والتردد ذهابا واياباً من الدار الى العمل ومن العمل الى الدار . ويصعب عليهم جداً قطع علائقهم مع العالم وسد ذهنهم عن كافة تجلات الكائنات واذواقها حتى عن الشعر والموسيقى . ومن المحال ان يعثروا في نابلس على رفيق لهم قد ارتقت حالته الفكرية ولو شيئاً قليلاً . ولهذه الاسباب نرى اولئك الشبان مضطرين للفرار من دورهم المنحطة سقوفها المتعفنة جدرانها الواطئة اهويتها . ومن طرقهم المظلمة التي تشبه الانفاق والابتعاد عن الشفاه التي تهمس بالجهل وعن النظرات الخالية من كل معنى . فتنمو في نفس الشاب ضرورة الابتعاد عن نابلس تخلصاً من هذه الحالات ولا يلبث ان يترك وطنه نابلس

ومن الغريب ان اكثر الذين اكملوا تحصيلهم هم اولاد المنتسبين لطبقة الخواص . فان هؤلاء الخواص يحبون ارتقاء اولادهم وتعليمهم وتربيتهم لدرجة عاليه . والغالب انهم يتباهون بذلك . ولكنهم لايعيرون سمعهم مطلقا لندا كثيرين من هؤلاء الشبان ولاشتكائهم ورغماً عن

حرمان اكثرهم من اولادهم فانهم يجدون لذة بالبقاء على ما هم عليه من الحالات . بل هم يحفظونها ويثابرون عليها . ولا ريب ان مصادمات الغلبة والترجيح التي تقع يومياً بين القديم والحديث يغلب فيها الشبان بصورة دائمة . فلا يجدون وسيلة حينئذٍ سوى الفرار من بلدتهم

وان العامل الاكبر بتغلب القدماء هو اتباع خطة المحافظين بصورة مفرطه واعتناء النابلسيين جداً بالمحافظة على العادات القديمة بصورة خاصة

اننا لا نشمل في قولنا هــذا طبقة العوام في نابلس او طائفة السامرية . فان هؤلاء جميعــاً منحطون درجات كثيرة عن طبقة الخواص وليس لاحد منهــم حق الكلام مطلقاً في نابلس . وبناء على هذا فان الانقلاب الفكري الذي يقع في نابلس انما يظهر من طبقة الخواص فقط

ان تحصيل الشيوخ من طبقة الخواص وعلمهم ناقص على وجه العموم . بل هو كلا شيء . ورغماً عن وجود عدة منهم واقفين على العلوم الشرعية غير ان هذا غير كافٍ بالطبع . اما الشبان المقيمون في نابلس فقسم قليل منهم قد اكتفى بالتحصيــل الاعدادي والقسم الاعظم منهم قد اقتصر على التحصيل الابتدائي ولهــذه الاسباب فانك لا تسمع كلمة من افواه طبقــة الخواص حتى تتصور تعصباً اعمى مطبقا . فتعصب هؤلاء الطبقة عبــارة عن الوقوف حجر عثرة في وجه كل تجدد وهم لا ينفكون لحظة عن اقامة العراقيل . يعملون ما يرونه فقط . يقلدون الشيء حرفاً بحرف . لا يهتمون مطلقاً ولو اختلطت الكائنات ببعضها . لا يعرفون سوى المعيشة براحة في دورهم . ولا يتخطرون المعيشة على شكل مدني . لا يحبون التعلم . ولا يميلون للوقوف على قواعد الصحة وشروطها

وحاصل القول ان هذا التعصب المظلم هو عقاب عذاب قد اطلق جناحيه فوق الاستعــداد القابل للانكشاف فمزق بمخالبه الفتاكه كافة ما في نابلس من الذكاء . بل فتت اعظم جسد الارتقاء القابل للنمو في نابلس

٦ — الحالة الصحية

ليس من الصعب تعيين الحالة الصحية في نابلس بمقتضى ما شرحنــاه حتى الآن من الحالة الاجتماعية ومن طراز المعيشة فيها ولكن رغبــة بان نذكر رأياً صائباً عن ذلك — قابلنا طبيباً قديراً عُرف في نابلس منذ مدة بخدمته الحسنة وقد زار اكثر البيوت النابلسية تقريباً ان لم نقل جميعها وسألناه رأيه في هذا الامر . ويظهر من رأي الطبيب المومى اليه انه رغماً عن ان نفوس نابلس لا تتناقص يوماً بعد آخر ورغماً عن بقائها محافظة على عدد نفوسها فان اعتبار ذلك فألاً حسناً

والاعتماد عليه بعدم وجود التناقص في نابلس امر غير صحيح مطلقا . فنه من الحقـائق العظيمة التي لا تنكر تفشي مسئلة تعدد الزوجات في نابلس بصورة مستولية . وتهالك الاهلـين عموماً على الاستيلاد الكثير . ولا حاجة لمراجعة قيود النفوس او الاطلاع على الاحصاآت الحقيقية حتى نقف على الاعداد الكبيرة في ذلك . بل يكفي للوقوف على ذلك الخروج مساء اي يوم كان الى ازقة نابلس والسير فيها مدة . فانك تجد فيها اقطاعاً كبيرة مؤلفة من مئات من بني الانسان الصغير . ويستلفت نظرك لاول وهلة الزيادة العظيمة في اولئـك نعم ان في كل عائلة نابلسية على الاطلاق خمسة اطفال او عشرة على الاقل . ولكن جميع هولاء الاطفال داخلين تحت تأثير قانون الاصطفاء الطبيعي . فقد حكم بالموت على ثمانين في المئة منهم بصورة قطعية . اما العشرون الباقون منهم فيغلب بحقهم قانون تنازع الحياة ومجادلة البقاء . وباعتبار النتيجة يظهر للمدقق ان المتوفين من الاطفال وبقية الوفيات من الكبار هي مساوية تماماً لعدد التولدات ولهذا فان ابرة للجموع في النفوس لم تتبدل ولم تتغير عن موقعها ومع هذا فانه يجب علينا ان ننظر في الاسبـاب التي تؤدي الى كثرة الوفيات بين الاطفال وان نشرح اسبابها :

فالاسباب في هذا الامر عديدة : اذا نظرنا اولاً كيف يحصـل الولد وكـيف تكون حالة ابويه اللذين يجيء منهما نفهم حالاً درجة فقدان الشرائط صحة في الزواج . فانـه من المباح في اكثر بلادنا ان يتزوج الشيخ والد العشرة او الخمسة عشر ولداً بابنة لا يتجاوز سنهـا الثانية عشرة او الرابع عشرة . ومن المحتمل ان يكون زواجه بين الزواج الثالث او الرابع . ومن الامور التي تستحق الذكر سوء الحالات التي تقع في الصغر والكبر . واذا اضفنا الى ذلك رطوبة الهواء في دور نابلس وسوء التغذي — يحصل عندنا فكر تام عن البحث الذي نتكلم عنه . ويغلب ان يكون اكثر الامهات مصابات بالرماتيزمه او معلولات بسبب سوء التغذي بمرض آخر يسمى (رخيص) . وفي الوقت ذاته يكون البذار فاسداً . وبناء على هذه الاسباب فان الطفل اما ان يسقط من نفسه وهو جنين . او ان يختنق بعسر الولادة التي تحدثها علة (رخيص) او انهم يضطرون لتجزئة الطفل بالآلات واخراجه

ولنفرض ان الولد يتحمل جميع هذه المشاق ويبرز الى عالم الوجود فانه يقع حالاً في مشاكل الحياة بعبثه . وعود نيصاب منذ صغره بالروماتيزمه فتتألم وراكه حتى لا يمكن ان تمس . وحينما يكون الطفل بن شهر او شهرين يباح له سوء التغذي التي اعتادت عليه والدته فان كانت حالة العائلة مساعدة اصبح الطفل يأكل كل شيء يجده . بل اصبح كل فرد من افراد العائلة يدس في فم الطفل ما تصل يده اليه . واما ان كانت العائلة فقيرة وصادف ان لبن الام قليل فان الام تمضغ

قطعة من الفجل بفمها وتطعمها للطفل . فلا يمضي زمن قليل حتى يمرض الطفل طبعاً . ولا يعتقد النابلسيون بالطب والدواء ليعالجوا اطفالهم . على ان تأثير المعالجة في مثل هذه الاحوال والظروف لايكون مفيداً وينتهي الامر بموت الطفل المريض

وفي دور كثيرين من طبقة العوام في نابلس يقضي جميع افراد العائلة حياتهم في غرفة واحدة فاذا ظهر السل او التيفوس او الجدري في محل اصيب به جميع من تحويهم الغرفة صغيراً كان او كبيراً وربما اتت عليهم جميعهم . ومن العوامل المؤثرة التي تقضى على حياة اطفال نابلس وتطفي زهرتهم طواف الاطفال حفاة عراة في الازقة . وتدنسهم بالاتربة وعدم اكتسائهم جيداً ونومهم في المحلات المكشوفة وامثال ذلك من الاسباب المضرة

ولهذه الاسباب كانت وفيات الاطفال خاصة في نابلس تشكل مجموعاً مؤلماً جداً . وربما تظهر احياناً امراض معينة تفتك فتكاً فجيعاً في الاطفال . ولقد قتلت علة (الحميراء) التي ظهرت عام ٣٢٨ (٥٠٠) طفل

اما الذين لايموتون صدفة فاكثرهم يعيشون وهم مرضى فاما ان يصابوا من الرطوبة بنزلة مزمنة او يصابوا بمرض العيون ... ولا ننسى القول بانه ليس في النابلسيين رغبة بالنظافة فرغماً عن كثرة المياه في نابلس فان الذين لايغسلون وجوه اطفالهم مرة في بضعة ايام عدد غير قليل

فهذه الاسباب وامثالها تفقد نابلس ثروة انسانية ثمينة جداً

ان صحة الرجال في نابلس مؤلمة جداً فقد توفى منهم في الايام الاخيرة ٦٠ او ٧٠ بالهواء الاصفر و ٤٠٠ او ٥٠٠ بالتيفوس . وعلاوة على هذه الامرض فان الامراض المعتاد وجودها قديماً كثيرة وكذلك المصابون بها فهم عدد وافر

وفي نابلس انواع للسل فيوجد فيها (السل الرئوي) و(السل المعوى) و(السل العظمي) . ويكثر وجود السل العظمي اكثر من سواه وسببه الابتلاء بالروماتيزمه

وتحصل علة (الملاريا) بسبب كثرة المياه وتوزعها في الوادي . والامراض الصدرية بسبب الاوساخ والاقذار . وعلل المعدة والامعاء بسبب سوء التغذي . ولكل علة من هذه العلل تأثيرات وبيلة

وفي بعض الاسر النابلسية علل ارثية خاصة بها . ولقد كان اصرار هذه الاسر على ترويج ابنائها ببعضهم منذ القديم سبباً لبقاء هذه الامراض الارثية فيا بينهم . وفي نابلس اسر تصاب عموماً بامراض القلب او بالامراض البنيوية او الجلدية او بعلة (البله) ويمكننا ان نشير الى وجود مرض (الافرنجي) احد الامراض الزهروية بين العلل والامراض الارثية . اما الافرنجي

الجديد في نابلس فهو اقــل جداً من الافرنجي الازرقي . ويخمنون مقداره باربعة او خمسة في الالف

ومن الامراض الزهروية الموجودة في نابلس علة (حرقة البول) فانها منتشرة بكثرة. نعم انه لا يوجد في نابلس محلات عمومية ولكن زيادة وجود المناسبات غير المشروعة بـين الخلق يؤدي الى زيادة (حرقة البول)

ويوجد في نابلس من الامراض الجلدية (الاكزما) ومن الامراض العقلية (البله) وخصوصاً « النورستاني» و«الهستريا» ومن الامراض الروحية المعروفة في نابلس مرض « السير في المنام » (وتعدد الشخصيات) . وان الجهل والظلمة الفكرية تؤدي لزيادة هذه الامراض . وبسبب ما في النابلسيين من الاستعداد للتصديق والتسليم باقل شيء فانهم معرضون للتنويم المغناطيسي « ما نياتز » باسهل الطرق

وحاصل القول انه يمكننا جمع كافة اسباب هذه العلل تحت قاعدة واحدة وهي : (النابلسيون لا يعرفون معنى الصحة) ويجدر بنا ان نضيف على ذلك قولنـا ان صحة المرأة هي اخط من صحة الرجل بدرجات . فان حيـاة المرأة كما قلنا قبلاً لا اهمية ولا اعتبار لها في نظر الرجل مطلقاً . حتى انهم يظنون ان كافة النعيم والراحة حتى الغذاء مختص بالرجل دون المرأة . ويمكننا ان نقول ان بعض الاسر وخصوصاً الرجال ارباب الحرص منهم فان الرجل يأكل اللحم وتكتفي المرأة القنوعة باكل الخضر فقط . ومن الامور المشهورة كثيراً انه بينما تكون المرأة تعالج الروح بعسر الولادة اثناء وضع الحمل — فان زوجها يستلقي على ظهره وينام كانه لا علم له بشيء مما يقع

٧ — اللسان والادبيات

ان اللسان الذي يتكلم به النابلسيون هو العربية العامة التي يتكلم بها السوريون عموماً . ولا يوجد في نابلس لغة قائمة سوى هذه . وبسبب خروج الـذين نشأوا من مكاتب الحكومة الرسمية من نابلس وتركهـم اياها اصبح الذين يعرفون اللغة الرسمية عدداً معيناً من المأمورين ومن الاهالي . ورغمـاً عن عدم افتتاح مكاتب اجنبية في القصبة فانه يوجد للامم المسيحية في نابلس مكاتب خاصة بها فلكل من الكاثوليك والارثوذكس والبروتستانت مكتب . ولا يتجاوز عدد الطلبة في هذه المكاتب الخمسين والستين وذلك بسبب قلة عدد المسيحيين في نابلس ويتعلمون في المكتبين الاولين الفرنساوية وفي الثالث الانكليزية ويخرجون منها . ولهذا ترى فريقاً من ابناء المسيحيين يعرفون هذين اللسانين . اما المسلمون فانهم لا يدخلون اولادهم

في هذه المكاتب ولكنهم يرسلونهم الى مكاتب القدس وحيفا وبيروت ولبنان . فاذ لم ندخل الذين تعلموا اللغة الاجنبية خارج نابلس في الحساب نجد ان الذين يعرفون اللغة الفرنساوية بصورة ضعيفة من المسلمين لا يتجاوز عددهم العشرة او الخمسة عشر . وبهذا الاعتبار فان اللغة المعروفة المعتمد عليها في نابلس هي العربية

واذا اردنا ان نتصور مركزاً للهجة اللغة العربية التي يتكلم بها ابناء الانحاء الجنوبية من بيروت لانجد محلاً اليق من نابلس لاتزاله هذه المنزلة . فالعربية في جنين وبني صعب وبيسان هي عربية نابلس بفروقات قليلة . ويجد ابناء القسم الشمالي من بيروت الذين يحضرون الى هذه الجهات فرقاً تاماً في اللهجة . فيلفظون هنا الاحرف الاولى من الكلمة من مخارج ثقيلة ويلحنونها بصوت مرتفع . ويخففون آخر الكلمة بلفظها وباحثها . وبالوقت ذاته يلتزمون الامالة ومد نهاية الكلمة . كما ان تمديد آخر الكلمات يستلفت النظر كثيراً في اللغة العبرانية

يظهر النابلسيون حرف (ق) ويضيفون خصوصاً حرف (ش) في اواخر الافعال المنفيه . وهذا الحرف محنف من كلمة (شيء) فمثلاً يقولون (ماقلتوش) عوضاً عن قولهم (ماقلت له شيئاً) وبئس بتكرر حرف (ش) بصورة ظاهرة . وعلاوة على ذلك فانه يوجد عدة كلمات مستعملة في نابلس فقط وهي لاتتجاوز الخمسة اوالعشرة . ويفهم من هذا ان اللغة العربية العامية في نابلس ليست الغازاً لايقدر على فهمها الآتون من جهات سوريه الاخرى

اما اللسان العربي الموافق لقواعد النحو والصرف فليس مهجوراً تماماً . فان عدة رجال من ارباب الوقوف على الامور الشرعية يتكلمون به بسهولة . ومما يستلزم الاشارة اليه وقوف عدة من المنسوبين للمعارف على اللسان العربي الفصيح ومعرفتهم به . ويتهالك امثال هؤلاء القوم على قراءة الادبيات العربية ويحفظون كثيراً من اشعارها ويعتنون باقتباس شيء من بدائع الشعر العربي القويم ولهم حظ ولذة بالاشتغال بذلك . ولا يعتد المعتنون ببدائع الآثار العربية بادبيات العوام ولا يعتنون بها مطلقاً . اما غير الواقفين على اللسان العربي الفصيح فان مسئلة الادب والآثار العربية لا تشغل حيزاً في اذهانهم مطلقاً . وينظر هؤلاء الى الاغاني التي يترنم بها الاهلون وتتغني بها النساء في الافراح والى ضروب الامثال المتناقلة بين الالسن والى التهاليلات التي تكررها الامهات يومياً — نظرة اغنية وضرب مثل وتهليلة فقط . ولا يحب الواقفون على اللسان العربي الفصيح ان يعرفوا ان لمثل هذه الآثار قيمة واعتباراً . فاذا سألتهم عن اغنية اخذوا يضحكون واذا كان المسئول متقدماً في السن يهز كتفيه ويجيبك بقوله (اغنية بعد هذا السن ؟)

ولو امعنا النظر نجد ان للادبيات العاميه في نابلس تأثيرات كبيرة جداً . وكم من الآثار العاميه

التي لها علاقة وارتباط بالحالة الروحية والحالة الاجتماعية والحالة الفكريه في نابلس
ومما يستلفت النظر الاغاني التي تنشدها بنات نابلس حين اجتماعهن في الازقــة وتسمى (المدحيات) . ويكثر نشيد هذه الاغاني في ليالي رمضان وقد رتبت على شكل محاورات . فتجتمع البنات افواجاً افواجاً وبيدهن الفوانيس . وينشد قسم منهن بلسان واحد قسماً من هذه الغنية فيجيبهن الفوج الآخر بالقسم المقابل لها . وربما قمن بانشاد اقسام المحاورة على الانفراد . ولا ريب ان معرفة المنشد الاول لهذه المقطعات التي تنشدها البنات الضعيفات بكل شوق ورغبة امر غير ممكن . ولكنني ارى انه لايمكننا الاعتقاد بان منشد هذه المقطعات هو شخص معين . بل الاولى الاعتقاد بان تغني البنات بمثل هذه الاناشيد في اشهر رمضان وتكرارها كل عام يؤثر في نفوسهن وينهض بهن شيئاً قليلاً فيضفن على ماينشدنه كلمة في كل عام فتصبح هذه الآثار الادبية نتيجة تأثر عمومي مشترك . وباعتبار انمثل هذه المقطعات هي النقطة الرقيقة الشديدة الحس في الارواح فيجب التدقيق والبحث فيها . ويمكننا ان نقدر عدد هذه المحاورات المنظومــة بعشرين او ثلاثين . ويوجد بينها التام والناقص الذي لم يكمل بعد . واننا نذكر هنا واحدة من الاناشيد التامة .

— من محاورات البنات —

بنياتي بنياتي
نعم يا امي نعم يا امي
بزوجكم بزوجكم
لمن يا امي لمن يا امي
الى الوالي الى الوالي
تسلم ايدو تسلم ايدو (يده)
بزوجكم بزوجكم
لمن يا امي لمن يا امي
الى الفران الى الفران
مامن ريدو مامن ريدو (لا نريد)

وكثيراً ماتمتد الاسئلة والاجوبة في هــذه المحاورة . فنكتفي بذكر بعض منها : الا ازف ولمن يا اماه ؟ وبعد تكرار هذه الاسئلة يهتفن :

الى البنا . الى البنا
بنكسر ايدو بنكسر ايدو
الى المتصرف الى المتصرف
تسلم ايدو تسلم ايدو
الى البياع . الى البياع
ما من ريدو ما من ريدو ... الخ

فما اعظم المعاني العميقة في هذه الاعترافات التي تتدفق من قلوب هاته المعصومات الصغيرات ؟ وما دام امر الزفاف هو الفكر الوحيد الذي تتصوره البنات وهن صغيرات . فمسئلة الزواج اذن هي مسئلة انتخابية وقد اصبح المتصرف او الوالي انسب زوج يزف للبنات في المحال التي يحدث فيها النفوذ تزاحماً مدهشاً والتي يميلون فيها الى المأموريات . حتى ان الفاعل والبائع والفران اضحى في انظار الشعب مخلوقاً منفوراً يجب كسر يده . فاذا قضى نصيب هاته المسكينات عليهن ووقعن في ايدي بائع ... فلاحاجة لتصور مايحدث بعد ذلك ...

ويستجلب النظر في محاورتهن الاخرى مسائل غير هذه . فالبنات اللواتي يرغبن الزواج ينفتح امامهن طريق آخر الزواج اولاً والطلاق ثانياً . ومهما تنمو في نفوسهن آمال ورغائب لاجل فانهن يعلمن جيداً بانه يحكم عليهن يوماً من الايام بالهجران . ولا يخفى على هاته البنات وهن في ريعان الشباب ما سيصيبهن من المضار والاضطراب اذا اخذ ازواجهن امرأة اخرى عليهن . لانهن يشاهدن كل يوم في بيوتهن هذه الحالات . ويشاركن امهاتهن قدر استطاعتهن بالمآتم والاحزان التي يصبن بها . ويعرفن ان الزوج اذا احضر للزوجة الجديدة اساور من ذهب فهو لا يحضر شيئاً مطلقاً للزوجة القديمة . فنصيب الجديدة الضحك ونصيب القديمة البكاء . ولا يفارق هذا النصيب المشؤم النسوة حتى آخر حياتهن . ولو تركن الحياة فان الزوجة الجديدة تلف بالحرير . ويستكثر على الزوجات القديمات اللواتي اهملن وتركن قطعة من الجلد العادي يكفن بها . ولمعرفة البنات بهذه الاحوال فانك تسمع منهن شكايات خارجة من اعماق افئدتهن . ولا يغفلن دقيقة عن تمني الضرر للضرائر والدعاء عليهن . وان الشكايات الآتية هي من هذه القبيلة . فنسمع البنات يكررن بلسان واحد النغمة التالية :

(الوردي ما هو عندي ... الوردي عند الضره ... الله يضر الضره ... واللي نايم عندها) وان هذه الادعية تبقى ملازمة لهاته البنيات حتى النفس الاخير من حياتهن

وتتضمن بعض محاورات البنات احياناً الكلام عن بعض المآكل المعروفة في نابلس او عن فريق من

ارباب الصنائع . ويشير قسم منها للرغبة بالذهاب الى الحج وزيارة الروضة المطهرة . وحاصل القول ان جميع هذه المدحيات قد احدثت تأثيرًا مهماً في حياة نابلس المحلية وهو امر مشاهد

وعدا عن (المدحيات) فانه يمكننا ان نذكر شيئاً من التهاليل التي تستلفت الانظار

تهليلة

نام يا عيوني نام عين العلا ترعاك
نام وانشرح وعليك عمك فلان سهران
سهران بين رجليك ينشد لك الاشعار
يا قمر الحوش يا قمر الحوش يا مؤنس امك من الخوف
لولا جمالك الفتان ما بقي بعين احد نوم
نام يا عيني نام لذبحلك طير الحمام
يا حمام لا ترعلوا اضحكوا على فلان

وربما تكون الام تهز سرير ولدها وليس في الدار معها سوى طفلها . اما والد الطفل فمع زوجته الجديدة ولا ريب ان هذا الطفل يصبح سلوى والدته الوحيد

وفي نابلس تهليلات اخرى تبتدأ بقولهم :

ياهادي الهدايا . يامكسي العرايا . . .

فنرى من الزائد درجها افرادياً . ولكننا نشير الى انه توجد تهاليل غير هذه معلومة في محلات اخرى ولكنها سارية اليها لقرب هذه القصبات من نابلس لمجاورتها لها . ومع هذا فان ترجيح استعمالها على غيرها ناشيء ولا ريب عن استلفاتها النظر

ولا نهمل الاشارة للاغاني التي يترنمون بها في نابلس . وان اعظمها طرباً هي الاغاني التي ينشدها بفم واحد رجال طبقة العوام حينما يجتمعون في محل واحد ويأخذون بالتصفيق بايديهم . وان المعتبر من هذه الاغاني عند هؤلاء هي (الموالیات البغداديات) وفاتحتها اي مقدماتها ما يسمونه (بيتات المواليه) ولا يتجاوز عدد هذه الاناشيد الاربعين او الخمسين هذا اذا نظرنا الى ما يقال منها في نابلس . فيأخذ اصحاب الاصوات الجميلة بانشاد افتتاحيه (بيتات) ثم يغني واحد من المجتمعين واحدة من (الموالیات البغداديات) ولا يكاد ينهي المصراع الاول وهو قوله :

بدنا الاماجد ياسبع الفلا والغاب ...

حتى يعيد المجتمعون بلسان واحد احد البيتات . وحينئذٍ ترتفع اصوات الحاضرين جميعهم بطرب زائد ويقولون :

تحت هودجها وتعالجنا

صار سحب السيوف ياويل ... الخ

ثم يعودون الى المواليات فينشدون مصراعاً آخر وهو :

بهمتك يابطل تخشى اسود الغاب

وعلى هذه الخطة يثابرون على نشيدهم

ويمكننا ان نذكر هنا مثالاً من الاغاني الوطنية في نابلس التي قيلت بحق رجل يدعي (طيار باشا) كان حاكماً في نابلس وقد ترك فكرة رديئة باستبداده وهي :

ياويلا ياويلا . ياويلاه المصائب

الله يا الله . محمد رسول الله

خانزير الشيب . عبدناها لصلايب

طيارباشا ويش لك علينا

بارود فينا يازخ المطر

ياويلا ياويلا . ياويلاه المصائب ... الخ

وقد دارت هذه الاغنية على الالسن منذ سنين عديدة . ولا يزالون يكررونها بتأثر وتهييج وتوجد مقطعات اخرى جعلت للمراقص في الليل ومنها

(اغنية)

حس طيره مغربيه

على سور اسكندريه

كلمتني . كلمتها

قالت انا النابلسيه ...

ويشبه ذلك ايضاً :

سروج الخيل ياغاوي

اتقنطر يا المناوي

او

عبله ياموالينا

اشبه بللي تماشينا

ولا يزالون يكررون مثل هذه الاغاني المبتدأة بمثل هذه المقدمات . وتبلغ هـذه الاغاني عددًا وافرًا

ونرى ان كافة هذه الآثار المستعملة في نابلس هي شبه موزونة . وان لم تكن موزونة فان بين مصراعاتها قربًا باعتبار النغم . وتتغنى البنات الصغيرات في الايام الاخيرة بمقطعات افرادية تعلمنها خاصة في المكاتب مثل :

يا معشر البنات

هلموا للعلوم

فليس من حياة

الا بها نقوم

اما الصبيان الذين ينشأون في مكاتب الذكور فانهم يتعلمون اغاني الحرية والوطن باللغتين العربية والتركية وينشدونها

واما ضروب الامثال المستعملة في نابلس فانها تبلغ المئات عددًا . ومن الامور السهلة على النابلسيين اقوياء الحافظة والذاكرة اتباعهم طريقة ضرب الامثال المتـداولة بين الرجال والنساء في نابلس في كل كلام والاتيان بمثال منها لكل مسئلة وذلك اقناعاً لمخاطبهم . ويوجد بين هذه الامثال قسم معروف بين الامم الاخرى ومستعمل في غير السنة ومنها :

اسمع وطنش

اقل لك يا جاره حتى تسمعي يا كنة

وتوجد ضروب امثال اخرى غير مختصة بنابلس ولكنها مستعملة بين كافة المتكلمين بالعربية ومنها :

عصفور كفل زرزور طلعوا الاثنين طيارين

كل من ركب الخيل ما صار خيال

ويمكن ان يقال ان كافة ضروب الامثال في نابلس هي من هذا القبيل . وكما انه يوجد بين ضروب الامثال هذه شيء يتضمن رموزًا ومعانٍ ثمينة فاننا لا ننكر ان قسماً منها خارج عن حدود الدائرة الاخلاقية . هذه هي الحالة الادبية في نابلس

اما الصنائع النفيسة : فلا شيء منها في نابلس . واذا استثنينا فوجين من المغنين الذين يستخدمونهم في الاعراس . وعدة من العازفين على الآلات الذين ضلوا طرايقهم ورمتهم الصدفة في نابلس فانه يصعب جداً العثور على اثر للموسيقى فيها . واذا فرضنا وجود واحد او اثنين من الذين يضربون على العود بصورة خصوصية فان هذا الامر لا يكون وسيلة للكلام عن النابلسيين باسم الموسيقى وكذلك حالة العزف على البيانو . وخلاصة القول ان النابلسيين يكتفون بالاغاني التي تتبعناها في قسم الادبيات تطبياً لاذواقهم وتلذيذاً لاسماعهم

— ٥ —

السامريون

١ — محلة السامريين

ما اصعب الحياة والثبات على فكرة معينة وتصور مخصوص وسط هذه الكتلة البشرية المؤلفة من الملايين ؟ كم هي حاجة الانسان لان يكون قوياً حتى يتمكن من البقاء في ساحة التنازع التي تعمل فيها عوامل غير محدودة كالدين والعنصرية واللسان فضلاً عن الوف من اسباب الاختلاف والتشتت ؟ لا ريب ان الوقوف امام عاصفة الزمان العظيمة التي طفت اضواء اعظم الاديان ظهوراً . والتي هدمت امتن الهياكل العنصرية وقلعتها والتي اسكتت ارن الالسنة — وقفة الفراشة الساكنة بنحافة الورقة ثم التمكن بعد ذلك من المحافظة بصورة دائمة ومحققة على الدين والعنصرية واللسان - - لهو انتصار باهر وكمل

ولكن لاي درجة يمكن ان يصل السامريون انبها في انتصارهم هذا الباهر ؟ لا انكر انني حينما القيت اول خطوة في المحلة التي يقيم فيها السامريون اخذت تتوارد على دماغي هذه الاسئلة توارد النحل في خليته : « الدين . العنصر . اللسان . الغاية خيالية . ولا يبلغ افراد هذه المبادئ المائة والستين شخصاً ؟ . فما اعظم الثمرة التي اجنيها من مشاهدتي بعيني ومن سماعي باذني ومن ادراكي بكافة حواسي هذا الدين الضعيف وتلك الملة الضئيلة وذلك اللسان المضمحل والمنطفئ وهاتيك الفكرة الخيالية المتلاشية » ؟ كنت اكرر هذه الاسئلة في دماغي وانا اقطع ازقة نابلس والعجب آخذ مني مأخذه من الصدفة التي اوقعت هؤلاء المائة والستين شخصاً في هذه الاعماق المجهولة ؟

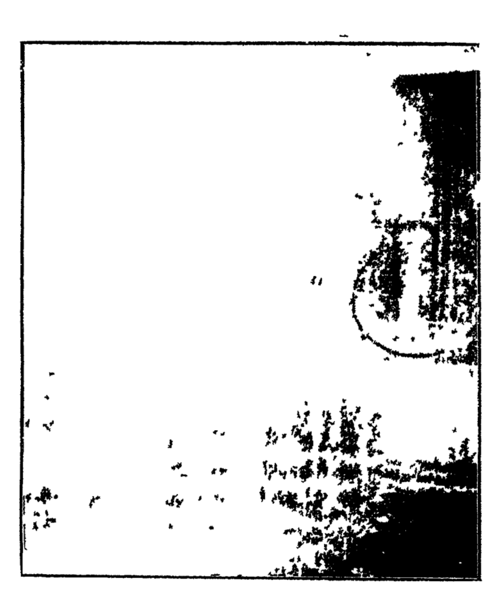
وحينما قربنا بعد قليل من منتهى محلة الياسمينة في الجنوب الغربي من نابلس اخذنا نقطع

الانفاق الضيقة والكئيبة والتي ضربت الظلمة والعفونة اطنابها فيها . ولم يكن المنديل الذي بيدي يكفي لمنع شم الروائح الكريهة الخارجة من تلك الجدران المتهدمة والرطبة ومن هاتيك السقوف العنكبوتية الموحشة . ولا يعلم كم مضى من السنين على هذا الهواء القديم المتعفن وهو يتموج في هذه الانفاق التي لم ترَ وجه النور منذ مئات من السنين ؟ بل ما هو عدد الدور التي يدخل اليها هذا الهواء من ابوابها الضيقة والمنحطة وهو مشبع بجراثيم الامراض . هذه هي (محلة السامريين) . وكانت خاتمة طريقنا معوجات ضيقة وخفية . وبعد ان قطعنا بابين من الحديد وفسحة وسلماً صغيره دخلنا بعد السلم باب غرفة صغيره . وبعد مسافة قليلة سمعنا من شفتي رجل يلبس عمامة حمراء صوتاً يقول : (كنيسة السامرية) ففهمنا حينئذٍ اننا في معبد السامريين

٢ — معبد السامريين وتوراتهم

غرفة مربعة الشكل ضيقة ومنحطة السقف . . . قد اقيم على طولها دكة بارتفاع نصف متر وقد فرشت الدكة بطراحة فاسدة اللون ومعفره . تمتد وتقتصر تلك الطراحة حسب اقتضاء الغرفة . وفي مدخل الغرفة باب قصير من الحديد . وعلى الطرف الاخرى خزانة من البلور لحفظ الكتب وفي داخلها كمية من الكتب المجلدة الكبيره وامام الدكة خوان صغير اسود اللون وفوق الخوان دواة وقلم . . .

كانت هذه الحجرة بهيئتها الحاضرة لا تشبه (الكنيسة) ولكن نهض بضع رجال رحبوا بنا وقدموا لنا محلاً للجلوس وقد اكتسوا البسة بيضاء خالصة وعلى رؤوسهم طرابيش وفي ارجلهم قلاشين واحذية سوداء ورغماً عن طول شعر رؤوسهم ولحاهم وشواربهم التي تركوها للطبيعة ولم يقصوا منها شيئاً فقد كانوا شباناً . فجلسنا في جانب مكتبة الحجرة التي طليت جدرانها جيداً بالكلس وصادف جلوسنا تحت لوحة من الحجر علقت على الجدار وقد حفرت عليها احرف سامرية . وكان الحاضرون بانوفهم الطويله والمعوجة تظهر على هيئاتهم النبيلة حالة التفكر . وبعد مدة دخل رجل ذو لحية سوداء قد اكتسى غنبازاً ابيض وفوقه رداء وعلى رأسه طربوش وعمامة حمراء فقال الحاضرون هذا (وكيل كاهننا) لان كاهن السامريين ورئيسهم الديني وهو عمران بن اسحق بن عمر ان كان في القدس . وبعد مدة نهضنا جميعاً لمشاهدة معبد السامريين فخرجنا من الباب الذي دخلنا منه اولاً فذهب اثنان من الشبان ثم عادا ولا اعلم من اين اتيا الينا بمفتاحين كبيرين . ففتح الباب المنحط بصوت ارن . وبعد ان نزعنا احذيتنا دخلنا المعبد . وهو عبارة عن محل ضيق حالك الظلام . سقفه قبة . وقد جعل في وسط القبة وفي اعلى نقطة من الحجرة نافذة من البلور يدخل منها الى المعبد ضوء ضعيف قاتم فيضرب بالجدران المطلية بالبياض ثم ينعكس على الحصر المفروشه



توراة السامرية

في الارض ثم فتح امامنا على الجانب الايسر من المدخل شيء يشبه ستار سرير او مروحة لينة ووضعت امامنا محفظة تشبه الكرسي المرتفع . وكانت هذه المحفظة مغطاة بقطعة مطرزة . ثم اخرج من محل مستور اسطوانتان من المعدن الاصفر المنقوش ووضعتا فوق المحفظة . وتفتح احدى الاسطوانتين من الجهة اليمنى والاخرى من الجهة اليسرى . وكانت تظهر على لوح يشبه الورق خطوط وسطور بالعبرانية قد شاخ لونها لمرور الزمان وحينما قربنا منها تحققنا ان الورق القديم هو عبارة عن رق . وبدأ حينئذٍ الرحل الذي فتح لنا اسطوانتي توراة السامريين وكتابهم المقدس يشرح لنا عنها فقال :

«كتب هذه التوراة على جلود القرابين قبل ثلاثة الاف وثلاثمائة وكسور من السنين (ابوشوع) بن (فنيحاس) بن (العازار) بن (هارون) احد احفاد حضرة (هارون) اخ حضرة موسى . وعرضها ٥٥ سانتياً وطولها ٢٣ متراً و ٦٠ سانتياً . وان التوراة الحقيقية للمتمسكين بالديانة الموسوية في الدنيا هي هذه . فيجب ان تكون الاوامر القدسية في هذه التوراة دستوراً للعمل لكافة الموسويين . وان كل نسخة تخالف هذه التوراة هي اختلاق محض

ونحن السامريين . نؤمن بهذه التوراة ونعمل باحكامها . ولو كنتم تعرفون مقدار المشاق التي نتحملها للمحافظة على هذه التوراة لتعجبتم . فقد . رقوها مرة . وبعد ان فدينا كل مرتخص وغال وجدناها واعدناها الى هنا)

ولا يعلم مقدار المرات التي اعاد بها السامري المتدين هذه الالفاظ على مسمع عدد كبير من المستشرقين الزائرين . مع ان علماء الخطوط العتيقة يعتقدون بان هذه التوراة لا تزال حديثة بخطها . ويرجعون كتابتها الى الف سنة مضت

وكان خلف المحل الذي توجد فيه التوراة شرافة خارجة وقد طليت بالكلس الابيض . وبعد ان شاهدنا ذلك المحل رجعنا الى الحجرة القديمة فاخذ الكهنة يشرحون دين السامرة فصرحوا لنا عن كيفية انفصالهم بعد ٤٠٣٠ سنة من تاريخ آدم مع انهم من الموسويين . ولا يحب السامريون ان يعتبروا اقوال اكثر المؤرخين والمؤلفين الذين يدعون بان السامريين ليسوا من اصل العبرانيين بل هم آتون من بلاد فارس ومن وراء النهر

٣ — دين السامرة

يقال ان توراة السامريين هي التي تعين لهم حدود دينهم . وان بينها وبين التوراة التي بايدي الموسويين ٣٦٠ فرقاً . ولكن (لاروس) يقول حينما يتكلم عن السامريين انهم غير

الموسويين وبحل لدينهم ثلاث قواعد : الاولى — اعتقاد السامريين بان الكتاب المقدس هو الواح موسى الخمسة . الثانية — رفض السامريين لكافة نقول وروايات كبار الموسويين . الثالثة — اعتبار السامريين جبل غاريزيم المحل المقدس مع ان الموسويين يعتقدون بان (اورشليم) هي القدس وهي المحل المقدس

اما شروط العقيدة الدينية الاصلية عند السامريين فهي خمسة :

[١] الاعتقاد بالوحدانية بالله (٢) نبوة حضرة موسى (٣) ان التوراة كتاب منزل (٤) ان جبل غاريزيم هو القدس (٥) ان اليوم الآخر اي الدينونة واقع . ويعتقد السامريون ان الله تعالى منزه عن جميع الصفات ولا يريدون ان يؤمنوا بنبوة احد من الانبياء سوى موسى ولكنهم يعتقدون بنبوة « يوشع » لانه من افرائيم ولانه وضع وصيته الوداعية في سيشهم اي في نابلس . ولديهم كتاب منزل على ... ان الناس يحاسبون على اعمالهم في يوم الآخر فمن حسنت افعاله دخل الجنة ومن ساءت افعاله يلقى في جهنم . وان الجنة هي جنة آدم وليس من عمل فيها سوى العبادة . وان جهنم نار لاهوتية . ويؤمنون بمجيء الهدي . ويطلقون على المهدي اسماء مختلفة فيسمونه « حاشاحيب » و « حاطاحيب » و « مرجع »

وتراهم بانتظار مجيء المهدي لانهم يجهلون وقت ظهوره ولكنهم يعتقدون بان للمهدي علائم وهي : اولاً — اظهاره كلمة الله . ثانياً — قلبه لعصاة موسى وللالواح العشرة . ثالثاً — احضاره « قدرة المن » وهي الحلوى اللذيذة المعروفة

وعلاوة على ذلك فان السامريين يعتقدون بالملائكة

وفضلاً عن العقائد الاساسية في الدين ... ان لهذه الطائفة فرائض يجب عليهم الاعتقاد والعمل بها . وهذه هي الاعمال الدينية المذكورة :

١ . الصلاة — ٢ . الحج — ٣ . الصوم — ٤ . الزكاة

وللسامريين صلاتان معينتان احداهما صلاة الصبح (صليت بيقر) والثانية صلاة المساء « صليت عرب » وكل صلاة احد عشر ركعة ... السجود ... يبدأ كل ركعة ثم الوقوف على التدمين وتلاوة التوراة وان ... صلاة على الافراد ولكن الصلاة بجماعة هي افضل وثوابها اكثر

اما مدة (صلاة بيقر) فمن انبلاج الفجر الى طلوع الشمس و (صليت غرب) من غروب الشمس الى مابعد ساعة او ساعتين

والصلاة مفروضة على الرجال والنساء سواء . ومع هذا فان النساء لا يخالطن الرجال اثناء

الصلاة . وعليهن ان يؤدين صلاتهن على الانفراد

و يشترط اعلان دخول وقت الصلاة (بالبوق) وان يكون المصلي طاهراً . والطهارة عندهم على نوعين الغسل اولاً والوضوء ثانياً . فالطهارة من الحدث شرط اولي على كل موسوي . حتى ان لمس الحائض موجب للغسل وعلى الحائض ان تحضر ثلاثة من النساء يقفن عند رأسها حين تطهرها . واما الوضوء فيغسل المتوضئ اولاً يديه واذا كان من اصحاب الاعمال اليدوية فيغسل يديه مع المرفقين والساعدين ثلاث مرات . ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثاً ثم يغسل وجهه ويمسح اذنيه ويغسل رجليه ثلاثاً . ويتلون التوراة في الصلاة باللسان الذي كتبت به التوراة وهي العبرانية القديمة . يجوز لهم تلاوتها باللغة السامريه . وما لم يجمع المصلى هذه الشروط فلا تكون صلاته مقبولة

ولما كان (شبات) اي يوم السبت يوم استراحة بمقتضى الشريعة الموسويه فان السامريين تركون اشغالهم تماماً من غروب يوم الجمعة الى غروب يوم السبت ويتخلون في ذلك الوقت عن جميع العلائق الدنيويه والمطامع النفسانية وينقطعون للعبادة والطاعة . ولهذا السبب كانت صلاة « شبات » طويلة بهذه النسبة فتمتد صلاة الصبح ثلاث ساعات وصلاة المساء نصف ساعة . ولهذا اليوم صلاة خاصة به وهي صلاة الظهر فتمتد هذه الصلاة ساعة ونصف ساعة

اما الحج عند السامريين فهو عبارة عن زيارة جبل غاريزيم . والحج لديهم ثلاثة اشكال ١ — حج الفطير [Pâque] = ٢ = حج الاسابيع [Partécote] = ٣ = حج المظال [Tolernacle]

١ — حج الفطير اي عيد الاضحي ويمتد هذا الحج سبعة ايام توافق زمن البدر في شهر نيسان ويذبحون يومئذٍ القرابين

٢ — حج الاسابيع ومدته خمسون يوماً ويمكثون على الجبل اربع ساعات او خمسة

٣ — حج المظال وهو مثل حج الفطير . ويمتد هذا الحج سبعة ايام توافق ايام البدر في شهر تشرين الاول . وتقيم كل عائلة تحت المظله

اما شروط الحج فهي « اولاً » وجود التوراه « ثانياً » وجود الكاهن « ثالثاً » القيام بالطواف والمعانقه بعد الصلاة

اما الطواف فيتم بان يلبسوا اعبية بيضاء ويتقدمهم الكاهن ويطوفون سبع مرات حول محل مخصوص في جبل غاريزيم . ويقول السامريون عن قدسية الموقع المخصوص في غاريزيم ما يأتي :

« كان غاريزيم مكانا للهيكل .ثم اقام حضرة موسى الهيكل في « التيه » وبعد وفاة موسى وهارون نقل يشوع بن نون الهيكل الى جبل غاريزيم . ثم اصبح كاهناً كبيراً (العازار) ثم « فنيحاس » ثم « ابوشع » كاتب التوراة ثم « مشش » . وبعد هذا انتقلت الكهانة الى « بعقل » ومن بعده الى (عزى) وكان عزى في ذلك الحين صغيراً فنصبوا رئيساً آخر من سبط لاوى . فحصل اخيراً اختلاف بين هذا الكاهن المسمى (ايلى) وبين (عزى) الذي كبر . لان (ايلى) احضر قرباناً بدون ملح فاستاء (عزى) من (ايلى) وذهب (ايلى) الى القدس وبقي (عزى) هنا . وبسبب ظهور الاختلاف بين الموسويين فان الهيكل قد ضاع . ولكن موقعه لايزال معروفاً في غاريزيم »

واما الصوم لدى السامريين فهو الامساك اربعاً وعشرين ساعة قبل حج المظال بخمسة ايام فيجب على كل سامري كبيراً كان او صغيراً ان يمسك عن ادخال اي شيء كان الى فمه حتى الولد الرضيع فانه يمنع عن الرضاعة طول هذه المدة . وعليهم ان لا يناموا مطلقاً في الاربع وعشرين ساعة المذكورة وان يمضوا هذه المدة بالطاعة والعبادة . ويقال ان الشريعة السامرية تقضي باعدام الذين لايصومون

واما الزكاة فهي عبارة عن اعطاء واحد في العشرة من الارباح الى الكاهن او الفقير . ويوجد عند السامريين مسئلة الطريف والقشر . فلا يجمعون بين اللحم واللبن والزبدة ولا يأكلونها سواء . فاذا اكلوا لحماً فلا يجوز لهم اكل اللبن الا بعد ست ساعات . واذا اكلوا لبناً فلايأكلون اللحم قبل مرور ثلاث ساعات . ولا يأكلون اللحم الا اذا كان مذبوحاً من قبل المؤمنين

والحجاب متبع لدى السامريين . ويجوز الزواج ثانية على المرأة العقيمة او المريضة او ذات العيب شرعي

ويجب على السامريين من كل بد ان يختنوا اولادهم في اليوم الثامن من اعمارهم . ويقتل الولد الذي لا يختن في هذه المدة . ويجب عندهم شرعاً احضار شاهدين حين عقد النكاح ولا تخالف قواعد الارث عندهم الاصول الشرعية المتبعة لدى كافة الموسويين

٤ — الاحوال الاجتماعية في السامريين

(١) — افراد السامريين وطراز معيشتهم — يقيم افراد الطائفة السامرية في بيوت صغيرة معدودة قد التصقت ركبتيها بالارض ... حول معبد ... الى تذكارات من مئات من السنين وقد بني في زاوية استولى عليها ... موسويت في ... وانك لتقرأ في اوجه

سائر افراد هذه الامة التي هي اصغر امة في العالم والتي تتجاوز افرادها المائة والسنين — آثار حياة نبيله وتسمع من السنتهم لهجة راقية . ولقد تمركزت هذه الاريستوقراطية الرتبة على شكل واحد وانتظام واحد في اربع اسر اوخمسة منهم وهؤلاء يسمون اولاد لاوى (عائلة الكاهن) او (اللاويين) واولاد يوسف (عائلة لطيف) او (الدنفيه) و (الصباحيه) و (السرواية) واولاد يوشع (العائلة اليوشعيه) . ويوجد في ايدي الموجودين من افراد كل عائلة شجرة انساب تثبت اباءهم واجدادهم . وهم يذكرون اسماء الاشخاص الماضين بكل احترام وتعظيم . ومع هذا فانه يصعب نوعاً ما الوقوف على درجة تخلص اغصان هـذه الاشجار النسبية وعروقها من خطيئات الزمان وغلطاته . ولكن السامريين يعتقدون بعدم جواز الاشتباه بعائلة الكاهن . ويعتقدون ان هذه العائلة محفوظة النسب حتى حضرة هارون بل حتى آدم عليهما السلام . ولهذه العائلة حق الرياسة على السامريين . ويجب ان يكون كهنة السامريين الاربعة ورئيسهم الروحى من هـذه العائلة . ويقوم احد هؤلاء بوظيفة الامانة . وحاصل القول ان عائلة (الكاهن) نافذة الكلم اكثر من غيرها من العائلات وهي فوق كل عائلة . حتى ان السامريين جميعهـم يؤدون زكاتهم للكاهن اولاً ثم للفقير . ولهذا كانت الكهنة وعائلاتهم هم القسم المرفه من السامريين ولقد تناقل بين السامريين الاعتقاد بان في الكهنة مزية التنجيم وعلم الرمل حـتى انهم يعتقدون فيهم قوة الشفاء من الامراض . ولقد سرى هذا الاعتقاد بمزايا الكهنة وقواهم الروحيه لغـير السامريين . حتى ان كثيراً من النساء المسلمات يزرن معبد السامريين يومياً لاخـذ حجب من الكهنة للمحبة والحمل . ويكشفن للكهنة مافي ضمائرهن . ويحب الرجال ان يسمعوا من افواه الكهنة اخبار مستقبلهم . وحينما يأخذ الكاهن يتكلم بهيبة واستحضار وعلى رأسه عمامته الحمراء وقد اسدل شعر رأسه ولحيته . ينحنى امامه سائر افراد السامريين خضوعاً واحتراماً لدهاء عالم المجهولات . ويظهرون كل خشوع واحترام امام ما ينطلق به

ويمكن ان يقال ان عموم السامريين اليوم في حاجة وفقر . ولا تسمع من اي شخص منهم سوى الشكوى من ضيق الحياة ومن صعوبة المعيشه . ويظهرون التلهف والاسف على سعادتهم الماضية . ويروى ان السامريين كانوا في الماضي تجاراً اغنياء حتى انه نشأ منهم موظفون اصحاب نفوذ . ولكن اهمل شأنهم الآن حتى ان كهنتهم اصبحوا لا يعترف بهم رسمياً

ان السامريين الذين يلوون رقابهم نادبين سوء حظهم يلاقون صعوبات كبرى من وقت الى آخر في اكتساب معـاشهم . وهم لا يزالون يشتغلون بابسط الحرف في اقصى اطراف مدينة نابلس . وترى نصفهم عراة والنصف الآخر جيـاعاً يفرون من كل شخص ويأوون الى بعضهم

طبعا وحينا يجتمعون في معبدهم اليتيم ويتنفسون هواءه يفتحون احيانا كتاب الانساب بايدٍ منهوكة ويحركون شفاههم بالادعية السارية . او يتذكرون السعادة الموعودة . وبهذه الطريقة يسعون لانارة حجرات حياتهم العفنة المظلمة بنور السعادة المنتظرة وببوارق من الآمال

[٢] — العادات الاجتماعية — ان الحالة الاجتماعية في السامريين مؤلمة جدًا . وخصوصاً بين الرجال فان الرجل منهم يلاقي مشاكل لا تقتحم في مسائل الزواج لانه يوجد بين المائة وستين سامرياً ٨٥ رجلًا و٧٥ امرأة . وبين الرجال عشرون شاباً يعثر عليهم ان يجدوا ابنة يتزوجون بها . ورغماً عن ان شريعتهم تجيز لهم الازدواج باي ابنة متدينة باي دين كان ولكن الشرائع الاخرى لا تجيز تزويجهم من بناتها ولذلك لا يرى هؤلاء العشرين شاباً وسيلة سوى الصبر والتسليم . ولهذا لا تلد البنت حتى تخطب بل تخطب وهي في بطن امها . ويضطر اولاد الكاهن للازدواج وهم صغار جدًا . والمهر المعجل عند السامريين ٦٠ غرشاً والمهر المؤجل ٦٢ غرشاً . على ان الاتفاق يكون تاماً منذ سنين بين والد العريس ووالد العروس فلا يصل الزوجين لسن يصلح به زواجهما الا ويجرونه حالاً فيعزمون الاقرباء ويصافح الكاهن والد العريس ووالد العروس ويجرى العقد بالايجاب والقبول حسب الشريعة اليهودية . وبعد عقد النكاح يصنعون للبنت الالبسة ويصيغون لها المجوهرات . وبعد هذا تذهب عدة نسوة من اقرباء الزوج الى دار العروس فيأخذونها من دارها ويحضرنها الى دار العريس ويغنون ويعزفون على الآلات في دار العريس حيث تجري مراسم الزفاف على غاية من البساطة

وحينا يحصل وضع في احدى الاسر . يذهب سائر افراد الطائفة الى دار الوضع ويهنئون العائلة واذا كان المولود غلاماً يجرون ختانه في اليوم الثامن من ولادته . وتبدأ حفلة الختان اولاً بتلاوة الكاهن سورة من التوراة . ثم يضع الوالد لابنه اسماً . يجري ختان الطفل ويشتغل الكاهن ثمان ليال بتلاوة التوراة في الدار التي حصل فيها الوضع ويشاركه الحاضرون بالدعاء . ومن العادة عند السامريين في ايام الاعياد ان الاقرباء يزورون بعضهم بعد اداء الثناء المفروضة . واذا توفى احد السامريين يسرعون حالاً بغسلهِ ويلبسونه البسة نظيفة ثم يضعونه في التابوت . وحينما ينقلون الجنازة يقرأون سورة من التوراة . ويدفن السامريون موتاهم في محل يدعى (راس العين) في الجهة الغربية من نابلس . ويكتبون اسم المتوفي فقط على القبر . ولا يظن انه توجد قبور كثيرة للسامريين . لان الدراسة من الماباسيين لم يمنحوا حق المحافظة على القبور للسامريين الذين هم عرضة الصمن ولتقبيح في حياتهم حتى من قبل اطفال نابلس

وتدور على الالسنة عادات غريبة ينسبونها للسامريين فنكتفي بذكر شيء منها هنا : اولاً

لا يسمح السامريون لغير السامري ان يمس ما كولهم ومشروبهم واذا مسها صدفة غير سامري فانهم لا يأكلون منهـا . واذا مستهم قطعة من الجلد يجب عليهم الغسل من كل بد . والاغتسال صعب جدًّا عند السامريين وخصوصاً النساء فيجب عندهن ان تحضر المرأة الى الحمام ثلاث نساء للشهادة على اغتسالها . ولا يأكل السامريون اللحوم التي يذبحها المسلمون . اما اللحوم التي يذبحونها فيرسلون ا فخذ منها للكهنة ويأخذ بقية السامريين الاقسام الاخرى . وحاصل القول ان حياتهم مقيدة بالقيود التي يمكن رضها في هذه الحياة فيلتزمون عدم قص شعورهم ويعتبرون هـذا العمل علامة على الزهد والتقوى

وبعد بيان ما عددناه من عادات السامريين اريد ان اقول على سبيـل الاستطراد شيئاً عن تقويم السنين والشهور التي اعتادوا ان يستعملوها :

للسامريين ثلاثة انواع من التاريخ : الاول خلقة آدم ويرى السامريون انه مضى على خلقة ايام حتى الآن ٦٣٨٢ عاماً — والثاني مبدأ دخول بني اسرائيل الى الارض المقدسة وقد جرى ذلك قبل ٣٥٨٨ عاماً . والثالث التاريخ الهجري . واما التاريخ الكثير الاستعمال عندهم في الحالة الحاضرة فهو تاريخ دخول بني اسرائيل الى الارض المقدسة . والشهور عند السامريين هي الشهور القمرية ومنها ما يكون ثلاثين يوماً وما يكون تسعـة وعشرين . ويسمون الاشهر عندهم بالعدد الاول والثاني والثالث ... الخ

١ — الرائيشـشون « الشهر الاول » ٢—الشهني « الشهر الثاني » ٣ —الشه ليش « الثالث » ٤— الرهبى « الرابع » ٥— الته ميش « الخامس » ٦ — الته شيشش «السادس» ٧ —ئه شـهيى « السابع » ٨ — ئه الشاميني « الثامن » ٩ — ئه التشي « التاسع » ١٠ — ئه آششهرى « العاشر » ١١ — عاد عاشهر « الحادي عشر » ١٢ — ثاني عاشار « الشهر الثاني عشر »

وعلاوة على الاثني عشر شهرًا فانهم يجعلون كل في خمس سنين سنتين كل واحدة منهما ثلاثة عشر شهرا ويسمون الثالث عشر « ئه تينمات ئه ششهني » . وبهذه الطريقة يتلافون الخطأ الذي يحصل في الاشهر القمرية

٥ — الحالة الروحية والفكرية في السامريين

لا يصعب على كل واحد معرفة حالة السامريين الروحية والوقوف عليهـا بعد ان يرى وجوههم الفاقدة للدم واجسامهم الطويلة الضئيلة وشعور رؤوسهم ووجوههم النامية بدون

انتظام وترتيب . وبطأهم وقلة الحركة فيهم و ترددهم وشدة احترازهم على انه من الممكن وصف الحالة الروحية في السامريين بقولهم (كل حال يزول)

ولا ريب ان اللوح الذي كتبت فيها هذه الجملة وعلقت بدون اهتمام على جدران غرفة الكتب الملاصقة لمبدهم هي اعظم صوت ينطق بما يشتكون . ان شعباً مائلاً الى الانقراض يوماً بعد آخر وهو لايزال يبحث في اخريات ايامه عن المنقذ والمخلص له فلا يجده . فهل يمكنك ان تجد في ذلك الشعب عزماً وحزماً ؟ نعم انهم لا يحبون الاعتراف بصورة ظاهرية بان نسلهم في حالة الانقراض . حتى انهم يذكرون خطبة القاها غزال بن اسحق الكاهن عام ١٢٣٠ ويقيمونها دليلًا على اثبات اعتقادهم فيقولون ان الكاهن تمنى في خطابه بان يصبح عدد السامريين في ذلك الحين سبعين مع انهم اليوم يتجاوزون المائة والسبعين وسيصلون الى المائتين . وان من البساطة الاعتقاد بان السامريين يصدقون قلبياً هـذا القول الذي ضرب عرض الحائط بكافة القواعد الصحية والنظريات العرقيـه . ولقد كان السامريون ١٧٦ قبل سنة فتوفى منهم ١٦ بالهواء الاصفر وبالتيفوس . ولا شبهة ان قلة الازدواج في السامريين بـل وتعسره وجريان الدم في دائرة محدودة يشوش على هؤلاء المائة وستين سامرياً مستقبلهم ويجعله مظلماً

فهل تتصور وجود عزم وحزم في ارواح تعترف بصحة هـذه الحقائق . ولو كان السامريون يجدون دواء ناجعاً لعلة الانطفاء التدريجي في عرقهم لسارعوا حالاً لاستعماله . ولكن هـذه القبصة من بني الانسان حرمت كافة ما يمكن من الوسائل فلم تجد وسيلة سوى الصبر على الحياة التي ابتليت بها . ويظهر ان العذاب مقدر في هذه الدنيا لهؤلاء الافراد الذين تراهم يعذبون كل يوم بايدي النابلسيين صغاراً وكباراً ... وان الفقر والحاجة امران طبيعيان للسامري الذي يلاقي اعظم الصعوبات والمشاكل بتـدارك كسرة من الخبز . وما دام ان الصعوبات والامراض نصيب دائمي لهذا الشعب الذي لم يتم كيانه فلا طريقة للسامريين سوى المحافظه بايديهم الاربعة على توراتهم القديمة والالتجاء الى معبدهم الراطب اليتيم وتربص مجيء (حاطاحيب) السعيد وانتظار جنتهم الموعوده . فالعذاب والفقر والحاجة والاضطراب وتحمل الامراض وحرمان النور والسعادة بل وحرمان كل شيء والابتعاد عن هذه الدنيا باجمعها — امور ضرورية للسامريين . ولهذا يجب عليهم ان يستروا ساحة الحياة الدنيوية المظلمة ببساط السعادة الاخروية المنير

فليقلل النابلسيون هؤلاء الطائفة مهما ارادوا فلا اهمية لذلك لانهم قليلون طبعاً . ولتضق سبل الحياة عليهم فلا مانع من ذلك لان الضيق امر طبيعي . ولتسد ابواب الآمال في وجوههم فليس فيهم استعداد وقابليـة لفتح باب للخلاص . ولا داعي عندهم للحركة والتحول .

حتى انك تراهم حينما يشيعون جنازة لهم وفي ايديهم توراتهم القديمة او اثر من آثار شاعر سامري يدمدمون بشفاههم سورة او قصيدة — غير متأثرين من انقطاع حبل حياة الميت او من نطفاء نور ذكائه . فالسرور لدى السامريين امر عارض . والكدر حالة طبيعية . وليبقى السامريون غارقين في احلامهم هذه الذي انعشوا بها ارواح فلاسفة الغربيين القائلين بهذه الخطـة في الحياة البشرية وليبصروا في احلامهم النور الموعود ... وهذا القدر يكفيهم . وما دام ان التسليم لازم في الحياة المقدرة فاي داع اذن للعمل ؟ ولماذا العمل كما قال المرحوم فكرت :

« تتعب الحياة بالخطى الزائدة »

ولهذه الاسباب لا يريد السامريون ان يتعبوا عقولهم بزيادة فيكفيهم مثلاً ان يعرفوا قليلاً من لسان اسلافهم ... فان تمكنوا بهذا العلم القليل من قراءة ادعيتهم واشعارهم فهي السعادة وان لم يتمكنوا من قراءتها فيكفيهم تعلمها سماعاً . ولهذا كان من العبث البحث عن تعلم الخمسة وعشرين طالباً في مكتب السامريين . او التنقيب عن استفـادة الذين خرجوا من هذا المكتب وعلى اصحاب الملائق ان يعرفوا مايقـع في العالم الدينوي من الحوادث الفنيه والادبية والوقائع السياسيه والاقتصادية . وان يقفوا على كافة ما يحدث من متعبات بني البشر .

اما السامريون فلا حاجة لهم بذلك مطلقاً : اتكال عميق ... بقاء على الحياة كما هي .. انتظار سعادة غير طبيعيه ... استعداد لتمضية اليوم الذين هم فيه ... هذه هي الحالة الروحية والفكرية في الطائفة السامرية

٦ — لغة السامريين

يبلغ عدد السامريين كما قلنا قبلاً ١٦٠ شخصاً عا فيهم الاسرتان المقيمتان في طول كرم ويافا . ولقد استعرب هؤلاء تماماً بسبب اقامتهم منذ ازمنة مديدة في المحيط العربي . فهـم يستعملون اللغة العربية العامية واسطة للتفاهم بينهم في كبار الامور وصغارها واذا تتبعنا تواريخ المشاهير من السامريين نجـد ان (مطانه المصري) او (عطيه المصري) السامري قد نظم الشعر العربي والف كتباً باللغة الفصحى . ولا تزال لغة التعليم في مكتبهم بالوقت الحاضر اللسان العربي ولهذا يوجد بينهم من يكتب باللغة العربية ايضاً . وبهذا الاعتبار نجد ان السامريين جاروا المحيط حتى تمثلت فيهم مشخصات الامم والاقوام القائمة فيه وحتى كانت لغـة ذلك المحيط وهي العربية اللغـة الحاكمة بين السامريين في الوقت الحاضر . وباتت لغة السامريين الاصلية وهي

« السامرية » في الدرجة الثانية . ورغما عن تكرار السامريين في عباداتهم وفي ادعيتهم المشتركة جملاً وعبارات مأخوذة من اللغة السامرية ولكنها لاتخرج عن حد التقليد السماعي الخاص . ولهذا فان عدد الذين يقرأون ويكتبون كما يجب باللغة السامرية لايتجاوزون الخمسة او العشرة . ورغماً عن قلة عدد المتعلمين بهذه اللغة فانه يجب البحث عن جذور هذه اللغة التي يوجد لها كيان خاص وتاريخ معروف وادب معلوم . ثم التدني في البحث حتى نصل الى اساس هذه الجذور . ولهذا وجب علينا حينئذ ان نتتبع الحقائق التاريخية عن اصل السامريين حتى تستنير تلك النقاط المظلمه :

لا عبرة بادعاء السامريين انهم من اولاد بني اسرائيل الخاص وان لغتهم هي اللغة العبرانية القديمة التي لم يطرأ عليها تحول او تبدل فان كثيرين من المؤرخين يثبتون خلاف هذه الدعوى . ولقد كتب « جرجي زيدان » الذي اشتهر بتدقيقاته العميقه فصلاً عن السامريين في الجزء التاسع من مجلة الهلال الصادرة عام ١٩٠٠ — ١٩٠١ فجاء في الصحيفة ٤١٥ منها ما يأتي :

« ويؤخذ من تدقيقات علماء طبقات الامم ان السامريين ليسوا من اليهود وانهم غير منشئين عن اصل يهودي . وقد سموا بالسامريه لسكناهم في انحاء « سامره » في ارض فلسطين . واختلفت الآراء باصل منشأ السامريين واشهر هذه الاقوال رواية القائلين بانهم جاؤا من بلدة « كوتا » في بلاد فارس واذا اردنا ان نأخذ فكراً خاصاً من الاقوال التي جاءت في هذا الموضوع تخرج النتيجة الآتية :

اغار احد ملوك اثور على ارض فلسطين قبل ثمانية عشر من الميلاد فاحتل كافة انحاء سامره وطرد جميع اليهود المقيمين فيها . وبعد ان بقيت سامرة خالية من السكان مدة طويلة جمع احد حكام اثور ويغلب على الظن انه (اسرحدون) قسماً من اهالي بابل . وكوت . وعوا وحي . وسفو وانيم)واسكنهم بلاد سامرة عوضاً عن الاسرائيليين فاستوطن هؤلاء تلك البقاع واقاموا فيها

كان هؤلاء قديماً من عبدة الاصنام حتى ان هذا الشعب الذي كان مؤلفاً من خمس قبائل قد استحضر كل فريق منهم من بلاده الاصنام التي كان يعبدها هناك . ويقول المؤرخ يوسيفوس ان (الكوتيين) قدجاؤا اساساً من العجم . وبسبب توطنهم في ارض سامره سموا انفسهم سامريين نسبة لها . ويقال لهؤلاء « كوتيون » باللغة العبرانية و (سامريون) باللغة اليونانية . ولم يمل السامريون للانتساب الى اليهود الا رغبة منهم بالتشرف باصل اليهود . . . ان اليهود يتبرأون من مثل هذا النسب كما يظهر ذلك تماماً من مطالعة الاناجيل . و . . . ت عاصمة السامريين قديماً بلدة « شيكم » وهي البلدة التي تقوم مقامها الآن مدينة نابلس

اما مدينة نابلس فقد شادها الامبراطور فسبسيانوس في مكان قرية عربي بلدة (شيكم) وسماها «نيابوليس» اي البلدة الجديدة وعلى مرور الايام تحول الاسم الى نابلس . وتقيم الآن البقية الباقية من السامريين في نابلس ويجرون عباداتهم في جبل جرزيم . والخلاصة ان السامريين ليسوا من اليهود رغماً عن ادعائهم بانهم منهم . وقد جاؤا من بابل ومن ماوراء النهرين»

وتكلم « البستاني » صاحب « دائرة المعارف » المعروف باتساع علمه ووقوفه عن السامريين في الصحيفة ٤٠٧ من المجلد التاسع من كتابه فنلخص ايضاحاته التي كتبها تنويراً للقارئ في بحثنا هذا قال :

« يطلق على السامريين في اللسان العبراني اسم «شومرونيم» وفي اللسان التالي اسم (قوطيم) او (قوطيون) . ورغماً عن ان كلمة « سامري » تدل لغة على الذين سكنوا سامره ولكنها تدل اصطلاحاً على الشعوب التي جاء بها الملك الاشوري « اسرحدون » من « بابل » و « كوت » و « عوا » و « حماة » و « سفروايم » واسكنها في اراضي سامره عوضاً عن اسباط بني اسرائيل التي كانت تقطن سامره ثم نفيت الى انحاء (مع) و(على) و خابور ونهر (جوزان) وبلاد (ماري) وليس السامريون هم اسباط بني اسرائيل الذي جاء ذكرهم في الكتب المقدسه

ويؤخذ من بعض الروايات ان ملك اشور لم ينف كافة اهالي سامرة ولكنه ترك قسماً منهم في مواطنهم الاصلية فاختلط هؤلاء بالذين جيء بهم من الجهات الآنفة الذكر وامتزجوا ببعضهم فخرج منهم السامريون الموجودون اليوم . غير ان العلماء مستدلين بالتوراة على ان ملك آشور (سالماناصار) نفى جميع بني اسرائيل وان (اسرحدون) جاء بأقوام اغراب من ارض بابل واسكنهم اراضي سامره . وقد كان هؤلاء الاقوام جميعاً عبدة اصنام . وليس لهم المام بالشريعة اليهودية . حتى انهم طلبوا من ملك آشور ارسال كاهن لهم ليعلمهم الشريعة اليهودية . ولو كان (سالماناصار) ابقيا احداً من بني اسرائيل في تلك الاراضي لما كانوا يحتاجون لمثل هذا الطلب»

والحاصل ان السامريين تقربوا من الاسرائيليين حتى انهم ادعوا بان ديانتهم هي الديانة الموسوية تماماً . ولما عاد بنو اسرائيل من بابل ولم يتفقوا مع السامريين نبتت العداوة بينهم منذ عام ٥٣٥ قبل الميلاد وبعد ان ذكرت دائرة المعارف الايضاحات نشرت تاريخاً مختصر السامريين فنرى نشره زائداً

عرفنا على قدر الامكان من تدقيقات زيدان البستاني امورا مفيدة عن جذور اللغة السامرية . فاذا قبلنا ان السامريين جاؤا من (بابل) و (كوت) ، الخ فليس من المحال نعرف

حينئذٍ اهم الاركان في لغتهم فقد قال لنا علماء طبقات الامم وعلماء اللغات حين كلامهم عن اللسان الذي كان يتكلم به الاراميون الذين كانوا يقطنون ما بين دجلة والفرات وفي سورية وفلسطين وفي الشمال الغربي من ارمينيا والعجم ما يأتي : للالسنة المتصرفة شعبتان كبيرتان للارتقاء احداهما (الالسنة الآريه) والثانية (الالسنة السامية) · اما الالسنة السامية فتنقسم الى ثلاث شعب كبيرة :

١ — الشعبة الارامية

٢ — الشعبة العبرانية

٣ — الشعبة العربية

وللشعبة الارآمية من هذه الشعب فرعان : (الكلدانية) و (السريانيــة) . وحينما يقال اللغة (الارامية) يفهم منه اللسان الذي يعثر عليه في لمحكوكات والمنقوشات التي توجد من بقايا البابليين والاثوريين · وحروف هذه اللغة من النوعين (الاسفيني) و (الانباري)

اما اللسان الكلداني فليس هو سوى اللسان الآرامي الذي طرأ عليــه شيء من التبديل والتغيير بمرور الزمان . ولقــد كُتب سفر دانيال في العهد القديم بهذه اللغة . ومع هذا فانه يوجد فرق عظيم في اللفظ وفي المعنى بين اللسان الكلداني واللسان الآرامي . ولهذا لا يجوز بهذا الاعتبار تسمية اللسان الكلداني بالارامي

واما (اللسان السرياني) فهو لغة كلدانية طرأ عليها تبدل وتغيير في الفاظها وفي دلالتهــا وبهذا الواسطة فان اللسان الارامي تحول الى لغة كلدانية بشيء من التغيير والى لغــة سريانية بكثير من التبدل · ويفهم من هذه الايضاحات ان لسان البابليين هو اللسان الارامي ولكن هذا اللسان اختلط وامتزج بمرور الزمان مع شعبة اخرى من الالسنة السامية وهي اللغة العبرانية

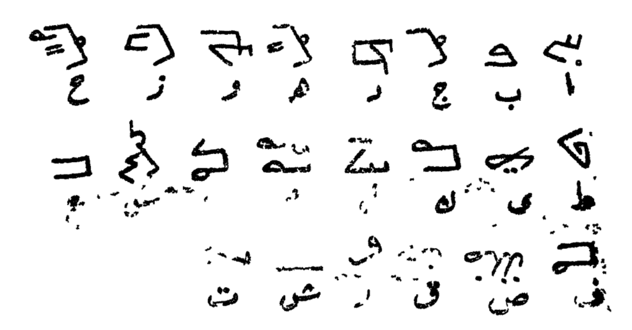
اما شعبة (العبراني) — فان اللسان العبراني ليس لساناً مستقلاً بذاتة ورغماً عن الاهمية التي حازها بمحافظته على تاريخه القــديم فانه لم يقدر على المحافظة على استقلاله تماماً . وان تكن اللغة التي يتكلم بها الاسرائيليون في الوقت الحاضر هي اللغة العبرانية ولكن كثيراً من الكلمات الارآمية وخصوصاً الالفاظ الكلدانية قد دخلت فيها وامتزجت بها . ويمكننــا ان نعتبر اسارة الاسرائيليين في بابل سبباً لذلك . ظهر من هذا انه حدث اختلاط وامتزاج منذ الازمنة القديمة بين الشعبة الارامية والشعبة العبرانية . ولا شبهة انه بسبب تغلب اللغة العبرانية او الارامية او الكلدانية في اللسان المختلط تألفت اللغة العبرانية واللغة السامرية المستعملتين اليوم

وقد ادعت (دائرة المعارف) حين الكلام عن اللغة السامريه انها عبارة عن لغة ارآمية وانه يوجد فيها كثير من الالفاظ والتراكيب العبرانية . ولكن هذا الادعاء خطأ فانه لا شبهة بان

اللغة الارامية التي هي من الالسنة لآرية بعيدة جداً عن اللســان السامري. وربما كان قولهم في دائرة المعارف (ارمنية) عوضاً عن (ارامية)من خطأ المرتبين وقد صرح لاروس Larousse حين كلامه عن Les samaritains ان اللسان الســامري مؤلف من اللسان الارامي واللسان العبراني

يؤخذ مما بيناه ان اللسان السامري يتألف من شعبتين (ساميتين) وبسبب ذلك تظهر شدة القرابة والمنــاسبة بين اللسان المذكور وبين الشعبة الثالثة وهي اللغــة العربية على ان جميع الالسنة السامية مؤلفة من جذور هي عبــارة عن ثلاث احرف . ويمكن ارجاع كل كلمة في نهاية الامر الى هذه الجذور . وان جميع ما يطرأ على كافة الكلمات من التحولات والاشتقاقات لا يبدل شيئاً في هذه الجذور . وكما ان هذه الحالة جارية في اللسان العربي فانها جارية ايضاً في اللسان العبراني واللسان السامري حتى وفي اللسان الارامي ايضاً . وترى العلماء الذين يسعون لايجاد طريقة للتوحيد بين اصول الالسنة المختلفة يستفيدون جداً من هذا القرب الذي يجدونه بين الكلمات الاصليه الاساسية في الشعب المختلفة من اللغة السامية . وان في اللغة السامرية كلمات كثيرة يوجد لها في اللغة العربية شبيه ومقابل . وسنشرح هذا البحث باكثر ايضاحاً حين الكلام عن الادبيات السامريه

ان حروف اللسان السامري اثنان وعشرون . وتشبه حروفهم حروف الفينيكيين وتكتب من اليمين الى اليسار . ولما كان لسان القرطاجيين ولسان الفنيكيين معتبرين من الشعبة العبرانية فان حروفهم ايضاً تشبه حروف الفنيكيين وهذه حروف السامريين :



وقد رتب هذه الحروف على ترتيب (جد ... الخ) ويظهر من كتابة هذه الاحرف انها بعيدة عن احرف اللغة العبرانية . وعلاوة على هذه لاحرف فانهم يستعملون اشارات يسمونها فتح ندا . فتح ايا . فتح آخا . ضمه . كسره . شدة

اما الفرق بين اللسان السامري واللسان العبراني من حيث التلفظ فهو : يلفظون الكلمات في السامريه مفتوحه وينطقون بها الى فوق ويلفظونها في العبرانية مكسورة وينطقون بها الى تحت اما فرق السامريه عن العربيه فالسامريه تنطق الكلمات ثقيلة والعربية تنطق بهـا خفيفة فكلمة (شأنك) في العربية ينطقون بها في السامريه (شاناك) ويتلفظون كلمة (بقر) العربية بصورة (باقار) في السامرية

ولا توجد في السامرية حروف (ث . خ . ذ . ض . ظ . غ) ولكنهم يضعون نقاطاً على بعض الاحرف فيمكن حينئذٍ كتابة الاحرف المذكورة وبهذه الصورة يمكن كتابة اللسان العربي بالاحرف السامرية

واللغة السامرية صرف ونحو بصورة منتظمة . ولقـد كان (تامن العازار) اول واضع للحجر الاساسي في قواعد اللغة السامرية . ثم اكمل القواعد المدونه من بعده (ابو سعيد السامري) المتوفي عام ٩٠٦ هجرية ثم جاء بعده (ابراهيم العيه السامري) المتوفي عام ١١٩٧ هجرية فاكمل ما بقي من القواعد

ويؤخذ من هذه القواعد ان الكلمات السامرية منقسمة الى (اسم وفعل وحرف) كما هو جار في اللغة العربية . ومفردها [illegible] او

ورغماً عن [illegible] السامرية [illegible] فان السامريين لا يهتمون بها . وقد [illegible] صدر (ابرهيم الكاهن) و (وابوحسين الكاهن) و ([illegible]) [illegible] كتب [illegible] للسان السامري ولكنها جميعهـا غير مطبوعة . ويوجد [illegible] عشرة منها نسخ توراة واثنان وعشرون منها بالعقائد الدينية [illegible] وتسعة [illegible] بفن [illegible] السامري واثنان بالتاريخ

هذه هي الكتب [illegible] السامريون منذ الوف من السنـين حتى ان بعض عجزة السامريين الذين يستنسخون اليوم شيئاً من هذه الكتب في حجرة هادئة من حجرات المعبد ولا عمل لهم سوى بيعها [illegible] — يقولون ان هذه الكتب هي عبارة عن وسيلة للتسلي فقط . ويكتب [illegible] يزورهم في السنة مرة . فتتردد حينئذٍ الكلمات السامرية [illegible] ثم تذبل وتأوي الى مراقدها

ومن المحال اذن ان نتصور مستقبلا حسنا لعمل تمضي عليه السنون وهو باق على هذه الصورة

وبهذا الاعتبار يمكن ان يقال ان الاشعار السامرية التي تدور على السن ابناء الطائفة اثناء عبادتهم هي مراثٍ ايضاً للسانهم · ومهما يكن فان هذه الاصوات المنهوكة ستخمد وستنقلب هذه الادعية الصغيرة الى بقايا ادبية مبعثرة تدفن في اقصى تراب مهمل من ديار الصناعة الادبية

٧ – الادبيات السامرية

ذكرنا حين الكلام عن اللسان السامري ان الطائفة السامرية قديمة جدًا وانها موجودة منذ عشرة اعصر قبل الميلاد · فاصبح من الضروري الاعتقاد بوجود شيء من الآثار الادبية الابتدائية في الطائفة السامرية والعائدة لهذه الازمنة اسوة لما بباقي الامم · غير ان المؤلفات الادبية والتاريخية الموجودة في ايدي السامريين لا تظهر لنا شيئاً من هذا مطلقاً · ويمكن القول بان الدهر اخنى على هذه المؤلفات وتزع منها كل فضيلة · وبذلك يسهل علينا معرفة الاسباب التي قضت بان لا يتمكن السامريون من المحافظة على شيء من الآثار الادبية كالاغاني والحكايات البسيطة عن الوقائع الدموية المديدة التي جرت بينهم وبين الاسرائيليين قديماً وبينهم وبين الرومانيين اخيرًا

ويؤخذ من الآثار التي حافظ عليها السامريون ان اقدم مؤلف ادبي للسامريين هو كتاب (مرقه بن عمران الكاهن) وبهذا الاعتبار يصبح مرقه اقدم شاعر سامري

يقال ن (مرقه) ولد في دمشق وتوفي فيها ولكن تاريخ ولادته وتاريخ وفاته مجهولان ويقول بعضهم انه ولد قبل الميلاد المسيحي بثمانين سنه ويقول آخرون انه ولد بعد الميلاد بثلاثمائه عام · وعلى كل فان وجود فرق يبلغ ثلاثمائة عام يدعونا للاشتباه بحياة الشاعر بل يدعونا للاعتقاد بان نسبة المؤلفات اليه مشكوك بها ايضاً · غير انه اذا نظرنا الى ان الاشعار المنسوبة اليه تبلغ نحواً من الف صحيفة كبيرة والى ان اشعاره لاتزال تقرأ برغبة ويتهالكون عليها بل انهم يترنمون بها حتى الآن – نعرف ان (مرقه) هو (اوميروس) السامريين

ويقال ان لمرقه شرحاً منثورًا على التوراة · اما بقية مؤلفاته فهي عبارة عن كتب ادعية وتواريخ الاعياد وامثال هذا وجميعها منظومة · فاذا قدرنا ان في كل صحيفه من آثاره البالغة الفاً – ثلاثين بيتاً فان اشعاره تبلغ ثلاثين الف بيت ولقد تضمنت كافة هذه الاشعار هياماً الهياً عميقاً ·

وان هذه الحالة تتجلى في مؤلفات مرقه · وان من يقرأ مؤلفات مرقه تظهر له معانيها بشكل

بادر في شخصيات السامريين الذين حافظوا عليها منذ الوف من السنين . فاشعار السامريين الذين يفرون من مصائب الدنيا الدائمة ويلتجأون الى حضن معبدهم اليتيم—تكون لهم اعظم تسلية بما تتضمنه من المعاني التوكليه الواهنة القوى . وان صوت (مرقه) احسن بلسم يشفى جروحات قلوبهم المضطربة من هذا الشعور . على ان اشعار مرقه هي احسن ماء زلال تطفيء نار القلوب المحترقة بنيران الاحزان . بل احسن تسلية للاحشاء التي تمزقت من القلة والفاقه . فمرقة يوجه خطابه الى الحق تعالى ويقول في :

مناجاته :

عابوده دالاما	نه للوهن يصطاكد
نه لاثون نه دده ككاني	مارون نه دطائه بهييه ... الخ

(مرقه بن عمران)

مقابلها بالعربية

يامبدع العالم	اله يسجدله
آله الاذكياء	رب التائبين

خفينا يترنم السامريون بلسان واحد ويناجون ربهم بقولهم (يامبدع العالم انت الآله الذي يسجد له . انت رب الصالحين التائبين) ترى ارواحهم قد اجتمعت كتلة واحده ويتخطرون مرقه . ثم يبدأون بتعداد صفات واجب الوجود الصمدانية فيقولون :

من التوحيدات

باراشه دئمم دين طا	شارا طوبهك نه ككه به ثهيه
بامه شطوقازهر اططا	ميللين سلقي بريان ... الخ

(مرقه بن عمران)

مقابلها بالعربي

البداية المدنيه	التى حل جودك فيها
في العدم زرعت	كلمات ونبتت خلائق

ويتكلم مرقة في هذه الوحدانيات عن قيام الحق تعالى من الازل وعن خلقه هذا العالم من العدم وان هذا الكون كان بارادة الخالق الربانية

ولمرقه اثار كثيرة من هذا القبيل . كما ان له اثاراً اخرى تشير الى المحن التي اصابت بني اسرائيل ونذكر منها عدة مصراعات :

تاريخ

موشاب بشير ائه‌ل وابو تمه

رعمسيس‌ئيه موشابوتمه

قام مسفارا عامه بوتمه

في موكائو يو تمه

(مرقه بن عمران)

مقابلها بالعربي

مسكن بني اسرائيل واباهم

رعمسيس هي مسكنهم

جمع عدد مضايقتهم

هي اوجاعهم

ويشير بكلمة رعمسيس الواردة في هـــذه المنظومة بحساب الابجدية الى زمن مصائب بني اسرائيل وهي عام ٤٣٠ والحاصل ان مرقة يستحق الذكر بما فاز به من انعاش ارواح السامريين بما وضعه من المؤلفات والآثار

ومن اشهر الرجال السامريين بعد مرقه باعتبار التاريخ هو (عمرم داره) ويقال ان (عمرم داره) هو والد مرقه . ولكن القول الصحيح انـــه من احفاد مرقه . ولد (عمرم) في دمشق وتوفي فيها . ويتلو السامريون اشعار (عمرم) بالدرجة الثانية بعد اشعار مرقه . ولهذا الشاعر آثارمنظومه تحت عنوان (ادعية شبات وادعية الصوم) وله آثار منثورة . ويمكن ان يقال ان المزية الشعرية في عمرم هي قريبة من مزية مرقه . وآثار هذا الشاعر روحية ودينية

فمن توحيـــدياته :	مقابلها بالعربي
ميدلات ئه لا ئيلا عاد	من حيث ليس آله الا واحد
لا عالم الا ديله	لا خلود الا له
لا يصطاكد الا الكد له ... الخ	ولا يسجد الا لكبريائه

توحيدية اخرى

اططائو عاوده دالاما آدلابهد

ئيدهن ماله لك ياكه‌ل كانو بادهك عابهد

(عمرم)

مقابلها بالعربي

انت هو مبدع العالم بغيديد

اين مالك بقــدر فعالك يفعل

ولعمرم كثير من التوحيديات الطويلة مثل هذه . ولكن بعضاً منها على شكل الرباعيات فمن رباعياته :

نه يي نه شار . نه ييا يه يي

آنيطا لامبياز . وا آته نه يي

وه يياكو لالاق تيمه دوتا ندي

وآطظا عاي اتيداق نه يي شارنه يي

(عمرم)

مقابلها بالعربي

ازلى ابدى كان ويكون

كنت ليس من ابتداء والآن تكون

والقدرة لك تميت وتحيي

وانت حي لداتك يا ازلي يا ابدى

ويظهر من هذا ان آثار عمرم جميعهــا مملوءة باللهجة الروحية وقــد وجد بين السامريين شعراء يشبهون (عمرم) وهم (عبد الله النقــا) و (ابو العوث) و (ابن منر) و غيرهم من الشعراء القدماء المدفونين في دمشق

اما شعراء السامريين الجدد فيحسبون من مشاهيرهم (الشيخ مسلم) و(الشيخ ابراهيم العيه ، و (غزال الكاهن) الذي مر اسمه قبلًا و « خضر الكاهن » ويخصون بالذكر الساعر المصرى « مطظانه المصري » اي « عطيه المصري » الذي توفى بعد سنة ١٠٠ من الهجرة فان هذا الشاعر مقطعات غرامية فضلًا عن اشعاره الفلسفية و لرزحية وهو الذي اوجد طريقة الشعر الغزلى بين السامريين

— عزل بالسامرية —	« مقابله بالعربية »
عاشا قدنقتمى باك	عشقك ذ بي باك
واني نيلمك نكسمف نيلله باب	وانا اليك هاري الباب
دال اوايت يه دى مه شش كاله	فقير وليس يدى طائله

نونو آصصو باب	وهو المحيط
وهقومام مرراق	والواقف من بعيد
وليتلي ءازار مصفا آصصو باب	وليس لي العين قدر المحيط
عدئه ن يه قوم نه ميار	حتى ان يقوم الكلام
مياروه با كودهق	كلام وحواسه شد (جمع)
مائه نومهر لادهنى	ماذا اقول
مائه دد يبه رمائه صطه دق	وما يتكلم وما اعتذر
	« مططانه المصري »

ونزيد على ما ذكرناه ان السامريين على وجه العموم مرتبطون بهذه المنظومات التى ذكرناها وذلك حسبما تقضي به حياتهم

ويقال ان عدد الشعراء السامريين الذين بقيت آثارهم يبلغ الثلاثين ٠ ومع هذا فقد مضى على السامريين نحو من قرن ولم يظهر لعالم الوجود اثر ادبي باللغة السامرية ٠ ويظهر من هذا بشكل واضح ان دور الاضمحلال والسقوط مستولٍ تمام الاستيلاء على السامريين بحياتهم العنصرية وبادبياتهم وعلمهم

على ان الاثار الادبية السامرية معينة تماماً فلاتتجاوز الرباب (ليريك Lyrique) ومقطعات العزف (ديداقتيك Didactique) ولا يعثر القارئ في ادبيات السامريين لا على وصف خيالي ولا على قصص تاريخية ٠ ويوجد عند السامريين شيء من التهليلات وضروب الامثال العامية التي لا يعرف قائلها ٠ ولكن الاغاني غير موجودة مطلقاً

فمن التهليلات :	« مقابلها بالعربيه »
نهعاتهن نه يهقفهر	يا عريس يا جليل
صالامهك وسهنمانهر	وجهك قنديل منير
نه الووهن لاق يائهر	الله لك يانير
يه لبيشهِك كابود وطغائهر	ويلبسك وقار واجلال

اما ضروب الامثال فكثيرة عند السامريين ونذكر هنا عدة منها :

من ضروب الامثال

١ — لاتوكا عصطوك تينه نومك مننهك

مقابلها بالعربي

لا تعذلني حتى تعذل نفسك منك

٢ — وه ييامهم ثيك آراقه لادما لاتد دائو

مقابله بالعربي

الايام حبالى يجهلن ما سيلدن

٣ — لتعا حاقارا مانيللا لهئه قهب

مقابلها بالعربي

ما من ضيق عظيم الا ولهُ نهاية

ويقال انه يوجد بين ايدى السامريين اكثر من مائة مؤلف تشبهُ ضروب الامثال المذكوره وهي ذات علاقة بحالة السامريين الروحية والاجتماعية

ولا يخلو من الفائدة ان نقول شيئاً عن الصنائع النفيسة بين السامريين بعد ان ذكرنا هذه الخلاصة عن الادبيات السامرية

٨ — الصنائع النفيسة بين السامريين

ان الصنائع النفيسة بين السامريين لا تعتبر شيئاً بنسبتها الى ادبياتهم والسبب في ذلك هو تحريم دينهم صناعة بناء الهياكل والرسوم. فقد كان السامريون عبدة اصنام حينما كانوا في بابل كما ذكرنا قبلاً. حتى انهم لما انتقلوا لارض ساموه كان لكل قبيلة منهم صنم خاص ولا ريب انه كان للسامريين في ذلك الحين هياكل ومعبودات ثمينة جداً غير انهم لما استوطنوا ارض ساموه ودخلوا في الديانة الموسوية وجب عليهم ان يتبعوا كافة تعاليم الديانة الموسوية ضد الصنمية. ومنذ ذلك الحين لم يبق للسامريين لا هيكل ولا رسم. ولا يمكن اليوم ان يرى شيء من الهياكل او الرسوم لا في معبدهم ولا في دورهم. وكما ان جدران معبدهم مطلية بالكلس الابيض فان حالة بيوتهم كذلك فهي خالية من كل زينة ونقش. ومن الغريب انك لا تجد في قواعدهم الدينية منعاً للمحكوكات والمنقوشات. كما انه ليس في ايديهم اثر حفظوه من الازمنة الماضية مما يشير الى شيء من هذا الحظر او المنع. وربما قضيت عليهم الموضوعات المتقابلة باخراج هذه الآثار من ايديهم. ولا شبهة بان النقوش التي اشرنا الى وجودها على محفظتي توراتهم القديمة لا اهمية لها مطلقاً

ومع هذا فان فريقاً من شبان السامريين يشتغلون بمسائل الرسم بصورة متمادية ولهذا احب ان اقول شيئاً في هذا الموضوع :

فالسامريون يشتغلون برسم تاريخ لموسوية ورسم جميع موروثاتهم ومقدساتهم ويضعونها في الواح باقلام ملونه وربما رسموها احياناً بالصباغ المائي . والمشابهة تامة بين جميع هذه الالواح حتى تكاد ان تكون منقولة عن بعضها . اما البحث فيها عن اثر للصناعة فمن العبثيات . ورغماً عن بساطتها وكونها من مبدئيات الفن فانها تبهج الابصار ويشعر الناظر اليها بغرابة

يرسمون على ورقة متوسطة الدرجة ستين شكلاً من (شبه المنحرف) ويخطون امام شبه المنحرفات خطوطاً صغيرة ويصبغون الاشكال المذكورة بالوان مختلفة فيتكون من مجموع هذه الاشكال الملونه (اطار) للالواح الآنفة الذكر . ويوجد في القسم الفوقاني اي اعتباراً من نصف اللوح فما فوق اشكال مستطيلة ملونه متداخلة ببعضها وللمستطيل الخارجي مستطيلات مؤلفة من خطوط واشارات قريبة جداً من خطوط الاطار . اما في موكز المستطيل الداخلي فيوجد رسم كتاب مفتوح ويدعونه (تابوت العهد) وينقشون فوقه رسوم (طيور) و(ملائكة كَرُوبين) وعلى جانبي الكتاب رسوم عصاوي موسى وهرون بشكل شجرة عارية من الورق ذات غصن واحد وفرع واحد . ويكتبون بين المستطلين اسماء الخدمة

وفي وسط اللوح تماماً رسوم قناديل بالزيت تشبه شكل شجرة توت عارية من الورق ممتدة من اليمين الى الشمال ورسوم عدة ملاقط ومباخر . ومحل لوضع البخور . وفي الطرف الاخير محل للمائدة

اما القسم التحتاني اعتباراً من نصف اللوحة فقد جعل على شكل منحن بهيئة قبة . وقد رسم في داخل هذا المنحنى جبب كهنة (باب القدس) ومبخرة ومغسلة وابريق . وقد رتبت هذه الرسوم بجانب بعضها مبتدأة من اليمين الى اليسار وهي مصفوفة بشكل ملاصق للمنحنى

وفي الصف الثاني رسم السكين المستعملة في ذبح القربان . ومحل القربان . وفي اسفل ذلك رسم « البوق » « واسماء النافخين بالبوق » وعدة قدور وصحون فخار ونيران للقربان وقدرتبت هذه انيقاً الرسوم في جانب بعضها ايضاً

وعلى السامريين ان يقولوا ان هذا اللوح المنتقل رسمه من بطن الى بطن منذ مئات والوف من السنين — لم يرسم بفكر صناعي في حالته الحاضرة ويبيعون هذا اللوح حاذ مقابل شيء معين . ولا يظن القارئ بان في هذه الرسوم التي تصنع لاكرام السائحين القادمين من اقصي البلاد الغربية — استعداداً ولو جزئياً للترقي والتقدم . كما انه لا يجول في الذهن بان يفتكر السامريون بذلك ولو تكرر رسمها مئات من السنين . وبقدر ما بقي فن الرسم على حالته الابتدائية فان

الرقص والموسيقى قد بقيا عندهم متأخرين بهذه النسبة . ومن بساطة القلب البحث عن الفن المعماري لدى السامريين

ذكرنا قبلًا بانه ليس للسامريين اغانٍ خاصة بهم . ونزيد على ذلك هنا بانه لا يوجد عندهم شيء موقع على الانغام رغماً عما جاء في التوراة من ان مريم اخت هرون كانت تقدم ترتيلاتها الدينيـة على الدف والرباب . وليس بيد السامريين وثائق تاريخيـة تدل على ان الموسيقى ارتقت عندهم بعد ذلك التاريخ . فليس عند السامريين في الوقت الحاضر آلات موسيقيـة كما انه لا وقوف لهم على شيء من الموسيقى . غير ان السامريين يتلون ادعيتهم وينشـدون منظوماتهم وآياتهم اثناء صلاتهم بلسان واحد وبصوت منخفض ولكنه مرتب على نغم تجويدي واحد . ويأخذ مقام التجويد عندهم شكلًا ضخماً جدًا وتغلب عليه القساوة المتوحشة اكثر من النعومة واللين

غير ان السامريين يشعرون بلذة وانجذاب عظيمين من سماع هاته المقامات الثقيـلة . ولا حاجة بنا للاشارة الى الحالة الضيقة التي تدل على فقدان الكمال في اذواقهم السمعية . ومع ذلك فان هذا القدر كاف لهذه الامة التي باتت معرضة لكل حرمان . ونراهم قانعين بهذا القدر مكررين عبارة (كل حال يزول) وهم يفتكرون بان الغفران الالهي سينحصر بهم وحدهم . بل هم يؤمنون بذلك تمام الايمان

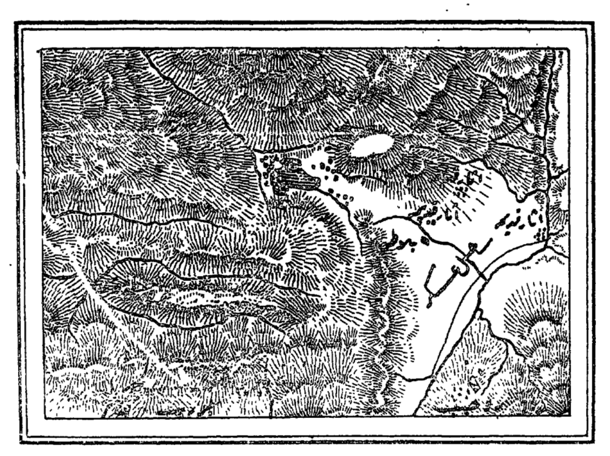
— ٦ —

قضاء مركز نابلس

١ — حوالي نابلس

حان الوقت الذي نفارق فيه نابلس القديمة وشكلها الحجري المشبع بالخفاء والكتمان . وقد احسسنا بعدم احتمالنا لهواء وادي سيشهم المختنق . بل كان احتياجنا للابتعاد عن هذا المحيط الكثيف والمنحط يتزايد بنسبة مضاعفة . وكنت اخاطب نفسي بقولي: لو لم تكن هذه الاحجار متوجة بتذكارات ماضيه ثمينه . ولو لم يمنح التاريخ كافة كنوزه الروحية لهذه الارض الخفية المستسلمة — فماذا تكون حينئذٍ حالة هذه الاراضي الصخرية الترابية ؟ بل ماذا تكون درجة انحطاطها وحرمانها من الثمرات ؟

ولكن معانقة السعادة الخياليه التي ستمنحها لهذه البلاد التذكارات الماضيه وامتصاص الهواء الديني من هذه الافاق الشامخة قطرة قطره — هي من اكبر الملاذ والاذواق . ولم يكن شـيء



نابلس وضواحيها

اعظم لذة لي من تسليم النفس لسياحة فكرية في مهيع التمثل التاريخي . والانغماس وسط ذلك السكون الخيالي الحالم منذ اعصر فوق هذه الوديان وتلك الجبال وهاتيك الينابيع

وكنت معتقداً انني لم اعش في نابلس مع انني مقيم فيها . وحينما كنت اتفرج على البلدة من اعلى شرفة في نزل (الالمان) القائم في نقطة مشرفة على سائر انحاء البلدة — كانت (فلاويانياپوليس) تتجلى لي وسط الاشعة الذهبية من شمس الصباح بانها تستلفت النظر اليوم اكثر من كل زمان مضى عليها . ولقد كانت تتمثل بعيني خصوصاً في جبل (العيبال) المرتفع امامي في الضفة الاخرى من الوادي مهارة الاسباط من بني اسرائيل الذين كانوا منتشرين في انحائه . وكنت اسمع باذني كلمة (آمين) التي كان ينادي بها رب الكايم بقلوب متجهة اليه اسباط روبان (Ruben) وجد (Tad) عاسر (Aser) وزابولون (Zabulon) ودان (Dan) نفتالي (Neptali) . . ان مساحاتهم التي كانت تملأ جميع هذه الافاق تنعكس ... حيث تأخذ اجوبة اقدسيه بل كنت اشعر احياناً بان اسباط سيمئون (Siméon) ولاوي (Levi) ويهودا (Juda) ويسساخار « Issachar » ويوسف (Joseph) وبنيامين « Benjamin » كانت تنادي بالاشتراك « آمين » بصوت ملؤه الاطاعة والتسليم . بل ان افراد الحمية الاسرائيلية « Josué » باجمعها كان يصافح بعضهم بعضاً الرجل والمرأة والكبير والصغير والطفل وذلك باشارة من حضرة يوشع . يكبر كبراؤهم ويترعون بتلاوة السور شاكرين من قلوبهم ومن احشائهم الالطاف الآلهية التي لاتتناهي فينصب عليهم حينئذ العفو والغفران من السماء وتفوز آنئذ تلك الطائفة العبرانية بالنعيم المقيم

امتطينا الخيول من امام النزل وسلكنا « الطريق الشرقي » وانا مشتغل الذهن بالعبرانيين . وبعد قليل كنت اودع المقبرة عن الشمال والشكنة وعين الدفنة عن اليمين وهما بحالة ظل مبهم . ومن هنا انكشف امامنا وادي سيشهم بشكل صحراء واسعه . وكانت ارض يعقوب « Thamp de Jacob » تتجلى بعظمتها واتساعها في سفح غاريزيم فجالت حينئذٍ في نفسي هذه الافكار :

ما اكثر التذكارات الثمينة الملوثة بها هذه الاراضي ؟ فسألت تلك الاهوية القدسية التي كانت تهب من هناك . والمياه الفضية التي كانت تتدفق متلألأة . والتراب العنبري الذي ينفتح له الصدر واستطلعت منها خبر الوقائع الماضية فاجابتني قائلة :

ترك حضرة ابراهيم ارض « حران » وسار الى جبال كنعان . فمر هنا وركز خيمة له تحت شجرة قديمة وبقي مدة تحت هذه الشجرة تصحبه امرته وسائر افراد معيته . ولقد تقبل دعاؤه

الحار الذي خرج من قلبه في هذا المحل . فوعد الحق تعالى قومه بهذه الارض الى ان مضت السنون وكان حضرة يعقوب عائداً من برية الشام فمر بقرية سالم القريبة من هذه الاماكن وابتاع تلك المحلات فسميت هذه الاراضي « ارض اسرائيل »

لا تنفك اشعة الشمس عن ارض اسرائيل فتحرق ما تصيبه بنورها الملتهب . ولقد كان سكان انحاء نابلس يمرون على الطريق وقد لفحت وجوههم الشمس فيذكروننا بانهم احفاد (السيشهميين) القدماء في ذلك الموقع . ولقد كان في نظراتهم معان مندمجة وكانهم يشيرون باصابعهم الى هذه الارض ويريدون ان يقولوا ان اجدادنا السيشهميين اخذوا جدتنا دينا « Dina » ابنة يعقوب من هذا المكان وذهبوا بها

كانت الحوادث السابقة تنبعث في ذهني فاتخيل تمثيلاً يعرض فيه اولاً تأثر يعقوب ثم عناد السيشهميين واصرارهم عليه وفي نهاية الفصل ارى بعيني فرار « دينا » السعيد

جئنا بعد مدة الى امام قرية « بلاطه » فوقفنا في جانب منبع لطيف . وحينما كان مختارو القرية يقصون علينا انباء البلاء الذي اصاب القصبة ويتكلمون عن انحطاطها وسفالتها كان فكري مشغولاً بامر المعيشة فوق هذا المحيط واحتضان ماضيه فقط . ولما كنت افتكر بحضرة يعقوب تواردت على ذهني مسئلة البئر الذي امر بحفره هنا فكنت ارسل بصري للبحث عنه . ثم واصلنا السير فبدت امامنا في الجهة اليسرى قصبة صغيرة بيضاء ولكنها جديدة . فسألت طفلاً حافياً صادفته في الطريق عن هذه القصبة ولما قال بصوته الرفيع الرنان « عسكر » خطر ببالي حينئذٍ قصة صناعة اللؤلؤ . نعم ان موقع بئر يعقوب هو في جوار سيشار (Sichar) ولم يكن يخطر ببالي ان سيشار القديمة ستكون بشكل جديد على هذه الصورة . وبعد ان مكثنا هنا زمناً قليلاً اتبعنا طريق غاريزيم نحو اليمين فوصلنا بعد قليل الى بئر يعقوب (Puits de jacob)

وبينما كنت داخلاً للدير الذي انشأه الروم الاورثوذكس فوق هذا البئر كان دماغي مشحوناً بالتذكارات العيسوية . فتقرب منا راهب متقدم بالسن وقال لنا بصوت مرتجف اعتاد ان يخاطب به السائحين دائماً (ان هذا المحل معروف باسم (دير يعقوب) ونحن المسيحيين نسمي هذا المحل ايضاً (دير السامريين) ولا بد انكم قرأتم قصة السامرية (La samaritain) في العهد الجديد فان المخلص لما ترك العالم اليهودي وجاء الى غاليله مرّ يوماً من الايام مع اتباعه التعبين المنهوكي القوى من هذا المحل وجلس في جانب البئر فنزل اتباعه الى بلدة (سيشم) لتدارك مأكلهم . فجاءت في ذلك الحين امرأة سامرية لتستقي من البئر فقال لها حضرة يسوع (اعطني ماء لاشرب) فقالت له انك يهودي وكيف تجسر ان تطلب ماء من سامرية ؟ ألا تعلم ان

اليهود والسامريين لايخالطون بعضهم ؟ ولما سمع المسيح كلام المرأة اجابها بقوله (لو علمت مقدار المنحة الآلهية لعرفت من هو الرجل الذي يقول لك اعطني ماء لاشرب ولكنت انتِ تطلبين منهُ الماء ولكان هو يعطيكِ ماء الحياة . . . الى آخر ما قال (الفصل الرابع من انجيل يوحنا)

وقد كان الراهب يتكلم بحرارة وشوق ديني كانهُ يتلو فصلاً من الانجيل . وربما كان يضيف على ذلك شيئاً من الحواشي من عند نفسه وكنت ادخل الكنيسة وصوت يسوع لايزال يرن في اذني وهو يقول للمرأة (ان الذي يشرب من هذا الماء يعطش ولكن الذي يشرب من مائي لا يعطش) . فاوقد الراهب المشاعل وانزلها الى البئر فاطليت برأسي على البئر فوجدت المشاعل كانها نجوم سقطت فيه فكان منظر المشاعل لطيفاً جدًا فاعطونا من ذلك الماء التاريخي فشربنا منه . ولا انكر ان ذلك الرحيق التاريخي قد اسكر الفكرة مني . وحينما كنا نتباعد عن الكنيسة والدير ونسير بين اغصان الزيتون كنت اشعر بضعف لا اقدر معه على تحمل التذكارات الماضية

كانت ذروة جبل الطور مشرفة عليَّ من الجهة اليسرى وكانها رقيب يشيعني بسكون وهدوءْ حتى نابلس

٢ = الاحوال العمومية في قضاء مركز نابلس

[١] — الموقع والنفوس — يقع قضاء مركز نابلس في منتهى الجنوب من لواء نابلس وهو محاط من شماله بقضاء جنين ومن شرقه بلوائي حوران ومعان ومن جنوبه بلواء القدس ومن غربه بقضاء بني صعب . وتبلغ نفوس القضاء ٥٦٥٧٥ شخصاً منها ٢٧٦٩٦ رجلًا و ٢٨٨٨٢ امرأة

القرى المربوطة بقضاء المركز	قرى	دور
	٩٦	٧٠٢٧

ذكور	اناث		قرى
١٠٧٦٢	١٠٤٧١	مديرية جماعين (ناحية رسمية)	٤٥
٠٨١٨٩	٠٧٨٧٥	ناحية مشاريق عناوي (ناحية غير رسمية)	٢٩
٠٤٥٦٤	٠٤٢٨٠	ناحية وادي الشعير « « «	١٥
٠٤١٧٨	٠٤٢٥٥	ناحية مشاريق جرار « « «	٠٧
٢٧٦٩٣	٢٦٨٨١	يكون	٩٦

اجرى عام ١٢٩٩ تحرير للنفوس في عموم اللواء ولكن الوصول الى نتيجة منه امر مستحيل لاختلاط اوراقه وعدم تصنيفها وترتيبها . و عام ١٣٢١ اجرى تحرير نفوس جديد فظهرت زيادة ١٤ الف شخص في النفوس . و عام ١٣٢٨ اجرى تحرير نفوس ثالث فظهرت زيادة ١٢ شخص . ويؤخذ من معاملات النفوس في عام ١٣٣١ ان المواليد كانت ١٢٣١ والوفيات كانت ١٨٥٩ وفي عام ١٣٢٩ ولد في جميع انحاء القضاء ٨٥١ ولداً . ومما يستلفت النظر قيود النفوس لعام ١٣٣٠ فان عدد المواليد زادت فيها ١٤٧٩ وذلك بسبب اعلان العفو عن المكتومين . وكانت الوفيات عام ١٣٢٩ (٥٩٨) وعام ١٣٣٠ (٢٧١) ولا ريب ان عدم التناسب بين هذه الارقام يظهر لنا درجة ابتعاد قيود النفوس عن الحقيقة وعدم اهتمامها بها

[٢] — المواقع التاريخيه : جبلا غاريزيم وعيبال — يرى في المنتهى الشمالي من جبل غاريزيم اوجبل الطور (وارتفاعه ٨٦٠ متراً) وهو احد الجبلين اللذين يتألف منهما وادي نابلس قلعة خربة على شكل شرفة كبيرة . ويغلب على الظن انها من ايام الامبراطور البيزانسي (جوسيتيان) ولكن ثخن جدار القلعة مقدار متر ونصف وطرز انشاء الجدران يشير الى انها من آثار دور تاريخي اقدم من ذلك التاريخ

ويدعي السامريون انه لا يزال يرى صخر كبير في المعبد الذي انشأوه قبلاً وسط القلعة الكبيرة . ويستدل من الآثار القديمة الباقي في انحاء مختلفة من القلعة انه كان على جبل غاريزيم كثير من الدور والمآوي . ويدعون انه في الزاوية الجنوبية الشرقية قدأمر حضرة ابراهيم بتقديم حضرة اسحق قرباناً لله . ويرى من ذروة جبل غاريزيم منظر بديع جداً . ففي الجهة الشرقية صحراء ماخنة المحاطة بتلال صغيرة ومن وراء ذلك قرى عسكر . وكفر قليل . وعزموت وسالم وبيت دجن . وروجيب . وعورته . وعلى بعد من ذلك جبل عالاد وجبل اوشع الحاكم مايه اما الجهة الشمالية فيسترها جبل عيبال . ومع هذا فانه يمكن عن بعد تفريق جبل الشيخ من سواه واذا كان الهواء صافياً يرى جبل الكرمل من جهة الندل العربي

اما جبل عيبال او سليمه (وارتفاعه ٩٣٨ متر) فيحيط بالجهة الشمالية من نابلس . واما المنظرة التي ترى من ذروته فهي اكثر اتساعاً من منظرة غاريزيم . فالواقف على قمة الجبل يرى عن بعد كافه جبال غاليله من الكرمل حتى جبل جلبوع وفضلاً عن ذلك فانه يرى عن بعد اكثر من هذا جبل الشيخ وقصبة صفد . ويمكن تفريق سواحل البحر الابيض من الجهة الغربية وجبل حوران من الجهة الشرقية . وفي الجهة الشمالية منه تقوم على تلة ترية (طلوزه) التي دعاها القدماء تيرزه والتي كانت عاصمة لحكومة كان اسسها اليهود في الجهة الشمالية لمدة معينة

دير بئر يعقوب — يتناقل النصارى انحضرة عيسى عليه السلام كان وعظ امرأة سامرية من نساء قرية عسكر ثم وعظ السامريين في نابلس ولهذا فان المسيحية تقدس هذين المحلين . ويروى ان حضرة يعقوب عليه السلام لما جاء مع اسرته من الجزيرة مهاجراً الى فلسطين وقف مدة امام قرية سالم داخل قضاء جنين وابتاع من (همور) والد (سيجهم) شيئاً من الاراضي . ثم انشأ بين قرية سالم وبلدة نابلس وعلى بعد نصف ساعة من البلدة الاخيرة معبداً لله وحفر بئراً وهذا وجه تسمية الدير . ويروى انه لما حانت وفاة حضره يعقوب اوصى باملاكه في المزارع الجميلة القائمة بين جبلي عيبال وغاريزيم والتي تسمي (صحراء يعقوب) الى ولده حضرة يوسف عليه السلام

فالدير انشيء لاول مرة من قبل الامبراطورة (هيلن) عام ٣٥٠ م وبتعاقب الازمان خرب ثلاث مرات وتجدد بناؤه في كل مرة . وقد باشر الروم الملكيون بتعميراته الاخيرة منذ ثمان سنين بموجب فرمان اعطى لهم من الباب العالي . وقد صرف على التعميرات التي لم تتم بعد مقدار سبعة آلاف ليره جمعت من الاعانات . ولم يتم من البناء سوى الدير الذي يستر « بئر يعقوب » ذاته وقسماً من الكنيسة العظيمة الزينة . ويجري الماء بصورة دائمة من الشمال الى الجنوب في البئر الذي يبلغ عرضه مترين وعمقه ٣٠ متراً . وقد رسم مصور الدير الكبير « فرانكيا » افندي احد ار كان نظارة النافعة اليوم والذي كان مهندساً للنافعه في القدس . ولا يزالون في حاجة لعشرة آلاف ليرة على الاقل لتطبيق هذه المصور حرفاً بحرف . ولقد كان يزور الدير في كل عام قبل الحرب زائرون روسيون يتراوح عددهم من الفين الى اربعة آلاف يدفع كل واحد منهم اعانة من فرنك الى خمسين فرنكاً . وقد كانت واردات الدير عام ١٩١٢ « ٤٠٠ » ليرة ومصارفه ٢٨٣٩٩ غرشاً

ويغلب على الظن ان الجمعية الفلسطينية المعهودة في روسيا قد قامت بمعاونة مالية كبرى في سبيل تعميرات هذا الدير . وعلى بعد ١٦٠ متراً في الجهة الشمالية من بئر يعقوب مقام نبي الله يوسف عليه السلام وقد جاء بصراحة في الكتاب المقدس ان اولاد اسرائيل نقلوا بقية عظام يوسف عليه السلام من مصر الى هذا المحل المقدس

[٣] — المعارف — في قضاء مركز نابلس ٥٣ مكتباً ابتدائياً للذكور منها اربعة نموذجات (نمونه) في قصبة نابلس . وفي مكاتب الذكور « ٧١٢ » طالباً . وعلاوة على ذلك ففي المركز ثلاثة مكاتب ابتدائية للاناث وفيها ٤٠٠ طالبة تقريباً . وقد ظهر لنا من التدقيقات التي اجريناها انه نقص ٢٠ في المئة من المداومين على المكاتب والسبب في ذلك الفقر واضطرار الاطفال للعمل ليكتسبوا قوتهم

وعلاوة على مكاتب الاناث الثلاثة في نابلس فقد اسس فيها مكتب حضانة افتتح

قبل سنة ونصف من واردات المعارف المحلية تحت عنوان مكتب الاناث الليلي · واعتباراً من مارت في هذه السنة تحول الى مكتب حضانة وجعلت ميزانيته من المحاسبة الخصوصية · وعدد الطالبات في المكتب المذكور (١٠٠) عشرون منهن داخليات يتعلمن ويطعمن مجاناً · وقد كان حتى شهر مايس ست بنات داخليات باجرة معينة · غير ان ادارة المعارف اخرجتهن من المكتب بسبب تقدمهن في السن على بقية الطالبات · ويمكن لكل ولد يتراوح سنه من الاربع سنين الى الستة ان يدخل مكتب الحضانة سواء كان ولداً او ابنة واجرة التدريس الليلية ١٥ ليرة عثمانية ويؤخذ من الطلبة النهارية ابناء الاغنياء مجيدي كل شهر · ولقد احدثت مسئلة استيفاء الاجرة عن الطلبة النهارية تأثيراً سيئاً فاضطرت كثيرات من تلميذات العام الماضي لترك المكتب والخروج منه · ومن الضروري الاشارة الى لزوم اتباع خطة الحكومة المستحسنة وهي جعل التعليم الابتدائي مجاناً · والغاء استيفاء الاجرة عن الطلبة النهارية حتى تعود الى المكتب الرغبة الاولى · ولقد سمعنا مديرة المكتب تشكو من فقدان الآلات والادوات التدريسية اللازمة لفن الحضانة وانها بسبب ذلك تلاقي صعوبات جمة باداء وظيفتها وهي ترجو المسارعة بارسال اهم هذه الآلات والادوات

اشتهر النابلسيون بميلهم للعلم والعرفان · وفي الحقيقة ان مدينة نابلس ارسلت حتى الآن ٣٠٠ طالب من ابنائها الى المكاتب العالية والتالية في استانبول وبيروت ومصر واوربا · ولقد اصبحت الرقابة المستحسنة مستحكمة بين اولياء الاطفال في نابلس بارسال اولادهم الى المكاتب الكبيرة لاكمال تعليمهم وتحصيلهم ولا يمكن بهذه المناسبة ان امنع نفسي عن اظهار الملاحظة الآتية :

ان معارف القضاء منحطة جداً فهي تحتاج لاصلاح عاجل · ولقد خصص في الميزانية الخصوصية مبلغ (٦٠١٤٠) غرشاً لمصارف المكاتب الابتدائية في القضاء ولكن يا للاسف لم تحصل فائدة من صرف هذه المبالغ · فاذا جعلنا المكاتب الابتدائية القصبة نوعاً ما على حدة وخرجنا للنظر في مكاتب القرى يرجع المفتش عليها وقد امتلأ حزناً واسفاً · فيقال ان عدد المكاتب في القرى ٤٩ ولكن ليس من مكتب فيها يقوم بوظيفة التدريس والتهذيب · ويمكن ان يقال ان كافة المعلمين للمكاتب المذكورة جهلة بمعنى الكلمة بل هم عشاق الراتب · انظر الى مكتب قرية بلاط التي يبلغ عدد نفوسها الثلاثمائة فانك لا تجد فيه اكثر من ١٥ — ٢٠ طالباً وفي مكتب قرية عسكر خمسة اولاد · وفي مكتب قريتي سبسطيه وناقوره (٥٠) تلميذاً · اما في قرية سلفيت التي تبلغ نفوسها الثلاثة الآف فلا يوجد في مكتبها الابتدائي للاناث اكثر من

سبع او ثماني بنات . ولقد افتتح المكتب في قرية كفل حارس منذ ثمان سنين تقريباً ولا يوجد الآن في القرية طفل يقرأ او يكتب وفي قرية (ديرستيا) مكتب يتراوح اليه ١٠ او ١٥ طالباً ولكنه بناء صغير قذر منحط جداً . وحاصل القول ان حالة المكاتب الابتدائية في القرى النابلسية التي طفنا فيها — مؤلمة ومحزنة جداً فمعلموها جهلة جهلاً مطبقاً فلا قوة ولا استعداد ولا اهلية فيهم لتعليم القروي وتهذيب اخلاقه . وعلاوة على ذلك فان تأخر الرواتب على المعلمين منذ اشهر دعاهم الى اغلاق المكاتب والاشتغال بالبيع والشراء للقيام باود انفسهم . فعوضاً من ان نخدع انفسنا ونفتح مكاتب منحطة قذره سافلة مثل هذه المكاتب ونصرف عليها ستمائة الف غرش وكسور — يجب ان نغلق كافة هذه المدارس ونجتهد بان نفتح عوضاً عنها ثلاثة او اربعة مكاتب ابتدائية بدرجة غونه بشرط ان تكون ليليه ونسلمها لايدي اساتذة افاضل خلوقين ارباب معرفة واقتدار . فالقروى لا يستفيد اليوم من التسعة والاربعين مكتباً المفتتحة ولا ريب ان المكاتب الليلية المنظمة التي تفتح في المحلات الكثيرة النفوس في القضاء يستفيد منها الاهلون علماً وتهذيباً . واذا لم يكن كذلك فلا معنى لنفخ الميزانية المحلية الخصوصية وتكليفها المصارف الزائدة

— ٧ —

حين المرور من سباستيه

اتعبنا سفرنا الذي امتد هذا اليوم بضع ساعات . ولقد وجدنا في بهو النزل الالماني الكبير انساً بسكونه وارتياحاً بنفحاته الراطبة واشعرنا بذلك اكثر من كل حين . حتى كانت الارائك الحريرية لا شيء عندنا بجانب تلك الراحة وبينما كنا غارقين في رؤيا محرقة في الوقت الذي آن لنا ان نفارق فيه هذه البلدة تمام المفارقة فقد كنا نستعجل بلا صوت ولا جلبة لركوب المركبة التي كانت واقفة امام باب النزل تنقلنا الى محيط آخر

اخذنا نفارق تدريجاً دور نابلس الغارقة في سباتها بين اغصان شجر الزيتون واوراق الصبّار . ثم اخذت مآذنها البيضاء تبعد عنا ثم فرتنا منارة البلدة ... وكانت مركبتنا متبعة في سيرها نحو الشمال من نابلس طريق الوادي الممتد الى يافا وكانت تسير بالعجلة التي يمكنها

انقضت عدة ساعات بعد الهاجرة . فاخذت الشمس تردد بارسال اشعتها المحرقة البيضاء التي كانت تزكي نيراناً غير مرئية في الوادي . ولا ننكر ان الوادي الذي قطعناه كان جميلاً جداً .

ولكن هذا الجمال المبهم لا يدركه الا شعور محتمل او فكر ملمّ. بتبدلات هذا الافق في غير الزمن الذي وجدنا فيه . ولما زار (بيرلوتي) محيط نابلس في هواء ثقيل قال عنها « لو لم تكن سحب الشتاء وامطار ذلك المحيط الخالية من الرحمة — لكانت نابلس جذابة (Charmante) جداً . انني اخشى ان خيال لوتي اللون يرفرف فوق هذا المحيط الناري الخالي من السحاب والمطر فيبحث عن جاذبية نابلس في محلات بعيدة عنها

ومع هذا فانني اعترف بان شاعر (غاليله) قد وجد وادي الرعيان هذا ساكناً وجذاباً. وقد بذل جهده بجماس ليصف لنا حالة اشجار الزيتون القديمة العمر . وحالة المياه التي تجري هنا وهناك . وكأنه يقول «لم يكن في هذه الطريق لا قرية ولا دار فالسكون سائد على جميع الانحاء وربما يصادف الانسان احياناً راعياً يسوق قطيع غنم . ويرى الناظر اطواراً في المزارع شقيقاً احمر او (زهر الانبياء) Bleuet وقد تفتحت اكمامه وتتراءى له عن بعد خرابات صغيرة »

نعم ان لوتي لم يخدع قراءه بما كتبه فقد قطعت مركبتنا ساعة بسيرها ولم نشعر بشيء يعكر السكون المستولي غير ان قطعاناً من الغنم كانت تتقدم بهدوء . وكانت حزمات من الاشعة المحرقة قائمة مقام الازهار اللطيفة . وليس في ذلك شيء مشمر . وكان يمر حيننا عدد من القرويين او مركبة تقل مسافرين الى نابلس فتحدث ضوضاء مدة قليلة ثم تبتعد عنه . وبينما كنا نمعن النظر في البسة بني البشر في هذه البقعة خطر ببالي (لوتي) وتذكرت ما يدعيه بجماس وهو «قوله :

ان سكان الارض المقدسة قد اكتسوا البسة توافق المحيط فان الساكنين في الصحارى يلبسون اعبية رمادية مع ان الذين يعيشون حول نابلس يكتسون البسة تلائم ازهار المحيط الملونة »

وحقيقة ما يقوله لوتي . فقد كانت هذه الخواطر تمر على ذهننا حينما كانت تظهر علينا من الجهة اليسرى من بين الروابي المرتفعة قرية (رفيديه Réfidié) ثم قرية (بيتتوزن Beitouinz) ثم (بيت ايبا Beitibia) ثم تختفي بعد قليل وراء الروابي الصغيره . و كانت قصبة (زاممتا Zamtata) تتباعد عن نظرنا من الجهة اليمنى

مضى على خروجنا من نابلس ساعة من الزمن فاضطررنا للانحراف قليلاً عن الطريق المعبد حينما قربنا من مجرى ماء قديم فبدأنا نتبع جهة الشمال الشرقي في سيرنا . فمرت من امامنا على الجهة اليسرى وعن مسافة طويلة قرية « دير شرف » ومرت علينا من الجهة اليمنى عين « ناقوره » من بعد نصف ساعة تقريباً وبعد مدة قليله تراءت لنا قصبة سباستيه المدفونه وسط اشجار الزيتون

على ربوة عاليه . فاضطررنا لترك العربة كي نتسلق تلك الرابية فصل الى القصبة فمشينا مقدار ربع ساعة تقريباً في طريق ضيقة وحجرة والشمس المائلة للغروب تتبعنا باشعتهــا الصفراء من ورائنا . وقطعنا عدة منحنيات . وما كدنا ندخل القصبة حتى تبدلت للاحة التي رأيناها فيهــا عن بعد تمام التبدل . فداخلتنا الحيرة وخصوصاً ان ماضي سباستيه المطنطن لا يزال ذكره يرن في آذاننا

« كان يوربعام **Ierubéam** » احد ملوك بني اسرائيل نقل عاصمة ملكه من سيشهم الى ترا ي وهي قصبة (طلوزه) اليوم . ثم نهض احد اعلافـه المسمى « اومري **Omri** » الذي تملك من عام (٩٢٨ — ٩٢٠) قبل الميلاد وابتــاع من سومهر (**Somer**) الربوة الــتي يملكها وهي ربوة سهمرون « **Sémeron** » فاشاد فيها قصبة يانغظ اسمها باللســان العبراني شومه رائيم « **Schoméraïm** » ونقل الى هذه القصبة عاصمة ملكه من ترازي التي خربت . ثم صار اسم هذه القصبــة في السنة اليونانيين ساماريا « **Sémaria** » واصبحت ذات شأن يذكر مدة من الزمن في ايام الحكومة الاسرائيليــة حتى ان اسم شوميرائيم انتقل الى سائر مقاطعة سيشهم . وتولى الملك في « ساماريا » بعد اومري الملك «آخاب» ثم (ئوقوزياس) ثم «جورام » وقد جرت منا حروب معروفة مع ملك الشام « به ناداب » سالت فيها الدماء . ولقد هاجم هذا ا ركز البديع اسرحدون « **Asvaraddon** » مالك بابل واسكندر الكبير ملك ماكدونيا . ثم اخذ « هيرود » الكبير بتجديد ما تخرب في هذه القصبة وزينها من جديد . واقام فيها معبداً جليلاً . وسمى هذه القصبة « سباستيه » الدال على معنى « اوغسته »

حينما كنا نصعد الى هذه القصبة متساندين ونقطع طريقاً اشبه بطريق الماعز . كانت عاصمة السلطنات الزائلة تترك في ادمغتنا ولا ريب تذكارات ثمينة جداً

اما اليوم فقد خرب كل شيء فيها ولم يبق على طرفي طريق القصبة الصغيرة سوى غرائس « الصبّار » والقصبــة عبارة : عن باحات ترابية خالية تلعب فيها اطفال بين ارجل الابقــار . . . اكواخ من التراب بلا نوافذ . . . فضلات السكان منتشرة هنا وهناك . . . جيوش من الذباب ملأت الارض والسماء والهواء . . . لم يبق في هذه البلدة القديمة التي كانت ذات ابهة وعظمة قبل ثلاثة آلاف سنة — شيء يدل على ماضيها وسابقها . ولو لم يعثر الداخل اليها على انقاض عدة معابد مبعثرة وعلى اعمدة متكسرة وملقاة هنا وهناك — لكان من السهل المسارعة بانكار التاريخ المطنطن لهذه البلدة

كان وصولنا الى القصبة حادثة تستلفت النظر فجاء مختار القرية وشيوخهــا . ثم وصلت

كتلة من الاهالي مسرعة من محلات حصادها ، واتصل الخبر بالاطفال فالتفوا حولنـا ، وكان الصغير والكبير منهم يرمقنا بنظراته التى كانت تتراوح ما بين نظرات مستفهم ونظرات خائف مستنكر . وكان هؤلاء الذين لم يروا وجه زائر منذ زمن بعيد ينظرون الى بعضهم

كان منظر سباستيه الداخلي محزناً جـدًا . وكنا نوسل ابصـارنا الى المحلات التى تستحق المشاهدة والامعان الى ان وجدنا نفسنا بعد مدة جزئية امام جامع « النبي يحيى » . كان هذا الجامع قديماً كنيسة « Saint jean Baptiste » فما اعظم بتم هـذا المحل الذي يحسب من اشهر آثار فن العمار في العصـر الثاني عشر ؟ ففي قسم مظلم وعفن من الباحة المبلطه بالاحجار مكتب القصبه الابتدائيه وقد اختبأ هناك كي لا يرى وفي الطرف الآخر من الباحة مغـارة نزلنا اليها بعشرين درجة وهناك حضرة يحيى في سباته الابدي

ثم ذهبنا بعد قليل الى محل يشبه طبقة تحت الارض حيث توجد اعمدة كثـيرة ما بين قائمة ومائلة . فركعنا امام هذه الآثار الباقية من ايام (هيرود) بل كنا نشعر بجمرة الخجل التي استولت على الشمس التي كانت تغرب عن بعد منا . ومع هذا فان سكان القصبة كانوا ناعمي البال هادئي الفكر . وكان يتجلى من نظراتهم ان لا علاقة لهم مطلقاً بماضي القصبة التي يقطنونها . وان انقاض المعبد القديم لتشتكي بدموع اليتم من وراء جدران اتخذت مربطاً للابقار ومحشراً للحيوانات . ولا انكر على القارئ انـني شعرت بلزوم تباعدي بسـرعة عن هـذه العاصمة المنكودة الحظ فسلمت نفسي لطريق صعبة في الجهة الغربية من القصبة وتدهورت منها الى العربة التى كانت تنتظرنا من بعيد . وما كدنا نصل الى مركبتنا حتى ادركنا الليل بجلاوله تدريجاً واخذت العربة تسير في طريق رديئة وحجرة . وكان قصدنا الوصول الى طريق يافا حتى نتوصل منه الى طول كرم . وبعـد ان قضينا ساعتين او ثلاثة في ظلام بين اشجار الزيتون تمكنا من الوصول الى الطريق . وكنا لا نرى امامنا سوى طريق ظلماء وعتمة تمتد الى مجهولات . وبعد مدة ظهر لنـا نور ضئيل فقالوا هذه قرية (عنبته Anebta) فاصبحنا بذلك على قرب من (طول كرم Toul Kerm) ولم ينقض على ذلك ساعة من الزمن حتى وصلنا الى القصبة التي ظهرت لنا بشكل غريب جدًا . ولما القينا بانفسنا في غرفة النزل الذي تهب منه روائح شيء من السريج مع قليل من روائح العفونة والوسخ وحاولنا ان نزيل ما اصابنا من العناء بعد سفر خمس ساعات او ستة — لم نجد وسيلة سوى تشييع الليل صحبة تلك الهوام التى كانت تتطاير حول ضيوف الغرفة بدرجة لا تحد

— ٨ —

طول كرم

١ — موقع القصبة · منظرها · داخليتها

لا يمكن ان توجـد في منطقة شومه رائيم قصبة ذات هواء وضياء قدر (طول كرم) وان وسعـة هذه القصبة يشبه الجنة باتساعها بنسبة سائر البقاع الآهلة من هذه البلاد التي اندست بين الاودية· وان قصبة طول كرم الصغيرة الممتدة من الشمال الشرقي الى الغرب الجنوبي تشبه تماماً مصيفاً لطيفاً · فان صحراء نائية الارجاء تمتد ساعات متعددة قد انبسطت امام هذه القصبة فاصبحت حديقة طبيعية لهـا · ومن وراء ذلك يرسـل البحر بزرقته وغنجه تحياته وسلامه عن بعد · فاذا وقفت في اي نقطة من طول كرم واطلقت نظرك في انحائها لا تجد امامك من اي جهة كانت مانعاً يحول امام عينيك او يوقف خيالك على حد معين ويستدل من دور القصبه التي بنيت بعناية واهتمام من الاحجار البيضاء وسقفت بالآجر (القرميد) الاحمر ان عمر القصبة يبـلغ الثلاثين من الاعوام· اما الطريق الموصل الى محطة السكه الحديدية القائم على بعد عشر دقائق في الجهة الغربية منهـا فانه يستلفت الانظار تماما بنظافته وحسنه · ورغما عن هذه البهجة اللطيفة في قصبة طول كرم فان القلب يتأثر من حرمان هذه البقاع من الاشجار ومن قلة الميـاه فيها بل رغماً عن منظرتها البديعة التي ترى من خارجها فانك تسمع من داخلها اصواتاً تنادي (ما اشد فقري وما اتعس حظي)وهذه الحالة تتجلى تماماً في حوانيتها الخربة وفي نواصي سكانها البعيدين عن المدنية ومع هـذا فانه يشعر بان في القصبة يداً نظيفة ومطاعة تعمل ما يلزم · ومن المناظر المستحسنة (دار الحكومة) القائمة في منتهى الطريق الوحيد في الشمال الشرقي من القصبة والدور اللطيفة المنفردة القائمة في الجانب الشرقي من الطريق الذي لايتجاوز طوله الخمسة دقائق وهو عرق الحياة في كافة طول كرم · وان كافة حوانيت طول كرم وقهواتها وباحتها الصغيرة واسواقها التي تقام صباحاً ومساء هي في النقطة المتوسطة من هذه الطريق · وفي منتهى الطريق من الجهة الاخرى للقصبة ينهض (جامع الشيخ على المغربي) وهو الحد الثاني لطول كرم · وتعلو مأذنة الجامع البيضاء لفظة الجلالة باحرف معدنية وكانها باب صمداني يدعو اليه بصورة دائمة كافة سكان القصبة الذين لايتجاوز عددهم الثلاثة آلاف شخص· ولقد استنبت شيء من الاشجار والنباتات الجديدة في محلات متفرقة من هذه البلدة

الصغيرة التى لاتفارقها اللطافة والاعتدال . فكانت خضرة هـذه الاشجار ونضارتها خير تسلية لطيفة للعتمة المطلقة في هذه الجهة ويرى الناظر ان اهالي طول كرم مابين صغير وكبير يذهبون ويجيئون مساء كل يوم على الطريق الممتد بانحناء قليل الى محطة السكة الحديدية . وهم يعتبرون صفير القطار مبشراً بقدومه او معلناً لفراقه افضل بشارة بالحياة . فبناء المحطة ومخزن الماء الكبير المدور الاسود في المحطة والعربات المنتظرة دائماً وراء بعضها ... بل الحالة المعدنية باجمعها هي مغناطيس الحياة لطول كرم . ولقد افتتح فريق من (الاشكنازيين) الذين جاؤا من محلات مجهولة اما من روسيا او من رومانيا عدة ملاهٍ (بارات) صغيرة بشكل أكواخ وهم يجذبون اليها روح الشباب في طول كرم . فاذا كانت الليـلة مقمرة واخذت ترسل النجوم على الارض اشعة الماسيه من القبـة الزرقاء يصبح السـير على طريق المحطة و النظر الى محاسن طول كرم الصدفية ومشاهدة بيوتها المشرقة — من الطف حالات الذوق الجميلة

وان الخط الحديدي من اهم العوامل التي يحفظ الحركة الدائمة في طول كرم بل هو العامل الوحيد فيها . وان الدخان الذي يخرج من مدخنة القطار ويجعل احياناً فوق هذه الباحة سحابة سوداء هو بخور السعادة لقصبة طول كرم . بل تلك الدخنة هي المبخرة الثمينة التى لانظير لها . وان طول كرم مديونة للقطار بما حدث فيها من التجدد بنسبة القرى المماثلة لها وبمـا تجدد فيها من آثار العمران . ومع هذا فان طول كرم ذات طالع حسن فقد كان لها نصيب بالحصول على عـدة ايد عاملة اوجدت فيها محركاً بخارياً يخرج دائماً الى قصبة طول كرم ماء براقاً لطيفاً ومدت فيها اقنية معدنية امتدت في انحاء مختلفة من القصبه ... اليست هذه الآثار دليلاً صريحاً على تلك الهمم ؟

ومن آثار تلك الايدي الفعالة في القصبة : المعمل الوطني لصنع السجاد . ومستشفى البلدية والمكتب الزراعي الذي ينشأ فيها . ومكتب النمونه للذكور . ومكتب الاناث

تأخذ الدور التي تنشأ من جديد في طول كرم اشكالاً ظريفة ولطيفة . وان الحركة الـتي ظهرت في القصبة تعدل الاذواق فيها تدريجاً . وبهذا الاعتبار فان طول كرم سترتقي في مـدة قريبة درجات عديدة فوق جاراتها من القرى . بل ان طول كرم تشبه ابنة ماهرة ذات حركة دائمة قد جلست في حضن والدتها نابلس ويقرأ الناظر في عينيها منذ الآن عدم الطاعة والانقياد بعد سنين قليلة لوالدتها الطاعنة في السن وكانها تقول لها منذ الآن (انني في حاجة لخمس سنين او عشـرة حتى اصل لدرجة انسى فيها نابلس الاختيارة التى مضى عليها الوف من السنين)

٢ — الاحوال العمومية

[١] — موقع قضاء بني صعب وحدوده — يقوم قضاء بني صعب في الجهة الجنوبية الغربية من مركز اللواء ويحده شمالاً قضاء حيفا وجنوباً القدس وشرقاً قضاء جنين وناحية جماعين وغرباً البحر الابيض

ويقدرون نفوس القضاء ما بين ذكور واناث بـ (٣٩٠٢٨) منهم اربعون شخصاً مابين سامرى ومسيحي والباقي مسلمون . والثلث من اراضي القضاء جبلية مشغولة باشجار الزيتون والثلثان الباقيان سهول منبسطة صالحة لزراعة الحبوب . ومركز القضاء قصبة طول كرم المرتفعة عن سطح البحر مائة متر والبعيدة عن نابلس مركز اللواء من الجهة الغربية ٢٧ كيلو متراً . وتقوم هـذه القصبة على طريق نابلس ويافا المعبدة وتبعد عن يافا ٢٦ كيلو متراً

[٢] — النفوس — تعتبر النفوس العمومية في قضاء بني صعب على الوجه الآتي

ذكور	اناث	
٥٤٨٨	٥٢١٤	ناحية وادي الشعير
٦٥٠٣	٦٦٨٣	ناحية بني صعب
٥٩٠١	٦١١٠	ناحية الشعراوية
١٧٨٩٢	١٨٠٠٧	

واذا نظرنا للنسبة بين الوفيات والمواليد نجد ان نفوس القضاء تتزايد شيئاً قليلًا فكانت المواليد ٣٠٠٠ عام ١٣٣٠ مقابل ١٦٠ وفيات وكانت المواليد ١٢٠٧ عام ١٣٣١ مقابل ١٩٩ وفاة . وعموم سكان القضاء مسلمون ما عدا عددًا قليلًا لا يتجاوز الخمسة والعشرين

[٣] — امور البلدية — توجد تشكيلات للبلدية في هذا القضاء الذي تشكل منذ عشرين سنة تقريباً وتتراوح وارداتها السنوية منذ خمس سنين ما بين ١٠٠ و١٢٠ الف غرش . واهم الموارد المذكورة في ميزانية البلدية ما يأتي

غروش	في عام ١٣٣١
٢٥٠٠٠	رسوم السوق في الاساكل
٢٠٠٠٠	واردات بيع الماء وقيمة الاشتراكات

١٠٠٠٠ الاسواق العمومية ورسوم الارضية
١٤٠٠٠ رسوم الحيوانات والباج
٦٩٠٠٠

وقد جاء في قسم المصرف من ميزانية عام ١٣٣١ انه خصص ربع واردات البلدية لرواتب مأموريها وخصص الربع الآخر للتنظيف والتنوير وافتتاح الطرق وتعميرها واشتراء العقاقير الطبية ورش الطرق بالماء . اما الربعان الباقيان فقد خصصا لمصارف جزئية ولاعاء المرض الذي عقد في حينه وللمظاهرات الرسمية ولمعاونة الفقراء

وقد توفقت البلدية في طول كرم للقيام قبل ست سنين باعمال وخدمات مهمة جدير بالذكر والشكر :

فقد كان اهالي القصبة يلاقون صعوبات ومشاكل عظيمة بتدارك الماء واستحضاره اذ لم يكن في القصبة سوى مياه الآبار وكان استخراج المياه من الآبار مشغلة دائمة لمن يحتاج اليه فكنت ترى الاهلين مزدحمين حول النبع للاستقاء منه بداعي ان ماءه جيد وبسبب الازدحام والجلبة تتكون ثمت اوساخ واقذار . وكان ثمن الماء يزداد بنسبة الرغبة فيه . « فكانت الجرة تباع ببشلك احياناً » . وقبل ست سنين نجحت البلدية بفكرة استخراج ماء النبع وتوزيعه على البلدة صافياً نظيفاً خالياً من الشوائب والاوساخ فاستحضرت محركاً بخارياً بقوة عشرة احصنة واخرجت ماء النبع الى حوض كبير مصنوع من الحديد . ويبلغ اتساع الحوض ٤٠ متراً مكعباً ويستوعب ٢٦٠٠ تنكه وتتوزع المياه المتجمعة في الحوض الى الدور بقساطل حديدية . ويؤخذ من الدار التي تصرف يومياً اربع تنكات نصف مجيدي ومن الدار التي تصرف ثماني تنكات ثلاثة ارباع المجيدي . ولقد صرفت البلدية على هذا الامر (٨٠٠) ليرة ولكنها جمعت امثالها حتى الآن . فبهمة قائمقام همام ورئيس بلدية غيور انقذت صحة القصبة وازيل احتياجها الماء بصرف جزئي لا اهمية له

[٤] — المعارف — احرز قضاء بني صعب في مسئلة المعارف مركزاً ممتازاً بين سائر الاقضية . فاهالي القضاء ميالون جداً للمعارف ويبلغ عدد الطلبة المداومين على مكتب النمونه المذكور في طول كرم ٢٠٠ طالباً . واكثر هؤلاء الطلاب من ابناء القرى المجاورة حتى ان خمسين او ستين طفلاً منهم يبيتون في الحوانيت القائمة تحت بناء المكتب ويحضرون الى المكتب نهاراً . واجرة كل حانوت من ١٠٠ الى ١٢٠ غرشاً ويبيت في الحانوت الواحد خمسة او سبعة . والسبب

الذي يدعو ابناء القرى لتحمل هذه المشاق رغبتهم باكمال التحصيل الرشدي . فظهر من هذا ان الحالة تستلفت النظر وتستحق التحسين والتقدير . ولما كان رئيس البلدية الحالي وهو العامل المؤثر في حياة القضاء العمومية يتكلم عن لزوم انتشار المعارف وقد سمع انتقادي على مبيت الطلبة في الحوانيت القذرة التي ليس فيها شيء من شروط الصحة اجابني بقوله : « اننا عارفون بحضرة ذلك . ولقد كنا انشأنا من سوال المعارف المحلية محلاً يستوعب ٣٠ سريراً وكنا عازمين على اسكان الطلبة القرويين في هذا المحل مقابل اجرة جزئية ولكن لما ضمت الواردات المحلية الى المحاسبة الخصوصية ولم تبق لنا صلاحية للعمل وقف هذا العمل المجيد دون ان يتم كما وقف غيره من المساعي والاعمال . وهذا هو امامكم البناء الذي كان يشاد ليكون منزلاً لهم وهؤلاء الطلبة لا يزالون يبيتون في الحوانيت المضرة بالصحة فاذا اسعفتمونا على اتمام هذا التشبث المفيد تصنعون جيداً »

(المكتب الزراعي) — وهذا البناء الذي امامكم هو مكتب الزراعة في القضاء فقد ظهر لعالم الوجود بعد ان صرفنا عليه الف ليرة تقريباً . وابتعنا له في جانبه ارضاً تبلغ مساحتها خمسمائة دونم لتكون نموذجاً زراعياً . ولقد كان بالامكان ادارة هذا المكتب على قدر الاستطاعة بواردات المعارف المحلية التي كانت تبلغ ١٦٠ الف غرش . ومنذ وضعت المحاسبة الخصوصية يدها على هذه الواردات لم يمكن اخراج هذا العمل الى حيز الفعل مطلقاً ومن الضروري ايجاد طريقة لحل هذه المعضلة

(مكتب السجاد) — افتتح هذا المكتب قبل سنتين فيمكن لكل ابنة تبلغ السابعة من العمر ان تدخل هذا المكتب . ومعلمته امرأة مسلمة من ازمير ومعاشها ٥٠٠ غرش ويقوم زوجها مجاناً بوظيفة الرسم والصباغ في المكتب . وفي المكتب معاونة براتب ٢٠٠ غرش وخادمة براتب ١٠٠ غرش وقد صنع المكتب حتى الآن ٣٠ سجادة وهذه السجادة الكبيرة المبسوطة امامكم قد ابتيعت منه بثلاث ليرات . وقد كان ربح المكتب منها ليرة واحدة قيدت في واردات المكتب . وتستحضر المواد الابتدائية للعمل من الارباح التي تحصل

وينحصر الميل للمعارف بمركز القضاء . ومع هذا فان القرويين يدخلون بشوق في المكاتب الابتدائية المفتتحة في انحاء القضاء ويبلغ عددها خمسة وعشرين وهي لاتزال على غاية من البساطة والابتداء . حتى ان مكتب قرية (عبتا) الذي لاتتجاوز الاستفادة منه درجة البساطة الزائدة ترى بين جدرانه اكثر من تسعين صبياً . وقد خرج من قرية كفر اللبن التي لا يتجاوز عدد نفوسها الستمائة واربعين (٥٠) رجلاً اكملوا تحصيلهم الديني والشرعي في مصر والشام ونابلس ونالوا

الاجازات العالية . ويقوم مكتبها الابتدائي في عرفة الجامع وهي عرفة ضيقة وغير موافقة للصحة ويبلغ عدد طلابه من ٣٠ الى ٣٥ اما قرية (دنابه) التي يبلغ عدد نفوسها الستمئة فان الطلبة المداومين على مكتبها يبلغون الاربعين . وفي مكتب قرية بيت (لد) الابتدائي (١٥٠) طالباً . والحاصل ان الرغبة والميل للمعارف ظاهران على قدر الاستطاعة في كل قرية من القضاء فيجب تنمية هذا الميل واسعاف هذه الرغبة الظاهرين من نفسهما . بل من الضروري اتباع سياسة علمية سالمة في المكاتب الابتدائية القائمة في هذا المحيط الذي نظهر استعداداً كبيراً للتعلم والتحصيل . ويحتاج اهالي مركز القضاء العبودين والمياين المعارف الى مكتب نمونة ليلي يسلم لايدٍ قديرة ذات نشاط وعمل جدي

[٥] — الاحوال الزراعية والمحاصيل — لا يوجد الماء بكثرة ويالاسف في اراضي هذا القضاء القوية الانبات . وخصوصاً في الجهة الشمالية فان الماء مفقود منها تقريباً . فاذا حصل هجوم لا سمح الله في هذه الحرب العامة من جهة الساحل واضطرت الهيئة الملكية والعسكرية والاهالى للانسحاب الى تلك الجهات تظهر حينئذٍ بشدة المحاذير التي تحصل من فقدان الماء . ولازالة المحاذير المذكورة ارتأوا ان يستحضروا الى هنا بقساطل حديدية ما يحتاجون اليه من الماء من قرية سباستيه البعيدة عن قصبة طول الكرم ١٧ كيلومتراً والغزيرة المياه . وقد اعرضوا الامر في العام الماضي لحضرة القائد العام فاستصوب ذلك جداً حتى انه استصنع كشف الطريق لمهندس الماني

وفضلاً عن عدم وجود القساطل الحديدية الكافية فان الاهلين الذين اصبحوا فقراء عجزوا عن جمع اعانة من بينهم بقيمة الفي ليرة فبقي هذا التشبث النافع في حيز القوة

وهذا هو الاحصاء الزراعي لعام ١٣٣١

جنس المزروعات	الاراضي التي زرعت بحساب الدونم	البذار الذي زرع بحساب الكيله	الموسم الذي خرج بحساب الكيله
القمح	٢٥٠٠٠	١٥٠٠٠	١٢٠٠٠٠
باقية	?	?	٥٠٠٠
شعير	١٢٠٠٠	٦٠٠٠	٦٠ ٠٠
شعير اسود	١٠٠٠	٦٠٠٠	٤٨٠٠٠
ارز	١٥٠٠٠	?	?
ذرة بيضاء	٢٤٠٠٠	٤٠٠	٤٠٠٠٠

فول	١٦٠٠	١٢٠٠	١٢٠٠٠
عدس	؟	؟	؟
زيتون	٤٠٠٠		٦٠٠٠٠٠ (١)
بورتقال وليمون حامض ومندالينه	٦٠٠		٦٢٥٠٠٠ واحدة
سمسم وقطن	؟	؟	؟

ويخرج في هذا القضاء بطيخ وقاوون بمبالغ جسيمة تقدر من ٦٠ الى ٨٠ الف ليرة

٣ — الاحوال الاجتماعية

[١] — طبقات الاهالى . طرز المعيشة والحياة العمومية — تظهر قصبة طول كرم بشكلها الخارجي غضة الشباب ولكن لا ينكر ان تحت ستار الشباب والقوة روحاً شائخة وربما كانت مختفية الآن حتى اذا قطعت ادوار الاستحالة وانتقلت الى دور التكامل اندفعت الى عالم الظهور بعزم وقوة . على ان الهيئة الاجتماعية في نابلس قد احدثت تأثيراً اشديداً في كافة القطعة السامرية حتى النقاط المجهولة منها . ولهذا لا يمكن ان نجد شيئاً خلاف هذا في مركز قضاء بني صعب . وبهذا الاعتبار فان اهالى طول كرم هم جزء من كل في ذلك المحيط نرى في اكثر سكان القصبة عدا غير المسلمين الذين هم عبارة عن افراد قلائل — تعصباً عميقاً . . . ظلمة فكرية متكاثفة . . حباً للذات . . . حرصاً وطمعاً يؤديان الى شيء من الرياء والكذب وربما يوصلان الى شيء من الفساد والتزوير . . . لماذا لا يتألم الانسان على ذلك الذكاء والاستعداد اللذين يذهبان هباء ؟ اذا نظر الانسان في حالة الستين او السبعين شاباً الذين جاءوا من قرى بني صعب الى طول كرم وافتكر بحياتهم التي يمضونها في تلك الحوانيت الرطبة العفنة التي لا ترى ضوء الشمس — لا تطاوعه نفسه الا ان ينحني حرمة وتقديساً امام هذه الروح الممتازة في هؤلاء الصبية . ولكن من الغريب ان هاته القافلة من الشبان المعصومين تتبدل حالتهم تبدلاً عجيباً بعد اختلاطهم بهذا المحيط . . . ولا يمكن للباحث ان يجد نظيراً للقابلية التمثيلية التي يجدها في مقاطعة (شوميرانيم) . فتنقضي السنون وتتوالى الايام ويكبر الصغار ولا تزال سيول الاطماع والحرص مستولية على هذه الاقاليم . وتراهم يتراكضون امام منافعهم الشخصية التي تتجلى فيهم وتتقاطر منهم . ولا عجب اذا بقيت هذه الحالة مستولية على البلاد وسكانها

---

(١) ويستخرجون من هذا المقدار ٨٢٥٠٠ اوقة من الزيت

يمكننا تشبيه قصبة طول كرم التي لا تزيد دورها على ثلاثمائه ونفوسها على الفين او ثلاثة الاف بشكل دار تضم اسرة واحدة ، ففي ذلك البناء السيد وصاحب الملك والعملة . ولكن حياتهم ومعيشتهم لا تختلف كثيرًا عن بعضهم . فقسم منهم صاحب ثروة . والاقسام الآخرون فاقدون الثروة ... يقربون من بعضهم جدًا بلباسهم وطعامهم واما من جهة الفكر والشعور والروح فواحد . واذا اردت الاستثناء فيمكننا ان نخرج طبقة المأمورين في طول كرم من هذا الاعتبار ولا ننسى انه توجد طبقات في هذه القصبة ... للخاطر هم الموظفون الوطنيون ولا يتجاوز عددهم مرتبة الآحاد . وهؤلاء يشكلون الطبقة الاولى . ويخالفون بملابسهم اهالى طول كرم ... الرسمية . اكثر هؤلاء من ارباب الثروة وهم يعتبرون من الواقفين على اللسان الرسمي ولو كان تحصيلهم التالى جزئيا جدًا . ولا يمكن للموظف الذي يحضر الى طول كرم ولا يكون واقفًا على اللسان المحلى ان يختلط باحد سوى هذه الطبقة . فيصبح هؤلاء ... كانت اهالي القصبة ... وكافة اهالي القضاء في جميع امورهم . فالنقود والصلاحية وكل شيء خاص بهؤلاء وهم ... شكاياتهم بحق المأمور الذي ينفرون منه او يحق المسألة التي يريدونها من المقامات العالية . ولا ينفكون عن ذلك حتى ينالوا رغائبهم . وهذا هو السبب الذي يدعو المتنفذين لهذه الطبقة لقبول وظيفة صغيرة بمعاش جزئي في القضاء ويكسبهم هذا النفوذ ما يتحملونه من المشاق والمتاعب العظيمة في هذه السبيل . ولا عجب اذا وجدنا بعد ذلك ان الموظف من اصحاب الاملاك تزيد وارداته السنوية ضعفين او ثلاثة على واردات مماثله في الثروة والعقار من غير الموظفين . ويرى في كافة المتريثين من ابناء القصبة ميل للانتساب لهؤلاء الموظفين وفي نتيجة الامر فان هؤلاء يجرون على الخطة المتبعة في نابلس فيخطون لانفسهم دوائر نفوذ في القرى ولا ... بهم الاستفادة والاستثمار من الذين يكونون في تلك الدوائر

والاعضاء العاملون في دوائر النفوذ هذه هم اصحاب الثروة الذين تتألف منهم الطبقة الثانية في طول كرم . ويوجد بين هؤلاء من يملك مزارع واملاكًا بقيمة عشرين او ثلاثين او اربعين الف ليرة ومن يكون دخله السنوي الفًا او الفين او اربعة او خمسة آلاف ... ولما كان قضاء بني صعب مرتبطًا بامور ... الرسمية بنابلس فان هؤلاء لا يحبون ان تقف اشغالهم هناك فيتحدثون ... يدافعون عنهم في اللواء ويحافظون على دوائر نفوذهم . وبهذا الاعتبار فان طول كرم شعبة من نابلس . فيستبيح هؤلاء كل اعتساف بداعي انه حق طبيعي ... لهم . ... تتا كل هذه الافواه التي لا تعرف الشبع . ويوجد هنا — كما هي الحالة في نابلس — ... يمين ويسار

قمحًا ، وقبطان باجنحة الطائرة مروحة على اعطاء الشعر التي كانت تحصل لو تفيض على البلاد بهذا الاستعداد المصروف في سبيل المنفعة الشخصية ؟ ولا ريب ان فقدان الوسائل التي تستطيع هذا الترقي من اشياء الحياة الحالية [illegible]

ان أكثر افراد هذه الطبقة المثرية اميون . وقد اندسوا حسب التقاليد في الثراء بعيدة وسحيقة فيوجد منهم من لا يعرف غير التركية او الزراعة او التجارة او المزارع ولا يعرفون غير طول كرم او نابلس ومنهم من لم يزل [illegible]

- ويظهر الانتظام والنظافة خارجًا على دور طول كرم ولكنها ثقيلة وغير مرتبة من داخلها ولا تختلف داخلية الدور في طول كرم عن داخلية الدور في نابلس . حتى دخول الهواء والنور اليها فالتقسيمات الداخلية والمفروشات والجلوس والبناء واحدة . وفي سكنة هذه الدور روائح النابلسيين وآمالهم ، فالامع والتعصب وعدم الامتياج في الاسر وتعدد الزوجات والاعتقاد ولكن اهالي طول كرم يختلفون عن النابلسيين بانهم يجهلون الكل امرأة يتزوجونها دارًا على حدة [illegible]

ويرى في بعض الاسر من هذه الطبقة انقياد غريب فلا يستطيعون الصبر على التأخر بتعليم اولادهم . ويوجد عدد من شبان الطبقة تحصيلهم التالي ، ولكن هؤلاء تقيدوا بالشبان النابلسيين فتراهم يحاذرون من العودة الى طول كرم ورغبة في التنزه [illegible] والطريقة الطويلة والحياة الاغبانية او القتال التي يكتسبها هؤلاء لا تروق للاولاد [illegible] لا ينسوا عن حياة لبلدتهم الممتازة ويظهر على وجوه [illegible]

لا تنهض حياة المرأة في طول كرم بالثروة . فالنساء عنا اكثرهن من القرويات ، وتعرف هذه النشوة اللواتي يكاد لهن التخلص من حوبة الحياة القروية ، مكتنزات وليس حولهن . على ان الالبسة (المدوم [illegible]) عبارة عن ([illegible]) حريري مشقوق عن امام وغطاء او اليم جويري يسمى (شمبر) وزنار [illegible] حزام حريري [illegible] يظهر [illegible] الشكل يطلق ويمشين . ولا يظهرن احتياجهن للباس غير هذا . غير ان اسرة الموسرين من ابناء طول كرم يحتجبن ويلبسن [illegible] . ولكن لا يظن ان النساء اقل موقع اجتماعي في طول كرم فاذا ارادوا في بعض القرى ذكرى امرأة يقرنون معها كلمة (ابعدك الله) . فبعد هذا لا نرى حاجة للتكلم شيئًا عن حياة المرأة في هذا المحيط . ولكنا نتذكر مصراعًا قاله الزمخشري فيكون وهو : لا ريب ان الرجال يسقطون اذا كانت حياة المرأة ساقطة ...

منه ولكن درجة التنفس [illegible] هنا للمحيط هي اوضح دائرة . لو يمكن ان يكون في الحياة

مجهولاً وغير معروف فما اهمية الاراضي التي لا تنتهي والمزروعات التي لا تحد . بل ما هي اهمية صفائح الفضة والذهب ؟

ان الفن والصنعة لم يطأا هذه الديار ، اواه ! على هذه الطبقة الجليلة التي يكفيها شيء من النفوذ الموهوم والسلطة الكاذبة

وتأتي بعد هذه الطبقة في طول كرم الطبقة الثالثة من الاهالي وهي مؤلفة من الزراع واصحاب الثروات الصغيرة الذين يشتغلون باعمالهم . وثروة افراد هذه الطبقة تتراوح من الف الى خمسة الاف ليرة ودخلهم السنوي يتراوح من مائة ليره الى عده مئات ويعيش هؤلاء ببساطة تامة والغالب ان يكون هؤلاء بمثابة آلات متحركة لنفوذ الطبقة العالية . غير ان وقوف هؤلاء على اللسان العربي واحرازهم نصيباً من العلم يفوق كثيرين من ارباب الثروة العظيمة

الطبقة الرابعة — وهم القرويون (الفلاحون) الذين تتألف منهم الاكثرية . فليس لهؤلاء اموال ولا املاك . يشتغلون بالاجرة وينقادون تمام الانقياد لافراد الطبقات الاخرى . يشتغلون لحساب هولاء حتى ان الدور والاكواخ التي يقطنونها ليست ملكاً لهم . ويكتفون في آخر السنة بما اكلوه ولا يمكن ان يحرزوا ثروة مطلقاً ورغماً عن ان الايدي العاملة تماماً في القضاء هي ايدي هؤلاء فانهم اقل الاهلين نصيباً من الحياة والمدنية فليس لهم علاقة مع الدنيا بغير معدهم . ويحافظون على عقالاتهم السوداء وجبيهم (بشت) واحذيتهم (المداسات) سنين طويلة . فالمرأة والرجل والولد والطفل والكبير والصغير يعملون بايديهم . ولكن لا يزالون مساكين تعساء . ولا يهمل شأن احد سوى هؤلاء

ولا ننسى ان لهذه الطبقات التي اتينا على وصفها بشكل عمومي اوصافاً مميزة في حياتها . فبعض افراد من ابناء الطبقتين الاولى والثانية مشتركون ببعض الصحف المعروفة في سورية . فيجلس هؤلاء في الدواوين صباحاً ومساء ويجمعون حولهم اتباعهم والمنسوبين اليهم ويبثون عليهم شيئاً مما عرفوه عن احوال العالم . واذا كان بينهم رجل معروف بوقوفه على العلوم الشرقية يلقون السمع الى مايفوه به من الايضاحات عن حكاية تاريخية او حقيقة دينية . غير ان حياة (الديوان) اخذت بالانطفاء منذ مدة في طول كرم . ويمضي كافة شبان القصبة وخصوصاً اصحاب الاملاك منهم اكثر اوقاتهم في القهوات الثلاثه التي افتتحت في محلات مختلفه من القصبه . وان محل (البارك) الذي افتتح في المحطة يلعب دوراً مهماً في هذه المسئلة . وبسبب اختلاط نساء هذه الطبقة بنساء المأمورين فقد اخذ اولئك يشعرن بحاجتهن الى (المودة) . يستصنعون البسه النساء في طول كرم وهي المسماة (ستري) اما في يافا او في نابلس . وتتزين نساء الاسر الغنيه

بالحلى التي يصنعنها في دمشق او في بيروت. اما الطبقات الاخرى المنحطة فانها لم تألف بعد قراءة الصحف ولم تشعر بامثال ذلك من الحاجيات المدنيه . حتى انه لا يجول بخاطرها قراءة الحكايات العاميه ولا الاقاصيص المعتادة. ويصعب علينا ان نعثر في اذهان افرادها على مصراع او بيت شعر. لا يعرف القرويون الجلوس في القهوات ولا اللعب بالملاهي . لا يجيئون من القرية الى طول كرم الا اذا ارادوا ابتياع شيء فيسرعون توًا الى الحانوت فيجلسون على الارض ويرسلون نظرهم الى الاطراف والاكتاف نظرات لا تدل على ذكاء او معرفه . اما القرويات فيحضرن الى القصبه وعلى رؤوسهن (عرقيه) ذات الوان وقد اسدلن على وجوهن من جهة الجبين قسماً من القماش المتدلى فوق الانف وقد علقت في طرفيه دراهم وبذلك يسترن وجههن شبه ستر . ويعلقن في آذانهن حلقاً بزنجير وحلقات ويسمونها (تراجه) . وقد اصبحت الحلى العتيقة المعتبرة في القسم الجنوبي من نابلس قديمة في هذ الانحاء . تسلم النسوة التي يأتين بهذه الزينة والحلى جميع ما في ايديهن او مايحضرنه معهن الى صاحب الحانوت . ولا يخرجن من طول كرم الا مديونات. وحينما تكون المرأة عائدة الى قريتها وقد كشفت عن ساعديها وتركتهما تهتزان يظهر الوشم تام الظهور على ايديهن ومعاصمهن ووجوههن وشفاههن العليا والسفلى وعلى جباههن . ومن الغريب اعتياد القرويات هنا على الوشم فينقشن على ايديهن علامة الضرب ومن حولها نقط ثم اعمدة قائمة على خط مستقيم ثم دوائر صغيرة. وينقشن على الشفة العليا ثلاثة نجوم بشكل مثلث وعلى الشفة السفلى قوساً وعدة خطوط . ومن العادة بين الرجال ان يوسموا بالوشم على ايديهم صورة سيف وان يكتبوا اسماءهم ايضاً

متى جاء افراد هذه الطبقة الى دور ساداتهم (الافندية) يسهل عليك ان تعرف مقدار نصيب هؤلاء من الحياة وذلك بانتظارهم في محل خارج دائرة الدار . وبعدم السماح لهم بالكلام امام سيدهم اذ ليس لهم حق بذلك . ولكن اليست السعادة نسبية ؟ فان قليلاً من البرغل وحبات من القمح او الشعير تنهض بهؤلاء الى اوج السعادة في اعتقادهم فماذا بعد هذا ؟ واي فائده لهم من ان يذوقوا سائر ملاذ الحياة ويتنعموا بجميع خيراتها ؟

يبقى لديهم كل شيء مجهولاً . فيكفيهم ان يعرفوا الدنيا كما هم عرفوها . فان هذه الكتلة البشرية لا يحبون تعكير اذهانهم بشيء . ولكن ما هي درجة السذاجة التي يجب ان يتصف بها الانسان حتى يرضى بهذه الحالة ؟

[٢] — العاديات الاجتماعية والادبيات في طول كرم — لا ريب ان العاديات الاجتماعية والادبية في طول كرم هي موحاة اليها من الجوار وخصوصاً من نابلس . فجميع ابناء الطبقات العالية يحبون ان يقلدوا النابلسيين بدعواتهم ومآدبهم وختان اطفالهم وحفلات الزواج ومراسم

او الاولاد حتى انهم يقلدونهم بالجنائز . ولعلنا لانرى خصوصية لاهل طرول كرتم لانفع العادات الاطفال ولا في ملاهي الكبار ولا في الحياة البيتية على وجه العموم . غير انه توجد لهم خصوصية للقرويين تتعلق بمسالة الزواج في قرى بني [illegible] وبين طبقة القرويين من [illegible] تستوجب الانتظار [illegible] احد القرويين ان يتزوج فان اول تقدم تكلمي باسم الراغب بالزواج هي [illegible] المحلة او القرية لا [illegible] والده [illegible] المختار العائلية والسنة بخبرة لدى البنت [illegible] انهم يطلعون الشروط التي يشترطها المختار ويتفقون فيقرون المختار المهر [illegible] من [illegible] الى مائة [illegible] الحالة المالية . وينبغي ان يشتري العريس اربعة البسة [illegible] الاهدوم اللفة) اي الالبسة التحتية . وهذه الالبسة التحتية ترسل لوالد البنت او وليها [illegible]

[illegible] بالشروط التي يرتئيها المختار ويدفعون مقدارا متناسبا من المهر الى ولي البنت ولكن الولي لا يصرف شيئا من ذلك على الابنة [illegible] ذلك يجري النكاح ([illegible]) ثم يبدأ الزوج باستحضار الجهاز ولا ريب ان [illegible] الاستحضارات تتم بذهاب الشيوخ للزوج مع اهل العروس الى البلد لتشتري اللوازم بالاشتراك بالرأي . وحينما يتم استحضار الثياب تجتمع النسوة من قبل الزوج ويخطن الثياب بالاصوات [illegible] وهنالك تجري مراسم التشييع فيصرخ قسم من النسوة بلسان واحد قائلات [illegible]

[illegible] خطاب الرئيس للقافلة [illegible]

صفقاتك يابي فلان [illegible]

اطلق وحي صيوفك [illegible]

يتعجبن من الثم الاخر يقولون [illegible]

والله لاختي يخيتوني [illegible]

واذبح اليوم [illegible]

[illegible] وبعد انتهاء هذه التشييعة ذلك يوصلن الثياب الى دار العروس . وبعد ثلاثة ايام او اربعة تفصل الثياب [illegible] وبعد الانتهاء من ذلك تذهب [illegible] نسوة من دار العريس الى دار العروسة فيخضبون ايديها بالحناء ويزينها . وبعد انتهاء هذه المراسم يركبن البنت على رأس من الخيل وتأخذ النسوة حينئذ بالتشييد والغناء بطرب [illegible] قائلات [illegible] — [٢]

[illegible] جيبوله الفرس [illegible] يا [illegible]

[illegible] ابوك [illegible]

وفي اثناء هذه الاهازيج والاناشيد تنهض العروس فتركب الفرس وحينئذ يقول حزب العريس بلسان واحد قائلين [illegible]

[illegible] كثّر الله خيركم ولا عدمنا في النسايب خيركم [illegible]

[illegible] الطريق [illegible] فترداد القافلة [illegible] حتى [illegible] جميع اللواتي يعرفن العروسة يتهافتن الى الفرس التي تركبها ليربطن بها منديلاً . فتقبل العروسة دعوة اللواتي يتمكن من ربط المنديل ولا تزال العروسة تتنقل بين امواج الدعوات والعزائم الى ان تصل دار العريس فيحضرون لها حالاً الخميرة والماء فتصب الماء على الخميرة حسب العادة وتلصقها فوق باب الدار . وبعد هذا يدخلون البنت الى الدار [illegible] الاتية [illegible]

[illegible] الفرحة [illegible] والبيوت [illegible] الفرحة [illegible] يا صديقي [illegible] الفرحة [illegible] والديار [illegible] والفرحة [illegible] تعالوا [illegible] اهلي . . .)

[illegible] العروسة [illegible] العريس الى الدار . فتأخذ حينئذ كافة الحاضرات من النساء [illegible] العريس وهو [illegible] ذلك [illegible] العريس [illegible] الضربات التي نزلت عليه فيجلس العروسان على دكة ثم [illegible] الرقص [illegible] واخذت اصوات النساء من جهة اخرى الى السماء [illegible] بالاشتراك [illegible] الزوجان [illegible] سبعة ايام [illegible] ويكررون غنيات الحوادي وينشدون [illegible] الضيوف افواجاً افواجاً ويحضر الضيوف [illegible] ويقضون عدة ايام الحياة اشتراكية مشتركة [illegible]

ولا يمكن ان [illegible] على حالة [illegible] او على روح [illegible] بين اغاني الرقص العمومية التي تنشد ايام الاعراس في طول كرم او في [illegible] واوقات [illegible] فهذه التهليلات القصيرة تشير الى الحالة الروحية الكامنة في نفوس القرويين [illegible]

[illegible]
تهاليله
[illegible]
بدو ينام ويتنا يا ريتو ما يغيب منا [illegible]

بدو ينام نوم هنيه نوم الحجاج في البريه
بدو ينام في سريره يا الله يحفظوا يا الله يجيرو ... الخ

وان القلب ليرغب بان يكون مدة النوم التي تستدعيها الامهات لجفون اولادهن قصيرة ومحدودة . ولكننا نرى ويالالاسف ان سبات هؤلاء الطاهرين سبات عميق وطويل . فخياتهم تذهب هباء وهم لاعلم لهم بها . ينامون صابرين مستسلمين لا علم لهم بشيء . ينامون ولا يزالون نائمين .

٤ — الاحوال الصحية في طول كرم

اظن انني ذكرت حين الكلام عن موقع القصبه ان دورها مضيئة بالنسبة لدور الجوار وان القصبة مطلة على صحراء فسيحة تمتد عدة ساعات وان القصبة بهذا الاعتبار ذات هواء جيد وان القسم الاعظم من ابنية طول كرم منشأة على طرز يوافق حفظ الصحة تماماً . ورغماً عن ان هواءها راطب نوعاً ما فانه ليس في درجة يشتكى منه

يعتدل الهواء في اكثر الاوقات . وان ماء طول كرم المحفوظ ماء حيواني يذكرنا بالاساطير الايرانيه بالنسبة لهذه القصبة . ويذكرون انطول كرم كانت تعاني المشاق والآلام بسبب الماء فكانوا يجمعون الامواه في حفر مبعثرة في انحاء القصبه ويشربون مايتجمع فيها من الميله بقذرها وعكرها . ورغماً عنزوال هذه الصعوبات فان الاهلين لا يزالون يتململون من قلته . ومع هذا فان هذه القصبة بحسن مائها وانتظام نباتها وجودة هوائها لم تمكن الامراض السارية مثل الهواء الاصفر والتيفوس من اجراء حكمها بشدة في قصبة طول كرم بنسبة القرى المجاورة لها . وان يكن حدثت فيها عدة اصابات بالتيفوس ولكن وقوع مثل هذا القدر من اصابات التيفوس في قصبة تمرّ فيها يومياً القطارات الحديديه لا يحسب شيئاً بسبب ما يحدث من اختلاطات الالوف من البشر . ومع هذا فان المرض اطفئت ثورته حالاً . اما الهواء الاصفر فلم يصادف وقوعه فيها . مع انه كان يخشى من وقوع اصابات بسبب كثرة ثمر (الصبار) والبطيخ . وبناء على هذا فان قصبة طول كرم سعيدة بنجاتها من هاتين العلتين الفتاكتين

غير انه توجد اسباب موضعية تهدد الصحة في قصبة طول كرم بصورة دائمة فيجب ان نشير اليها : فيوجد على بعد ساعتين من طول كرم مستنقعان باتساع كيلو مترين احدهما يسمى (قطورية) والثاني (بصه) ومستنقع آخر بسعة كيلو متر واحد يسمى (بركة عطا) وهذه المستنقعات الثلاثة تسبب حدوث (الحمى المرزغية) بصورة دائمة في قصبة طول كرم وفي القرى المجاورة لها

وتكاثر الاصابات بالحمى الرزغية في القرى المجاورة للمستنقعات مثل (جليـل) و (حرم) و (قلنسوه) و (جت) و (قاقون) و (زيته) و (عتيل) و (باقا) حتى يبلغ عدد الاصابات فيها الالوف في العام ويقدرون عدد الوفيات فيها بعشرة في المئة. ويؤخذ من افادة طبيب القضاء ان كثرة المواد العضوية في طول كرم وجوارها تساعد الحمى الرزغية على الزيادة والانتشار

ومع هذا فان في القصبة مرضاً اشد ايلاماً من هذا المرض وهو ناشئ عن تسيب الاهلـين واهمالهم مباشرة . ونعيد هنا ما قلناه قبلًا من ان الهيئة الخارجية للبلدة جميلة جدًا . وبهذه الدرجة فانها قذرة وثقيلة من داخلها . ولا نعجب اذا سمعنا انه تمضي الايام ولا يغسل اهل طول كرم وخصوصاً ابناء القرى عيونهم ووجوههم وايديهم وانه لا يوجد في القصبة حمام . حتى ان بعض ارباب الذوق منهم يختارون السفر خمس ساعات الى نابلس ليغتسلوا بحماماتها . وتوجب قلة المياه من جهة اخرى زيادة الاوساخ واذا انضمت الى جميع هذه الاسباب حرارة الاقليم وما تجيء به اهوية الصحراء المكشوفة من حبـات الرمل والتراب تتضح لنا حالاً حقيقة المرض الذي نتكلم عنه :

نعم ان (الرمد الصديدي) يضر اضرارًا عظيمة جدًا في هذه القصبة . ولا ريبة ان خمسين في المئة من كافة اهالي القضاء اصيبوا بهذه العلة . ويوجد اليوم عشرة في المئة من هؤلاء عمياناً . ونشعر بوجود العمى في هذه البلدة لاقل ملاحظة . فقف في احدى الطرق الموصلة الى القرى وعاين الحاضرين والذاهبين تقف حالاً على حقيقة ما قلناه

وعلاوة على هذا وذاك فانه توجد هنا بعض الامراض المستولية على نابلس وملحقاتها وعلى غيرها من المحلات . ويطول بنا البحث اذا تكلمنا عن الزيادة في وفيات الاطفال بنسبة زيادة الزواج والمواليد وعن ضعف بنية الاطفال الذين يولدون وعن العنانة التى تحصل مع الرجال في مقتبل عمرهم وعن فقر الدم الموجود في النساء والرجال . ولكنا نشير هنـا الى ان الامراض التى نسميها كبيرة مثل سل الرئة وامراض العلب والافرنجي قليلة في هذا المحل

ولقد تبين من هذه الملاحظات ان الحالة الصحية في طول كرم غير موجبة للممنونية ولكنها لا تستوجب الخوف والاضطراب . ويمكنني ان اقول ان التوسل بشيء قليل من التدابير المعلومه التى وجدت ذكرها من الزوائد هو كاف لازالة العوارض الصحية الموجودة هنا . وربمـا ان كثيرين منا قد افتكروا بمثل هذه الامور وعرفوا ضرورتها ولكنهم لم يفوزوا منها بنتيجة مرضيه فما اغرب هذه الحالات ? تمضي السنون والحال على ما هي عليه . فالمرض مرض وعوامل المرض

باقية تتكرر بداتها نرى هذا ونشعر به . ومع هذا فلا نعمل شيئاً ... لا ريب ان هذه الحالة هي أكبر مرض فينا

— ٩ —

طريق طول كرم — ملبس

١ — نحو قلقيليه

انقضت علينا عيشة النزل في طول كرم بصورة لا تحتمل فقد كانت اجسامنا منهوكة من قلة النوم وصرنا في اشد الحاجة للاستراحة من هذا العناء كانت الشمس لا تزال بعيدة عن ابواب الظهور وكنا نستنشق من النافذة المفتتحه رائحة الليل في ارض فلسطين الهادئة ذات الخفايا . وكانت نغمات (اسحق) ترن في تلك الفيافي فتحدث تموجات غير متناهية في بحار عنبريه قاتمة ثم تتحفنا من اقصى افاقها بنسمات منعشة فتذهب ما بنا . انقضى على ذلك زمن غير قليل ... وكانت اخريات النجوم لا تزال تلمع متلألاة في السماء . وحينما بدأ المشيب في افق (عنبته) ضُرب الباب وقائل يقول (مركبتكم مهيئة) فاسرعنا بدون توقف. ولا ننكر اننا حينما ارتمينا في العربة الشبيهة بالهيكل العظمي كانت رؤسنا جميعاً في دوار

اتبعت العربة طريق المحطة . وحينما كنا نقطع موقف الخط الحديدي بعد عدة دقائق اخذت الشمس تفرش اشعتها الضاحكة في طريقنا . وكانت طريق يافا الحمراء تمتد فتمتد معها المسافات وتتوالى فيها المنحنيات الطويلة . وكانت مركبتنا تسير ولا صوت لسيرها . ولقد كنا نطل من اطراف العربة فنستقبل ونشيع باعيننا اولئك الراكضين الى طول كرم . فنرى القرويات يمشين تعبات منهوكات وقدربطن ذيول البستهن بخصورهن وتركن ايديهن تروح وتجيء وعلى رؤسهن اطباق اللبن او الخضرة او الحبوب او مثل ذلك من الاشياء . وربما كانت المرأة تسير وراء زوجها المتطي حماراً وعلى رأسها ايضاً شيء من الاحمال فكنا نحزن لهذه المنظرة ونقول ما اعظم قسوة الرجل وما اكثر خشونة الطبع فيه ؟

تركنا على يميننا قريتي (ارتاح) و (قلنسوه) وعلى يسارنا قريتي (فرعون) و (طيبه) وتقدمنا بسرعة زائدة نحو الجنوب ثم قطعنا عن بعد قرية (طيرة) من الجهة اليمنى وقرية (المجدل) من الجهة اليسرى . وكان انقضى على سفرنا ساعتان فوصلنا الى مركز الناحية (قلقيليه) فنزلنا من العربة امام دار الحكومة . بنيت دار الحكومة والمكتب الابتدائي في محل كثير الهواء

خارجاً عن القصبه التى تبلغ نفوسها الاربعة آلاف

تظهر دور القصبة عن بعد كانها كومات سوداء مربعة الزوايا مصنوعة من تراب . وقد ارونا بناية جديده تقوم وراء القصبة عن بعد وقالوا لنا هذه (المحطة) . نعم ان القطار الحديدي يمر من هنا ولكن آثار الحياة والعمران قليلة جدًا فيها . وان واردات البلديه التى تشكلت حديثاً تكاد ان لا تكفي راتب مأمور او مأمورين . ويظهر بوضوح تام ان سكان قلقيلية منهمكون بمسائل الفساد والتزوير اكثر من مجاوريهم ولهذه الاسباب فانهم لم يجدوا وقتاً للافتكار ببلدتهم . ويقال ان الف شخص منهم اجتمعوا على الشهادة الكاذبة في دعوى بهتانية . ولذلك فانهم يقولون ان قلقيلية حائزة على الدرجة الاولى بالفساد والتزوير

٢ — الاحوال العمومية في قلقيليه

ان قلقيلية هي مركز ناحية الحرم ويسكنها اربعة الاف شخص . ويوجد اليوم منهم تحت السلاح ٦٠٠ او ٦٥٠ شخصاً . ومن بينهم مائة شخص فراريون . ولقد سطت على هذه القصبة العلل والامراض التى ظهرت منذ اعلان النفير العام فتوفى بالتيفوس (٧٠) شخصاً وبالملاريا والحمى الراجعة ٣٠٠ شخص . وقد كانت الشيوخ والنساء اقل الاجسام مقاومة لجراثيم الامراض . ويرتبط بالناحية سبع قرى ومزرعه وينقص مجموع نفوسها عن قليقليه شيئاً قليلا . وفي الوقت الحاضر تزيد الوفيات عن المواليد . وفي اهالي مركز الناحيـة المشهورين بالفساد والتزوير ميل للمعارف كما هي الحالة في سائر قرى بني صعب . وقد انشىء المكتب الابتدائي فيها على شكل جميل يجدر ان يكون نموذجاً لما يبنى بعده من المكاتب الابتدائية في سائر القرى . وفي المكتب ١٥٠ او ١٦٠ طالباً . ويقدرون ان عدد الذين يقرأون ويكتبون في القرية يتراوح من ٤٠٠ — ٥٠٠ شخص . واما الفحش والسكر فقليل منها جداً . كانت واردات البلدية التى احدثت منذ سنتين ٢٥٠٠ غرش في العام الماضي فاصبحت اليوم ١٢ الف غرشاً . وقد خصص ثلاثة الاف غرش تقريباً لرواتب الرئيس والكاتب والجاويش . ولم اتفقد الطريقة التي صرفت فيها المبالغ الباقية . وارى من العبث واضاعة الوقت البحث والتنقيب عن اعمال البلدية في قلقيليه التي هي عبارة عن اكواخ مظلمة قذرة لا تعرف معنى للصحة . ولنا وطيد الامل بان رئيس البلدية المثري والذي لا يحتاج لراتب (١٥٠) غرشاً في الشهر يقوم في المستقبل بوظيفته مجاناً ويعمل بكل نشاط وهمة فيرينا آثاراً جدية حسنة

ان الموسم الاصلي في الناحية هو الذرة البيضاء وتقدر حاصلاتها السنوية بعشرة الاف كيلة .

وعلاوة على ذلك فان في الناحية ١٤ بستاناً للبورتقال يخرج منها في السنة خمسة الاف صندوق من الجنس المذكور وترسل جميعها الى يافا

احيطت قرية قلقيلية من اطرافها الاربعة براقد ومقامات الانبياء الكرام والاولياء المحترمين ففي شرقيها مقام النبي الياس وفي غربيها مقام النبي بنيامين من اولاد حضرة يعقوب ومقام سراقة احد الصحابة الكرام . وفي قرية ارتاح شمالي قرية قلقيلية مقام اثنتي عشرة مخدرة من بنات يعقوب عليه السلام . وفي جنوبي القرية مقام طلحة والزبير رضي الله عنهما

ويوجد في قرية جلجوليه من قضاء بني صعب جامع ودار وهما من الآثار القديمه وفي كل من قرية قاقون وبرج العطوعه وقلنسوة — قلعة . وفي قرية قلنسوة حوض جسيم جداً من اثار الدولة الايوبية

ولقد كان ساحل القضاء معموراً جداً في ايام الفنيكيين . حتى انه لا تزال باقية خرابة بلدة (ارسوف) التي اشتهرت بالوقائع المهمة في ايام الصليبيين والتي كانت تسمى (ابولونيا) في ايام اليونانيين . وبعد ان كسر المجاهد الاكبر صلاح الدين الايوبي شوكة الصليبيين في واقعة اجراها هنا وهزمهم شر هزيمة امر بهدم هذه المدينة اسقاطاً لاهميتها الحربية

وفي منتهى السهل المنبت الذي تطل عليه قصبة طول كرم تقوم اسكلة (ابوزابوره) البعيدة عن المركز مقدار ثلاث ساعات . وفي الاسكلة المذكورة مرفأ طبيعي مصان جداً . فاذا اهتم به قليلاً وطهر حسب الاحتياج حتى يصلح ان يكون مرفأ للتجارة البحرية يستفيد القضاء منه ولا ريب فائدة كبرى جداً

٣ — نحو ملبس

كانت دموعنا تتساكب ونحن مشعرون بضرورة الابتعاد قبل وقت عن قلقيلية . ولم يمض زمن حتى تبدل المحيط تماماً فكنا نسير هنا على طريق رملية تقوم على اطرافها اشجار (الصبار) ولا نرى في اوجه الذين صادفناهم على الطريق سوى العمي و الرمد . وكانت الشمس الحادة تحرق ما تصيبه . وكنا نرى احياناً على طرفي الطريق اراض زرعت بطيخاً وسمسماً

مضت علينا ساعتان على هذا الوجه فبلغنا اقصى نقطة من جنوبي ولاية بيروت . وننتقل بعد قليل الى اراضي لواء القدس . فبدأنا نرى تبدلاً محسوساً في زراعة الاراضي فكنا نبحث في ذهننا عن الاسباب والعوامل الى ان نبهنا احد الرفقاء بقوله (السنا قادمين على مستعمرات اليهود ؟) فايقظتنا هذه الكلمة من سباتنا . نعم اننا كنا ذاهبين الي (ملبس Moulabbis) ونحن على احر من الجمر نرى عن قرب همة اليهود ومهارتهم . وكان يتجلى لنا تماماً ان يداً فعاله

نشتغل في هذه الانحاء وبدون ان نسال اخذ حوذينا الصغير يقدم لنا الايضاحات الكافيه فيقول

كانت جميع هذه الاراضي للمسلمين ولكنها لم تكن منتظمه على هـذا الشكل . وقد انتقلت اليوم لايدي اليهود فانظروا الى ماصارت اليه من الجمال

ثم تأوه وتنفس الصعداء من اعماق قلبه وقال :

ان اليهود سيبتاعون هذه الاراضي تدريجاً ويطردون المسلمين منها . وانهم قد طردوهم حتى الآن ولكن الشيخ رباح لم يترك لهم اراضيه . واشار بيده قائلاً : (فهذه الجنينة الكبيرة التي ترى عن بعد والاراضي الوسيعة والقصر الكبير هو له وان ملبس وراء ذلك)

ان كلمات الحوذى الصغير الخارجة بطبيعتها هي اعظم شكاية واستصراخ . امـا هو فانه كان يقول لنا ذلك على سبيل الحكاية غير عالم بان كلماته كانت جارحة لقلوبنا

— وهل تريدون ان آخذكم الى الشيخ رباح ؟

فوافقناه جميعاً على اقتراحه بدون افتكار . فدخلنا طريقاً ذات ظل ورائحة جميلة وقد ازدانت من طرفيها بشجر الصفصاف والحسامة . ثم نزلنا الى ضفة جدول كبير من الماء البراق الذي يجري بين اشجار البورتقال واللوز والنخيل فتتكون من سيره شلالات لطيفة . فظهر لنا من هناك القصر

طفنا كافة انحاء القصر والجنينة والطاحونه وكانها محلات مهملة وبعد انتهائنا جاء الناطور فلم يعمل شيئاً سوى وداعنا . وانني اعترف بانه لا يمكن العثور في كافة القطعة السورية على مثل هذا الممر المنتظم

— ١٠ —

ملبس

١ — اثناء الدخول الى ملبس

امتـد مدخل ملبس ساعة من الزمن . وكان ينبسط احياناً وينثني اخرى حتى يشبه ادعشاش المخفية . ومن المحال ان تجد حجراً ولو صغيراً في الطريق . وكانت دواليب العربة تسبح فوق اكوام التراب وتتقدم الى الامام بلا حس ولا صوت . وكنا نشعر باننـا في اعظم محل ممتـاز من ارض فلسطين . وكانت اشجار الصنوبر الطرية الخضراء ضاحكة على طرفي الطريق . وجنـائن البورتقال والليمون (البيـارات) تستجلب الانظار بانتظامها . فما

اعظم الآمال واكثر العرق الذي يتصبب من اجبن العاملين في هذه المحلات . وكنا نرى تعادلاً وتوازناً وتناسباً تاماً بين جميع الاشجار القائمة على الطريق مثل الحسامة وشجر الكيناء والصنوبر وغيرها من الاشجار الصغيرة واللطيفة وبين اشجار الجنائن جميعها حتى اصغر شجر الماندارينة (يوسف افندي) فكان الطريق جميعه اشبه بجنينة خضراء . وقد فصلت حدود الجنائن بشريط معدني اقيم بعناية واهتمام زائدين . حتى ان داخل الجنائن يرى تماماً من هذه المنافذ الطبيعية . ويغلب ان يكون في مدخل الجنينة طريق طويل . مفروش بالحصى الصغيرة حتى ينتهي ببناية من الخشب صغيرة سوداء ولكنها لطيفة . وفي جانبها قن الدجاج ومحرك بخري يشتغل باخراج الماء . وترى في اطراف الجنينة قساطل ثخينة من المعدن . مضت ساعتان بعد الظهر وقد سلطت الشمس اشعتها المحرقة على هذه الرمال التي كانت تحمر احياناً وتصفر اخرى فتنتشر منها روائح الرمل والغبار فتمتزج بالروائح الصنوبرية المنتشرة من تلك الغرائس القائمة فتتكون من ذلك رؤيا شعرية خلابة للالباب

لم نصادف احداً فكنا بانتظار زائد كي نرى احد الايدي العاملة التي قامت بهذه الاعمال الممتازة في جهة احياناً شخصاً تفيأ ظل شجرة من البورتقال وقد ستر رأسه بقبعة كبيرة ولبس قميص فاعل وبانطلون فقير رجلاه عاريتان وهو بقيافة قروي تماماً . ثم رأينا في جهة اخرى شابة بشعرها الذهبي ووجهها القرمزي وصدارتها البيضاء . وهناك عدة اولاد صحتهم جيدة وثيابهم نقية ووجوههم بيضاء مشربة بحمرة ، وهؤلاء جميعهم قرويون . . . ولقد كنا في حيرة ونحن مسرحون النظر في صفحات هذه الاسر . ماذا صار باولئك البشر التي الفت عيوننا ان تراهم ؟ اين تلك الكتل البشرية البريئة التي تودع الحياة وسط مصائب الفقر والفاقة ؟ كنا ننظر الى بعضنا . وفي عضون نظراتنا استفهامات واستطلاعات عميقة : الم تكن هذه الاراضي لنا ؟ اما كانوا يحسبون هذه المحلات من ترابنا . . . ؟ وكانت عربتنا لاتزال سائرة الى الامام . الى ان ظهرت امامنا اشجار الكيناء (او قاليبتوس) فامتلأت صدورنا بهواء خالص لطيف . وبعد باحة رملية عريضة ظهرت لنا غابة صنوبرية لطيفة . وقد قامت البيوت الحمراء على طرفي الطريق . فهذه هي ملبس . . .

٢ — موقع ملبس . منظرها . داخليتها

وقفت المركبة بنا امام باب لطيف كتب عليه بالعبرانية . فنزلنا منها ودخلنا حسب العادة من طريق ضيقة ذات ظل ظليل قامت على طرفيه غرائس الورد والصنوبر والياسمين وعلته الازهار

والاوراق اللطيفة حتى انتهينا الى بناء لطيف جدًا قد ازدان من اطرافه باشجار البورتقال والليمون . فنظرنا الى نزلنا الجديد الهادئ نظر الاعجاب فقابلنا صاحب النزل وهو شيخ موسوي بابتسامة . فازلنا قسماً كبيرًا من عنائنا ومشاقنا حول الخوان القائم في البهو والمغطى بستار ابيض نظيف . وعلى كل فان النزل بديع جدًا يطل من جميع نوافذه على مناظر خضراء لطيفة . . . فما اجمل هذه البلدة الخضراء الظريفة . ومع هذا فقد كان بيننا وبين القاطنين في هذه المحلات كثير من المبعدات . لان كل واحد منهم كان ينظر الينا نظر الغريب . ونحن ننظر اليهم مثل ذلك . واول شيء تعلمناه في ملبس كلمة السلام (شالوم) . ولقد كانت طريقة سلامهم هذه مع انحناء رأس خفيف يوافقها تستوجب انبساطنا قليلًا . وكنا نشعر بشدة ميلنا الى الطواف في القصبة والاختلاط مع الاهلين كثيرًا . غير اننا لم نجسر على ذلك من حرارة الشمس الشديدة . وعند الاصيل بدأنا بتطواف القصبة بمساعدة المختار

تقوم القصبة بشكل افقي مستو . ويمكننا تلخيص حالة البلدة ببضع كلمات : طرق رملية عريضة . وبيوت ظريفة ملونة قائمة بين اشجار خضراء طرية

وعلى كل حال فان هذه القرية اثر من صناعة يد ماهرة . وكان يظهر لنا ان الاحاطة بالقصبة في مدة جزئية امر غير ممكن . فاتبعنا طريقاً طويلًا فصادفنا طرقاً عامودية قائمة على هذه الطريق ففهمنا من هذا ان للقصبة خطة هندسية قد قسمتها الى خطوط عموديه ومتوازيه والى مربعات . ليست البيوت في ملبس عديمة المنافذ لاهواء يدخل اليها ولا نورًا يطهرها فلا تشبه ركام الاوحال الرطبة القذرة . وما اعظم مهارة هذه اليد المقتصدة التي بنت هذه الدور الصغيرة النصف خشبية . الحمراء باجورها والتي يوجد فيها احياناً غرفتان او ثلاثة او اكثر . تلك الدور لطيفة حتى ان نوافذها تستلفت النظر باآجورها الظريف وبالونها البديعه وبستائرها البسيطة واللطيفه . بل ما اعظم الانتظام والتناسب في طرز البناء ؟ . . . طاق على الطراز العربي . وسقف يذكرنا بدور (الهند الصينيه) وجبهة جمعت في غضونها اعظم تزيينات الغرب . جميع ذلك بسيط وجميع ذلك لطيف . . .

صبغت كافة هذه البيوت الصغيرة بالوان لطيفة ومتناسبة . وتنفصل الدور عن بعضها باشجار مقطوعة من الصفصاف او بشجر الكينا (او قاليتوس) او بشريط حديدي . واحياناً لايوجد شيء يفصل الدور والساكن عن بعضها حتى انه لايوجد اثر للاقفال في النوافذ والابواب . اواه ما اعظم الامنية المتبادلة بين الساكنين في هذا المكان !

ولكل مأوى حديقة خاصة يغرسونها ازهاراً مختلفة ونباتات لطيفة واشجاراً مثمرة . وبين

الجنائن اقفاس صغيرة للدجاج ... ودجاج يقفز ...

وقد اقيمت في انحـاء مختلفة من المدينة محلات للنزهة وفي وسطها مواقع للموسيقى رفعوا حولها حواجز ملونة لطيفة

وفي اثناء تطوافنا هـذه البلدة الخضراء رأينا بناية كبيرة وقد كتب كثير من الجمل العبرانية على لوح من التوتيا معلق على بابهـا وسمعنا من داخل البناية جلبة وضوضاء . و بين ذلك عبارات الترتيـل فاخبرنا المختار ان الاهلين يؤدون فريضتهـم الدينية بمناسبة يوم السبت . قطعنا هذه البناية الكبيرة والكنيس المنتظمة ولا تزال مناظر الحضارة متوالية . والانتظام والترتيب والتناسب في كافة الاشياء لا يفقد من العينين

وقد ارانا المختار كثيراً من الدور المغلقة وقال لنا (ان هذه حوانيت القصبة ولكنها مغلقة اليوم) فما الطف هذه الحوانيت وما اسعد الساكنين هنا ! وما اهنأ الاسر الجالسة امام دورها او السائرة على الطرق الطايله . وخصوصاً اولئك الاطفال بنظافتهم التامة وصداراتهـم المنتظمة وثيابهم البيضاء ... كانت الاشغال عموماً معطلة تماماً في القصبه . وملبس في عيد عمومي . وبمناسبة السبت فقد اكتسى الصغير والكبير ثياباً نظيفة . وبعد مدة انتهت صلاتهم العمومية فاخذ الاهلون عموماً يدوسون تلك الرمال النظيفة مارين في الطريق . وعلى كل واحد آثار اللين والاحترام فلا تسمع غير كلمة (شالوم) ... يمر امامك ناسك بقبعته الكبيرة وردائه القديم وشعره الطويل و (التوراة) او (التلمود) بيده . ثم شاب آخر بقبعة وعلى جانبـه اولاده النظفاء وزوجته الشفوقه ... ثم جمع من الصبيات اللواتي يتجاذبن اطراف الحديث اللطيف . او جمع من اطفال لاتتجاوز اعمارهم الثامنة او العاشرة وهم يضحكون ويتمازحون ..

كل شيء في ملبس خلاف ماينتظر ... وكل شيء فوق التصور . فاخذ سؤالنا الاول شكلاً مؤلماً الآن .. هل كانت هذه القصبه ١٠١ ياترى ؟؟

لا ترمي بنظرك الى محل الا وتهب عليك منه ريح عبرانية قوية .. كافة الاعلانات بالعبراني .. اسماء الازمنة قد كتبت على لوحات لطيفة بالعبراني .. لا يدور على الالسنة بعناد تام الا كلمات عبرانية . حتى ان الالواح التي تدل على جهات الدور كتبت بالعبرانية ... كافـة الحلى التي تتزين بها صدور النساء كلمات عبرانية ... فلا شيء في جميع الاطراف والاكنـاف غير العبرانية ... الاوجه جميعها عبرانية ... وكانت الشمس التي تزلق عن اشجار الاوقاليبتوس فتذهب هذه الدور والحدائق والجنائن بخيوطها الذهبية تعلن نهاية يوم عيد (شابوت) في تلك المستعمرة العبرانية

ما اقبل المساء حتى تجددت الحياة في هذه القصبة . وارتفعت قهقهات السرور من حناجر اليهود الذين حافظوا على هدوءهم وسكونهم منذ اربع وعشرين ساعة . ففتحت الحوانيت . وانحنى الشيوخ امام شموعهم ومصابيحهم يؤدون صلاتهم . واخذت الشابات يعملن وخصوصاً بمسائل البيع . وقد امتدت هذه الحركة الجديدة تحت اشجار القصبة عدة ساعات : وحينما عدنا الى النزل كانت اصوات اللغة العبرانية لا تزال ترن في اذاننا . وجلسنا امام الحوان الذي تهب منه روائح السيرج فاكلنا ما حضر رغماً عن استكراه معدتنا له . ولما استلقينا على الاسرة والقينا بروؤسنا على مخدة يهودية تكاد تكون نصف فراش كنا نبحث على نوم هادئ يزيل مابنا من التعب والعناء المتراكم علينا منذ عدة ايام

لما استيقظنا صباحاً كانت الشمس قد انتشرت منذ مدة فوق اشجار الكيناء في **Batach-Tikvah** (الامل الموسوى) اي ملبس . وقد اكتسى القرويون الماهرون البسة الفعلة واتجهوا نساء ورجالاً نحو بياراتهم ومزارعهم . ومنهم من كان يجر عربات طويلة . يتراكضون فتمتلأ بهم الطرق احياناً وتفرغ اطواراً . وكانت انوار المستقبل تلمع على وجوههم الضاحكة . فتقرأ في عيونهم املهم المشترك العام . . . . ويكرر لسان كل واحد منهم هذا الميل :

— لتحيا لبعضنا في هذه الارض المقدسة وهكذا فلنعش

كانت هذه الجمل ترتلها السنة القاطنين في هذه القصبه المؤلفة من اربعمائة دار ومن غريب التصادف ان احد الرفقاء كان يقلب في دفتر في جيبه فقال :

— اتعلمون ان هذا اليوم هو يوم ١٠ تموز — ؟

تتطلعنا الى الخارج فلم نجد في سائر الانحاء شيئاً يدل على لون احمر . فتطأطأت حينئذ منا الروؤس وكان سؤالنا ذاته يحرق منا الدماغ : هل كانت هذه البلاد لنا ؟

وبعد قليل جاء المختار الموسوي فاخذ يتكلم امامنا عن وطنيته وعن وطنية اهالي ملبس وعن ارتباطهم الوطني فهززنا الرأس وكنا نسمعه قولنا (اليس ذلك طبيعي) ؟

٣ — الاحوال العمومية في ملبس

[١] — اهميتها الموقعيه — اشرنا في القسم العمومي من تقريرنا انه اخذت جمعية (جويشن قولونيزەشين اسوسياسيون) وسائر اغنياء اليهود باستعمار ارض فلسطين . وقد قرروا قسمة البلاد الى اربع مناطق : حيفا — زمارين . يافا — الجوده . غاليله السفلى — طبريا . غاليله العليا اوجاعونه — صفد . وقسموا كيفية الاستعمار وما يتعلق بذلك من الاشغال المالية والزراعيه الى ثلاث شعب

فالشعبة الاولى مركزها حيفا والشعبة الـ ... و ... الثالثة فرية جاعونه في قضاء صفد ٠ وان ثلاث من هذه المناطق داخلة في دائرة تدقيقاتنا وتتبعاتنا (اي الموجودة في ولاية بيروت) واما منطقة يافا فغير داخلة في ذلك ولكننا نرى ان التدقيق والنظر في احوال هذه المنطقة والتكلم عن مساعيها الزراعية والاستعمارية وبسط ... لاختصار لا يخلو من فائدة : ولما كانت اكثر القرى عمراناً في هذه المنطقة هي قرية (ريشون ريون) وقرية ملبس او (بتاح تيكوا) « اي الامل اليهودي » الواقعة على حدود قضاء بني ... زيارة القصبة الاخيرة

[٢] — تاريخها — ان اكثر من نصف منطقة ... الاشجار المثمرة فكان في هذه المنطقة عام ١٩١٣ (٦٠٠ ...) ... بورتقال و (١٠٠) هكتار من شجر اللوز و ٥٠٠ هكتاراً من ... و (٤٠٠) هكتار من الاشجار المتنوعة وقد صرفت جمعية الاستعمار اليهودية ... الدين فورت ... عن موال روتشيلد — في سبيل انشاء هذه المستعمرات وايجادها ... منطقة يافا جنائن زمارين وخضيره اكثر من (٣٠٠) الف صندوق من البورتقال ... ١٩١١ ٠ وقد بلغ عدد المستعمرين في هذه المنطقة (٢٦٥٤) شخصاً عام ١٩١٢ ٠ ولا يدخل في عدد هؤلاء اليهود الاحرار الذين لا يزارعون ولكنهم يشتغلون بتجارات ... ٠ وتتراوح المساحة السطحية لهذه المستعمرة من ٢٠٠ الى ١٣٠ الف دونم

وقبل ان تأسست قصبة ملبس التي هي اهم ... جاء فلسطين عشرة اشخاص من بولونيا مع (باروخ دينويس) ... القرية لدى شركاء ... سنة ... استوطنوا قرية يهودية تبعد اليوم عن ملبس ... ثلاث ... وتروا ... آخر وجمعهم من يهود القدس اراضي ملبس اليوم باسم اربعين او خمسين شخصاً من المستعمرين ٠ وبدأوا يعملون مع اخوانهم لتجفيف المستنقعات التي ... ثمت رجعوا ... صاحة الزراعة والسكن ٠ فابتدأوا اولاً بزراعة شجر الكيناء في انحاء مختلفة من الاراضي و... جف قسم من المستنقعات جاء المستعمرون اليهود قبل ٣٣ سنة وبدأوا بتأسيس قصبة ملبس ٠ ... لهم رجل يهودي يسمى (موسى سلوخ) مصور المدينة ففتح فيها سبع طرق يتراوح عرض الواحد منها من ١٠ — ١٢ متراً و... في طرق عرض الواحد منها من ٦ — ٨ امتار ٠ ثم عدلوا خطة الطرق فقرروا ان لا يكون عرض الازقة اقل من عشرة امتار ٠ ومنعوا ... وما شيد بناء على خلاف ذلك فان مجلس القصبة ... (...) ...

[٣] — صورة الادارة — يجتمع اصحاب الاملاك كل عام في ... وينتخبون ...

ويضعون في ذلك مضبطة . ويتألف المجلس من سبعة اشخاص ويترأس المجلس احدهم ويقوم بوظيفة الكتابة آخر منهم . وتوجد هذه التشكيلات الادارية في اكثر القرى اليهودية . ووظيفة المجلس القيام بكافة احتياجات المدينة . ويتناول المختار وهو احد اعضاء المجلس ١٥ ليرة عثمانية في الشهر وراتب الكاتب الاول ٦ ليرات والكاتب الثاني ٣ ليرات وسكان ملبس ٣٠٠٠ وقد جيء بـ ١٢٢٤ منهم من اصحاب الاراضي وارباب الاستعمار في اوربا واما الباقون فهم من ارباب الصنائع الحرة . واللغة العامة بين كافة الاهالي هي الاشكنازية اليهودية . وتجيء بعدها بالدرجة الثانية العربية . ويوجد في الفرقة من يتكلم بالالمانية والفرنساوية والانكليزية . وجميع اصحاب الاملاك في القصبة عثمانيون ما عدا اثنين فهما نمساويان . ويوجد بينهم ١٠٠ شخص عادوا الى روسيه بمناسبة الحرب . ومن الامور الجديرة بالذكر انه بعد اعلان الحرب العامة اخذ هؤلاء اليهود يدخلون بالتابعية العثمانية واحداً بعد آخر بعد ان كانوا جميعهم يدافعون بكل قواهم عن تابعيتهم الاجنبية . وبلغ عدد الذين جعوا التابعية العثمانية في ملبس فقط (٩٠٠) شخص [illegible] تصة ماسر من اليهود الذين هاجروا من روسية . ويوجد منهم [illegible] ومن [illegible] والنمسا وامريكا . وبمناسبة اعلان الحرب بارح ١٠٠ عامل منهم [illegible] الاراضي العثمانية وهاجروا الى اميركا

كانت اراضي [illegible] تحدث منها الامراض القتالة ولكن بفضل [illegible] التي صرفت [illegible] القتالة الى حدائق غناء ذات واردات وازهار وروج جميلة تنعش الارواح وتعيد الى الاجساد صحتها . حتى ان التيفوس والهواء الاصفر والملاريا [illegible] التي انتشرت عام ١٣٣١ — ١٣٣٢ وفتكت فتكاً ذريعاً في [illegible] . واهالي القصبة يعتنون جداً بنظافة ازقتهم . ويكفينا [illegible] في [illegible] القصبة مناظر [illegible] الخارجية وقيامها متفرقة عن بعضها [illegible] من شركة الاستعمار ومن البارون وكذلك [illegible] سبيل تنظيف القصبة وتطهيرها وتنويرها [illegible] مصباحاً من مصابيح « لوكس »

وقبل ست سنين [illegible] كبيرة ووضعوا فوقها محركاً بخارياً يرسلون بقوته وبواسطة [illegible] وقد صرف على شراء المحرك وعلى انشاء الحوض [illegible] زائدة فقد كان سكانها قبل ١٢ سنه لا يتجاوزون الستين فاصبحوا [illegible] (٣٠٠٠) [illegible] من الارض في تلك السنه لا يتجاوز

بضع غروش فاصبحت قيمته اليوم ٢٥٠٠ فرنك

[٤] — امور المعارف — كل رجل وامرأة في ملبس يقرأ ويكتب . والتعليم الابتدائي اجباري ولا يمكن لاحد منهم ان يخلص نفسه من ذلك مطلقاً . وفي القصبة مكتبـــان احدهما علماني والثاني ديني . الاول مختلط والاجرة السنوية فيه من ٢٠ الى ٨٠ فرنكاً . وعشرون في المئة من الطلبة يتعلمون مجاناً . ومدير المكتب من اسرة فاسية الاصل ولكن مسقط رأسه الشام . وبسبب قيامه بوظيفة المديرية منذ ١٢ سنة فانه يستوفى اليوم (٢٥٠) فرنكاً راتباً شهرياً ويقطن داراً مفروشة فرشاً جميلاً بلا اجرة . وهو مأذون من دار المعلمين في (اوتوى) من اعمال فرانسا ويستخدم سبعة اساتذة اثنين منهم تعلما في المانيا . واقل الرواتب التي يتقاضاها المعلمون تتراوح ما بين ٧٠ — ٨٠ فرنكاً . ويبلغ عدد الطلاب الذين يداومون على المكتبين الديني والعلماني (٧٠٠) . اما طلاب المكتب العلماني فالثلثان من البنات والثلث من الذكور ورغماً عن وجود فرق في الغاية التعليمية التي يسعى وراءها المكتبان فان المؤسستين العلميتين يتسابقان بتعليم اللغة العبرانية وتقويتها وانتشارها

٢ — الاحوال الاجتماعية في ملبس

[١] — اقسام اليهود . لسانهم . شخصيتهم — ينقسم اليهود الى ثلاثه اقسام الاول (اشكنازيم **Askenazeim**) اي يهود الشمال وهؤلاء سكان المانيا وروسيا وبولونيـــا ورومانيا ولسانهم الاصلي الالمانية ومع هذا فقد خالط لسانهم شيء من لغة البلاد التي يسكنونها مع شيء قليل من العبرانية . ويدعي المتنورون من الموسويين ان عدد الاشكنازيين يبلغ ١٣ مليوناً وهم كما يأتي :

في روسية	٧٠٩٠٠٠٠
« اميركا	٢٠٠٠٠٠٠
« النمسا والمجر	٢٥٠٠٠٠٠
« المانيا	٦٢٠٠٠٠
« تركيا	١٠٠٠٠٠
« رومانيا	٢٨٠٠٠٠
« بريطانيا	٢٠٠٠٠٠
« فرنسا	١٠٠٠٠٠

في الفلمنك	٦٠٠٠٠
« الارجنتين	٤٠٠٠٠
« كندا	٧٠٠٠٠
« ايطاليا	١٠٠٠٠
« البلغار	١٠٠٠٠
« مصر	٥٠٠٠
« افريقا الجنوبية	٤٠٠٠٠
« اسويسره	١٨٠٠٠
« اوستراليا	٢٠٠٠٠
« بلجيكا	١٥٠٠٠
	١٣٢٢٨٠٠٠

واما القسم الثاني من اليهود فهـم (سهفارديم Séphardim) وهم الموسويون الذين كانوا مستوطنين اسبانيا. ولغة السهفارديم الاصليه هي الاسبانيوليه ولكنها اختلطت بعد هذا بغيرها من الالسنه

والقسم الثالث من اليهود (المغاربة) وهؤلاء هم اليهود الذين سكنوا افريقا الشماليـة وسوريه ولغتهم العربية . ويعتبر بعض المؤلفين ان اليهود (اليمنيين) والاعجام (الفارسيين) وكذلك (المغاربة) هم شعبة كبيرة من (السهفارديم) ويتجاوز عدد السهفارديم جميعاً المليون ونصف وهم كما يأتي :

في اميركا	٣٠٠٠٠٠
« الز ا والمجر	١٠٠٠٠٠
« تركيا	٣٠٠٠٠٠
« بريطانيا	٥٠٠٠٠
« رومانيا	٢٠٠٠٠
« فرنسا	٢٠٠٠٠
« الفلمنك	٦٠٠٠٠
« فاس	١١٠٠٠٠
« اليونان	٩٥٠٠٠

في الارجانتين	٥٠٠
« كندا	١٠٠٠
« الجزائر	٧٠٠٠
« تونس	٠٥٠٠
« ايتاليا	٥٠٠٠٠
« الحبشه	٥٠٠٠٠
« البلغار	٤٠٠٠٠
« مصر	٦٥٠٠٠
« افريقا الجنوبية	١٠٠٠
« ايران	٤٠٠٠
« الهند	٢٠٠٠٠
« اسويسره	٢٠٠٠
« الصرب	٢٠٠٠
« بلجيكا	٥٠٠٠
« الافغان	٢٠٠٠
« المحلات الاخرى	٠٠٠٠
	١٦٢٠٠

ويقول الذين تتبعوا لغة (الاشكناز) ان عمر هذه اللغة ستائة سنه . وليس لهذه اللغة نحو وصرف والسبب في ذلك انها لغة لا يتكلم بها غير العوا . ورغماً عن اجتهاد فريق من ارباب اللغة المشتغلين بتقدم اللغة العبرانية قبل بضع سنين — بارجاع اللغة الاشكنازية الى شكل علمي فانهم لم يوفقوا لذلك ولم يعملوا شيئاً سوى الحكم على هذه اللغــة بالاهمال الابدي . والسبب في ذلك اضاعة هذه اللغة ماهيتها على فوض ارجاعها الى اصل مستقل . ويمكننا الاشارة الى فريق من الذين اشتغلوا بذلك وهم في روسيه « ديك » و « منده‌ل موخه‌رسه‌فارين » و« رابينوويچ» واسمه المستعار « شالوم آلوخهم » و كذا « شالوم آش » اما لغــة « سه‌فارد » فلا يتجاوز عمرها الاربعمائة وخمسين سنه . وليس لها قواعد نحوية وصرفية مدونه . وللاشكناز والسه‌فارديم ادبيات تتناقلها الالسنة وهي مدونه بالعبرانية . ولا ريب انها عبارة عن حكايات واقاصيص ومنظومات

عامية او اغـان وصلوات دينية . ويكثر في اغانيهم ذكر المهاجرة الى فلسطين والشكاية مما لاقوه من الظلم والاعتساف . وللاشكنازيين صلوات مستعملة في عباداتهم مثل المنظومـة الآتية :

طال ... ته ين له راتسيس آرتسوخ
شيسه بنو بروحو بيديتسوخ
ريو دو غون وبسيره ژبه آفريتسوخ
قو يه م ايربو خه فسوخ . طال ...
پری اوره تبی له غووهن اولسی فه رهس
ايرقا سسوقوته سه ره س
سيمو يبوتخو آته روس ... به طال ...

وهم يتلون هذه المنظومة حينما يطلبون المطر من الحق تعالى اثناء عيـد الفطر . يتضرعون اليه تعالى بان يفيض عليهم من نعمه فيحيي لهم الارض . وقد كتبت مقطعات كثيرة مثـل هذه يتلوها الامام في الكنيسة ثم يرتلها المقتدون بالاشتراك

اما الشخصية الموسوية . فلاشكنازيون الساكنون في فلسطين وسورية هم اكثر انتباهاً وقابلية من السه فارديين مع ان السه فارديين في اوربا هم اكثر نباهة واستعداداً من الاشكنازيين هناك . والسبب في ذلك ان الاشكنازيين يشدد عليهم ويضايقون في اوربا

ورغماً عن ان السه فارديين اكثر ذكاء فانهم لم يعرفوا الطرق التي يحسنون بها استعمال ذكائهم . والاشكنازيون اكثر عناداً من السه فارديين ولكل فريق منهم مبدأ وغايات خصوصية . والاشكنازيون هم اكثر اهتماماً واعتناء بالامور ومعرفة بوظائفهم . وهم دهاة جسورون . اما السه فارديين فهم اشد احتياطاً وملايمة . يكتفون بالعمل القليل . وبهذا الاعتبار يظهر ان الاشكنازيين اكثر اجتهاداً وعملا . ومن العبث البحث عن مسئلة النظافة بين جميع هؤلاء ما عدا الطبقة العـالية واننا نغض النظر عن ذكر ما اشتهر عن اليهود من الحرص والامساك

[٢] الحياة في ملبس — لما كان سكان سكان ملبس جميعهم من الاشكنـازيين فهم قريبون من بعضهم من حيث الاجتهاد والعمل . يمكننا اعتبار لاربعة الاف شخص سكان ملبس كانهم كتلة واحدة . ومع هذا فانه يمكن تفريقهم الى قسمين باعتبـار طرز معيشتهم ورفاهيتهم ومدنيتهم فان الفرق ظاهر بين معيشة المثرين واصحاب الاراضي وبين معيشة الفعلة . فالمثرون يقضون حياة لطيفة (Hiat life) في هـذه البلدة اللطيفة . فقـد زينت دورهم

باجمل زينة داخلًا وخارجاً وفرشت على الطرز الاوربي ٠ وان يكن صاحب الدار يشتغل في بياراته فهو اما انيكون (آغرونوم) او انه احرز تحصيلًا عالياً وفهم معنى الحياة. ولا تخلو بيارة في ملبس من محركات بخارية واحواض وقساطل ماء ·ولايزال تراب هذه القصبة بكرًا ونظيفاً وقد انبت عدة آلاف من اشجار البورتقال التي تأتي بالوف من الليرات ايرادًا سنوياً ٠ وتقوم في اطراف البيارات اشجار التفاح والاجاص واللوز والدراقن ومن وراء ذلك اشجار الكيناء التي تنقي الهواء فلبس مصيف دائم ٠ وان الدماغ المتفكر الذي هيأ جميع هذه الوسائط والاسباب واوجد المحرك البخاري ونظم الترتيبات الزراعيه هو ذلك المثرى ٠ فبعد ان يكمل ذلك المثرى عمله وينزع عن جسده قميص الشغل يستلقى على كرسي طويل في داره فيقرأ ما جاء من البرقيات من جميع انحاء العالم او انه يأخذ كتاباً من مكتبته التي تضم بين دفتيها مئات من الكتب ٠ وهو مشترك ولا ريب بعدة جرائد اوربيه وعلى الخصوص بجريدة موسوية مثل (آحهروت) او (هاوور) وربما يكتب فصولاً زراعيه فيتحف بها جريدة (هاقلايي) الزراعية ولاشبهة انهُ واقف على عدة السنه

ويلقى احياناً في النوادي محاضرات ضمن دائرة اختصاصه ٠ وحينما يشتغل برياضة فكره وهو في داره تكون امرأته او ابنته او طفله يعمل ايضاً عملًا فكرياً ٠ واذا احب الاستراحة احياناً يعزف هو او ابنته على البيانو ويذهب احياناً الى الكنيسة لاداء فريضته الدينية فيركع امام الاوامر العشرة وامام الواح كهسهتيرو [illegible] المعلقة في اعلى نقطة من صدر الكنيسة والمزينة برسوم الهدد والسباع ٠ وحين خروجه من الكنيسة يقابله الموجودون بكل احترام واكرام ٠ ويقيم في داره احياناً مسامرات لطيفة فيدعو اليها سائر ابناء (حاي لايف حياة) ٠هكذا تعيش هذه المدينة عيشة مدنيه وانسانية مثل ارقى البلاد ٠ وهكذا يقضي جميع المثرين حياتهم ومعيشتهم ٠ ولهؤلاء غاية كماليه وامل واحد يقرأه الناظر اليهم في اعينهم ٠ وهم يلهجون به بتأثر وتهييج وهو :

« اواه ايتها الارض المقدسة ٠٠٠ ! »

ولا تدور هذه الالفاظ على السنتهم حتى يتوجهوا الى رب الكليم ويضرعوا اليه اويتوجهوا الى رسوم الاعاظم الموسويين مثل (هرتسل) و (ماقس نورداو) والبارون (روتشليد) وكانهم يكررون هذه الادعية بالاشتراك مع اولئك

ان هؤلاء هم اعظم العوامل القوية في الارض المقدسة ٠ اما الطبقة الاخرى من اليهود فهم

فعلة وباعة · وليس لهم ثروة مطلقا وعيشتهم مضطربة · والقسم الاعظم من اهـالي ملبس على هذا الشكل · والباعة يبيعون ويشترون في غرف خارجية عن دورهم يخصصونها لذلك · ولهذا ترى كافة الحوانيت في ملبس لاصقة بالبيوت وهي على شكل كوخ ومأوى صغير · امـا الفعلة الذين يعملون في البيارات فانهم لايعودون الى دورهم الاصليه · وقد تمسك ابناء هذه الطبقة بالدين اكثر من غيرهم ولذلك تراهم يحرمون انفسهم من كثير من لذائذ الحياة واذواقها · ويهتمون جداً بمسئلة العاشر والطارف ولهذا لاتنفك رائحة السيرج واللحم من دورهم التي تراها وسخة جداً لا تفارقها صنوف صديقاتها من الذباب · والحاصل ان هؤلاء هم اليهود العوام بكل معـنى الكلمة · ومع هذا فان لهؤلاء موقفاً خاصاً سواء كان في ملبس او في سائر المستعمرات فانهـم الطبقة العاملة وهم واسطة الراحة والرفاهية للاريستوقراطيين · ورغماً عن ذلك فـان هؤلاء ارقى من القرويين عندنا فكرًا ومدنية بدرجة لاتقبل القياس · فالباعة مثلًا يبيعون كافة اللوازم المدنية في حوانيتهم · والمزارعون يعيشون بهناء وسعادة في بيوتهم · وبين افراد عائلتهم اكثر من قسم عظيم من اغواتنا المثرين

[٣] — العادات الدينية والاجتماعية في ملبس — لافرق بين الاشكنازيين القاطنين ملبس وبين سائر الموسويين والاسفارديين في المسائل الدينية · فيتوضأون وقت الصبح (شحريت) والعصر (منحا) والمغرب (عربيت) ويؤدون صلواتهم التي هي عبارة عن اربعة انحناآت وركوع اما صلاتهم يوم السبت (شابوت) فهي اكثر من هذا

ويصومون اربعاً وعشرين ساعة يوم العاشر من « تشرى » (١) احد الشهور الموسوية واليوم التاسع من آب · ويعطون عشرة في المئة من اموالهم على سبيل الزكاة ويختنون اولادهم في اليوم الثامن من ولادتهم · ولهؤلاء ثلاثة اعياد · الاول عيد الفطير « پيسح » وهو من خامس عشر نيسان اليهودي ويتمد ثمانية ايام · والثاني عيد التوراة « شابووات » وهو اليوم السادس من شهر سيون · والثالث عيد القصب « سوككوت » وهو يبدأ من اليوم الخامس عشـر في شهر تشرين ويمتد ثمانية ايام · وفي ايام هذا العيد يجلسون تحت المظال

---

(١) هذه هي الشهور الموسوية وهي قمرية والعام ٥٦٧٦

نيسان · آير · سيون · تموز · آب · ايلول تشرى · حيشوون · كيسلوف · ته بت · شباط · اودور ·

ويتكرر اوودر مرتين في العام عند الموسويين كل خمس سنين

يراعي الاشكنازيون مسئلة « العاشر » و « الطارف » ولا يعملون شيئاً مطلقاً يوم (شابوت) فيسترحون تام الاستراحة وتنقطع كافة المعاملات في ذلك اليوم

والطلاق معروف في ديانتهم ولكن ضمن شروط معينه

ظهر من هذا ان الاشكنازيين لايختلفون عن السهفارديين في احكام الديانة الموسوية العامة ولكنهم يخالفونهم في بعض الحالات الخصوصية فقد جاء في التوراة انه اذا توفي الزوج وكان له اخ يجبر على التزوج بامرأة المتوفي التي لايكون لها اولاد . غير ان المفسرين من اليهود في روسيه لم يوافقوا على هذا الحكم قبل ثلاثمائة سنه . ويتبع الاشكنازيون في مسائل (العاشر) و(طريف) اقوال مفسرين آخرين غير الذين يتبعهم السهفارديون . وهم يخالفون بعضهم في مسائل الزوج . فالسهفارديون قد وافقوا على صحة الازدواج على المرأة التي لم تلد مع ان الاشكنازيين رفضوا هذا الجواز

اما العادات الاجتماعية فان الموسويين يحبون المحافظة في مراسم الختان والزواج على الموروثات القديمة المنتقلة اليهم منذ الوف من السنين . غير ان الاشكنازيين اضافوا على موروثاتهم القديمة عادات الاوروبيين ايضاً . ويتبع الاشكنازيون عادة « مزوزا » و « تيسيتيت » فكل موسوي يكتب الكلمات العشرة في قسطل من خشب او معدن ويلفها بورقة او مشمع ويضعها في الجهة اليمنى من الدار ويسمون هذه العادة (مزوزا) ويربط كل مديون خيطاً في قيصه الداخلي ويسمون ذلك « تيسيتيت » وهذا آخر تذكار بقي للموسويين من الماضي

٥ — الحالة الصحية في مابس

في المستعمرات الموسوية تشكيلات صحيه منتظمة . ففي كل مستعمرة طبيب سيار وصيدلية تحوي جميع انواع العلاجات . وفي الوقت ذاته فان ابناء القصبات ومختاري المستعمرات يخبرون حالاً وفي الوقت المعين عن المواليد والوفيات وعن الامراض ولهذا توجد احصائيات منتظمة جداً عن العلل التي تظهر في القصبة وعن مقادير الاضرار التي تحدثها . وتحفظ هذه الاحصائيات في مراكز الشعب ولا ريب انها حائزة على كافة شروط الوثوق والاعتماد . ولذلك فانه لايظهر احياناً في كافة المستعمرات اثر لاقل الامراض وابسطها . والسبب في ذلك الاهتمام بالامر منذ اول ظهوره والتوسل بالتدابير الواقية . وقد فتكت الحمى بالموسويين فتكاً ذريعاً في اول تأسيس المستعمرات . غير انه بعد تطهير المستنقعات وتجفيفها وزراعة شجر الكينا (الاوقاليبتوس) وتوزيع الكينا بكثرة ومراعاة كافة التدابير الصحية في داخل المستعمرات وحصر المياه وحفظها

زالت هذه العلة حتى انه قضي الاشهر لا تقع اصابة بالحمى . ولما استولت التيفوس و الهواء الاصفر في الايام الاخيرة على كافة القطعة السوريه وفتكت بها ذلك الفتك الذريع لم تدخل القرى اليهودية . واذا ظهر المرض فانه يزال حالاً بالسرعة التامة . ولهذا لا ترى في القرى اليهودية اثرًا للامراض التى تهلك قرانا الاخرى كالحمى المرزغيه والرمد الصديدي والروماتيزمه والسل الارثي وفقر الدم . ولا تحصل وفيات بين لاطفال الذين يكونون ثمرات الزواج الصحي . ولما كانت الاسر تتألف ضمن شروط معقولة فان الاطفال ينمون ويشبون ضمن بحبوحة من الحياة. ولهذا اخذ المستوطنون هنا يصرفون نظرهم منذ سنين عن المهاجرة الى الخارج والالتحاق بغير هذه البلاد . ولا ريب ان استناره الفكر تعاون على جريان الامور الصحية ضمن دائرة المحور المطلوب . ومن المحال ان تجد واحداً في كافه المستعمرات اليهودية لا يقرأ ولا يكتب . وانك لتجد في ملبس وحدها مكتبين احدهما يسمى « طالا طوره » وهو ديني خاص بالذكور والثاني يسمى « بيساسيفهر » وهو مشترك بين الذكور والاناث وفي المكتبين ٧٠٠ طالب وطالبه . وان رشيم النور الذي يتلقاه هؤلاء من الكتاب ينمو ويكبر في الحياة العائليه . بل يزيد بسكون وهدوء في آفاق الارض المقدسه الشبيهة بالجنان

٦ — اللسان العبراني والادبيات العبرانية

تكلمت حين البحث عن اقسام الموسويين عن شقي الاشكنازين والسفاردين وعن اسس ادبياتهم . وانني انتقل بالقارىء هنا الى الكلام عن العبرانية وهي اللسان الادبي العام والقديم لليهود . وقد قلنا قبلًا ان اللسان العبراني هو شعبة كبيرة من شعب الالسنة السامية مثل الارامية . ولا ريب ان لهذه اللغة التي نزل بها اقدم كتاب سماوي وهو التوراة — قيمة دينية ومزية عظيمة تاريخية

ولا شبهة ان الدين اولاً واللغة ثانياً هما من جملة العوامل التى توجد الوحدة العمومية بين افواج الموسويين الذين يهاجرون زرافات ووحدانا الى الارض المقدسة منذ عشرين او ثلاثين سنة وكل فريق منهم اتى من جهة . وكل حزب منهم يتكلم بلغة . ولما لم يكن من اختلاف ديني بين الاشكنازيين والسفارديين ولا توجد بينهم مشاكل دينية لا تقبل الحل فقد اصبحت الرابطة الوحيدة الاساسية التي تربط الموسويين ببعضهم هي رابطة اللسان . ولم يغفل القائمون بهذه الحركة الاجتماعية عن هذا المؤثر الشديد فاهتموا قبل كل شيء بتعميم انتشار اللسان العبراني وجعلوا اساس التعليم والتدريس في المكاتب على اساس العبري . ولم ينفكوا دقيقة عن الاجتهاد والغيرة

في سبيل اكمال نواقص الاصطلاحات الفنية حتى تمكنوا اخيرًا من تدريس جميع العلوم والفنون بلغتهم العبرانية . وبفضل المطابع العبرانية التي اوجدوها امتلأت ساحة المطبوعات بالمؤلفات الوافرة التي تهديها اليها . ولقد اخذ اللسان العبراني باشعاره وادبياته وعلومه وفنونه وتاريخه وبتوراته — دورًا عظيماً في الالسنة اكثر مما كان عليه قبلًا . وذلك بعد ان كاد يتلاشى ويندثر من بين الالسنة والافكار . وقد اصبح اليوم حياً في كافة زوايا الارواح وخباياها

لا ريب ان اللسان العبراني الجديد يخالف جدًا من جهة اللهجة اللسان القديم الذي مضت سنين عديدة على كتابة التوراة والتلمود به . ولكن الاحرف لم تختلف فقد ظل على اربعة وعشرين حرفاً كما كان قبلًا

وقد وضع صرف اللسان العبراني ونحوه بصورة منتظمة المسيحي (كه زه نيوس) الجرماني وذلك قبل مائتي سنة . فالف هذا الرجل كتاب قواعد (غرامر) في اربعمائة صحيفة وقد تكرر طبع هذا الكتاب ثلاثين مرة حتى الآن وفي كل مرة منها يدخلون عليه شيئاً من الاصلاح . وقد طبع غرامر كه زنيوس لآخر مرة في المانيا قبل اربع سنين او خمسة ويعتبرون (شته ينبرغ) الموسوي و(لوتساتو) الجرماني من كبار المؤلفين بعد كه زنيوس

وللسان العبراني ادبيات قديمة غنية يمكن ان تكتب عنها مجلدات عديدة . ومع هذا فاننا سنعتمدهنا على اراء المتنورين من اليهود ببيان الادوار الادبية الاصلية التي مرت على اللسان العبراني مع الحركة الادبية التي طرأت عليها اخيرًا

اذا نظرنا الى تاريخ الادبيات العبرانية بالعين التي ننظر بها في تاريخ التصورات العبرانية يتسع نطاق البحث معنا تمام الاتساع

ان اقدم دور للادبيات العبرانية هو دور (طاناخ) وهو دور الكتاب المقدس ومدته من خمس مئة سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام الى ١٠ فوق . ولا يوجد لهذا الدور اثر عظيم سوى الكتاب المقدس . غير ان كتاب داود ومزاميره هي من المحصولات الفكرية في هذا الدور . وينتهي هذا الدور في الوقت الذي هدم فيه بيت المقدس الاول وانشيء بيت المقدس الثاني

واما دور الادبيات العبرانية الثاني فهو دور التلمود ويمتد من قبل الميلاد العيسوي بمائتي سنة الى ما بعد الميلاد بخمسمائة سنة . ومع ذلك فانهم يتولون بوجود دور ادبي امتد من العام (٥٠٠ الى ٢٠٠) قبل الميلاد ويسمونه دور (آبوقره يفيم) غير ان آثار هذا الدور قد ضاعت بين ايدي النسيان ويقال ان العلماء العبرانيين يشتغلون اليوم للحصول على آثار

هذا الدور الادبي

ان الاثار التي وضعت في الدور التلمودي هي القوانين واقاصيص الاقدمين. والتلمود اثر منثور وهو يتضمن تفسيرات وايضاحات جيدة ويعتبر من اهم الآثار في هذا الدور

واما الدور العبراني الثالث فهو الدور المسمى عصر (غاوئيم) العلماء و (رابانيم) الحاخامين. وقد امتد هذا الدور ثلاثمائة عام فاشتغل رجاله بتفسير الكتاب المقدس ووضعوا كثيرًا من المؤلفات الحكمية والفلسفية

واما الدور الرابع فهو دور (السهفارديين) وقد كان مبدأه من العصر الثامن الميلادي. وامتد من ١٠٠٠ الى ٧٠٠ عام. وقد اشتغل رجال هذا العصر بشرح التوراة ايضاً وتقدموا شيئاً قليلًا في الشعر والفلسفة. ونبغ بينهم شعراء مثل (ايبن كهبيرن) و (رابيو) و(يهود الهوي) و (مايمونيت) وجميع هؤلاء الشعراء من اسبانيا. وفي نهاية هذا الدور بدأ دور (الاشكناريم) فجاءت الاثار الادبية التي وضعوها وخصوصاً لاشعار الدينية التى كتبت في المانيا — فائقة جدًا على آثار السهفاردين

ويسمون الدور الاخير في عالم الادبيات العبرانية دور (ماهاسفيم) وقد بدأ هذا الدور قبل ١٥٠ سنة ولا يزال حتى الآن وان الشعر والصحافة والتتبعات اللسانية هي من آثار هذا الدور. ظهر هذا الدور في المانيا ولكنه استتب في روسية

قبل العبرانيون في ايامهم الاخيرة الادبيات الالمانية ثم الادبيات الروسية. ويدعون ان حركتهم الادبية العبرانية الحاضرة هي اثر من آثار الصناعة الشخصية بل هي محصلة الاندفاع العنصري العام. وقد الف الشاعر العبراني الروسي الكبير (بياليق) وهو احد الشعراء المتأخرين ديوانًا شعرياً نشره قبل خمس وعشرين سنة جارى فيه الشاعر القديم (يهود الهوي). ويقال ان مؤلفات الشعراء الذين يقيمون في روسية مثل (چرنيخوسكي) و (يعقوب قاهن) و (شنه يه ر) نفيسة جدًا

وتحتاج الادبيات العبرانية الى شيء قليل من الصبر والتأني حتى تصبح عصرية تماماً. ويظهر عليها شيء من الاحتياج للوقت حتى تتكامل في حالتيها الروائية والتمثيلية. ورغماً عن وجود بضع مؤلفات الشاعر (په رس) ولكن ذلك لا يكفي بحكم الضرورة. وقد اخذوا اخيرًا يصنعون في الادبيات العبرانية الجديدة حكايات وقصيص تشبه اقاصيص (Les fables de la Fontaine)

ويضعون كثيرًا من المؤلفات الجديدة للنهوض بتربية النسل الجديد وتكامله الفكري. ومن هذا القبيل مؤلفات (نوواخ پنيهس) وخصوصاً كتابه المدعو (حازامير) اي البلبل فقد وضعه في مجلدين جمع فيهما شيئاً كثيرًا من آثار شبان الشعراء المتأخرين. وهذا الرجل يهودي

روسي . اشهر الوطنيين الروسيين وقد نشر في (حازامير) آثاراً ثمينة جداً للنسل يهودي الآتي . هو جدير بالذكر الاشعار التي نظمت بفكرة انقلابية . وقد نشر في آخر الكتاب منظومة لشاعر اميركي يسمى (ايبر) تحت عنوان (حاتيقوا) اي الرجاء وهي

حاتيقوا

قول اوط باله واو پنيا

نه فش يهودي هومى يا

اوله فا آته ميزراه قاديا

آيين له تسيون تسو فيا

اوطه لو آوداتيكو اته نو

حاتيقوا انو شانار

لا شوف له ئه رهتس آووته نو

له ير باد اويد خانا ... الخ

(ترجمتها) (ايبر)

الرجاء — متى كانت في نفوس اليهود حياة . ان اليهودي شاخص دائماً بعينيه الى سيون والى الشرق والى القدس . ان املنا لم يفقد بعد تماماً . ان املنا هو امل قديم الا وهو الرجوع الى الارض المقدسة . اننا سنذهب الى البلدة التي عاش فيها حضرة (داوود)

ولا تزال الاشعار والآثار الحماسية التي تشبه اشعار ايبر تظهر لعالم الوجود وتتناقلها الايدي وتلوكها الالسن . ويمكننا ان نذكر عدة آثار ظهرت على هذه الخطة وهي :

كتاب (شيريم) المطبوع قبل سبع سنين وهو تأليف الشاعر بياليق . كتاب (شيريم اوپوئه موت) تأليف (شنه يور) الذي جمع فيه اشعاره المنظومة من عام ١٩٠٠ الى ١٩١٣ وقد طبعه في اوده سا . كتـــاب (سه يفه راشيريم) المطبوع عام ١٩٠٤ وهو تأليف يعقوب الكاهن

وقد ظهر في المدة الاخيرة عدة شبـــان في يافا لا ينفكون عن التأليف فالشابان (باراش) و (كيپنيس) ينظمان المقطعات . والشاب (بره ته ر) يضع الروايات . والشاب (ياقوب شته ينبرغ) ينثر والشاب (ياقوب رابينوويج) ويكتب المقالات الصحافية . والشاب (يهودا غراز وفسكي) يضع الكتب المدرسية . وقد فتح هؤلاء الشبان بعملهم هذا مهايع عظيمة للغة العبرانية . وان درس الادبيات العبرانية التي تلقى في مكاتب رهال جيناز تؤيد هذه الخطة الادبية و تزيد بتقوتها

— ١١ —

من ملبس الى جنين

ان ملبس مصيف لطيف حوت جميع بدائع الصنع . ولا ريب ان الانسان لا يسأم الاقامة فيها مدة طويلة ولكن البقاء هناك يقضي على المرأ بالانزواء الدائمي فقد كنا نحسب انه مهما اطال المرء اقامته في هذه البلدة الخضراء اللطيفة ذات الروائح البديعة فهو لا يتمكن من الاختلاط والامتزاج مع الاشكنازيين . وان اقل طواف في القصبة يجرح الفؤاد ويسمم الاعصاب . فلا شيء محسوساً في ملبس اكثر من ابتعادها عنا بكل معنى الكلمة . فلا يمكنك ان ترى طربوشاً او طاقيه (قالباق) فكل شيء في يد المختار (البرهسلاوي) . ولا ريب ان المختار لا يتحرك من مكانه مقابل الخمس عشرة ليرة التي يتقاضاها شهرياً . وله الصلاحية التامة بان يطرد الفلاحين الذي يقضي عليهم بالمجيء الى ملبس بل ربما يضربهم . وهو لا يرضى باقل وسيلة اوسبب يخل بالشكل العبراني في ملبس فهو الحاكم والآمر والمالك الوحيد لهذه القصبة تحت اسم مستعار . ويتعذر على اى شخص غريب كان ان يعيش او يتحرك في القصبة مالم يكن باذن المختار وعلى علم منه . وليست هذه الحالة خاصة بملبس وحدها بل هي عامة في جميع المستعمرات اليهودية . وما دامت الحالة كذلك فان مفارقتنا لملبس لا يمكن ان تكون الا باسعاف تمثال القوة هذا . ولكنه لم يسعفنا في هذه المرة بل هو يعتقد انه لم يمكنه اسعافنا . فلم نجد واسطة نقل الى محطة « رأس العين » التي تبعد ساعة ونصف ساعة شرقي ملبس . فاضطررنا لقطع هذه المسافة على اقدامنا . وقد مضت عدة ساعات بعد الظهر . ولم يكن من مصلحتنا اضاعة القطار الذي بلغنا انه يسافر مساء .
فارقنا القصبة من جانب الساقية القائمة شرقي القصبة والحزن آخذ منا مأخذه وكانت الشمس تلفحنا . . فاشار دليلنا الى محل بعيد يشبه جنينة وقال لنا « هناك رأس العين ويرى في جانبها شيء يشبه الخرابة » وقد اعتقدنا لاول الامر بقصر المسافة ولكن تخميننا لم يكن تاماً . وبعد ان سرنا مسافة ساعة ونصف وصلنا الى منبع ماء كبير ومن حوله غراس القصب . ثم ظهرت امامنا الخطوط الحديدية والمحطة الصغيرة . وهذا المحل يسمى محطة رأس العين . وقد ركزت خيمة عسكرية لاعاشة الضباط والانفار الذين يذهبون من الشمال الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال . وعلى بعد من هذه الخيمة عدة انفار مع عدة خيم

سألنا عن زمن مجيء القطار فاجابنا مأمور المحطة بدون احتياط بانه سيجيء بعد عدة ساعات فرضينا بهذه المهلة وقلنا انها بضع ساعات تنقضي واخذنا نطوف في المحطة وقد اخذت الشمس تميل الى الغروب فتلامس اراضي ملبس الزمردية مودعة ثم تغيب. وكانت اراضي سلفيت في الناحية الشرقية ترى كانها دخان

اشتدت حلكة الظلام وارسلت السماء باشعتها الليلية . وكنا نشعر بحاجتنا للابتعاد قبل زمن عن هذا المكان المرزغي فاعدنا السؤال عن القطار فكان الجواب هذه المرة (غير معلوم) وزادوا على ذلك بلا مبالاة قولهم

— ربما يأتي نصف الليل

لم نكن هيأنا ما نحتاج اليه حين خروجنا من ملبس . ولم نكن نتصور وقوعنا بمثل هذه الحالات غير العادية فكان عشاؤنا هذه الليلة جرعة كبيرة من الكينا ء بكسماطاً جافاً ثم ماء عكراً وكمية كبرى من الاسيد لاكتيك (Acide Lactique) ونصبنا اسرة السفر في ناحية من الخيمة واستلقينا عليها . ولقد كنا نجمع اسرتنا احياناً منتظرين مجيء القطار ثم نعيدها ونستلقي عليها

ولما حان نصف الليل قابل احدنا مأمور المحطة

وسأله وهو يفرك عينيه الممتلأتين بالنوم (أ الى جنين ؟) فكان جواب المأمور (الغي ذلك القطار منذ مدة ...)

— وماذا العمل اذن ؟

فاجابنا المأمور على حالتنا التي كان يفهم منها هذا السؤال بقوله (ربما غداً صباحاً) ...

فقضينا هذه الليلة بعذاب الانتظار وكنا ننتظر الصباح بفارغ الصبر . اشرق الصباح ولم يكن من اثر للقطار . وكان التعب من جهة والجوع من جهة اخرى يشتدان علينا . رضينا ان نعاني مشقة الانتظار ايضاً حتى ظهر اليوم وقبل الظهر صادفنا في المحطة ضابطاً قديماً من اصدقائنا فانشرحت صدورنا بلقياه فاسعفنا المومى اليه قليلاً بمسألة الغذاء

وفي اثناء الطعام سمعنا صفير القطار فتركنا الاكل قبل ان نتم غداءنا وركضنا . ركبنا مركبة بضاعة تحمل عدة براميل وصناديق فارغة . وبعد مدة سار القطار . فوقفنا على ارجلنا واخذنا نسرح النظر يمنة ويسرة في تلك الفيافي الصغيرة وتلال الرمل المحمرة

وبعد نصف ساعة او اقل وصلنا لمحطة قنقيليه وبعد ثلاثة ارباع الساعة وصلنا الى محطة طول كرم . فبدلنا هنا المركبة . خشينا ركوب مركبة تنقل اناساً مصابين بالتيفوس فركبنا مركبة

،متوحة مقطرنة تحمل المواشي ·وبتنا ننتظر قيام القطار . ولا اعرف اي شيء تعطل في القاطرة حتى اضطررنا للانتظار ها ١ عدة ساعات وفي النهاية فارقنا طول كرم وقد كانت الشمس تحرق ادمغتنا وكانت درجة الحرارة ٨٠ ولكن الضرورة تقضي علينا بالانتظار والصبر ساعة او ساعتين ايضاً فقطعنا بالترتيب المحطات الآتية : « عنبته » «مسعوديه» « رامين » « سيله » « عرابه » ثم جئنا الى واد طويل . وكان هذا لوادي يمثل استطالة جبال جماعين· وبعد ان سار القطار في منحنيات وتعاريج في الوادي والتوى التوآت كثيرة واستعجل في سيره وصلنا الى جنين عقب الغروب . وكانت دور جنين شبه ظل مرئي

— ١٢ —

جنين

١ — موضع جنين · منظرتها · داخلها

ان هذه القصبة التى تقوم في الجهة الشرقية منها تلة صغيرة يبلغ ارتفاعها ١٥٧ مترًا وهي تلة عز الدين — تنفتح امامها من الجهتين الغربية والشمالية الغربيـــة صحراء (مرج بني عامر) Esdrelon . وفي الجهة الجنوبية منها تنتهي الجبال والوديان التي تبدأ من جماعين ونابلس وسباستيه ·وفي الجهة الجنوبية من الوادي تقوم ربوة (المنازل)

تقوم كافة دور القصبة على تلة عز الدين . وجميعها متوجهة نحو الصحراء والشرق وتمتد الجنائن الخضراء واشجار الصبار والنخيل على مجرى ماء (عين جنين) التي تخرج من امام القصبة في الجهة الشرقية وتسيل خارجها ·وكذلك ترى اشجار النخيل في الجهة الغربية من المجرى ايضاً

وترى من هذه الصحراء محطة الخط الحديدي على بعد عشر دقائق تقريباً · اما وراء المحطة فاتساع لا نهاية له ولا يمكن للنظر ان يحده

ويمكن للناظر في قصبة جنين الصغيرة التي لا تزيد نفوسها على الفي شخص ان يحيط لاول نظرة بتلك الابنية القائمة في سفح الجبل فيراها قصبة صغيرة ذات دور مبنيـــة من الطين وكانها افران سوداء بلا نوافذ ·ويظهر وسط هذه الركام من الاحجار والطين النزل الكبير لشركة (Hambourg Amérika-Linie) القائم في مدخل البلدة ومأذنة (جامع القلعة) البيضاء المرتفعة قليلًا عن يسار المدخل ·وفوق ذلك بناء اسرة (عبد الهادي) الرفيعة وعدة ابنية اخرى اشيدت منذ مدة قريبة ·فاذا اضفنا الى مجموع ذلك المقبرة القائمة في الطرف الايسر من القصبة

— نتمكن حينئذٍ على قدر الامكان من تصور وضعية جنين و منظرتها

ان داخل القصبة قذر ورديء مثل اكثر المدن الاخرى وليس فيـه ممر يسمى طريقاً .
وحين الدخول الى القصبة تجد عن يمينك،زبلة كبيرةهي اشبه بالاصطبل من الخان وعن يمينك باحة صغيرة هي عبارة عن خرابة قبة او قبتين وعن كومات من التراب ونحاتةمن الاحجار . وفي وسط هذه البـاحة يجري ماء القصبة وهو (عين جنين) وبذلك اصبح هذا المكان محل الاوحال والعفونة والمستنقعـات . يملأون الدلاء للشرب في جهة من هذا المجرى،وفي الجهة الاخرى منـه يغسلون اقدامهم القذرة . وتأتي الحمير والبغال وسائر ما يدخل الى القصبة من الحيوانات فتشرب من هذا المجرى ايضاً . ولقد يظن الانسان حين دخوله الى جنين انه في سوق حيوانات . ولا يمكن ان يوجد نظير للوسخ والعفونة التي امتلأت بهما الارض هنا . ترى في الجهة الاخرى من الباحة الاطفال القذرين الوسخين المصابين بالرمد جالسين او مستلقين . ولقـد ابتلى اكثرهم بالجرب فـلا ينفكون عن حك اجسادهم . ينغمسون في مجرى الماء ويخرجون الى الازقة لينشفوا اجسادهم او لتنقية ما عليهم . وفي الوقت ذاتـه فان هذه الباحة سوق البيع والشراء . فقد اعتادوا ان يطرحوا على اوساخها كافة ما يرد الى القصبة من الخضرة والفاكهة والبطيخ . يأكلون هنا كل شيء فتتراكم فيها الاوساخ والفضلات . تأكل الابقـار والجمال والحمير وسائر الحيوانات ما تجده في تلك الباحة من البقايا وتبعثر في اطرافها ما يفضل عنها فيعفن . تخرج فضلة المياه في جنين الى ظاهرها فتحدث بين الجنائن مستنقعات تنتشر منها روائح عفنة كريهة تنضم الى الروائح العفنة التي تقادم عليها العهد في هذه البـاحة . وترى امواجاً من الذباب تطير في فضاء هذه الباحة كانها بحر زاخر

ان الطرق التي تتفرع يمنة وشمالاً من هذا الموقع هي اشبه شيء بطرق الماعز . ويحسبون ان الطريق الآخذة الى الشمال مبلطة . وفي كل خطوتين منها منعطف وتمتد الى دار الحكومة والى شعبة البريد وتنتهي بدار عبد الهادي . وبالقرب من دار الحكومة حديقة البلدية وقد زرعت اليوم باذنجاناً . وجامع شريف صغير قد طلي بالكلس ويقال انه محول عن كنيسة

ولا ننسى انه في الجهة المرتفعة وراء بناء المكتب عدة حوانيت قديمة قريبـة من دار الحكومة . اما الطريق الممتدة الى الجهة اليمنى فانها لا تزال تضيق وتتلاصق حتى تنتهي بين كومات من الوحل والاحجار

٢ — الاحوال العمومية

[١] موقع القضاء . نفوسه . مساحته — يشغل قضاء جنين الجهة الشمالية الشرقية من لواء نابلس ويحده شمالاً قضاءآ طبريا والناصره وشرقاً نهرالشريعه الذي يفصل اللواء عن ولاية سورية وجنوباً قضاء نابلس وغرباً قضاءآ بني صعب وحيفا وأراضيه قسمان : قسم منها عبارة عن جبال صغيرة والقسم الآخر عبارة عن مرج بني عامر (حزرائه‌ل) المشهور بقوته الانباتية وبلطافته الموقعية. وقد تغطت جبال القضاء بأشجار الزيتون والباوط وامثالها من الاشجار المثمره . اما صحراؤه فقد امتدت من حدود قضائي حيفا والناصره حتى نهر الشريعه وهي بعيدة عن سطح البحر

يقسم القضاء الى اربع نواح : بلاد حادثه . الشعراويه الشرقيه . مشاريق جرار . غوربيسان ولا توجد تشكيلات مديرية الا في الشعراويه الشرقيه وفي غوربيسان . اما الناحيتان الاخريتان فملحقتان بمركز القضاء مباشرة . ولما كانت ناحية غوربيسان من الاراضي السلطانية السنيه فان امورها الزراعية تابعة لمديرية الجفتلك الهمايوني في بيسان واما امورها الملكيه والعدليه فمحولة للمدير

ويؤخذ من القيود الرسميه ان مساحة القضاء السطحية تبلغ (٧٠٣) كيلو متراً وهي منقسمة على الوجه الآتي :

بحساب الكيلومتر	نوع الاراضي
٤٥	اراض ذات اشجار صغيرة وذات اصول
٦٠	« « « زيتون
٢٠	« « « متنوعة
١٠٨٠	« خصصت للفلاحة والزراعة
٥٤٢	« حجرية وغير مزروعة
١٧٤٧	

وتبلغ نفوس القضاء ٤١٩١٥ منها ٢٩٤٧٠ اسلام و٧٧٢ روم و٢٢٤ لاتين و٤٦ بروتستان وفي القضاء ١٢٠ قرية ومركزه قصبة جنين

[٢] تاريخ القصبة — كانوا يسمون هذه القصبة اولاً عين جنين (انجانين **Enjanin**) والسبب بتسميتها واضح ومعناها «عين الجنينة» ولقد كانت هذه البلدة في زمن يوشع عليه السلام . ان هذه القصبة التي سميت اخيراً (**Djinéa** جينه‌آ) هي الحد الفاصل بين صحراء

(جزرئل Esdrelon) وبين المقاطعة السامرية وقد اراد ابناء الجليل الذهب يوما الى القدس فمروا من جنين . غير ان السامريين اوقعوا بهم القتل العام في هذه الجهة

ويؤخذ من قول المؤرخين الموسويين ان المقاطعة السامرية التي كانت ملكاً لسبطي (افرائيم) و (بنيامين) قد كانت ممتدة من الشمال حتى قصبة جنين

وموقع هذه القصبة الوارد ذكرها في الكتب الموسوية هو اهم عند النصارى . فقد زار يسوع هذه القصبه مراراً حين ذهابه من الناصره الى القدس . حتى انه شفى عشرة من الضعفاء فيها . وقد كان لهذه القصبة قلعة وسور . اما اليوم فلم يبق للقلعة اثر وقامت غراس (الصبار) مقام السور

ورغماً عن قابلية هذه القصبة لاحراز كثير من اسباب السعادة بسبب موقعها وما تتضمنه من التذكارات الماضية فانها لاتزال متأخرة كثيراً عما يماثلها من القرى . فما اعظم سوء الطالع المؤلم لهذه القصبة ؟

[٣] — الامور الادارية والبلدية — ان نفوس هذه القصبة التي اتخذت مركزاً للقضاء منذ خمس وثلاثين سنة هي ١٤٠٠ شخص منهم ١٣٧٠ مسلمون والباقي مابين روم وكاثوليك وان قصبة جنين التي يقيم فيها القائمقام بسبب توسطها في القضاء ليست اكثر قرى القضاء نفوساً فان في كل واحدة من قرى ام الفحم ويعبد وعرابة التابعة لهذا القضاء اكثر من ٢٥٠٠ او ٣٠٠٠ شخص . وتطل قصبة جنين على مرج بني عامر الممتد نحو الشمال الغربي . ولقد اشرنا في القسم العمومي الى ان المرج المذكور يبدأ بشكل مثلث من رأس جنين ويمتد نحو الشمال الغربي على طول ثمانية اميال . ورغماً عن وجود مستنقعات في بعض المحال من المرج فان درجة الانبات في تربته السوداء المؤلفة من الاراضي البركانية المتفتته عظيمة جداً ويسقي نهر المقطع الذي يصب في البحر الابيض هذه الصحراء المشرفة عليها قصبة جنين

في قصبة جنين بلدية تبلغ ميزانيتها السنوية ٢٦٤٥٨ غرشاً . وقد تجلى هنا بحكم الطبع بعد هذه الدائرة عن المفهوم الحقيقي للبلديات بعد السماء عن الارض . فقد خصص من وارداتها ١٤٢٧٨ غرشاً للرواتب و ٦٨٣٤ غرشاً للتنظيف والتنوير والتبليط وجعل الباقي للهبات ولدفن الاموات ولمصاروف الطرق وامثال ذلك . ومن الواجب قبل كل شيء باسم الصحة العمومية حل مسألة توزيع الماء تلك المسألة التي افتكرت بها البلدية كثيراً ولكنها لم تتمكن باي صورة كانت من اخراجها من حيز القوة الى حيز الفعل . تقوم (عين جنين) الكثيرة المياه والخارجة في الجهة الغربية من القصبه باحتياج الاهلين من الماء ورغماً عن ان ماء العين لذيذ وخفيف على المعدة فان بقاءه مكشوفاً يجعله عرضة للاوساخ والاقذار وهو من اهم الاسباب لانتشار الملاريا . وقد افتكروا قبل سنة

ونصف بتعطية المنبع وجر المياه بقساطل حديدية وتوزيعها حتى ان البلدية صرفت في هـذا السبيل سبعين ليرة تقريباً وابتاعت بثلاثين ليرة منها ترابة افرنجية وغيرهـا المواد الابتدائية و اهتمت باستقراض مبلغ جزئي للمباشرة بانشاآت هذا العمل الصحي الاساسي ثم لم يتيسر لها اخراج هذا الامر الخيري من حيز القوة الى حيز الفعل . وان من الضروري جداً انجاز هذا العمل الصحي فان الحمى المالارية الناشئة عن بقاء الماء مكشوفاً قد اصبحت مرضاً مستولياً في جنين وتتعدى اصاباتها (التسعين في المئة) بين الاهلين . نعم ان السبب الاصلي لعلة المالاريا هي الجراثيم التي تتولد في المجرى غير المنتظم (لعين جنين) القريب من البلدة ولكن اصلاح ماء عين جنين وتوزيعه على الدور بصورة فنية هو من اهم الاسباب المتوجهة على البلدية

[٤] — امور المعارف — في قصبة جنين مكتبان ابتدائيان احدهما للذكور والآخر للاناث وفي الاول اكثر من ٢٠٠ طالب وفي الثاني ٦٠ طالبة

ان مكتب الذكور هو من درجة « غونه » اسماً ولكن استعداد الطلاب وقابليتهم الفطرية موجبان للشكر والاعجاب غير ان فقر اولياء والاطفال واحتياجهم يحولان دون تمكينهم من اسعاف اولادهم بما يلزم لهم من اللوازم التدريسية والتعليميه ولهذا السبب فان ٨٠ من تلامذة المكتب اضطروا لتركه منذ اعلان النفير العام سعياً وراء استحصال ما تحتاجه اسرهم من القوت الضروري . وقد فهمنا من افادة المعلم الاول ان كافة ابناء القصبة تقريباً يقرأون ويكتبون وفضلاً عن ذلك فان الذين يقرأون ويكتبون بين الكبار هو بنسبة المئة

اما ميل الاهلين ورغبتهم بالعلم فلا بأس به وترى القسم الاعظم من الصبيان يداومون على المكتب دون ان يروا جبراً اوشدة . وقد ادرك اهالي قرية « قباتيه » التي تبلغ نفوسها الالفين انه لايمكن ادارة مكتبهم بمعلم واحد فاستحضروا ثلاثة معلمين آخرين على حسابهم وهم يدفعون لكل معلم علاوة على مؤنته السنوية رواتب معينه فيدفعون ٣٠٠ غرش للمعلم الاول و ٢٠٠ غرش لكل واحد من المعلمين الآخرين . وفضلاً عن هذا فانهم جمعوا من بينهم البدل النقدي لاثنين من معلمي المكتب الابتدائي . اما الثلاثون مكتباً المفتتحة في قضاء جنين فانها مسلمة لايد سافلة حمقى جهلة ولقد بات من الواجب ازالة هذه العلة التي اصبحت عامة واشادة مؤسسات علميه تقوم على قواعد متينة وثابتة . وانني اعتقد انه اذا اسس بال (١٣٣١٠٠) غرش التي تصرف على معارف القضاء ثلاثة مكاتب غونه ابتدائية في جميع القضاء (بشرط ان تكون ليليه) وعهد بامر ادارتها لشبان نبهاء منوري الافكار فان ذلك يكون اعظم خدمة حقيقية للمعارف . اما المكاتب في الوقت الحاضر فليست سوى مساكن بلداء يأوون اليها لاستيفاء الرواتب!

[٥] — الامور الزراعية — وضعت في ميزانية المحاسبة الخصوصية مخصصات معلم للزراعة في قضاء جنين الذي يضم بين جنبيه مرج بني عامر الذي اشتهر في الافاق بقوته الانباتيه غير ان الحكومة المحلية لم تفتكر بامر الاستفادة من هذا ولم تهتم بالتحري على متخصص زراعي وهو امر يستلفت النظر

ان ثلثي القضاء تقريباً يحرث ويزرع · ويعطي القمح والشعير الواحد خمسة عشر بالحساب الوسطي اما بقية المحصولات فانها تعطي الواحد عشرة · والقسم الشمالي من القضاء هو اكثر الجهات انباتاً ويخمنون مواسم القضاء السنويه بعشرة ملايين كيلة قمح وبثمانية ملايين كيلة شعير و ٢٠٧٣٠٠٠ كيلة سمسم وعدس وفول وغيرها · وتبلغ الحصة العشرية من الموسم الصيفي (٩٢٥ ٥٥ غرشاً ويستوفى ثلث هذا الرقم من الذرة والحمص والقطن والثلثان الاخران يستوفيان من السمسم فقط اما حصة الزيتون العشرية فهي ٤٣١٥٣٠ غرشاً · ولقد كان موسم الزيتون جيداً جداً في هذا العام ولكن هجوم الحر دفعة واحدة احدث فيه نقصاً يقدر بثلاثين في المئة · ولم يُلتفت لهذه الآفة السماوية حين التخمين في كثير من القرى بل صنع المأمورون ما يريدونه بدون اهتمام او اكتراث

وقد مرت في اراضي القضاء شعبتا الخط الحجازي الممتدتان الى القدس وحيفا فاحدثت فيه خمس مواقف وهي شطه · بيسان · جسر المجامع · عفوله · جنين وبذلك حصل رقي عمومي في احوال القضاء · ولما كانت طريق جنين هي واسطة الاتصال التجاري بين الشام ونابلس والقدس فقد ربح الاهلون في قضاء جنين ارباحاً طائلة

[٦] — الآثار العتيقة — ان مواقع قضاء جنين كانت قسماً من البلاد المعمورة في ارض فلسطين ولذلك فانه من المحتمل ان توجد فيها ايضاً آثار عتيقة مهمة جداً · ويؤيد هذا الظن ماظهر من الآثار النادرة اثناء الحفريات في تل المتسلم وتل تعنك

كان موقع المتسلم قبلاً خرابة بلاد كثيرة تعرف باسم (ماجدو) وهو بعيد عن قصبة جنين ثلاث ساعات وعن حيفا خمس ساعات · ويثبت التاريخ انه مضت ادوار اربعة على هذه البلدة المعروفة من قبل الميلاد المسيحي بثمانمائة سنة · فالدور الاول ايام (لاموريين) وبتعبير آخر الكنعانيين الذين هاجروا من بادية الشام · والدور الثاني ايام المصريين · والدور الثالث ايام بني اسرائيل · والدور الرابع ايام الرومانيين · ولا نزال نشاهد في خربة اللجون البعيدة عن التل مقدار ربع ساعة انقاض آثار جسيمة باقية من الدور الرابع ايام الرومانيين · ومما يجدر ذكره السد الذي انشئ على طول نهر اللجون · وقد سكن على التوالي ابناء الادوار الاربعة موقع (ماجدو) فقبضوا بذلك على طريق (الشام — اتيه) المعروف حتى الآن

عهدت عام ١١٠٢ سرنة فلسطين الالمانيــة المؤسسة في لابيزيك الى الدكتور (شوماخر Schumacker) المقيم في حيفا باجراء الحفريات في استحكامات (ماجدو) البالغ ارتفاعها ٢٥ متراً . وقد ظهرت في نتيجة الحفريات خرابات بلدان قديمة منشأة بفواصل تتراوح من ستــة أعصر الى سبعة . وقـد اثبتت الآثار التي ظهرت مثل قصر مستحكم انشئ تقريباً منذ ثلاثة الاف عام قبل المسيح وجدار خندق من الآجر (بعرض ٨ امتار) وامثالهــا من الآثار الكنعانيــة والاثورية والمصرية والاسرائيلية — ان مدينة ماجدو كانت قائمة على تل المتسلم اليوم . وظهر اثناء الحفر في الجهة الجنوبية من التل معبد قديم من بقايا الاسرائيليــين ووجد خاتم « لي سمع عامل يوربعام » التي رسمت صورته عليــه . وهذا الخاتم مصنوع من حجر « ياسبيس » الصلب جداً . وقد نقش ايضاً على الخاتم صورة سبع فغر فاهه ورفع ذنبه وقد كتب بسطرين على اطراف الرسم بالعبرانية هذه العبارة « لي شمع افت يرو بعام » وتبين من الحساب ان تاريخ هذا الخاتم يرتفع الى ٢٨٧٠ سنة . وقـد نقش رسم السبع الذي هو من صناعة البابليين بغاية من الدقة وعلى شكل بديع جداً . وظهرت بالقرب من المحل الذي وجد فيه الخاتم قواعد بنايات . ويستدل من طرز بنائها انها من بقايا دور سليمان عليه السلام . والحاصل انه وجد في اثناء الحفريات كثير من الآثار القديمة والخواتم والجرار والهياكل من بقايا عصور المصريين والبابليين والاسرائيليين

واثبتت الحفريات التي اجريت لحساب شركة فلسطين الالمانية في تلة (تعنك) القائمة على طريق جنين — حيفا والبعيدة عن جنين ساعة ونصف ساعة - ان البلدة المذكورة كانت ذات اهمية قديمة . وقد وجد في اللحود التي اكتشفت جرار مملوءة بهياكل الاطفال العظيمة واباريق مصنوعة من الجبس وهي من بقايا الادوار التاريخية القديمــة جداً والواح حجرية مملوءة الوجه بالكتابة بالخط الكوفي مثل الآثار التي وجدت في (تل عمارنا) في مصر . وتؤيد هذه الكتابات درجة انتشار المدنيــة البابليه ونفوذها في ذلك الحين

٣ — الحالة الاجتماعية في جنين

ان الحالة الاجتماعية متأخرة جداً في اهالي قصبة جنين الذين يبلغ عددهم تقريبــاً الالفين واكثرهم من المسلمين . ولا يمكن ان يكون في القطعة السامرية قصبة اكثر انحطاطاً من جنين فجميع الاهالي فلاحون مساكين ماعدا اسرة او اسرتين . ومع علمنا بانه توجد في قرى (رمانه) و (ام الفحم) و (يعبد) اسر غنية بالاراضي والاموال تعيش بثروة ورفاهية فاننــا نقول

ان هذا السقوط الاجتماعي عام في جميع القصبة

عيشة الاهلين هنا رديئة جدًا . فدورهم كما قلنا قبلًا هي اشبه باكواخ او مرابط حيوانات ويغلب ان يكون الكوخ عبارة عن غرفة واحدة ليس لهاسوى نافذة صغيرة قريبة من قبة السقف وقد قسمت هذه الغرفه الى عدة اقسام فجهة منها تسمى (الموقدة) وهي محل طبخ الطعام . وجهة منها تسمى (راويه) وهي اعلى من باقي الجهات وتجعل للنوم . وفي زاوية من زوايا الغرفة محل لربط الابقار . والقسم الاعظم من اهالي جنين يقضون القسم المهم من حياتهم في هذه المحلات . فينام صاحب الدار في طرف وتنام بقراته في طرف آخر من الغرفة . ويمكننا ان نقول ان عيشة الحيوانات مع الانسان هو آخر درجة من درجات الانحطاط الانساني . يقيم في هذا المحل خمسة او عشرة مابين كبار وصغار واطفال وحينما يطبخون طعامهم تلقى حيواناتهم افرازتهـا . وتمتلأ الغرفة بالدخان فتعتل عيونهم جميعاً منذ نعومة اظفارهم . واذا اعتنيت وعاينت كافة الاهلين معاينة صحية فانك لاتجد واحدا منهم خلواً من الروماتيزمه اومن فقر الدم اومن السل . اما الرمد والجرب وغير هذا من انواع الامراض فكانها مرسلة خاصة لهذه الهياكل العظيمة من بني الانسان

وان اليد العاملة في جنين بين جميع هذه الطبقة من الاهالي هي يد المرأة اكثر من يد الرجل فالرجال اما زراعون او فعلة وعلى كل حال فانهم يعملون شهرين او ثلاثة في السنة وفي الاشهر التسعة الباقية يستلقون على ظهورهم يعضون انامل الفقر والفاقـة . وعلى المرأة ان تستحضر لهم جميع ما يحتاجونه في هذه المدة فتجهد نفسها وتسعى وتركض . فالنساء ترعى الابقار ويحلبنهـا ويصنعن اللبن والجبن . وهن يعيشن رجالهن بما يكتسبنه من هنا وهناك

وليس من الممكن ان نجد في جنين شيئاً يقال له حرفة او صناعة ولو كانت عادية . ويقال انه كان في جنين محل للدباغة يدبغون فيه جلود الماعز وان صناعة الفخار كانت رائجة هنا . اما اليوم فانه لم يبق من اثر لا للاولى ولا للثانية . حتى انه لا يوجد في قصبة جنين رجل لتبييض ادوات الطبخ . وهم ينتظرون دائماً مجيء مبيض سيار من جبل لبنان . ولا عمل لاولئك الرجال الذين يجلسون في بلدتهم تسعة اشهر بلا شغل ولا صنعة — سوى الفساد والتزوير . وان اللصوصية منتشرة هنا اكثر من كل محل . وحينما يملأون الادمغة بما يستحضر اليهم من المسكرات من جهات الناصرة وعفوله لا يبقى عندهم اهتمام لا بولد ولا بزوجة ولا باسرة ولا بشيء مطلقاً . تضرب المرأة التي تعمل بلا انقطاع كافة السنة وربما تجرح . ومع ذلك فانها لا تنفك عن ان تعمل بلا انقطاع صابرة مستسلمة لتجد شيئاً يشبع زوجها

تشبه العادات الاجتماعية في جنين بمقياسها الصغير مثلها من العادات في نابلس وفي طول كرم

فقد استولت حسب العادة عدة اسر غنية على حياة القصبة باجمعها · وهي تستفيـــد من الظلام العمومي المستولي عليها ·ولا هم لهؤلاء سوى اضافـــة كميات جديدة على رؤوس اموالهم · والحاصل ان الامور التي تستلفت الانظار هي : الوسخ · المرض · الانحطاط والتدني · عدم الفكر · الكسل · السفالة · الجهل والظلمة · الهم المديد · · · لجنين عبارة عن هذا ·

ومن الغريب ان اهالي جنين عارفون بهذه الحالة فهم ينيمون اطفالهم وهم ينشدون هذه التهليلة

تهليلة

ياعين كوني على البلوى طويلة الروح
هذا المقدر ياعين وهذا اللى انكتب باللوح
ياعين كوني على البلوات صبوره
هذا المقدر ياعين وهذا اللى انكتب بالصوره

فما ابلغ هذه التسلية التي يألف اهالي جنين سماعها منذ طفوليتهم ؟

— ١٣ —

من سامريه الى غاليله

عثر علينا مدة وجودنا في جنين ان نجد محلاً نأوى اليه سوى بناية **Hôtel Dschenin** التي اتخذت مستشفى فكنا ننام فيها ورغماً عن تأمينات الاطباء فقد كانت التيفوس والهواء الاصفر تفتكان بشدة في جنين · كنا نعلم ذلك جيدًا حتى ان اعصابنا كانت تتأثر من العلاجات الواقيه التي استحضرناها معنا · وكانت قلوبنا باضطراب دائم في الليل كلما سمعنا انين المريض النائم في غرفة مجاورة لنا او سعاله الشديد الخطر · فكنا نريد التخلص قبل وقت من هذه القصبة بل من جميع المقاطعة السامرية « **Samari** » · ولقد كانت مقاطعة غاليله « **Galilée** » التي تبدأ من مرج بني عامر « **Esdrelon** » متجسمة امامنـــا بنظر رائق وفائق جدًا · وبكل مشقة وجدنا مركبة فكانت تنتظرنا مع طلوع شمس هذا اليوم في تلك الباحة المعهودة · ركبنا العربة وسرنا متجهين نحو اشهر بلدة في غاليله (الجليل) بمدنيتها وعمرانها وهي قصبة حيفا · مررنا في جانب الجنائن واشجار النخيل فظهرت امامنا طريق طويلة كانت تسير عليها عربتنـــا وهي تمتد نحو الشمال

لم يشبع « بيه رلوتي » في غاليله من وصف خضرة هذه المحلات ولطافتهـــا الطبيعية

وبديع ازهارهــا · وانني متألم مثل لوتي لانه لم يتيسر لي المرور في هذه الصحراء في شهر نيسان · فقد احترقت الصحراء الآن ويبست من تأثير سهام الشمس المحرقة · ولم نجد في طريقنا شيئاً سوي نباتات الطبيعة اليابسة · واعواد ذابلة · وترابة حمراء ومسافة طويلة · قطعنــا هذه الاراضي الطويلة فيساعتين ثم ظهرت امامنا محطة وكومةمن الاوحال وهي مجموع اكواخ · وانها لقرية « عفوله »

اتجهنا حينئذٍ نحو الشمال الغربي · ولقد كان من المرتب على مركبتنــا ان تقطع (٤) كيلو مترات في الساعة ·ولكن عدم انتظام العربة من جهة وجهل الحوذي من جهة اخرى قلب تلك الطريق اللطيفــة الى مشقة وعذاب · وكنا ننتظر ان نصافح البحر وقت الظهر ولكن بعد ساعتين فسد الطريق علينا وصرنا نتسلق عقبات صعبة ونقطع طرقاً حجرة وصخرية ولم نصادف في طريقنا قرية او بشراً ·وبعدمدة من الظهيرة مررنا ببناء مخفر وقرية صغيرة عبارة عن عدة دور ·ولقد اخذتنا الحيرةحين قيل لنا ان هذه البناية هي قرية « جيده » ولم ننتبه لما قطعت العربة بنا من المسافة وقد تحيرنا جداً حينما سمعنا انه يبقى علينا ثلاث ساعات حتى نصــل الى حيفا ·وبعدساعتينعدنا الىتسلق الجبال وبعد قطعنا سفوح « حارثيه »ظهر عن يسارنا جبل الكرمل Mont Carmel بلونه الاخضر·ثم اخذنا نمر بين اشجار الزيتون · واخذ يتراآى لنا عنبعد شبه اللون الازرق · وسرنا حينئذٍ على طريق الخط الحــديدي الآتي من عفوله · وكانت جميع الاراضي التى نمر بها مزروعة بالذرة الصفراء وبغيرهامن الخضرة

تركنا على جانبنا الايسر قريتين جميلتين احداهما « الياجور » والثانيــة « بلد الشيخ » · فظهر لنا البحر حينئذٍ تمام الظهور · وشاهدنا الرمال البيضاء الممتدة على طول خليج عكا · ولما قطعنا منعطفاً من الكرمل صادفنا جدولين براقين من المياه الماسية · وادركنا اننا وصلنا الى اقصى العمران بما كنا نراه من كثرة الذاهبين والآيبين فتبدل في نظرنا كل شيء·

— ١٤ —

حيفا

١ — حين الدخول الي حيفا

ربما كان احسن وقت في حيفــا هو المساء · فحين الدخول اليها تظهر على الناظر دور كثيرة متفرقةعن بعضها تتلألأ بآجرها الاحمر في سفح جبل الكرمل · ويزيد في منظر هذه الدور

منظرة حيفا من جهة الشرق

الجميلة اشجار زمردية ناهضة نحو السماء في انحاء مختلفة . واخذنا نسير على طريق معبدة منتظمة فتستلفت نظرنا بنايات ذات طبقات وشرفات عاليه وعريضه ونوافذ ظريفه وملونه وكان لسان الحال في حيفا ينادي الداخل اليها لاول مرة بقوله :

— هل ترى ما اجملني واكثر تجددي ؟

نعم ان حيفا جديدة . مررنا على محل يشير الى انهُ محطة فدخلنا تماماً حينئذ الى البلدة . واصبح صوت البحر مسموعاً في آذاننا . فتحقق عندنا تماماً ما كنا نتخيله من منظرة حيفا . واننا لنقر بان الشكل الذي وجدناها عليهُ يزيد بحسن ذاك الخيال وبهائه : خليج هادىء ولطيف قد امتد الى بعيد . واشجار خفضت روسها وهي واقفة على ساحل البحر . وساحل نظيف قد امتد على طول الخليج برماله البيضاء . وبعد هذا خيال قصبة عكا عن بعد (اي منظرة عكا البعيدة)

آمنّا حينئذٍ بان حيفا بلدة جميلة . ولقد كنا ننظر اليها نظر الجنان بالنسبة (لجنين) و (طول كرم) ونابلس ايضاً

ان حيفا اخت صغيرة لبيروت . فالملامح الوجهية في بيروت تظهر عيناً في حيفا ؟ بنايات كبيرة ومخازن بلوريه كبيرة . ومحركات تجارية . ونزل . ودور بنيت جيداً على طرز الدور في بيروت . وكأنَّ اهالي بيروت المتمدنين النظفاء الظرفاء يمرون امام اعيننا . وكلما مررنا في طريق ظريفة نجد ان الدور القائمة وسط الحدائق تزيد بحسنها وترفع مرتبة محلاتها . وانتهى بنا السير بوقوف عربتنا امام بناية كبيرة ولطيفة مفرش مدخلها بالصدف وكتب على بابها **Hotel Karmel**

دخلنا الى النزل فقابلتنا وجوه باسمة . ولما دخلنا الى غرفتنا المفروشة باحسن فرش نظيف اخذ الذهن يشتغل اضطراراً بمقايسات عديدة فكان دماغي يخاطب نفسه بنفسه بما يلي :

ان المناظر العمومية في الاقضية الاخرى قذرة وهي عبارة عن كومات من الحجارة السوداء او التراب القاتم . اما هنا فهي كالعروس بآجرها الاحمر وبنوافذها اللطيفة وبجنياتها الدائمة وباشجارها وازهارها المتعددة الالوان . فهي تستجلب النظر بكل معنى الكلمة

ان الاقضية الاخرى عبارة عن مجاري مياه مفتوحة . وحمارة يملأون الماء منها . وقرى قذرة . وصبيان يلعبون بالتراب وهم حفاة عراة قد سترتهم طبقات من الذباب . واهلون مساكين لا حراك بهم . ومحيط خائف لا معنى له . . . اما هنا فمركبات لطيفة . وزينات بديعه . وجمال رائق ونظافة بالصبيان . وشعور استطلاع ينفذ الى الارواح . وجرأة نورانية وحياة حقيقية

ان الاقضية الاخرى مملوءة بالمزابل هنا وهناك . الاوساخ متراكمة . الذباب بحر زاخر . صبيان مصابون بالرمد وقد حكم عليهم بالعماء . وهم لا يزالون يلعبون في انحاء القصبة وفي ايديهم العصي

الثقيلة اما هنا فالازقة نظيفة . الاهلون نظفاء لا اثر للعفونة والوسخ

ان الاقضية الاخرى عبارة عن منبع للفقر . وسجن محروم من الضياء والنور. اما هنا فيظهر علينا لاول نظرة انها ممتلأة نوراً وضياء . السكان هناك رجال عاجزون ولكنهم مستبدون . ونساء جاهلات ومظلومات . وصبيان قذرون قد خرجوا عن جادة الصواب وهم ينوؤن تحت اثقال الحياة . اما هنا فزوج متعلم قد فهم معنى الحياة بجميع اوضاعها . امرأة متعلمة ومهذبة وطفل يتهيأ للمستقبل . وبعد هذا اسرة سعيدة

ان الاقضية الاخرى قد ضمت باعة يستلفتون الانظار بابتعادهم وحرمانهم من كل تشبث وسعي . فهم بلداء لايكادون يتحركون من اماكنهم . حوانيتهم سوداء وقد خيم فيها العنكبوت . ترى البائع المسكين يسبح في بحار من العفونة والتراب وتتقاذفه امواج الذباب . اما هنا فان اصغر حانوت فيها قد زين بالمداخل البلورية وهو نظيف كالماسه

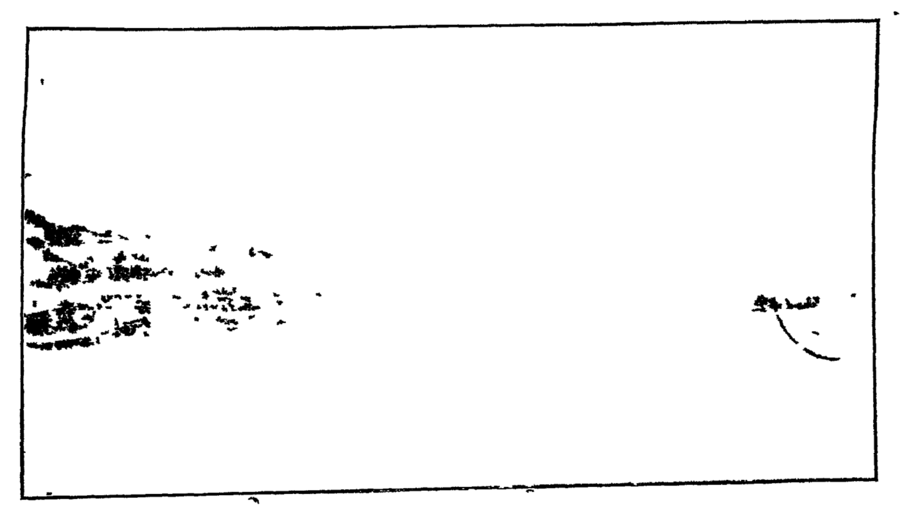
ان الاقضية الاخرى محرومة من النزل . لاتجد فيها حانوت حلاق نظيف . ولا مطعماً ولا ورّاقاً . فكل جهة منها موات . اما هنا فيمكنك ان تجد فيها نزلاً نظيفاً . بل تجد فيها كل شيء . ويمكنك ان تحيا حياة مدنية

ان مرورنا صدفة هذا المساء في طريق من طرق حيفا ايقظ ذهني الى هذه الفروقات وكان دماغي يخاطب القرى الماضية عما يمر عليه من الافكار . وكنت اخاطب نفسي بنفسي اضطراراً فاقول : ما اكثر ضعف اولئك وما اقل تجربتهم ؟

واقد حال اول نداء سمع في النزل معلنا بقرب وقت الطعام بيني وبين هذه الافكار . ولما نزلت الى البهو سمعت قهقهة عدة شبان سعداء من الالمان يتعاكس صداها في ذلك البهو المضاء (بالاسه تلين)

٢ — وضعية حيفا . منظرتها . داخليتها

تقوم حيفا على ساحل نظيف ممتد من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي على البحر الابيض وفي سفح جبل مار الياس (اي جبل الكرمل) البالغ ارتفاعه في جهتي الجنوب والجنوب الغربي ٥٥٠ متراً يقال ان كلمة (حيفا) محرفة من كلمة (خفاه **Khafah**) العبرانيــة التي هي كناية عن الاختفاء وراء الجبل وفي رواية اخرى ان كلمة حيفا محرفة عن كلمة (كف **Kof**) العبرانية اي امتداد الجبل في البحر . ويقال ان اسم هذه القصبة في الماضي كان قالومون (**Calomom**) ويقول بعض المؤرخين ان هذه القصبة اختلطت ببلدة اخرى تسمى سيقامينوس **Sycaminos**



منظر حيفا من الجهة الشرقية

مع ان معنى كلمه سيقامينوس المحل الذي يوجد فيه شجر (الجميز **Sycomore**)
ولايوجداليوم الجميز الا في محل يسمى (تل السمك) بعد (رأس الكروم) البعيد عن الساحل خمس
كيلو مترات في الجهة الغربية من حيفا . اما قصبة (قالامون) فهي في المحل الذي يسمى اليوم
(حيفا العتيقه) البعيدة عن القصبة مقدار كيلومتر ونصف في الجهة الغربية . وقد فرق في التلمود
بين حيفا (وشيكمونا **Shikmonah**) ويظهر ان بين كلمة شيكمونا وتل السمك قرابة
لفظيه تقريباً ولكن طرأ عليها تبدل وتحويل بمرور الزمن . وليست كلمة شيكمونا سوى شكل
عبراني لكلمة سيقامينوس . ولقد كانت بلدة قالامون وسيقامينوس رقيبتين قديمتين لبعضها في
ساحل البحر الابيض ثم خربتا بمرور الايام . وليست خرابات (حيفا العتيقه) وقالامون وتل
السمك العائدة للعصرين الروماني والبيزانسي سوى اراضي سيقامينوس . اما حيفا الجديده فقد
بنيت من جديد على بعد كيلومتر ونصف شرقي قالامون وقد اصيبت بتخريبات عديده في
ايام الصليبيين وبعدهم وقذفت بالقنابل في زمان ابراهيم باشا المصري . ولا يزال موقع (برج
السلام) القائم شرقي القصبة خراباً حتى الآن

ان جبل الكرمل يمنح منظر حيفا حسناً وعظمة . ولو لم يكن الكرمل قائماً لكانت حيفا
مدينة عادية ملقاة على ساحل البحر ولكن الكرمل وهب حياتها العمومية اتساعاً بديعاً . ولما
كانت الجهة الشمالية من الكرمل الواقعة وراء حيفا عريضة فقد اصبحت حيفا ممتدة
من الشرق الى الغرب . ولذلك فان طول حيفا يبلغ كيلومترين تقريباً اما عرضها فلا يتجاوز
النصف كيلو متر

ان هيئة حيفا العمومية جميلة جدًا بخضرة الحائها وبتجدد دورها . ولا تمكن الاحاطة بهيئة
حيفا العمومية تماماً الا اذا خرج الناظر الى عرض البحر او اذا اعتلى ذروة جبل الكرمل ونظر اليها .
ان طريق الكرمل صَعود صعب . وينظر المتطلع الى حيفا من هذه الجهة فيراها كانها طير ملون
قد فتح جناحيه . ففي الشرق منها مستعمرة اليهود واراضيهم . ثم محلة الاسلام في الوادي
المنحط قليلًا . وبعد هذا حيفا القديمه بما فيها من الحوانيت وغير ذلك . وفي الجهة الغربية منها
محلة المسيحيين وفي منتهى الغرب محلة الالمان المنتظمة وطريقها الممتده من البحر والمستورة اطرافها
بالحدائق . . اما الباحة المنبسطة البالغ مساحتها عدة كيلو مترات والممتدة نحو رأس الكروم
فهي الاراضي المنتظمة والنظيفة التي استعمرها الالمانيون

وليست الابنية العظيمه التي علت نحو السماء في حيفا قليلة حتى يسهل تعدادها . وجميع هذه
الابنية للاجانب او انها خاصة ومحصورة بغير المسلمين على الاقل ويمكننا تعداد قسم منها :

دير الفرنسيسكان • دير وكنيسة الاباء الكرمليين • دير دام دونازارات • مكتب العريز • دار العجزه للكاثوليك الالمان • مستشفى الانكليز وكنيستهم • مكتب البروتستان وكنيستهم مكتب (Templier) • مكتب الالمان • كنيسة الروم الاورثوذكس وديرهم • كنيسة الموارنه قنصليات الالمان والاميركان والانكليز والايتاليان والاسبان والروس • نزل الكرمل • الجامع الشريف • وما عدا ذلك دائرة الرسومات والمحطه وبرج الساعة وعده دور كبيره ••• الخ

ترتفع هذه البنايات في انحاء مختلفة من حيفا كانها هياكل فتزيد في عظمة المرتبة العمرانية لهذه المدينة

اما منظر القصبة من داخلها فلطيف • تتجلى لك حيفا من داخلها مبتسمة براقة بيضاء حتى ان الحياة الجديده تتجسم لك في كل جهة من جهاتها • وهي تشبه من داخلها بيروت في كل شيء حتى في حوانيت باعة التبغ والقهاوي فهي مثال صغير لبيروت في كل امر

وفي القصبة طريق معبدة تتبع الساحل وطريق اخرى موازية لها في داخل القصبة ويرتفع الطريق الاخير في السوق • ويقال ان سوق حيفا كان قذرًا ولكنهم ازالوا عنه السقف وحسن بتبليطه • وعلى كل فان هذه الطريق لا تليق بحيفا • ومع هذا فان المحلات التي احدثت جديدًا في المحلة الغربية من القصبة مثل مخازن البقالين الاجانب والقصابين وباعة الاقمشه والمانيفاتوره وامثالها — عظيمه او بديعه حدًا حتى انها تتلافى شيئاً من النقص المشاهد في سوق حيفا

اما الطرق الاخرى غير هذين الطريقين العموميتين فهي ضيقة وقذره . ومع ما ينقص حيفا من الآثار الكثيرة مثل مد الترامواي والتنوير والماء والرصيف والمرفأ فانهـا بلدة ممتازه • ولا ريب ان حيفا هي ارقى اسكلة على البحر الابيض بعد بيروت ويافا • ولها مستقبل عظيم وباهر

٣ ــ الاحوال العمومية

[١] — الموقع والنفوس — ان قضاء حيفا قـائم في الجنوب الغربي من لواء عكا ويحده شرقاً قضاء الناصره ولواء نابلس وجنوباً قضاءآ جنين وبني صعب ويحيط به من الجهة الغربية البحر الابيض

وسكان القضاء كانوا « ٣٠٧٣٧ » عام ١٣٣٢ منهم ٢٣٨٢٣ مسلماً

احصاء نفوس القضاء

عام ١٣٢٧	عام ١٣٣٢ حتى نهاية حزيران	
١٩٢٤٤	٢٣٨٢٣	اسلام
٩١٤	١١١٧	يهود
٢١٠٩	٣١٢٤	كاثوليك
٧٨٢	٨٦٨	روم
٢٢١	٢٤٩	لاتين
١٢٥	١٩٦	موارنة
٤٥	٥٤	بروتستان
؟	٦٨٦	اغراب مسلمون
؟	٦٢٠	اغراب غير مسلمين
٢٣٤٦٠	٣٠٧٣٧	المجموع

يظهر من الجدول المذكور اعلاه ان النفوس العمومية في القضـاء زادت ٧٤٣٧ شخصاً في خمس سنين وهو امر جدير بالذكر بالنسبة لسائر الاقضية . ويتألف القضاء من ٣ نواح ومن ٨٤ قرية . اما قرية زمارين (ونفوسها ٥٤٤) شخصاً وقرية خضيره (ونفوسها ٢٦٩) فهما من المستعمرات اليهودية

(البدو المربوطون بالقضاء والناحية :)

البدو التركمان في غابة الجركس

البدو في الضمايرى

البدو في شيخ الحلو

البدو في النفيعات

البدو في كباره

ومركز القضاء حيفا . وهي تزداد ترقياً وتقدماً في ثروتها وتجارتها ونفوسها وعمرانها

نفوس حيفا

عام ١٣٢٧	عام ١٣٣٢ حتى نهاية حزيران	
٣٦٣٥	٤٥٠٠	اسلام
١٩٨٩	٢٩٧٠	كاثوليك

لاتين	٢٤٩	٢٢١
موارنة	١٨٦	١٣٨
يهود	٣٠٤	١٢٥
روم	٨٦٨	٧٨٢
پروتستانت	٥٤	٤٥
اغراب مسلمون	٦٨٦	؟
اغراب غير مسلمين	٦٢٠	؟
المجموع	١٠٤٤٧	٦٩٤٥

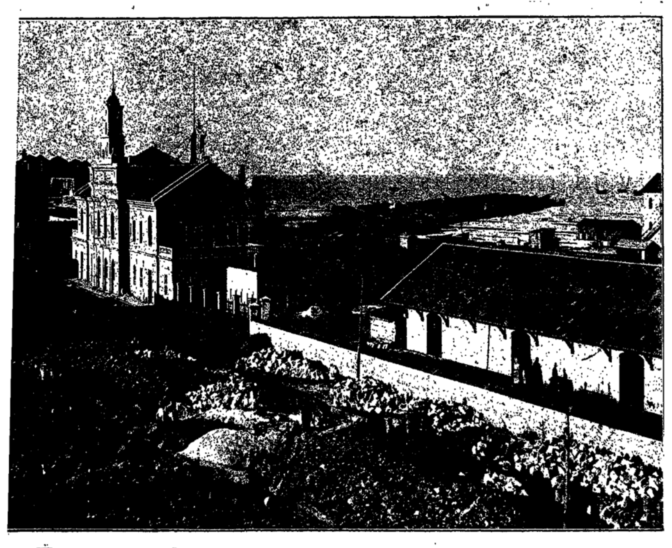
ويظهر من هذا انه رغماً عن تباعد الحقيقة عن القيود الرسمية في مقدار نفوس حيفا فان القصبة قد زادت نفوسها ما يقرب من اربعة الاف في خمس سنين

[٢]—مرفأ حيفا— كانت ميناء حيفا الآخذة بالترقي تدريجاً بزيادة نفوسها —مرفأ حقيراً لصيادي السمك. ولم يكد يمتد الخط الحديدي بينه وبين منطقتي جنين والشام حتى قطع بسرعة زائدة خطوات واسعة جداً واغتنى غناء عظيماً (فكان ضربة على عكا). وان الارقام الآتية تثبت دعوانا تماماً

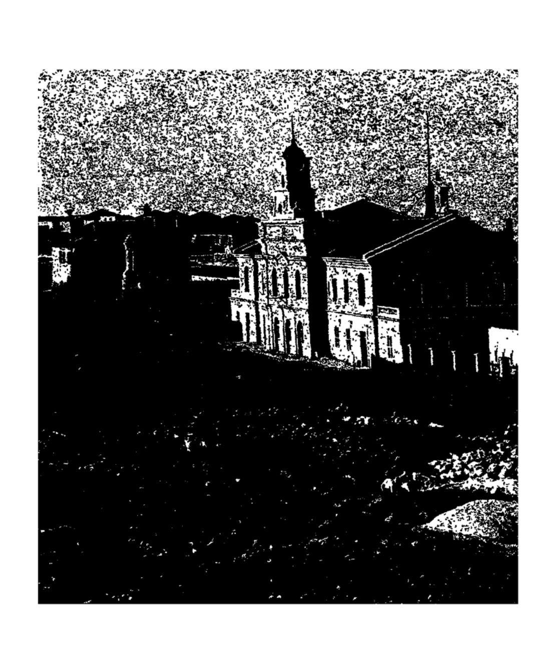
واردات الكمرك

مرفأ حيفا	عام
٣٠٥٨٣٠	١٣١٠
٥٤٧٠٠٠	١٣١٥
٥٧٢٠٠٠	١٣٢٠
٤٣٠٠٠٠٠	١٣٢٨
٥٠٠٠٠٠	١٣٢٩

وبسبب الاحوال الحربية فان الحكومة نقلت الى طبريا قسماً مهماً من وثائقها الرسمية ومن قيود الكمرك ودفاتره . ولهذا لم يمكننا العثور على الواردات العموميه لعامي ١٣٣٠ و ١٣٣١ ومع هذا فان ماذكرناه يكفي لبيان درجات الترقي التي وصل اليها مرفأ حيفا . ولقد كانت واردات الكمرك في عكا في السنين الاولى من العصر الحاضر تتراوح مابين ٤ ملايين و٥ ملايين غرش ولا تزيد واردات الكمرك في حيفا على ١٠٠ الف غرش . وكانت اجرة الحمال اليوميـــة لا تقل عن ستة مجيدية او سبعة . فلما انتقلت تجارة الحبوب من عكا الى حيفا وافتتح الخط الحديدي بين درعا



محطة حيفا — منظرها من جهة البر



وحينا زادت واردات الكمرك في حيفا فقط على الخمسة ملايين غرش . اما واردات عكا فقد هبطت فكانت (٧٤٧) الف غرش عام ١٣٢٣ و (٥٨٣) الف غرش عام ١٣٢٤ ثم نزلت بعد سنة اخرى الى (٤٥٩) الف غرش وفي عام ١٣٢٨ — ١٣٢٩ لم تتجاوز المائة الف غرش

يصعب الوقوف في مرفأ حيفا حينما يحصل النوء بسبب الهواء الشمالي . غير ان انسداد الخليج من الجهات الجنوبية والشرقية والغربية يحفظ المراكب البحرية من تأثيرات الاهوية . وتقف السفن الكبيرة جداً على بعد اربعة اميال ونصف ميل من مرفأ حيفا

وترى في مرفأ حيفا خمس عشرة او عشرين باخرة ملتجأة اليه حين الانواء التي لاتحدث من الهواء الشمالي . والساحل ليس عميقاً فانه على بعد ميل من الساحل يبلغ عمقه خمسة عشر متراً

لا يوجد حتى الآن مرفأ (ليان) في حيفا . وقد اعطي لادارة الخط الحجازي امتياز بانشاء مرفأ فيها بقيمة مليون ليره

ولقد اخذت حيفا امتيازاً عظيماً من الوجهة العمرانية فاتسعت من الجهة الشمالية ومن جهة المحطة وزينتها القصور العالية والدور الشاهقة والجنائن ومحلات التجارة

ان حيفا القائمة في سفح جبل الكرمل على بعد ٣٠ كيلومتراً من عكا في الجهة الجنوبية هي حيفا التي سماها مؤلفو الرومانيين واليونانيين (سيقامينوم) ومؤلفو الفنيكيين والعبرانيين (حيفا) ولقد كانت عديمة الاهمية حتى زمن الصليبيين . واستولى الجيش الصليبي الذي كان يقوده (تانكرد) على حيفا ولكن صلاح الدين استردها منه في الواقعة المشهورة عام ١١٨٧ م . وقد خربها ضاهر بن عامر عام ١٧٦١ ثم جددت وزيد في عمرانها من الجهة الشرقية

وقد اشادت ادارة الخط الحجازي في حيفا مصنعاً للآلات الصناعية للخط الحجازي . ومحلاً لاجتماع المركبات . ودائرة حجرية ذات طبقتين لادارة الاستثمار . ومحطة جسيمة ودائرة للامتعة التجارية . ويوجد في حيفا باسم المباني الصناعية ٣٧ محلاً منها ١٠ مطاحن و١٦ محركاً بخارياً لسحب المياه من الآبار ومعمل للثلج و٧ مصانع للخشب و٤ مصانع لزيت الزيتون ومصنع للقطن وقد كان الالمانيون اسسوا فيها معملاً لعصير العنب (الشيره) واسس اليهود مصنعاً للصابون ولكن المحلين المذكورين تعطلا اخيراً

[٣] — المواقع التاريخية — ان (جبل الكرمل) ويسمونه جبل مار الياس وهو الذي تكلمت التوراة الشريفة عن مناظره الطبيعية قائم في جنوبي القرية المسماة حيفا وممتد عشرين كيلو متراً نحو الجنوب الشرقي اعتباراً من حيفا ويبلغ ارتفاع اعلى نقطة فيه (٥٥٤) متراً . وان جبل الكرمل الذي ينفصل في الجهة الجنوبية منه منطقة سامرية عن وادي مالح مؤلف من الصخور

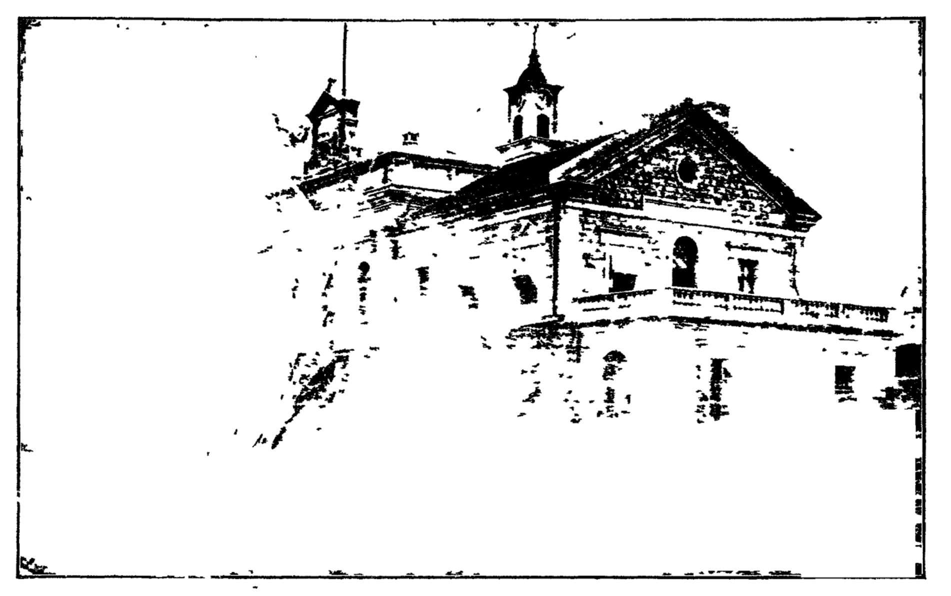
الكلسية المختلطة بنوع من حجر اليشب . وقد ستر القسم الاعظم من الجبل بشجر السنديان واشجار اللوز البري . وبسبب الندى لا تنقطع الخضرة عن ذلك السطح للمائل اللطيف . وهذه الحالة خاصة بجبل الكرمل في فلسطين . ولقد عرف جبل الكرمل منذ القديم بقدسيته عند اليهود والنصارى . وقدجاء في التوراة الشريفة ان(جهزابل) زوجة (اشاب) ملك الاسرائيليين اصرت على تعميم عبادة الصنم (بعل) آله الفينيقيين في ملكها وانفذت ذلك. فجازى الله بني اسرائيل بالقحط ثلاث سنين . فطلب النبي الياس عليه السلام في ذلك الحين من الملك (اشاب) ان يخرج كهنة بعل الى جبل الكرمل ليلاقوا جزاءهم . فعقد في ذروة الجبل اجتماع طلب فيه كهنة بعل المعونة من آلهتهم فارسل الله من السماء ناراً التهمت القربان الذي قدمه النبي الياس عليه السلام . فآمن الاهلون حينئذ بالوحدانية الآلهية واقروا بالعظمة الربانية. وبامر من النبي الياس ذبح الاهلون كافة انبياء بعل

ويوجد للمسيحيين منذ القديم (مغارات) مأهولة في السطح المائل الغربي من جبل الكرمل الذي يقدسونه مثل بقية التذكارات الدينية . ولقد استعمل نابوليون حين هجومه على عكا الدير الذي اسسته جمعية (قارم) الدينية عام (١١٥٦) محلاً للتحفظ وخرب عبد الله باشا والي عكا هذا الدير . وجدد بناؤه عام ١٠٢٨

ويرجح السائحون الذين يصعدون الى ذروة الكرمل —الجهة الشمالية الغربية منه فان المناظر من هذه الجهة بديعة جداً . فيمتد نظرك من ههنا الى ساحل ينتهي من الجهة الشمالية بفنار صور ومن الجهة الجنوبية بقيساريه القديمه . اما سلاسل الجبال الممتدة نحو الشرق فتنتهي بجبال لبنان واذا امعن السائح نظره نحو الشرق فانه يتمكن من معرفة البلاد القائمة في شرقي الشريعه . وان لرؤية النخيل وشجر الزيتون وغرائس الكرم في جانب هذه المشاهد تأثيراً لطيفاً جداً في النفس

اما الدير البالغ ارتفاعه ١٧٠ متراً فانه جسيم جداً فيمكن ان يأوى اليه عدد كبير من السائحين . وتعرف المغارة القائمة في جانب الكنيسة بانها مسكن الياس عليه السلام وهي مقدسة عند المسلمين والمسيحيين واليهود . وقدركز في الجهة الشمالية من الدير اهرام تذكاراً للذين ماتوا من جيش نابليون الذي حاصر عكا عام (١٧٩٩) وقد هدم هذا الهيكل بمناسبة الحرب الحاضرة

وحين النزول من الدير الى اسفل الجبل توجد ثمت مغارة يقال انها المحل الذي استراحت فيه العائلة المقدسة حين عودتها من مصر الى فلسطين . وبين المستعمرة الالمانية والنزل الالماني في ذروة الجبل مسافة عشرين دقيقة بالمركبة . ويتجلى من النزل منظر حيفا ومرفأها ومدينة عكا على غاية من الجمال كما ان الفرق بين انتظام المحلة الالمانية وبين قذارة الاكواخ التي يقيم فيها



بناية محطة حيفا — منظرها من جهة البحر

المسلمون واليهود — يتجلى بصورة واضحة ومؤلمة . وقد اقيم على بُعد دقيقتين من النزل عامود تاريخي تذكاراً لزيارة امبرطور المانيا لحيفا عام ١٨٩٨ . وان نظر السائح الواقف في جانب هذا الاثر يقطع الطريق الالماني الكبير من اولها الى آخرها ويسمع هذه القطعة الحجرية تنشد افعال بني الجرمان وتتغنى بغيرتهم وانتظامهم

وقد انشئت بين اشجار الصنوبر في ذروة الجبل دور منتظمة ونزل جيدة . وانني لم اكن منتظراً ان اجد حيفا لطيفة بكرملها بهذه الدرجة

[٤] — بلدية حيفا — نذكر ادناه واردات ومصارف بلدية حيفا التي تراقب اكبر المدن حتى مدينة بيروت في عمرانها وتجارتها والتي تنمو بصورة سريعة بنفوسها وباتساعها نحو الشمال والجنوب

في عام ١٣٢٧

الواردات		المصارف	
١٦٩٠٠٠	القسم الاول الواردات المقننة	٧٣٦٧٠	المعاشات
٣١٠٠٠	〃 الثاني 〃 غير المقننة	١٠٥٥٥٠	التنظيفات والتزيينات والتنويرات والتعميرات وانشاء الالغام والطرق
١٠٠٠٠٠	〃 الثالث الكازخانه	٢٤٠٠٠	اجار الكازخانه
		٤٤١٨٠	مصارف انشاء الكازخانه وتعميرات الاسكلة
		١٥١٥٠	متفرقه
		٢٠٠٠٠	تسديد ديون
٣٠٠٠٠٠	يكون	٣٠٠٠٠٠	

وقد ظهر نقص في ميزانية عام ١٣٣٢ مقدار ٢٣ الف غرش والسبب في ذلك عدم جباية واردات الكازخانه التي تعطلت بسبب الحرب . ولقد كان من الواجب تزييد مصارف الوظائف الاساسية المترتبة على البلدية بسبب الاحوال الحاضرة واستيلاء الامراض السارية . ولكن الامر بالعكس فقد انقصت مصارف التنظيفات والتعميرات والانشاآت ٤٥٠٠٠ غرش عن مثلها قبل خمس سنين ومن الغريب ان المعاشات زيدت ٤ ١٧٨ غرشاً

وللاهلين الحق بان يطالبوا بزيادة الهمة والعمل من البلدية التي تميل نحو رؤية الاعمال سواء كانت حسنة او قبيحة . وجدير بمدينة حيفا التي تزيد في كل عام لا اقل من خمسين داراً بالحساب المتوسط

ان نرى بلديتها اكثر مدنية واوفر ثروة واعظم اهتماماً بوظائفها بنسبة الاهمية الموقعية . وان حيفا تلك البلدة التجارة تطلب بكل الحاح وتصر على طلبها بفتح الجادة العظيمة التى ارتأى مقام الولاية الجليل افتتاحها لتزيين البلدة وايصال هواء البحر بصورة حسنه الى اقصى زوايا البلدة المهملة

« معمل الاسبرتو في حيفا » — ان تمثال التشبث الشخصي الاسلامي هو معمل الاسبرتو في حيفا . فقد اكمل احد مؤسسيه حسين راشد افندي بيهم تحصيله في بلدة آنتيب من اعمال فرانسه ولما عاد الى مسقط رأسه بيروت عام ١٩١٣ اتفق مع مهندس فرنساوي يسمى (اوجهن رولان) على تأسيس معمل للعطور في حيفا التي تكثر فيها النباتات العطرية فاستحضرا كافة لوازم المعمل من مصنع « Deroy » في باريس بقيمة ٢٣٠٠ ليرة واسسا المعمل في حيفا . ولما دخلنا نحن في الحرب صادف وصول الآلات والادوات الى حيفا . وبعد ثلاثة اشهر اتفق حسين افندي بيهم مع سليم افندي العيتاني البيروتي على استحصال الاسبرتو بدل العطور . ويستخرجان سنوياً نحواً من مائة الف كيلو اسبرتو من المواد الابتدائيه التى يجمعانها من الزبيب والتمر والتين وقرون الماعز والذرة والشعير وامثالها من المواد النشائيه والسكرية

ويكلف كيلو الاسبرتو الذي يستحصل في هذا المعمل « ١٨ » غرشاً بما فيه ثمن المواد الابتدائيه واجرة العمال ومصارف المحروقات . ولهذا لايمكنهم الرقابة مع غيره من المعامل في زمن الصلح ما دامت كلفة الكيلو تبلغ هذا القدر

وسبب الغلاء لهذه الدرجة هو استيفاء الديون العمومية ثلاثة غروش عن كل كيلو واخذ البلدية غرشاً عن كل كيلو . وعلاوة على ذلك فان ظهور الجراد اوجب غلاء المواد الابتدائيـة ايضاً وقلتها

وقد كان ثمن الكيلو من الاسبرتو في زمن الصلح ثلاثة غروش اي قدر الرسم الذي تستوفيه البلدية عن الكيلو في هذه الايام ويدخل في هذا المبلغ ارباح مصانع اوربا ومصارف نقل الاسبرتو ورسوم الكمرك التى تستوفي عليه

وقد فهمنا من اصحاب المعمل انهم عازمون بعد الحرب على ترك استحصال الاسبرتو الذي يستخرجونه اليوم باسم الجيش الهمايوني وسيعودون لاستخراج العطور . فان الكيلو من الاسبرتو يكلفهم سبعة غروش بعد استيفاء الديون العموميه لرسومها فيستحيل عليهم اذن رقابة المصانع الاوربية . ومن الناس باسم المنفعة الوطنية حماية اصحاب معمل الاسبرتو الوحيد الذين توفقوا لاستحصال هذه المواد بعيار ٩٥ في المئة والاخذ بيدهم بعد انتهاء الحرب حتى يثابروا على عملهم الذي يقومون به ايام الحرب وذلك بتنقيص الرسوم التى تأخذهـا الديون العمومية والبلدية

وبذلك يروج سوق هده المحصولات الضرورية

[٥] — امور المعارف — يوجد في كافة القضاء ١٢ مكتباً ابتدائياً ثلاثة منها في مركز القضاء . وان حالة مكتب النمونه للذكور مؤلمه جداً . فان الطلاب الذين ترسلهم حيفا التى تزيد نفوسها على العشرة آلاف الى مكتبها الرسمي الوحيد لا يتجاوز عددهم الاثنين واربعين . وقد كان في المكتب قبـل اعلان الحرب ٣ طلاب . فمكتب النمونة الكبير في حيفا العظيمة لم يدخله سوى هذا العدد القليل من الاطفال . وفي الوقت ذاته فان المعلم الثاني في المكتب هو وكيل المعلم الاول وهو رجل امضى عدة سنين في مدارس استانبول العلمية حينما كانت منحطة ثم اقام في مصر ثلاث سنين . وان من الامور المخجلة باسم الامة ان تكون حالة مكتب النمونه على ما هي عليه الآن من الانحطاط بادواته وآلاته المكسرة في زمن نهضت فيه الرقابة الاجنبية سواء كانت المانية او يهودية نهوضاً مدهشاً فتأسست في حيفا عدة مكاتب لليهود والالمان ولسائر الدول الاجنبية بصورة متناسبة مع اهمية حيفا الموقعية . فمن الضروري جعل مكتب النمونة في حيفا في حالة متناسبة مع عمران البلدة ونهضتها الاقتصادية . ومن العبث البحث عن مكتب الذكور الثاني الذي ضم اخيراً الى مكتب النمونه . فعلمه الاول من دار المعلمين ؟؟ واما باقي المعلمين فليس بايديهم شهادات

وللاهلين رغبة ظاهرة في مكتب الاناث الرشدي . فيزيد عدد الطالبات فيه على مائتين . ويمكن لمعلمة مقتدرة تعمل بجد واجتهاد وبكل عفة ويقظة دائمة ان تضاعف هذا الرغبة في محيط الشرق البليد والمتعصب الجاهل وبعكس ذلك فانه تطرأ عراقيل كثيرة توجع الرأس اثناء القيام بالوظيفة وقد اثبتت ذلك الوقائع

انني لااملأ الصحيفة بما اكتبه من المطولات عن مكاتب القرى . ولكنني اقول مع الاسف ان آثار الاهمال وعـدم الاقتدار التى شاهدناها في عموم معلمي القرى تقريباً قد اصبحت طبيعية في نفوس اولئـك المعلمين . وان مطالبة هؤلاء باظهار غيرة وهمـة في وظائفهم هي ضربة قاضية على ادمغتهم الجاهله وعلى امزجتهم البليدة وهو امر مسلم لدى كل فرد . فلو صرف المبلغ المخصص لمعارف القضاء وهو ١٧١٧٣٩ عرشاً على مكتبي نمونة يعهد بامورهما لرجال مقتدرين وشبان منورين فان العائدة تكون اعظم باضعاف من الاثني عشر مكتباً المؤسسة في القضاء . وكان يخرج على الاقل من المكتبين المنتظمين ١٥ او ٢٠ طالباً اكملوا تحصيلهم الابتدائي بصورة منتظمة . وليس من الممكن ان يخرج الآن من المكاتب الحاضرة طالب حائز على شهادة حقيقية

[٦] — المهاجرون الاجانب في قضاء حيفا — ينقسـم هؤلاء المهاجرون الى قسمين : المان

وموسوييں :

(الالمان) — نهض في بلدة ورتنبرغ من المانيا عام ١٨٦٠ م رجل يدعي هوفمان واحدث حركة دينية بين الشعب البروتستاني في تلك الانحاء مدعياً ان الافكار النصرانيـــة في ذلك الحين لايمكن تأليفها مع مبادئ الكنيسة واخذ يطالب بالاصلاح . فتأسست جمعية دينية باسم (تامبل) او (جمعية محبي القدس الشريف) تسعى وراء تأسيس امبرطورية متناسبة مع عظمة الحق تعالى ورحمته على وجه الارض . والغاية من السعي المباشرة بتأسيس الامبراطورية الآلهية تدريجاً مبتدأة من الارض الموعودة الى ان تشمل سائر الانحاء وتجديد معتقدات الكنيسة والخلق واصلاح عاداتهم . وقبل ان تبدأ الجمعية بالعمل ارسلت من قبلها الى استانبول (هوفمان) المار ذكره مع رجل يسمى (هاردهك Hardegg) وذلك عام ١٨٦٨ وطلبا من ساكن الجنان السلطان عبدالعزيز اذناً بتأسيس مستعمرة المانية في الارض المقدسة (وهاردهك هو جد لويدفد Loydved قنصل المانيا في دمشق) . وبعد ان اخذا الاذن السلطاني جاء هوفمان وهاردهك الى سورية وحيفا . وفي عام ١٨٦٩ وطأت اول قافلة من مهاجري ورتمبورغ ارض حيفا . وبعـد سنة جاءت عشر اسر اميركية الى حيفا فانضمت الى ابنـاء وطنها . ولما اعلنت الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٨ امرت الحكومة الروسية بتجنيد المهاجرين الالمانيين المقيمين في روسيه والذين كانو معفوين من الخدمة العسكرية منذ ايام بطرس الاكبر فتركت عدة اسر من اولئك الالمانيين الارض الروسية وهاجرت الى فلسطين

وقد انتقل حينئذ الاستاذ (هوفمان) الى طور الجد والعمل فابتاع اراض في يافا والقدس واسكن فيها المهاجرين الالمان . واسس المهاجرون الالمان قرية صارونه التي تبعد عن يافا ثلاثة ارباع الساعة . واصابت الضرورة والفاقه قسماً من المهاجرين الالمان في حيفا فانشئت لاجلهم قرية (ويلهلمه — حميدية) وذلك عام ١٩٠ ويوجد اليوم في القرية المذكوره ٣٠ اسرة تقريباً من المهاجرين الالمان . وعلاوة على ذلك فان المستعمرين في حيفا ابتاعوا عام ١٩٠٧ من بنى سرسق والتويني قريتي بيت لحم وام العمد في جوار الناصره . ويسكن الآن في كل قرية ١٢ اسرة

ويقيم اليوم في المستعمرة الالمانية في القدس من ٣٠٠ — ٤٠٠ وفي يافا اكثر من ٢٠٠ وفي قرية ويلهلمه ٣٠٠ وفي قرية صارونه ٣٠٠ الماني تقريباً وجميع هؤلاء من ابناء ورتمبورغ . وقد ظهر من الحساب الرسمي ان المهاجرين الالمانيين في فلسطين يبلغون نحواً من الفين

(الوسائط الماليه في الاستعمار الالماني) — اسس الالمانيون قبل عشرين سنه تقريباً صندوق اقتصاد في القدس . ويتألف رأس مال الصندوق الاقتصادي من الخمسة عشر فرنكاً التي يجبر على دفعها سنويا كل الماني صاحب ملك في فلسطين وقد بلغ اليوم رأس مال الصندوق ٧٠٠ الف

فرنك . فاذا طلب احد الالمانيين الاستقراض من صندوق التصرف لمدة معينه فان الصندوق يقرضه مقابل فائض خمسة في المئة واستهلاك (امورتيسمان) واحد في المئة . ويشتغل الصندوق ايضاً بانشاء دور في المستعمرات الالمانية . ويجب على الالماني طالب الاستقراض من الصندوق ان يقدم مضبطة من المجلس البلدي في المستعمرة المنسوب اليها تثبت اقتداره وان يقدم ايضاً كفيلين . وبنسبة الاقتدار المالي المذكور في المضبطه تتم معاملة القرض . وعلاوة على هذه المساعدات التي يقوم بها صندوق التصرف فان (صندوق تامبل) المؤسس في المانيا يجري تسهيلات مالية عديدة بواسطة وكلائه الذين اقامهم في كل مستعمرة . وقد اسعفت شركة الاستعمار الالماني صندوق التصرف بنصف مليون فرنك على سبيل الاعانة

مستعمرة حيفا — تتألف مستعمرة حيفا من ٨٠ اسرة ١٣ منها اميركية و٣ روسية والباقي من ورتمبورغ . وقد وضع خريطة المستعمرة الالمانية في حيفا المعمار (شوماخر) عام ١٨٧٠ حينما كانت المستعمرة ستة دور . ويدير الامور العمومية للمستعمرين مجلس منتخب من قبلهم

يتألف المجلس من رئيس ينتخب كل اربع سنين مرة ومن سبعة اعضاء يتبدلون كل سنتين مرة وتجرى المعاملة الانتخابيه في المكتب

ينظر هذا المجلس بنظافة المحلة الالمانية وبتنويرها وبتوسيعها او بافتتاح طرقات جديدة فيها وبمسئلة الماء ايضاً . وفي مقابل هذه الاعمال يدفع المستعمرون مقداراً من المال الى المجلس بنسبة المصارف السنوية التي يدفعونها على املاكهم . وقد جبى المجلس في السنة الماضية رسوماً بنسبة اثنين في الالف على قيمة الاملاك وصرفها على مصالح المحلة العمومية . ولقد كانت ميزانية البلدية للمحلة الالمانية عام ١٩١٥ (١٠ . . .) فرنك . فوزعوا منها بمناسبة الحرب العمومية ستة الاف فرنك على الاسر التي ظلت بدون معين . ولمستعمرة حيفا الالمانية نظام خاص لبلديتها وهم يأخذون عشرة فرنكات غرامة من الذين يخالفون هذا النظام . غير ان الالمانيين الذين فطروا على مراعاة القوانين والنظامات لم يوجد بينهم من يعمل عملا يستلزم المجازاة بتأدية الجزاء النقدي مدة اربعين سنة اي منذ تأسست المستعمرة

وللمستعمرين في حيفا مكتب عنصري ذو درجتين ويداوم على حديقة المكتب ٥٠ طالباً وعلى لقسم لرشدي منه ٧٠ طالباً

يدفع اصحاب الاملاك نصف ميزانية المكتب السنوية المقدرة بعشرة الاف فرنك ويستوفى القسم الباقي من الميزانية من الاطفال مقابل اجرة تعليم . يعطى سنوياً ٣٠٠٠ فرنك للمدير ولكل معلم من المعلمين الاربعة من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ فرنك وينام المدير والمعلمون في المكتب . ومن يخرج

نائلا للشهادة من طلاب هذا المكتب يكمل تحصيله في (الجمناز الالماني) في القدس . واما المأوذنون من هذا المكتب فيؤدون سنة في الخدمة العسكرية (وليس سنتين) مثل المأذونين من الجمناز في المانيا

وفي مستعمرة حيفا اليوم ٣٠ كيلومترًا طرقاً معبدة ويبلغ طول الجادة الكبرى الالمانية (بولوار) ٨٥٠ مترًا وعرضها ١٢ مترًا . ويزيد عدد النساء على الرجال في مستعمرة حيفا وفي سائر المستعمرات الالمانيـة حتى انه كان قبل خمس سنين في حيفا (٢٣) امرأة لم يوجد لهن ازواج . ومما يستلفت النظر القوة الولادية هنا فانها جيدة مثل المانيا ويقدرون بالحساب الوسطي ان كل عائلة يصيبها من المواليد العمومية ٥ او ٦ اولاد . وتتراوح الوفيات السنوية بين الالمان في حيفا من ٥ — ٦ في المئة والمواليد من ١٠ — ١٥ في المئة

لما استملك المستعمرون الالمانيون الاقسام المهمة من جبل الكرمل افتكروا جيدًا بطرق الاستفادة من هذا الجبل بنسبة مساعدة القوة المالية لهم . ومما هو جدير بالثنـاء والشكر انهم خصصوا قسماً مهماً من جهات الجبل لغرس اشجار الصنوبر وغرسوا قسماً مـن شجر الفستق الحلبي النادر الذي سلم من تخريبـات القرويين . وحولوا القسم المهم من الجبل الى كروم . غير ان علة (الفيلوكسرا) التي استولت عليها اخيرًا اهلكت الكرمة باجمعها . ولم يفتكر الالمانيون بتجديد الكرم لانها ذات مصارف كثيرة . وبسبب خراب الكرم فقد تعطل معمل (الشيرا) الذي اسسه الموسيو (هەرکەلر) على ان صاحبه توفي في محاربة (له مبرغ) . يدفع المأذونون في قضاء حيفا سنوياً « ١٨٤٣٤ » غرشاً باسم ويركو التمتع و ٤٢١٧٤ غرشاً باسم ويركو الاملاك والاراضي

(المهاجرون اليهود في قضاء حيفا) — ذكرنا بالتفصيل في القسم العمومي من تقريرنا ان منطقة حيفا وزمارين هي اهم قسم من مناطق الاستعمار اليهودي . وان شعبة حيفـا لشركة لاستعمار اليهودي تقوم بوظيفة الادارة العمومية للقرى اليهودية في منطقتي زمارين وطبريا . ولقد تملكت الشركة المذكورة في منطقة حيفا مقدار مائـة الف دونم من الاراضي . وهي تعطي كل اسرة يهودية تهاجر الى فلسطين ارضاً تتراوح مساحتهـا من ٢٠٠ الى ٤٢٠ دونمًا . وتستوفي الشركة ثمن الدونم من ٢٠ الى ٣٠ فرنكاً وذلك في مدة ٥٠ او ٦٠ سنـة . وعلاوة على ذلك فيوجد في شعبة حـيفا صندوقان لاقراض الاموال مقابل انشاآت الدور . وقد جعلوا الفائض لفظًا ٦ في المئة . ولقد ذكرنا في القسم العمومي ان الذين ادوا دينهم تماماً من مهاجري اليهود هم قليلون جدًا بل يعسر الوقوف على واحد منهم . فيمكن لكل مهاجر يهودي ان يستقرض لاول مرة ٦٠٠ فرنك .

وقد اتخذت شركة الاستعمار مبدأ لها وهو تأسيس مكتب لتعليم العبرانية فقط في كل قرية تؤسس حديثاً . ويدفعون للمعلمين الذين يعينــون لهذه المكاتب رواتب من ١٥٠ الى ٢٠٠ فرنك ويسكنونهــم في دور مفروشة بلا اجرة • وعلاوة على ذلك فان المعلمين او المديرين في هذه المكاتب لا يدفعون ثمن ماء او علاجات •وقد اعطيت لشعبة حيفا الصلاحية التامة بانتخاب وتعيين المعلمين والموظفين •ويكاد ان لايكون لجمعية (اليانس ايزارئيليت) مداخلة مطلقاً في مثل هذه الامور • وربما يؤخذ رأيها احياناً بانتخاب بعض المديرين

اننا ننشر هنا احصاآت النفوس والمعارف لمنطقة زمارين عن عام ١٩١٢—١٩١٣

زمارين	خضيره	عتليت	
٠٧٤	٠٣٢	١٢	اسر المستعمرين
٤٨٠	١٣٢	٥١	نفوس المستعمرين (اليهود)
١٣٤	١٢٧	٠٠	الاسر اليهودية من اصحاب الصنائع المستقلة
٤٨٢	٢٠٧	٠٠	نفوس الاسر 〃 〃 〃 〃
٠٣٦	٠٤٠	٠٠	الاسر اليهود اليانية
١٠٥	١٢٠	٠٠	نفوس 〃 اليانيين
٠٧١	٠٣٢	٠٠	اسر اسلامية
٢٨١	١٠٢	٠٠	نفوس الاسر الاسلامية

. ˙ .

في مكتب زمارين	٨ معلمين	و ٢٦٨ طالباً	و ٦ اصناف
في مكتب خضيره	٣ 〃	٠٤٢ 〃	٤ 〃
في مكتب عتليت	١ 〃	٠١٢ 〃	٣ 〃

اما اليهود في حيفا فقد كانوا حتى عشر سنين مضت قليلين وفي حالة تعيسة • ولقد زادت نفوسهم هذه الايام الاخيرة فاصبحوا على مقتضى الاحصــاء الصهيوني « ٣٠٠٠ » وعلى مقتضى قيودنا الرسميـــة « ١١١٧ » . سعى هولاء اليهود الذين جاء القسم الاعظم منهم مهاجراً من روسية قبل بضع سنين بتأسيس مصنعين في حيفا احدهما لصنع الصابون والثــاني لعمل الحديد فصرفوا كافة ما بايديهم من الاموال حتى تمكنوا من اتمــام البناء . ثم لم يقدروا على تأدية الاموال المقتضية لاستحضار المواد الابتدائية بدرجة كافية فتمكنوا من استثمار معمل

الصابون ثلاث سنين فقط وقد صنعوا في معملهم هذا اجناساً جيدة من الصابون . وظل معمل احميد يشتغل حتى اعلان الحرب العامة . ويصرف يهود حيفا جهدهم بتعميم اللسان العبراني ونشره . ويهتمون بفتح المكاتب للحصول على هذه الغاية العصرية . ففي حيفا اليوم مكتب جمناز « اعدادي » يضم ١٥٠ تلميذاً ومكتبان للاليانس فيهما ٢٢٥ طالباً ومكتب للحضانة وفيه ٧٠ طفلاً ولهم مكتبان ابتدائيان احدهما علماني والثاني ديني . وعلاوة على ذلك فقد انشأ اليهود الاليانس الناسيوناليست في اهم نقطة من حيفا مكتباً عاماً للصنائع صرفوا عليه ١٠٠٠٠٠ ليرة وجاء متقناً للغاية ولكنهم اختلفوا فيما بينهم على لغة التدريس في المكتب اهي الالمانية ام العبرانية ولهذا تأخرت ادارة المكتب عن قبول الطلاب فيه حتى الآن

يدفع اليهود في قضاء حيفا سنوياً للحكومة (١١٧٣٠) غرشاً باسم ويركو التمتع و(٢٤٥٥٥) غرشاً باسم ويركو الاملاك والاراضي

« قرية زمارين » — تقوم قرية زمارين على بُعد خمس ساعات في الجهة الجنوبية من حيفا وفيها حوش جعل خاصاً من شجر الاوقاليبتوس وتبلغ مساحته ٢٠٠ دونم وفيها ١١٥٠٠ دونم من الاراضي يزرع منها ٦٤٠٠ دونم والباقي اراض صخرية ومراعي . ومزروعات زمارين هي : الشعير . والعنب . والقمح . والكرسنه . والسمسم . ويصنع اليهود من العنب « خمراً » . ومستنقع (زور الزرقا) القائم في الجهة الغربية من زمارين «ومساحته ٧٠٠٠ دونم» يفسد هواء قرى زمارين وقيساريه وطنطوره وفورديس ويسبب انتشار الملاريا فيها

« قرية خضيره » — تبعد تسع ساعات عن حيفا من الجهة الجنوبية وفيها ٢٠٠٠٠ دونم اراض مزروعة وقد زرع ٦٠٠٠ دونم رمليه منها باشجار البورتقال والزيتون واللوز والاوقاليبتوس واقام البارون روتشيلد في هذه القرية حرشاً زرع فيه « ٣٠٠٠٠ » شجرة اوقاليبتوس لطرد الحمى عن خضيره

« عتليت » — كان الملك الاشرف هدم هذه البلدة القديمة التي كانت تعرف ايام الصليبيين باسم « قصر الحاج » والتي اتخذها « التامبليون » عام ١٢١٨ مركزاً لهم . ولقد كانت عتليت بلدة مستحكمة جداً . وهي مبنية على رأس محاط بخليج من طرفيه وقد قام حولها سور متين من طريق جهة البحر ذو قلاع وخنادق . ولا تزال انقاض اقلاعه مشاهدة في جهة الشمال الشرقي . اما قرية عتليت اليوم فهي ملك للمزارعين اليهود

وعلاوة على هذه القرى فان اليهود في قضاء حيفا اشتروا كلاً من قرية ام العلق وبريكه والمراح وكركور بيدوس

[٧] — الحالة الزراعية في حيفا وواردتها — طلبنا من مأمور الزراعة في حيفا بياناً عن الحالة الزراعية في القضاء وهو اكثر توفقاً ، لان هذا الموضوع فانتهز هذه الفرصة واخذ يشرح موقعه المملّ فقال :
ان الآلات والادوات الزراعية مفقودة . مصارف الطريق التي تعطى له قليلة . تكاد الوسائط النقلية ان تكون معدومة . وعلاوة على ذلك فانهم يطلبون منه ان يلقي محاضرات زراعية بشرط ان لاتتجاوز مدة اقامته في كل قرية بضع ساعات فعدم امكان ذلك امر مسلم . لانه يجب على المأمور ان يمكث في القرية لا اقل من ثلاثة ايام حتى يعرف شيئاً تاماً عن الاحوال العموم الزراعية في ذلك الموقع . وانه لايوجد عنده من الآلات الزراعية سوى رسومها وهل يمكن اقناع الفلاح بالرسم ؟ ومن الجهة الاخرى فان الحكومة تنظر الى مأمور الزراعة نظرة ثانوية فلا تهتم به فليس له كاتب ولا خادم ولا مصارف اخرى حتى ولاخمسة غروش مصارف متفرقة في الشهر .
وقد فهمنا من مخاطبنا انه لم يتمكن حتى الآن من زيارة اية قرية كانت من قرى لواء نابلس المحولة ايضاً امورها الزراعية اليه . على انه لم يكمل بعد الطواف في لواء عكا المقيم فيه الآن .
وماذا تكون نتيجة الخدمة من مأمور يعهد اليه النظر والتدقيق والاصلاح في الاحوال العمومية الزراعية في لوائين جسيمين تزيد مساحتهما السطحية على « ١٤١٩١ » كيلومترًا وذلك المأمور يستوفي في الشهر (٧٥٠) غرشاً ؟ فالقيام بمثل هذه التدقيقات متوقف على علم واسع وتجربة دقيقة ورأي وافر ووسائط نقلية تامة ليتمكن الموظف بواسطتها من التنقل لاي جهة كانت من المنطقة
يؤخذ من القيود الرسمية التي اخذناها من ادارة الطابو ان مساحة القضاء تبلغ (٣٤٧٩١٩) دونمًا وهي منقسمة على الصورة الآتية :

المساحة باعتبار الدونم	نوع الاراضي
١٢٠٠٤٠	اراض قابلة للزراعة
١٢٧٧٧٩	« غير قابلة «
٣٤٧٩ ٩	المجموع

اما الاراضي القابلة للزراعة فهي منقسمة ايضاً على الوجه الآتي (وذلك عام ٣٣١)

المساحة باعتبار الدونم	المحاصيل المزروعة
٥٦٥٠٠	ما يزرع قمحاً من الاراضي
٣٣٥٠٠	« شعيرًا « «
١٤٨٠٠	« ذرة بيضاء «

٢٢٧٠٠	ما يزرع سمسماً من الاراضي
٠٠١٢٠	〃 〃 ذرة صفراء 〃
١٠٠٠٠	〃 〃 شجر زيتون
٠١٠٠٠	〃 〃 شجرتين 〃
١٣٨٦٢٠	المجموع

وعلاوة على ذلك فانه يزرع في السنة ٤٠٩٧٠ دونماً فولاً وعدساً وبطيخاً وفاكهة وبذلك يبلغ مجموع مساحة الاراضي التي تزرع (١٧٩٥٩٠) دونماً من اصل (٢٢٠١٤٠) دونماً وهي الاراضي القابلة للزراعة

ولقد كانت المزروعات عام ١٣٣٠ على الوجه الذي ذكرناه انفاً الا انه زرع سمسم ايضاً في ٣٩٠٣٤ دونماً

اما الـ (١٢٧٧٧٩) دونماً غير القابلة للزرع فان ٢٠٥٠٠ دونم منها احراج و ١٩٨٠ دونماً منها مراعي ٠ وفي كافة القضاء ٢٧ حرشاً وتبلغ حاصلات الاحراش الاميرية سنوياً (٨٧٠٢٩) قرشاً

ويظهر من الجداول الآتية مقدار الخسائر التي احدثها الجراد في قضاء حيفا

المحصولات الزراعية العمومية عام ١٣٣٠

باعتبار الاوقة	
٥٨٣٣٠٦٨	قمح
٣٨٦٣٨٤٠	شعير
١٢٥١٠٠٠	سمسم
١٦٤٨٠٠	عنب
١٥٠١٦٦٠٨	المجموع

المحصولات الزراعية العمومية لعام ١٣٣١ (اي سنة الجراد)

باعتبار الدونم	
٤٠٩٦٨٠٠	قمح
٢٢٧٥٠٠٠	شعير
٧٠٠٠٠٠	ذرة بيضاء

٦٨١٠٠٠	سمسم
٠٠٠	زبيب
٧٧٥٢٨٠٠	المجموع

وقد تبين من الجدولين اللذين ذكرناهما آنفاً ان آفة الجراد احدثت تأثيراً سيئاً في المزروعات فانقصت محصول عام ١٣٣٠ مقدار النصف عن مثله في السنة السابقة · وقد حصل نقص في بدل الاعشار وقدره (٣٦١١١٩٢) غرشاً

الحيوانات الزراعية — هذا احصاء الحيوانات الزراعية في قضاء حيفا لعام ١٣٣٢

عدد	
٠٢٩٣	حصان
٠٠٦٢	بغل
٤١٦٩	بقر
٠٠٠٥	جاموس
٠٣١٦	فرس
٠٣١١	جمل
٠٢٩٢	حمار
٠٠٣٠	عجل
٠٠٠٩	حصان (جنس)
٠٢٥٩	فرس (جنس)
٥٧٤٦	المجموع

ولم يدخل في هذه الاعداد الحيوانات المملوكة والتي لم تبلغ الثالثة من عمرها

(الواردات العمومية والخصوصية في قضاء حيفا) — ان الواردات العمومية التي حصلت عام ٣٣١ في قضاء حيفا هي ٣٨٣٦١١٤ غرشاً وبلغت مصارف القضاء ١٥٨٣٨٤١ غرشاً اما واردات المحاسبة الخصوصية فهي ٤٥٦١٤٣ ومصارفها ٢٧٧٩٠٠ غرش

[٨] — الآثار العتيقة في قضاء حيفا — يوجد في الجهة الجنوبية الغربية من قصبة حيفا وعلى ساحل البحر منها مركز لناحية يسمى قيساريه · ولهذه البلدة اهمية تاريخية كبرى · فان هذه القصبة التي انشأها بعد الميلاد بعشر سنين (هرود الكبير) الروماني احد ملوك بني اسرائيل

الذين كانوا تابعين للحكومة الرومانية في زمن (اوكوست قيصر) — كانت تسمى (قيصر Cesareé) . وبعد الميلاد بعشرين سنه اتخذها الرومان وباعتبارها عاصمة للقطعة الفلسطينية على ان تكون مركزاً للمطران . وقد اكتسبت اهمية جداً ايام الحروب الصليبية فكانت تقع تارة بيد المسلمين وطوراً بيد الصليبيين وقد خربت عدة مرار حتى اصبحت في حالتها اليوم اكوام فلاحين وآثار فرنجة وعرب ورومانيين وبقايا سور مهدوم وقلعة باقية للناظرين . وقد ظهر عام ١٣٢٠ ماليه حجر كبير طوله متران وعرضه متر واحد وقد كتب عليه باليونانية باربعة اسطر او خمسة هذه العبارة (اوجد من قبل بالطريارتوس تاحليف) . ولا تزال آثار قناتين للماء باقيتين وهما خربتان وربما كانتا مبنيتين قبل ١٤٠٠ سنه . ومن المحتمل ان توجد آثار كثيرة اذا بحث عنها في المعبد الذي انشيء قبل الميلاد

٤ — الاحوال الاجتماعية في حيفا

(١) — الحياة الاجتماعية العمومية في حيفا — تبين من الاحصاء الذي وضع لعام ١٣٣٢ ان في قصبة حيفا ١٠٤٤٧ شخصاً نصفهم مسلمون والنصف الآخر مسيحيون ويهود . لا يمكنك ان تجد قصبة يظهر التناقض والفرق الغريب في حياتها الاجتماعية مثل حيفا . ويكفيك للوقوف على ذلك أن تقف في زاوية من زوايا اي سوق من اسواقها وتنظر الى حالة الذين يذهبون ويجيئون فلا يمكنك ان تجد حينئذٍ وصفاً مميزاً يشمل الهيئة العمومية لسكان حيفا . فهي قصبة مختلطة من كافة الملل

تظهر هذه الحالة اولاً في طرز اللباس فتجد من المتخطرين في الاسواق اناساً بسراويل وبقمصان وبغنابيز وببانطلونات وبجبب وبعمائم وبقبعات وبطاقيات وبرابعية وبعرقيات وبطرابيش وبما يقرب من ذلك . فاذا تصورنا هذه الانواع التي ذكرناها واردنا ان نجمعها يظهر لنا التناقض الغريب في القيافات

وبقدر التبدل في القيافات يوجد تبدل في الشخصيات . فيمر من امامك بحار او صياد وقد لبس سراويله واطلق لساعديه الحرية يهتزان كيف يشاءان ثم يأتي بعده موظف في البنك وهو مرتد رداء (بونجور) اللطيف ومن ورائه راهب اختيار . ثم تلميذ شاب . ثم شيخ متعمم . ثم ضابط ثم . . . ثم . . . الخ

تمر امامك هذه الاشخاص مرّ السحاب وكأنها تعرض في (السينماتوغراف) واصوات السنتها

المتبلبلة تطرق سمعك فواحد يتكلم الفرنساوية وآخر الانكليزية او لساناً اوربياً آخر كالالمانية او العبرانيه و الاشكنازية . ثم تسمع العربية و التركيه حتى ان اللسان الفارسي موجود في حيفا

اذ اردت ان تتصور ايضا الفرق في اللهجات نسلم معنا ان هذه البقعة من الاراضي التى لاتتجاوز مساحتها الكيلومترين قد انقلبت الى محشر عظيم جمع كومات من بني البشر . فالقروي يتكلم بالعربيـة والعالم ينطق بفصاحته ونحوه العربي . ثم تسمع عربية لبنانيـة ثم لهجة نابلسية . . . الخ . ولما كان اطلاق وصف اساسي معين جامع لهذه الكتلة البشرية غير ممكن مطلقاً فان من الطبيعي الاعتقاد بانه لم يبق في قصبة حيفا شـيء من الموروثات . ان حيفا اليوم ملتقى الشعوب والاقوام الآتين اليها من انحاء العالم وقد استحضر كل فريق منهم شيئاً من خصائص محيطه القادم منه . حتى انك لاتجد في المسلمين والمسيحيين المستوطنين منذ عصرين تقريباً صفات وخصائل ووضعيه متناقلة فيما بينهم . ولهذا لا يمكن ان توجد في حيفا لهجة عربية او مزية خلقية او خصوصيـة او اثر صنعة معروفـه مثـل باقي القصبات الساحليه . ورغماً عن هـذا فان في حيفا جمعيات بشرية قد افترقت عن بعضها تمام الافتراق في المعيشة وفي الحياة الاجتماعية وفي مراكزها الحاضرة والمستقبلة . ويمكننا ان ندرس هذه الجمعيات البشرية الانواع الآتيه :

(١) المسلمون (٢) المسيحيون الوطنيون (٣) اليهود (٤) الالمان

وبعد الكلام عن هذه الجماعات نتكلم عن الدينيين والبهائيين) وهم الاعجام الساكنون حيفا

(٢) الحياة الاجتماعية في اسلام حيفا — ان الكتلة الاسلامية في حيفا هي احط الطبقات واضعفها من جهة الحياة الاجتماعية العمومية ورغماً عن ان عدد المسلمين هنـا يبلغ الاربعة آلاف وخمسمائة وهم نصف الاهلين في حيفا ولكن ليس لهم مقام او وجود . ويكفيك للوقوف على حالة المسلمين في حياتهم الاجتماعية وفي معيشتهم ان تتكلف مشقة الذهاب الى محلتهم التي يقطنونها

ان الجهتين الشرقية والغربية من حيفا لطيفتان طاقتا الهواء وان احط المحلات واقذرها هواء هي محلة (وادي الصليبة) فهي بعيده في بطن الوادي وهذه هي محلة المسلمين . ان ازقة هذه المحلة موجبة للخجل في بلدة مثل حيفا لمعاصرة تركت هذه الازقة على حالها الصخرية فتفتت تلك الصخور [illegible] واصبحت طرقاً اشبه بطرق [illegible] . ولا يمكن للانسان [illegible] كثيراً ليمنع عن نفسه استنشاق الروائح الكريهة الخارجة من الاقذار والاوساخ [illegible] اصحاب الدور امام ابوابهم وعلى طرفي الطريق اما مياه [illegible] ومياه الصابون لوسخ فانها تنصب احياناً في الازقة اما من

الميازيب او من اطراف الابواب . ويظهر على هذه الدور من خارجها انهـا متلاصقة ببعضها مظلمة عفنة قذرة

امـا مسئلة الحجاب هنا فلها اشكال غريبة جدًا . ومهما يصـل لايدي المسلمين من صناديق الكاز القديمة ومن التنكات القذرة ومن الملاحف القديمة المرقعه فانهم يجعلونها استرة لابوابهم ونوافذهم . وحين مرورك من محلة المسلمين لابد وان يتخايل لك من وراء هذه الستائر الوسخة شكل امرأة فتطل تلك المرأة برأسها وتريك وجهها ثم تجلس القرفصاء . وتستر نفسها فتظهر عليك حينئذ من اسفل الستار . وترى من جهة اخرى صبيان المحلة يأخذون شيئا من الفضلات القـذرة الملقاة امام الابواب ويتراشقون بهـا على سبيل الممازحة . ثم يطلع عليك من آخر الابواب رجل بسرواله الابيض مكشوف الرأس عاري الرجلين من الستار وبيده اما سلة وسخه او صحن قديم

وفي المحلة الاسلامية دور عظيمه صرف عليها الوف من الليرات ولكن امـام الدار مملوء بالاوساخ والاقذار . وتوجد في حيفا عـدة اسر مثرية من المسلمين ولكنها لا تنفك عن النزاع فيما بينها على التسابق بالنفوذ والاستيلاء على المراكز . فلا يتصورون حيفا وتوابعها الا مأكلة لهم . وهذه هي العلاقة بينهم وبينها

اما الاكثرية العظيمه من بقية المسلمين في حيفا فابناؤها من ارباب الصناعات العادية واكثرهم بحارة اوصيادون اواصحاب زوارق . وقسم قليل منهم باعة توتون وحمص (قضامه) وخضريه واصحاب قهاوي او منجدون وامثال هذا من ارباب الصناعات الصغيرة . ويشتغل قسم من البحرية بالتهريب . وزمن الشغل لهذه الطبقة محدود جداً . فلا يكادون ان يستحصلوا قوتهم اليومي وهم لا يسعون وراء شيء آخر . فيذهبون الى القهاوي ويتجمعون هناك ويدخنون بالاراكيل . امـا الحياة العائلية والنظر في المستقبل ومسائل الذوق والعلم والصناعة فهي من المجهولات والمعدومات فيما بينهم . تنقضي حياتهم بعذاب اليم ولا شبهة بان الصبي منهم لايصل الى الثامنة عشرة او العشرين من عمره حتى يتزوج بامرأة لا يعرفها فتلد له عدة اولاد في سنين قلائل . فيصبح هو وزوجتـه واولاده محرومين من نور العلم او حائرين على بصيص ضئيل منه . لا اثر للنظافة او الطهارة في دارهم . الشقاق والضوضاء مستحكمة دائمًا فيما بينهم . الفقر مستولٍ عليهم . ليس بين المسلمين تبادل بالزيارات ولا مأوى لهم ولا مكاتب منتظمة عندهم . التشكيلات الاجتماعية معدومة فيما بينهم وعلاوة على ذلك فهم مبتلون بعلة شراب المسكرات . حتى ان صـرفيات المشروبات في حيفا تستلفت النظر وتوجب الاستغراب . ففي حيفا نفسها ٤٠ حانة . اذا كان تنازع البقاء والاصطفاء قانوناً طبيعياً في الحياة وبقيت هذه الكتلة الاسلامية على حالتها الحاضرة فانني احسب من السذاجة

والبساطة في العقل الاعتقاد بان هؤلاء سيفوزون او سينهضون في المستقبل ، لو لم يكن هواء حيفا جيداً وماؤها محفوظا بسبب وجود بئر في كل دار لكان يقضى على هذه الكتلة الاسلامية بالذبول والانطفاء منذ زمان قديم امام الشعوب والعناصر الاخرى الساكنة حيفا

ولقد ظهر من الاحصاآت غير الكافية التي وضعتها دائرة النفوس ان تزايد المسلمين في خمس سنين كان بدرجة الخمس اما التزايد في الامم الاخرى فكان بدرجة النصف ولا ريب ان عاقبة هذه الحالة وخيمة جدًا

ان المسلمين في حيفا — باعتبار اخلاقهم مسالمون ومستسلمون فقد القوا كل شيء على كواهل القضاء والقدر • وترى النفس يتردد في حناجرهم وهم عاطلون لا يعملون شيئاً في مثل حيفا التي تجلت فيها المدنية على قدر امكانها • وان فقر الدم في الدور الاسلامية وخصوصاً بين النساء امر يستجلب النظر . ولكن فقدان الشبوبية وظهور علة فقر الدم بين الرجال حالة اشد ايلاماً وهي جديرة بالالتفات والاعتناء

اراد المسلمون بعد انقلاب (٣٢٤) ان يظهروا انتباههم قليلاً فالفوا لانفسهم جمعية سموها (الاخاء الاسلامي) وحفظاً لحالتها الملية افتتحوا صيدلية وحانوتين لصنع الاحذية • وبعد مدة قليلة انحلت عرى الجمعية • ولم تثبت جمعية (نهضة التمثيل الادبي) التي تأسست للسعي وراء احياء التمثيل . واغلق (مكتب النهضه) الذي اسسته هذه الجمعية • وترى رجال المسلمين اليوم يأوون الى حوانيتهم المنحطة السافلة او الى قهاويهم المملوءة بالروائح الكريهة اما نساؤهم فيتركن حياتهن وسط الرطوبة والعفن . واطفالهم يموتون بين الاكواخ السافلة

(٣) — المسيحيون الوطنيون في حيفا وحياتهم الاجتماعية — ان المسيحيين الوطنيين في حيفا يأتون بالدرجة الثانية بعد المسلمين باعتبار الكمية فيقرب عدد هؤلاء من عدد المسلمين • وقد جاء في احصاء عام ١٣٣٢ ان عدد المسيحيين الوطنيين هو ٤٢٨٣ شخصاً

يقيم هؤلاء في الجهة الغربية من حيفا في الدور التى بنوها لانفسهم نظراً لمساعدة الحالة المالية • ومع هذا فانهم ليسوا ارقى درجة من المسلمين من حيث الموقع والحياة الاجتماعية . فدورهم مفروشة على الطراز الشرقي وعيشتهم على الطرز الشرقي • غير ان الصناعات التى يشتغلون بها هي ارقى درجة من الصناعات التي يشتغل بها المسلمون • فالمسيحيون في حيفا يشتغلون بصنعة البقاله . والمعاريه • وتبليط الطرقات ونحت الاحجار • ويشتغل قسم من المارونيين بمهنة الحوذية • ومع هذا فان القسم الاعظم من الروم الاورثوذكس ومن الكاثوليك اصحاب ثروات حتى ان بينهم من يحسب من الاغنياء الكبار . فتقدر ثروة الواحد منهم بستين او سبعين الف

ليرة وربما زادت ثروة الواحد منهم على مائة الف ليرة ما بين املاك واراض . اما الذين تتراوح ثروتهم ما بين ٥٠٠ و ٢٠٠ ليرة ويشتغلون بالتجارة فهم كثيرون . يشتغل هؤلاء دائماً باعمالهم واشغالهم باذلين جهدهم وراء انماء رؤوس اموالهم . اما من وجهة المعيشة العائلية فهم ارقى من المسلمين بدرجات . فاذا دخلت داراً من دورهم تجدها نظيفة . وان يكن الفقر ظاهراً عليها ولكنها مرتبة واشياؤها حسنة الوضع والتنميق . نساء الدار واطفالها يحسنون المحادثة والتكلم . ليس في الدار ضرة ولا حماة ولا ابنة عم . فالدار خالصة من شائبة الضوضاء والجلبه . فلا تتشكل اسرة جديدة حتى تكون لها دار مستقلة . لا يستعجل الشبان بالزواج لا يقدمون عليه حتى يكون لهم رأس مال يكفيهم . ووالدا الزوجين يسعفان العروسين مالياً بنسبة استطاعتهما المالية . ويجتهدان لادامة حياة هذه الاسرة التى ارتبطت ببعضها حديثاً

وبسبب تبادل الزيارات بين الطوائف اليسوعيه نساء ورجالاً صغاراً وكباراً . فانك ترى افراد هذه الطائفة مرتبطين ببعضهم حسب مقتضيات الحالة المدنية والاجتماعية . ولا تجد امام دورهم كومات الاوساخ . اولادهم واطفالهم لايطوفون في ازقة المحلة . غير ان الرجال منهم منهمكون مثل المسلمين بالمسكرات . ويعتقدون انهم يستعملون المشروب ضمن دائرة معقولة . تخرج نساء المسيحيين الى الاسواق متحجبات مثل المسلمات . ولكن الفرق بين الطرفين عظيم . غير انه يجب علينا ان نعترف بان هذه النهضة الظاهرة في الطائفة المسيحية لم تأتِ عفوا وبلا سبب . فان المسيحيين في حيفا ليسوا خلواً من المسعف والمساعد مثل المسلمين . ولا يخفى على احد ان كثيراً من الجمعيات النصرانية التابعة لمركزها العمومية في اوربا قد اسست شعبات مهمة في فلسطين وسورية ولم تأل جهداً وراء نشر مبادئها ففتحت المكاتب والمستشفيات ودور الايتام ودور العجزه وامثالها من المؤسسات الخيرية . وتوسلت ايضاً بالوسائط النشرية والتلقينات الدينية التي يقوم بها الرهبان وبذلك استنارت الافكار وتفتحت الاذهان من جهة واستفادت الجمعيات من النجاح في خطتها من جهة اخرى . ومن هنا تنمو جذور الهمة والنهضة التى تظهر على المسيحيين في حيفا اكثر من المسلمين . على ان الامم المسيحية في جميع انحاء سورية وليس المسيحيون في حيفا فقط هم ارقى فكراً من مجاوريهم المسلمين . ويبلغ عدد الجمعيات الاجنبية الثانين (١) تلك الجمعيات التي تسعى وراء تنوير افكار المسيحيين خاصة في سورية وتوحيد آمالهم وغايتهم واذا مكنتها الفرصة فانها تسعى وراء تقريب المسلمين الى الغاية التى تسعى اليها

---

(١) راجع الصحيفة (٢٢—٢٩)

ولكل طائفة يسوعيه سواء كانت وطنية او اجنبيه تشكيلات دينيه خاصة بها تعمل بجد في سوريه وفلسطين.
علاوة على تلك الجمعيات الاجنبية القائمة بكنائسها ورهبانها وراهباتها والقائهم التي ليس لها حد

وفي حيفا ستة من هـذه الجمعيات تعمل بواسطة مكاتبها ومؤسساتهـا ووسائطها الاخرى . وبسبب ذلك فقد انتشر اللسان الاجنبي وتعممت الافكار الاجنبية بدرجة واسعه .
والدليل على ذلك ان ثمانين في المئة من الكاثوليك في حيفا يعرفون اللغة الفرنساوية

ولقد كان الروم الاورثوذكس حتى السنين الاخيرة يرسلون اولادهم الى مكاتبهم الخصوصية ويهتمون بتعليمهم اللغة اليونانية . ولهذا كان الذين يعرفون الفرنساوية او لغة اجنبية اخرى من بينهم قليل بالنسبة لغيرهم من الطوائف ولا يزيد عدد اولئك على خمسين من بين ثمانمائة شخص

وللمسيحيين الوطنيين في حيفا مطابع وصحف . ويعتبر ان الحياة الفكرية الوطنية والنفوذ المعنوي في ايدي اصحاب مطبعة الكرمل والمطبعه الوطنية ومطبعة النفير وهم مسيحيون وكذلك صاحب جريدة الصاعقة التي كانت تصدر قبل الحرب مرتين في الاسبوع في حيفا . وصاحب جريدة النفير الاسبوعية . وصاحب الكرمل النصف اسبوعيه ومحرروها ايضاً مسيحيون وطنيون

[٤] — اليهود في حيفا وحياتهم الاجتماعية . والعمل اليهودي — يجب علينـا ان لا ننظر بعين الاعتبار بل ان لا نصدق احصاآت النفوس المعهودة بحق عدد نفوس اليهود في حيفـا . فان عدد اليهود في حيفا هم اكثر بلا ريب من (٣١٤) شخصاً . ويقدرون عدد اليهود ما بين سفادر واشكناز بالف شخص تقريباً وربما كان عدد اليهود في احصاء النفوس الرسمي ما بين وطنيين واغراب يقرب من ستمائة شخص

ومن هؤلا السفاديون (اليهود الوطنيون) فانهم يسكنون حيفا منذ القديم . وهم لايزيدون على خمس اسر او ستة ويسكنون في محل راطب قذر . وهم ساقطون جدًا في حالتهم الاجتماعية

اما الاشكنازيون فليسوا كذلك فهم يتطنون القسم الغربي من حيفا في محلات جديدة ويشتغل اكثرهم بالتجارة وهم مفطورون حسب طبيعتهم على العمل وحب الاقتصاد للغاية . ولذلك تراهم يتمكنون بهذ الواسطة من بيع الامتعة التجارية باسعار اقل من الاسعار التي يبيع بها التجار المسلمون والمسيحيون ذلك النوع من السلع . ولقد اوجب سعيهم ونشاطهم في المسائل التجارية تيقظ العالم التجاري المسيحي واهتمامه بهذا الامر . وبسبب تعصب اليهود واصرارهم على حصر الاخذ والعطاء فيما بينهم وعدم ابتياعهم شيئاً من غير ابناء دينهم فان تجارتهم راجت رواجاً غريباً . ويزيد على ذلك احرازهم وسائل مهمه جدًا مسعفة لترقي تجارتهم وغنائها . فمنك (انكلو فلسطين) « The Anglo Balestine Company . Limited »

الذي فتح شعبة في حيفا هو بنك يهودي تقريباً . وجميع مأموريه وموظفيه من اليهود . ويشتغل البنك المذكور بالاعمار والتجارية مع اليهود حتى الذين تقل رؤوس اموالهم عن الخمسمائة ليرة . ولا يشتغل مع غير اليهود مطلقاً . ومن جهة اخرى فان هذا البنك يبتاع اراض واملاكاً وامثالها ويعطيها لليهود ويقرضهم علاوة على ذلك مبالغ من المال فاليهودي ينشأ لنفسه داراً ويؤدي مصرفها مقسطاً على سنين طويلة . وبهذه الواسطة فان سعة اليهود المالية والتجارية تزيد وتنمو يوماً بعد يوم في حيفا وفي سائر انحاء فلسطين

قلنا حين الكلام عن الشعب الكبيرة لليهود في سوريا وفلسطين ان مركز جمعية (ايقا) هو حيفا . فان هذه الجمعية استأجرت قبل بضع سنين بناية في محلة الالمان في الجهة الغربية من حيفا باجرة سنوية قدرها ١٥ الف فرنك واتخذت تلك البناية مركزاً ادارياً . ويقيم الرئيس الموسيو وزنيق في هذا المحل . وفي معية الرئيس معاونان وكاتب . ويشتغل احد هؤلاء الموظفين بصورة دائمة في الدوائر الرسمية بتعقيب اشغال اليهود ويتوسل بكافة انواع الوسائط ويجتهد لانجاز اشغال الموسويين قبل غيرها فترى كاتباً من هولاء اما امام مجلس الادارة او المحاكم او الدوائر الصحية والعسكرية . وينتقل من دائرة الى دائرة واذا وجد لزوماً فانه يذهب من قرية الى قرية ومن قضاء الى قضاء

سل احد الوجهاء في حيفا عن هذه الحالة فانه يشرح لك صدره ويقول :

(ترى الكاتب منحنياً بصورة دائمة انحناء الاستعطاف والرجاء ولكن يده في جيبه ... ومن المحال ان تجد دعوى او مسئلة لم تفصل في جانب اليهودي او لم تحل على غير ما يرضى به . ولا رجاء للمأمور بالبقاء في اي محل كان اذا لم يكن اليهود راضين عنه بل لا يمكن لذلك المأمور ان يبقى في محل مأموريته . فاذا وقعت مسئلة ليهودي يفتكر المأمور اولاً ثم ترتعد فرائصه . ويبذل اليهود غاية جهدهم لتوظيف المختصين بهم في كل حال . ولم يكن لليهود حتى زمن قريب عضو في مجلس ادارة حيفا ثم انتخب لهم عضو في السنة الاخيرة وهذا الامر جار في كل مكان)

نعم ان الحالة الفكرية ودرجة التحصيل بين اليهود مرتقية على قدر الامكان وبسبب ذلك وبما يعرفونه من اللغات المتعددة وبما عندهم من العقاقير الناجعة لكل نوع من انواع الامراض تراهم موفقين وناجحين في محيط الارض المقدسة خصوصاً . لا يغفل اليهود عن اتخاذ كافة الوسائط للترقي والتكامل والازدياد والانتشار في هذه المحلات بلا صوت ولا صدى . ادخل اي مكتبة يهودية في حيفا وانظر فيها بامعان فتعرف لاول وهلة درجة الحياة العلمية

ومقدار القوة والهمة بين اليهود

تجد اولاً ان المكتبة مملوءة من ارضها حتى السقف بكثير من الكتب العبرانية ومن بينها التوراة وتفاسيرها . التلمود . والقرآن . وكتب الكيمياء والحكمة الطبيعية . والكتب الرياضية والفنية ودواوين الشعر . وكتب النثر . ومقطعات الموسيقى . فكل شيء موجود . وكل شيء فيها مطبوع طبعاً لطيفاً

ثم تجد ستائر الخوانات وعلب السيكارات والكبريت ومرايا صغيرة . ومهما تجد هناك من الاشياء الصغيرة اللطيفة والكثيرة الاستعمال فانها جميعاً من صنع اليهود وقد كتب عليها بالاحرف العبرانية

ثم تجد في المكتبة بطاقات بريدية (قارت بوستال) لا تعد ولا تحصى . ومجموعات البطاقات عبارة عن تاريخ عموم عبراني . وعن جغرافيا عبرانية . وعن هيئة اجتماعية عبرانية : رسوم ابناء بني اسرائيل ومشاهيرهم . رسوم بلدانهم التاريخية المشهورة في الارض المقدسة . رسوم المباني العبرانية القديمة . رسوم الوقائع العبرانية العظيمة . وترى من جهة اخرى رسوم المظالم والاعتسافات التي لاقاها اليهود في روسيه ورسوم المهاجرة والتسأل وصنعة ترقيع الاحذية وغير هذا من المشاهد التي تدل على السفالة والاضمحلال وقد امتلأت بها انحاء المكتبة ثم ترى رسوم المستعمرات العبرانية في القرون الماضية . ورسوم الشعراء وارباب الصنائع في الوقت الحاضر . ورسوم مشاهير السياسة مثل هرفيل وماقس نورداو ورسوم كافة المتقدمات العنصرية وقد امتلأت بها جدران المكتبة . . . ثم ترى الرسوم الزراعية في الحالة الحاضرة ورسوم المكاتب المنشأة على الطرز الجديد ورسوم الدور المتمدنة ورسوم الاسر الساكنة فيها وقد امتلأت بها ارجاء المكتبة . . . وترى فوق ذلك رسوماً ثمينة قد صورت الغاية اليهودية بشكل يكفي لهيج الروح العبرانية النظر اليها . فاذا امعنا النظر بهذه البطاقات البريديه وبتناقلها بين الايدي . وبهذه الرسوم التي تزدان بها الدور والصدور . وبما يلقى في ارواح النسل الجديد من التلقينات العنصرية — نعرف حينئذٍ حالة اليهود الاجتماعية في حيفا . وتنكشف امامنا بصورة واضحة الغايات اليهودية العظيمة

[٥] — الالمان في حيفا وحياتهم الاجتماعية — في القسم الغربي من حيفا محلة عامرة ولطيفة جدّاً احاط بها جبل الكرمل والبحر من جهتيها . قامت هذه المحلة الواسعة على طريق طويلة غرست على طرفيها الجنائن وعلى الجانبين من تلك الطريق دور حجرية متينة ذات طبقتين مبنية على طراز واحد . ولكل دار حديقة من ورائها وقد زرعت الباحات امام الدور على

طول الطريق باشجار التين احياناً وباشجار السرو والصنوبر تارة . وفي الاقسام الداخلة بين هذ الصفوف الشجرية تمتد طرق صغيرة فتتألف منها ثلاث طرق متوازية تماماً للجادة العامة الطويلة . وبذلك تتكون طريق كبرى (بولوار) لطيفة للغاية . فرشت الارض امـام الدور بالاحجار الصغيرة او بالصدف الابيض . مزروعات الجنائن لطيفة وداخل الـدور لطيف . واذا مررت في هذه الطريق لا تسمع الا عزفاً على البيانو او غناء بالسنة متعددة او انك ترى على الشرفات او في النوافذ اسراً سعيدة كباراً وصغاراً تسرح الطرف في تلك المناظر البديعة . امام الدور فسحات واسعة . وحدائق الدور لطيفة . واهل الدار نظفاء . وتقوم بين الدور غرف كبرى من متممات الدور يتخللها الهواء والضيـاء . وهي حوانيت على الطرز الجديد . وفي الباحة القائمة في طرف النقطة الوسطى من هذه الجادة رصيف صغير . وعلى جبل الكرمل عمود حجري مطـل على منتهى الطريق . هذه هي محلة الالمان التي تزداد لطفاً وظرافة منذ ثلاثين او اربعين سنة . وقد اقام الامبراطور هذا العمود الحجري المشرف على المحلة الالمانية وكُتب عليـه اسم الامبراطور والامبراطورة وتاريخ (١٨٩٨)

وبسبب السهول الوسيعة القائمة في الجهة الغربية من محلة الالمـان كما ذكرنا ذلك قبلاً وبواسطة انفساح الجهة الغربية من الـدور اصبحت محلة الالمان نظيفة للغاية ويتخللها الهواء . وفي الوقت ذاته فانها الطف محل في الدنيا . يعيش في هذا المحل ٥٠٠ الماني ومنهم تتألف المستعمرة الالمانيه في حيفا

منشأ هؤلاء الالمان ايالة وورتنبرغ . اتخذ اليهودي (هوفمان) واليهودي هاردك وكلاهما من اهالي وورتنبرغ على عهدتهما عام (١٨٦٠) جعل الديانة البروتستانيـة على شكل جديد والفا جمعية تامبليه Templiers ومذهب هؤلاء اكثر محافظة بالنسبة لمذهب لوتر . وقد اراد الالمانيون منع هذا المذهب فجاء هؤلاء الى ارض فلسطين عام ١٨٦٤ . وفتشوا على محل يقيمون فيه مذهبهم بحرية تامة فانتخبوا حيفا وعلى اثر ذلك عادوا الى المانيـا واخذوا بالتشويق والترغيب . ولمـا قبل قسم من اهـالي وورتنبرغ المجيء الى الارض المقدسة بدأت الهجرة عـام ١٨٦٤ ومن ذلك التاريخ بدأوا باشتراء الاراضي . واصبح الذين هاجروا حباً بالمذهب الجديد ميـالين الى التجارة . فبدأ من ذلك الوقت دور الاستعمار . وليس في هذا المذهب اكراه او اجبار حتى ان قسماً من اولاد (التامبليه) دخلوا في البروتستانيه . ويوجد منهم اليوم في مستعمرات حيفا وبيت لحم وام العمد . وطيره . ويافا وسورونه . وويلهمه — حميديه . ويشتغـل اكثر هؤلاء بالزراعه . والقسم الاعظم منهم يشتغل بالتجارة

يملك الالمانيون اكبر حوانيت حيفا ومخازنها الثمينه . ويشتغل بعض الالمانيـين بالتجارة وبالحوذيه . وقد فتح بعضهم نزلاً لطيفـه ومحلات لبيع البيره . ولا ريب ان المستعمرات الالمانية حسنة الاداره للغايه . والالمانيون هنا تابعون لتكاليف معينة امام مركزهم الاداري . ولهم بلديه منتظمة وميزانيه منظمه . وفي الوقت ذاته فلهم صنـاديق اعانه ومكاتب وامثال ذلك . فالالمانيون الذين يعيشون هنا هم مثال الاجتهاد والعمل . وقد بدأوا بالمسائل الزراعية بروؤس اموال قليلة . فاصبح اليوم بينهم اصحاب ملايين من اعمالهم الزراعية . ومن اولئك (كه للر) صاحب الاراضي في جبل الكرمل فانه لما جاء الى حيفا لم يكن في جيـ ى عشـر ذهبات فرنساوية وقد كان استدانها . لما توفى كان صاحب ملايين . ويملك اليوم دوراً واراض في المستعمرة تقدر قيمتها بالملايين ايضاً . ويقال انه كان يفتخر بان كل شجرة يملكها هي غرس يده . وفي الحقيقة فان الالمانيين هنا يشتغلون بايديهم ويعماون بانفسهم فترى المرأة والرجل وسائر افراد العائلة غيورين مجتهدين . وان ابن (كه للر) وهو (فريتس كه للر) يدير بذاتة معمل النبيذ في جبل الكرمل . ان جميع الالمانيين اليوم اغنياء . حتى ان افقر رجل منهم صاحب ثروة . وجميـع ثرواتهم هي اثر اجتهادهم وعملهم

وبقدر اجتهاد الالمانيين الذين يعيشون هنا فانهم مسعفون لبعضهم . ويبذلون غاية جهدهم للمحافظة على المستعمرة الالمانية . وقد عقد جميع المنتسبين للمستعمرة اجتماعاً قبل عشرين او ثلاثين سنه وتعهدوا بانهم لايبيعون شيئاً من الاراضي المستعمرة لاحد من الخارج . ولم ير حتى الآن انهم باعوا شيئاً من اراضيها لغريب عنهم . ولهذا التعهد تدابير مانعة ايضاً فاذا باع احد ارضاً لآخر من غير المستعمرين فانه مجبور على ان يدفع خمسة وعشرين في المئة من ثمنها لصندوق المستعمرة

وان اكبر مزايا الالمانيين المقيمين هنا هي التواضع وعدم الانخداع بالظواهر . ولذلك ترى النساء والرجال وجميع الالمانيين في المستعمرة يلبسون البسة لطيفة ولكنها نظيفة . وهم يقولون ان الالبسة ليست للذوق والفكاهة بل هي للفائدة

واتباعاً لهذه المزيه الخاصة فانقنصل الالمان في حيفا يجمع ما يحصل عنده من المزروعات في اراضيه ويضعها في عربة نقل طويلة ويسوقها بيده حتى يوصلها الى داره

لايحب الالمانيون في حيفا الحرية الزائدة في المدنية الاوربية . فهم متشددون قليلاً في اخلاقهم ولهذا تراهم لا يميلون لمراقص (بالو) ولا لامثالها ويمتنع عن ذلك الشيوخ منهم خاصة . والتابعون لمذهب (تامبليه) من الالمانيين هم اكثر تمسكاً بدينهم من البروتستان . غير ان تدينهم لا يصل في زمن من الازمان الى درجة التعصب

ان تحصيل جميع الالمانيين هنا جيد فلا يمكنك اولا ان تجد شخصاً بينهم لايقرأ ولا يكتب وفي المستعمرة هنا مكتبان احدهما للمتبعين مذهب (تامبليه) والثاني للتابعين المذهب البروتستاني اما مكتبهم من درجة (ره آل جمناز) فهو في القدس

يشتغل الالمانيون هنا في زراعتهم على حسب القواعد الفنية و ستعملون الآلات الزراعية الفنيه وهي من آخر طرز . وتراهم لاينفكون عن تقليد التمدن الغربي

يرسل الاغنياء من بينهم اولادهم الى المانيا للتحصيل والتعلم . ويكثر بينهم عدد الشبان الذين ذهبوا الى اوربا واكملوا فيها تحصيلهم العالي وخصوصاً فن الهندسة . وفن هندسة الماكنات والآلات . وفن الزراعة

الالمانيون في اعمالهم واشغالهم قرويون . وفي دورهم ابناء مدن اكثر من فريق عظيم من ابناء المدن عندنا . وفى دورهم انتظام مدني . وفي معيشتهم العائليه محبة متقابلة وصميمية مسعودة ويحبون الاستكثار من الاولاد ولا احلى واشهى عند المرأة الالمانية من ان تنظف ولدها مساء كل يوم وتضعه في عربته الصغيرة وتسير به في تلك الطريق السوية

الاسر الالمانية مقتصدة للدرجة النهائية فهي تسعى لاستحصال كل شيء بيدها فتزرع في حدائقها الصغيرة جميع انواع الخضر التي تستهلكها في سبيل احتياجاتها

الالمانيون مرتبطون بحوادث العالم فهم مشتركون باهم جرائد المسكونه . ولشبانهم نوادٍ تفتق افكارهم واذهانهم . فيوجد في حيفا النادي الالماني وجمعية الغناء المسماة (كه زانغ فراين) وجمعية الموسيقى المسماة (موزيق فراين) وفي حيفا جمعية « كه زانغ فراين » للنساء ايضاً . ولا يعملن شيئاً في هذه الجمعية سوى الغناء . اما جمعية « موزيق فراين » فهي خاصة بالرجال وهنا يعزفون على الخصوص بالصنوره (القلارنه)

وللالمانيين في حيفا دار للقرائه وتسمى (ارزن سرتر) وفيها مكتبة كبرى ويديرشؤنها الشبان وتسمح هذه المكتبة باخذ الكتب لخارجها للقرائة فيحق لمن يريد ان يستصحب اي كتاب شاء مقابل مدة بارة في الشهر . وترسل الكتب الى الاعضاء المقيمين خارج البلدة ايضاً

كان الالمانيون في حيفا معفوين من الخدمة العسكرية لانهم كانوا حماية ولما جعلوا من التبعة الالمانية بدىء بالتجنيد منهم ولكن الالمانيين المحميين ايضاً طلبوا من حكومتهم قبرلهم متطوعين في الجندية الالمانية فقبلتهم الحكومة الالمانية وهم اليوم يوفون الخدمة العسكرية في الجيش الالماني . ولما هاجر هولاء من اميركا كان قسم منهم من التبعة الاميركية وهم لا يزالون محافظين على تابعيتهم حتى الآن ويقال ان واحداً منهم هو قنصل اميركا في حيفا

يعتني الالمانيون جداً بمسائل السباق والرياضة البدنية فهم يرلون صباحاً ومساء الى ساحل البحر على الرصيف الصغير فيسبحون جميعهم نساء ورجالاً كباراً وصغاراً حتى ان البنات والصبيان ابناء الرابعة عشرة من عمرهم يطوفون بلا قلاشين وبنصف حذاء . و يصعد الالمانيون احياناً الى الكرمل ويعودون فيجرون طوافات جميلة ولقد اصبح من السعادة بينهم ان يزوروا ايام الاحد الاثر التاريخي المركوز في الكرمل . ويهتم الالمانيون بالرياضة المفيدة لصحتهم فيلعبون احياناً لعبة (لاون تهنيس) وامثالها . الالمانيون هنا نساء ورجالاً صحاح الاجسام ومع هذا فان رجالهم على العموم اجمل من نسائهم . فليس بين النساء تناسب ولا يظهر على وجوههم اثر للنحافة والرقة . وتبدو على كافة النساء هنا خشونة الرجال ورغماً عن نظافة الاطفال وعن صحة اجسامهم فهم غير متناسبين (Deformé) فواحد منهم ضعيف وآخر قصير وسمين وقسم منهم غلاظ الشفاه صغار العينين وقسم منهم منحط الصدغين عريض الذقن ومدورها . ومن المحتمل ان عدم الانتظام والترتيب في الاعضاء حاصل من انحصار الزواج في دائرة معينة فيما بينهم

يهتم الالمانيون هنا بالموسيقى من بين الصنائع النفيسة فالمسابقة والموسيقى هما المسئلتان اللتان لاينفك الالمانيون عن التسلي بهما

يقرأ الالمانيون كتب الادب و بين الالمانيين في حيفا من يقرأ مؤلفات الشعراء الالمانيين وارباب الادب فيهم بكل لذة . واللسان المتداول هنا هو الالمانية ولكن اللهجة لهجة (وورتنبرغ) و يكثر المتكلمون بالفرنسويه والانكليزية علاوة على الالمانية ورغماً عن ان معاشرتهم للعرب الوطنيين قليلة جداً فان القسم الاعظم من الالمانيين يتكلمون اللغة العربية العامية ويوجد بينهم الآن افراد قلائل يميلون الى تعلم التركية

وحاصل القول انه لا ريب بان هذا النسل العامل هو ارقى طبقة في حيفا سواء كان باعتبار معيشته او ثروته او علمه او معرفته

— ١٥ —

التدقيقات المحلية عن البابيين والبابية (١)

١ — البابيون في حيفا

كنا نسير صباح احد الايام في الجادة الالمانية فمرت بنا عربة كبيرة مستورة وفي داخلها رجل طويل شعر الرأس واللحية البيضاوين وعلى رأسه عمامة بيضاء رقيقة ملفوفة على طربوش ابيض

(١) ذكر في الصحيفة (١١ — ١٦) الكلام العمومي عن البابيين والبابية

وقد لبس جبة من (الالبكه) فمرت عربته وقد نظر الينا ذلك الراكب بلا اهتمام ٠٠٠٠ وفي يوم آخر كنا نتسلق سفح الكرمل فرأينا الرجل ذاته وهو خارج من دار مرتبة جداً ذات حديقة مغروسة بالازهار المتنوعة اللطيفة والمركبة بانتظاره امام الباب ويسير وراءه عـدة رجال لبسوا قلنسوات عجمية وعلى وجوههم تظهر آثار العجمية فاعتقدنا اولاً ان الرجل تاجر عجمي من الاغنياء

ومع هذا فقد سألنا و بحثنا فلم نقدر ان نأخذ نتيجة قطعية من الاجوبة المتناقضة التي اخذناها فمنهم المفرط الذي اسند للشيخ صفات كبرى وادعى وجود خاصيات فيه هي وراء الطبيعة

ومنهم المعتدل الذى وصف الشيخ بخلاف هذا تماماً فتكلم بما هو المعقول فقـال (ان العقل لايسلم باتصاف الشيخ بمثل هذه الاوصاف ولكن الرجل اكبر شيخ في الطريقة البابية بل هو رئيسها وللطريقة البابية (Babisme) ملايين من المريدين في اميركا وتسقط على الشيخ كل عام ميازيب الذهب من اميركا)

وزاد على ذلك احد ارباب الفضل فقال (لا . ان هذا الرجل ليس رئيس البابيين بـل هو رئيس البهائيين وله مريدون كثيرون من الاعجام في عكا ولكن نفوذه الاعظم في اميركا ٠٠٠ ولقد كان الشيخ مقيماً في عكا ثم انتقل الان الى حيفا وهو صاحب ثروة كبرى ومع هذا فـان تقدير قيمة املاكه واراضيه غير ممكن مطلقاً وان الذين حواليه هو صهره وتابعوه وحينما يمر الشيخ يحيونه جميعهم تحية اشبه بالركوع التام . وان نفوذ الشيخ عظيم جداً قدر ارتقاءه وعلمه وفضله وكمالاته) .

ان ايضاحات مخاطبنا عن (عباس افندي) او عن (عبد البها) كانت خير تسلية لنا ولكن يجب علينا الوقوف على موهبة هذا الرجل المبهم صاحب الدين والطريقة اكثر من الوقوف على شخصيته فاضطررنا لان نخالطه مباشرة حتى نقف على افكاره الدينية والفلسفية وعلى مذهبه وطريقته وعلى آماله وآرائه ٠٠٠٠ وعزمنا على التدقيق في شخصية هذا الرجل ٠٠٠٠وان وقوفنا على شيء من المعلومات الابتدائيـة بحقه تمكننا من اظهار عزمنا من حيز القوة الى حيز الفعـل . وبحثنا عن ذلك فكانت النتيجة التي حصلنا عليها هي خلاصة الايضاحات التي ذكرناها قبلا فيقال عن الرجل ما يأتي:

(اسم مؤسس هذا المذهب (الباب) . ظهر المذهب في طهران . ولما ادعى (الباب) انه باب الله وعلى رواية انه المهـدي افتى علماء الشيعة بقتله فقتل . ولما توفي ظهر (صبح الازل)

يظهر الخلافة له . وكان اخوه (البهاء) يقوم بوظيفة التبشير والاجواء فلم تقدر حكومة ايران ان تتحمل اعمالهم فنفتهم الى بغداد . وهناك لم يتمكنوا من الاقامة فنقلتهم الحكومة العثمانية الى ادرنه . ولما حصل خلاف بين (صبح الازل) و (البهاء) نقلت الحكومة (صبح الازل) واتباعه الى رودس و (البهاء) واتباعه الى عكا . وقد توفي البهاء في عكا بعد ان عاش فيها ثلاثين سنة تقريباً . فقام مقامه ابنه (عباس افندي) . وكان عباس افندي واتباعه يقيمون في عكا وليس لهم فيها تكيه خصوصيه . ولم يصدر منهم حتى الآن شيء يخالف الاسلامية مطلقاً . ويخمنون قيمة املاك عباس افندي واملاك اتباعه بعشرة آلاف ليرة . ويقال ان اتباعه لا يتجاوزون الخمسين او الستين وجميعهم اعجام . ويدعي هؤلاء ان المتبعين لهذا المذهب في القفقاس وقزان وايران واميركا يبلغون نحواً من مليوني شخص وان لهم مبشرين في كل جهة . اما عباس افندي فذكي مفرط وهو واقف على عدة لغات . وقد طاف مصر واميركا وباريس ولوندره والنمسا والمجر عام ١٩١٠ والقى هناك خطباً تكلمت عنها جميع صحف العالم . غير ان هذا الرجل يخفى دائماً شخصيته ولا يتكلم مدة وجوده هنا عن مسلكه الديني مطلقاً »

ولقد كانت هذه الخلاصة ثمينة لدينا جداً فاردنا ان نعرف الحقيقة عن امكان وجود اتباع له بهذا القدر ام لا . ولهذا اصبح من الضروري بعد هذا الاجتماع مباشرة مع هذا الرجل الذي يمر احياناً تحت ظل الخفاء من ازقة حيفا المتظلمة والنظيفة او يظهر مساء كل يوم تحت ظلال السرو او الاوقاليبتوس او في سفح من جبل الكرمل مطل على جميع الانحاء والاطراف

٢ — الاجتماعات البابية

[١] — الاجتماع الاول — ما سألنا احداً من الخارج عن هذا المسلك والمذهب ليكون لنا عوناً في تدقيقاتنا وتتبعاتنا الا و نحصر جوابه بذكر علم الشيخ وفضيلته ومدح ذكائه وعرفانه وفطانته . نعم ان البابية لم تتعد درجة الابهام الدائم في جميع الافواه . ولقد سألت رجالاً هم ارقى الناس بافكارهم في حيفا

— هل اجتمعتم بشيخ البابيه ? ماذا يقول هو عن طريقته ? . .

فقالوا بلسان واحد :

— اجتمعنا به كثيراً فالشيخ متواضع جداً حتى انه يستحي ان يتكلم عن طريقته . ولا تتعدى المناقشة في المجالس البابية حد تصريح الشيخ عن عقيدته الاسلامية وانه لايوجد فرق بينه وبين بقية المسلمين

ظهر من هذا ان الشيخ لا يصرح لاحد عن عقيدته . وحالة الشيخ في الخارج احتياطية تماماً ويحترمه كل شخص

لايمر على الذهن حالة مريدي هذا المذهب في آسيا واميركا ولو كانوا الوفاً الا ويشعر الانسان بلزوم التحقيق والتدقيق في حالة هذا الشيخ الذي كان بمثابة الخلاصة لافكار هذه الكتلة البشرية بل تدعو الحالة للبحث عن مذهبه وطريقته والنظر في العوامل التي تؤدي لكثرة اتباعه . فذهبنا الى قصره في سفح جبل الكرمل ففتح لنا الباب رجل يعرف من البسته انهُ من مريدي هذه الطريقة . واوصلنا الى غرفة نظيفة قد فرشت على الطراز الاوربي . وليس في جدران الغرفة شيء مطلقاً فلا رسم ولا الواح . . . وبعد قليل دخل الشيخ علينا وحيانا بقوله (السلام عليكم) وبعد ان صافحنا جلس على المقعد امامنا

كانت عقدة تقف في وجهنا وهي الطريقة التي ندفع بها الشيخ الى الكلام . ولقد كنا مستعدين لان نفدي لوقت معين كل رخيص وغال حتى قسماً من مبادئنا الخصوصية والشخصية حتى نصل الى ما نريد

ذكرنا شيئاً عن جمال حيفا فاجابنا الشيخ على سؤالنا بلسان عربي فصيح ولكن اللهجة اعجمية وكان يقول (نعم) (انني افضل حيفا على عكا فان حيفا اكثر نوراً وهواء فالانسان لا يضجر في حيفا)

ثم انتقل الى الكلام عن تاريخ حيفا ثم اخبرنا شيئاً عن تاريخ عكا . وتكلم عن تأخر حيفا مبدأياً وعن عمرانها في الحالة الحاضرة . وامتد الحديث مدة في هذا الموضوع

ثم سألناه عن الوقت الذي جاءت فيه اسرته الى هذه الجهات

فكان يجيبنا على سؤالنا بجمل قطعية ولكنها متقطعة فقال (لم تتمكن اسرتنا من الاقامة في ايران ايام ناصر الدين شاه ايران وذلك قبل خمسين سنة . فجاءت الى العراق ولم تمتزج هناك مع علماء الشيعة لان اولئك لا يفتكرون بالحياة وبالدنيا فرغب ناصر الدين شاه الى السلطان السابق عبد الحميد النظر في امرنا فارسلت اسرتنا الى ادرنه وبعد ان اقمنا هناك خمس عشرة سنة ارسلوا عمي الى قبريس ووالدي الى عكا . توفي والدي في عكا ولم نكن احراراً هناك حتى اعلان الحرية . وقد اصبحنا احراراً بعد الحرية . فانتهزت حينئذٍ الفرصة وسحت في مصر واوربا ولونده واميركا . ثم عدت الى مصر وقد استطالت سياحتي نحواً من خمس سنين » وكنا جميعاً نصغي لاقواله ولكن غرضنا الوصول الى الغاية المطلوبة

فسأله احدنا ان فريقاً من علماء اوربا يسندون خطأً الى الدين الاسلامي الانحطاط والفتور

الظاهرين بين المسلمين ويقولون انه لا يمكن التاليف بين الدين الاسلامي والعلم وطلب من الشيخ التفضل ببيان رأيه فى هذا الموضوع · فصرح الشيخ بان الحكم فى ذلك غير صحيح مطلقاً ثم قال :

« هذه جزيرة العرب امامنا ... فقد كان العرب قبل البعثة النبوية فى ظلام كثيف من الجهل ولما جاء الاسلام استنارت تلك الارجاء · ولم يمض زمن قليل حتى دخلت الاسلامية الى داخلية ايران واتسعت نحو الشمال والجنوب · ويظهر من هنا ان اسباب انحطاط الاسلام ليست هي الاسلامية ولكن الفتور والانحطاط ظهرا بين المسلمين لاهمالهم السعي · فالاوربيون وصلوا الى هذه الدرجة من المدنية بواسطة سعيهم »

ثم فاه بعد ذلك بعبارات شعرية مرتجفة فقال : (ان اعظم الاسباب لاضمحلال الاسلامية هي الحروب المتمادية · فالحروب الصليبية التي امتدت عصوراً · والهجمات الهائلة التي ظهرت من اسيا الوسطى وحروب الفاطميين وملوك الجراكسة التي لم تنقطع خربت البلاد الاسلامية · ويظهر ان اعظم اضرار الحروب المذكورة هي تفريق الروح الاساسية في الاسلامية الى قسمين · ولما كانت معنويات اولئك ليست ارقى من المسلمين فقد طووا من صحيفة الاعتبار الاقسام المدنية التي هي منبع الرقي في الاسلامية · وتركوا في مدارسهم القسم الديني منه · وحفظوا لفظة الاشتغال بالعقائد والشروح · التفسير والحديث · ففقدت الروح الاسلامية القديمة وظهر الانحطاط بين المسلمين)

ثم فتحت مسئلة امكان التأليف تماماً بين القرآن الكريم والعقل ر... دعب نسخ ... مدة طويلة ثم بدأ بالايضاحات الآتية فقال :

(ذاع منذ مدة طويلة اعتقاد باطل ... وهو وجود تباين بين النقل والعقل ·· فيقولون ان النقل لا يتفق دائماً مع العقل ولكن هذا القول لا ينطبق على القرآن مطلقاً فان العقل والنقل هنا لازمان غير متنافرين فلا يوجد في القرآن شيء غير معقول) وشرح هذا الموضوع ثم قال : (ويجب ان يكون الشرع ملائماً للعقل فالنقل الذي لا يستند على عقل لا يكون معتبراً · والعلم مبني على العقل ومهما ترقى العلم فانه لا يكون ضداً للنقل والقرآن

ثم انتقل البحث الى تفسير الآيات والاحاديث · ثم الى مسألة ... الموجودة في الاسلام والى ميل المسلمين لمحبة الفقر والقناعة الزائدة فذكر الشيخ حديثين او ثلاثة في هذا الموضوع ثم قال (وان يكن يفهم من ذلك ان النبي يفتخر بالفقر ولكن يجب ان لا يذهب الى الخطأ في تفسير ذلك) ثم افهمنا المقاصد العالية من الحديث الشريف فقال (وردت هذه الاحاديث عقب الهجرة النبوية · ولا ريب ان الفقر في سبيل غاية مقصودة

وفي سبيل الدولة والدين والوطن هو مزية شريفة توجب الفخر)

وحاصل القول ان كل كلمة من الشيخ كانت نتيجة روية وتعقل زائد

وفي اثناء ذلك وردت مسئلة الاجتهاد . ولا نعلم كيف انتقلت المحادثة الى اللغة التركية. فكان الشيخ يتكلم جيداً باللغة التركية وبعد ان قال: انه يجب استنباط الاحكام من النصوص الشرعية حسب احتياج الزمان وان باب الاجتهاد سد سياسة وانه يعتقد بضرر ذلك — ظهرت على الشيخ آثار التهيج

فاخذنا نورد الاسئلة عليه وغايتنا الوحيدة الاطلاع على العقيدة الاساسية في الشيخ . فطرقنا باب لزوم اصلاح الحالة في الدين الاسلامي والتوسل بالوسائل اللازمة للبقظة والانتباه . فاخذ الشيخ حينئذ يتكلم عن عقيدته وكانه مندفع في حديثه او متمم له

وقد كنا نفهم ان رأي الشيخ هو ما يأتي :

(ان الايمان هو العمل الصالح فقد جاء في كثير من سور القرآن الكريم قوله تعالى . « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات» . وان العمل الصالح هو الفضائل الانسانية . وما الفضيلة الانسانية الا العمل المنصرف في سبيل سعادة الحياة البشريه وزيادة رفاهيتها . فيجب على الانسان ان يكون في هذه الدنيا حسن الاخلاق . مسعفاً لبني قومه . لا يؤذي احدًا . يحب الخير لكل فرد . . . وان ذلك هي الروح الانسانية الواردة في جميع الكتب السماوية « ويعتقد الشيخ » ان هذا الحق هو العمل الصالح . فالايمن بالعمل الصالح والقيام بالعمل الصالح هو روح الاعتقاد . وبناء على هذا فان المسيحيين والاسلام والمرسويين يجتمعون حول هذه النقطة باعتبار القاعدة الاساسية وبالنظر للروح الموجودة في كتبهم . وان مثل باستور الذي اكتشف جرثومة (ميكروباً) حفظ بها ارواح بني الانسان ووقاها شر الآفات مستحق للجنة ولو قال العالم الاسلامي باجمعه انه كافر . حتى ان باستور مثلاً يستحق الجنة اكثر من عابد او زاهد انقطع في رأس الجبل ولم يفعل خيرًا لاحد . ولو لم يعتقد هذا الرجل بالله ولو لم تكن له عقيدة ظاهرة يتبعها فانه ينال بفضل عمله الصالح المثوبات الاخروية على اي حالة كان

والحاصل ان الشيخ يرى (ان الاعتقاد والايمان هو الحق وان الحق هو العمل الصالح وان هذا العمل هو عمل عمومي وليس هو منحصرًا بين فلان وفلان من بني البشر)

وقد دار البحث في مواضيع مختلفة الى ان وصلنا الى هذه النتائج . ثم ظهرت افكاره باعتقاد الفلاسفة ان الروح قوة ملتصقة بالمادة وان القوة لا تقوم بدون مادة . ثم تكلم عن النصوص الواردة بحق ثواب الروح وعذابها في الآخرة وعن كيفية التأليف بين هذه النصوص

وبين العلم والعقل

فتمسك الشيخ حينئذٍ بكافة قواه بفلسفة ابن رشد . وكرر على مسامعنا آراءه بخصوص وجود الروح وحقيقتها ولما كان يشرح لنا اختلافات مسئلة الروح كان يشير الى حرج المكان وضيق الزمان. وبعدان كان يتشدد بالقول بان الروح الانسانية تنال الثواب والعقاب تبدلبعد قليل دفعة واحدة. ولما اوردنا عليه هذا السؤال

— هل الفضيلة تحتاج للجزاء وكيف يكون ؟

فاسمعنا جواباً تتمثل فيه كافة القواعد الاساسية في مذهبه فقال :

(ان الفضيلة هي العمل الصالح . وان العمل الصالح بنفسه هوخيروعمل حسن وجزاء . وان العمل الصالح يُصنع لصلاحه لا لجزائه)

والحاصل ان الشيخ كان يحل كافة مسائل الاعمال على وجه دنيوي

ويفهم من ذلك ان التدين في رأى الشيخ لا يتم بترك العمل الصالح والاكتفاء بقول آمنا بالله وبالصلاة والصوم فالعمل الصالح قبل كل شيء والدين هو العمل بالصلاح . وليس لذلك مكافاة او مجازاة. وان اكبر جزاء لتارك العمل الصالحهو مضرة تركه للعمل الصالح وانمكافاة صانع العمل الصالح هو صنعه له . وهو خير بنفسه . بل هو الغاية . فالدين هو لاجل الدين . وليس الدين لفائدةاخرى. وان التمسكفي الدين يؤمنراحة واستراحة وفائدة في الدنيا. وانه يجب على المسلمين ان يهدموا في سبيل هذه الغاية كافة مالديهم من الاعتقادات والعادات والتعاملات القديمة التى لايمكن التأليف بينها وبين العقل سعياً وراء صلاح البشرية واعلائها

فيرى مثلاً انه يمكن اكتساء القبعة مثلاً لان المقصود ليس الظرف بل المظروف . وكانيقول اليس الطربوش الذي نستر به رؤوسنا منبقايا اليونانيين ؟ ... والحاصل انه انقضى الدور الذي نترك فيه المظروف ونشتغل بالظرف. ويعتقد انمسئلة الحجاب بشكلها الحاضر بدعة فقدكان بالامكان ان تتولى النسوة قيادة الجيوش في عصر النبوة

فالدين غير معارض للعقل . وما جاء مخالفاً للعقل ينبذ حالاً . ويرى انه اذا تعارض العقل والدين يرجح العقل

وللتكامل الانساني طريقة واحدة وهي اتباع العلم والعقل وان العلم والعقل يكونان دليلًا للانسان في عمله الصالح . وهذه حقيقة يجب الايمان بها والاعتقاد بانها حق وان معرفة الحق هي توأم مع معرفة العلم والعقل

بهذه الطريقة وقفنا على شيء من عقيدة الشيخ . ولكنا لم ننفذ بعد في روحه ولم نطلع

على حقيقته تماماً فاضطررنا لتأجيل الوقوف على ذلك الى اجتماع آخر
ولما اردنا مفارقة الشيخ تبعنا الى الباب وخاطب الذي سأله من بيننا عن مسئلة الروح قائلاً :
— لم نحل بعد مسئلة الروح وهذه تحتاج لزمن
وكان يعيد قوله هذا ويشير الينا الى تكرار الاجتماع به
[٢] — الاجتماع الثاني — كان الشيخ في الاجتماع الاول يتكلم عن قواعد عقيدته باعتدال ودم ساكنه . فتارة يتجلى بمظهر الخطباء فيمثل لنا اخفى المسائل بقوة اكبر من التصوير والتصور وتارة كان يرى متبسماً مسروراً ولقد قابلنا في الاجتماع الثاني بذات الحالة . ولكنه كان يريد باوضاعه واطواره ان يظهر نفسه تعباً . فالقينا سمعنا اليه وبدأ يقول :
لو كنتم تعلمون . فانني لم انم امس مطلقاً لان معي علة عصبية شديدة . وقد ازدادت معي بعد عودتي من سياحاتي . ا[illegible] بالعلاجات التي احضرتها من اميركا واوربا . ولكني لم اجد فائدة من واحد منها . ورغماً عن اني لا استعمل شيئاً [illegible] فانني لم تخلص من هذا المرض العصبي بوجه من الوجوه
[illegible] هذه المقدمة . وكنا نريد ان لا نضايق شيخاً بلغ الثمانين من عمره ولكن الاطلاع على قواعد مذهبه الاساسية لا يمكن بغير هذه الطريقة فبدأنا باسئلتنا . ولا نعلم كيف انتقل الحديث الى رأي الماديين بانحلال الاجساد . فاخذ يشرح الشيخ مسئلة الحشر وكيف يكون فقال :
« ويحشر الانسان بروحه وجسده . وافهم من مباحثتنا اننا نلامس الشبهات التي طرأت على ابن سينا . وقد تصور ابن سينا مسئلة الحشر على هذا الوجه فان للجسم جزءاً فرداً يبقى مصوناً رغماً عن تفرق اجزائه الاخرى وذلك الجزء الفرد هو خلاصة الجسم باجمعه فهو لا [illegible] . [illegible] ما جاء يوم الآخرة نشرت هذه الخلاصات وحشرت »
[illegible] الايضاحات عن الفروق بين التقسيم والتحليل وصرحنا للشيخ بان الانحلال يعاب الاجسام الى عناصر البسيطة . فافتكر الشيخ حينئذٍ ثم قال لنا (لا) [illegible] لكل شيء خلاصة حتى ان للقاربون خلاصة مثل درهم قاربون . والكيناء خلاصة [illegible] نوس) [illegible] نظرنا عن جميع هذه القواعد العلمية والتزمنا السكوت امام نظريات [illegible] الغريبة
ولكن رفيقنا [illegible] يستطع الصبر فقال (واين توجد هذه الخلاصة من الجسم الانساني ؟)
— في كل جهة
ولما سمع هذا الجواب سأل الشيخ بقوله :

والكن اليس هذا ظلم ؟ فاذا كانت هذه الخلاصة منتشرة في جميع الجسم واخطأ ذلك الجسم ثم انحلت بقية اقسامه وتخلصت فكيف يكتفي اخيرًا بمجازاة هذه الخلاصة ؟ وان هذا العمل يشبه الاكتفاء بمجازاة زعيم عصبة للاشقياء وتسريح باقي اعضاء العصبة . الا يرد على الخاطر مثل هذا التصور ؟

فقال الشيخ جواباً على ذلك ان هذا قياس مع الفارق

وعلى كل فان الجوابين كانا غير كافيين . وبقينا في حيرة من الامر . ولم نكن نعتقد ان الشيخ الذي ظهر لنا في الاجتماع الاول بمظهر العقل الكامل — تجتمع فيه المناقضات والظلمات . وكان يجول في ذهننا ان الشيخ يخفي فكره عنا

فاعدنا السؤال عليه وقلنا — : وهل هذه الخلاصة مادية ؟

— تماماً

— فاذًا هل العامل الذي يحشر هذه المادة ويلامسها مادي ايضاً ؟

فاجاب على هذا السؤال بقوله (لا) . . . (ليس هو مادة ولا قوة بل هو الحق تعالى المنزه عن المادة والقوة . . .) . ثم اضاف على ذلك قوله :

(وعلى الطريقة التي يجمع بها الحق تعالى الاجزاء ويكوّن منها كلاً انسانياً — تنال هذه الخلاصة النعيم او الجحيم في يوم الميعاد)

وعلى اثر ذلك وجدنا جوابه كافياً . وانتقل الحديث حينئذٍ الى مسئلة النبوة والتبليغ وكيفية التبليغ . ثم فتحت مسئلة الجبر والشدة في التكليف فصرح الشيخ برأيه قائلا :

(لماذا لا يقبل المكلف ما يكلف به اذا كان له فيه منفعة محضة ويعرف لنفسه وجهة . وما دام ان المكلف (بكسر اللام) امر بذلك لمنفعة المكلف (بفتح اللام) فان في ذلك عدلاً . وان منفعة المكلف بقيام الدين والاعتقاد . ومن يعرف دينه لا يصنع رديئاً . والحاصل ان الدين طريق يؤدي الى منفعة الانسان ويمكن نيل السعادة بالدين)

— وبالعلم ؟

— ابالعلم . . . ؟ ان العلم يصنع القنابل والمدرعات والمدافع التي ادت لهلاك ملايين من بني الانسان وخرابهم . وللعلم على حدة مضرات عظيمة فيجب مزج العلم بالدين لان الدين يستر نقائص العلم على ان فوائد العلم لا تنكر . ولكن الدين شيء كله فوائد . وليس منه محذور . فيجب اكمال العلم بالدين . الا يؤسف على اولئك الملايين الذي يذهبون هدرًا ؟

— الا يؤسف ايضاً على الملايين التي ذهبت ضحية تمسك كل واحد منها بدين ؟

ولما سمع الشيخ قولنا تهيج جداً وقال:

— لا ... لا ... ان جميع الكتب السماوية واحدة . وان القسم الاعتقادي الذي يحفظ سعادة البشر في هذه الاديان لا يقبل التبديل والتغيير . وان الذي يتبدل، انما هو القسم المتعلق بالمعاملات . وهذا القسم يتبدل بتبدل الزمان

وقد اظهر الشيخ هنا غايته الخيالية بصورة حسنة . وبعد ان استراح قليلاً انتبه مستيقظاً وكأنه كان في سبات . وبعد ان لعبب باصابعه بشعره الطويل قال: ان هذه مسائل فرعية وجزئية . فليصدق بوجود الآله وبثبوته ثم ان هذه المسائل تحل من ذلتها . وقد كشف انا بقوله هذا خطته الدين الروحية

اليس الحق كذلك ؟ فما دام ان الدين عقيدة فاذ اسلم الانسان مقاليد روحه ونفسه الى هذه العقيدة يحل بعدها كل شيء

ولقد كان الشيخ متحفظاً تماماً في هذا اليوم . وقد ادرك الوقت فانحصرت ابحاثنا الاخيرة ببعض المسائل التاريخية . فبحثنا اولاً عن الاختلافات الدينية بين الشيعية والسنية وكان من رأي الشيخ انها ليست ذات اهمية وانه يجب توحيد الفرقتين الاسلاميتين ثم انتقل الى الكلام مباشرة عن البابيه وصرح بما يأتي :

(تأسست الطريقة البابية عام ١٢١٠ من قبل (علي محمد) الشيرازي . وكان يطلق على هذا الذات رمز (باب الله) . لم يكن من معرفة بين هذا الذات وبين بهاء الله (والد عباس افندي) ولكنه كان معاصراً له وكان حضرة الباب يسعى لازالة الاختلافات بين السنيين والشيعة . وكان يجد هذا الامر سهلاً للغاية فهذه غاية الطريقة البابية)

ثم تكلم الشيخ بعد هذا عن نجاحه في نيويورك وفي واشنطون وفي سان فرنسيسقو وذكر لنا حالة السالكين طريقته وقال « نعم ان هؤلاء يذهبون الى الكنيسة . وتطوف نساءهم غير ساترات لشعورهن . ولكن ذلك لا يمنع صيرورتهم بابيين)

كان في كلام الشيخ تناقض كثير ومع هذا فان الرجل على جانب عظيم من الذكاء . يقلب حديثه حسب احتياج الحال ويستر مقصده الاصلي

وحينما فارقناه كنا نقول :

— اما ان يكون هذا الشيخ داهية كبرى او ...

على اننا نحن لم نقدر على التصريح بما وراء ذلك ...

[٣] — الاجتماع الثالث — ما زلنا نجتمع مع الشيخ البابي منذ يومين ونسعى للوقوف على

عقيدته الاصلية واسسه الفكرية . ولكن الشيخ لم يمكننا من التثبت بتعيين هويته الدينيه فيما كان يظهره من الاصرار على التصنع والمهارة بالتكييف

ولا ريب ان العوامل والمؤثرات التي اوجبت نجاح الشيخ في محيط بعيد منور مثل اميركا واوجدت له مريدين فيه انما هي ذات ماهية خصوصية وما دام ان المطالعات العمومية التي ذكرها الشيخ هي مسموعة من افواه كثيرين من ذوي الصلاحية في مثل هذه الامور فقد وجب بعد هذا ان نقف من كلامه على السوائق والدواعي التي ربطت مريدي الشيخ الذين يبلغون الالوف وعلى رواية الملايين — ببعضهم . ولقد رضينا ان نبقى في حيفا مدة اخرى حتى نتوصل لمعرفة هذا المقصد فقط . وبينا كنا صباح احد الايام نتجاذب اطراف الحديث في هذا الامر اذ جاءنا الخبر بان عباس افندي جاء الى النزل معيداً لزيارتنا . فاصبحنا ممتنين للغاية من هذه الصدفة . وتجددت فينا آمال الوقوف على بعض المسائل المبهمة والتنور بها

فقابلناه حالاً وبعد ان شكا شيخوخته وضعف قواه حسب العادة لم نتأخر عن سؤاله بلهجة ناعمة جداً وقلنا له :

— لا ريب ان وجود مريدين لكم في اميركا هو دليل على سحركم العلمي . ولكننا لا نزال قلقين من عدم ادراكنا حقيقة هذا السحر ومعرفتنا هذه الرقيه

فتبسم الشيخ حينئذٍ مدة من الزمن وقال ان المسئلة بسيطة جداً . فان القواعد الاصلية في الاديان السماوية هي عين بعضها . ولذا اصبح من السهل جمع العقائد الاصلية مع بعضها وعدم الانخداع بالاختلافات الظاهرية ونبذ ذلك ظهرياً . فالديانة المحمدية تؤمن بحضرتي عيسى وموسى وبكتابيهما والنصرانية تؤمن بالموسوية . وبناء على هذا فانه من الممكن بيان الوحدة بين قواعد الانبياء المرسلين الاساسية والتقريب بين هذه الفرق الثلاثة الكبرى في العالم . ولا ريب انه يمكن الاستفادة حينئذٍ من القوة لاقناعه . وبعد ان صرح الشيخ بما مرَّ تكلم عن محاضرة القاها في منتدى دبي ليبود وانه قال في خطابه ما يأتي :

« يعرف الموسويون ان عيسى عدوهم . مع ان الموسوية ظهرت خلال الوف من السنين ضمن دائرة محدودة وان العيسوية عرَّفت الموسوية بين الكائنات . فهل يكون هذا العمل عمل عدو ؟ وكذلك الدين المحمدي . وبناء على هذا فالواجب يقضي على ابناء هذه الاديان بان يعترفوا بمقتدى كل دين وان يرفعوا من بينهم هذه المناقشات والمشاحنات »

كان فكر الشيخ صريحاً للغاية . فعلى ابناء هذه الاديان ان يعترفوا اولاً بالله تعالى . وتبقى عليهم مسئلة

الايمان بالرسل . واذا ارتضوا على ذلك تزول جميع الاختلافات . ويحصل بعد هذا الاتفاق على الامور الجزئية

ثم انتقل الكلام بعد هذا الى النبوة فقال حضرة الشيخ :

« في النبوة شيئان احدهما استفاضة الفيض والآخر افاضة الفيض فالاستفاضة تتم بواسطة الملائكة او بطريق الوحي .واما الافاضة فتظل مدة الحياة . وتبقى للانبياء بعد وفاتهم صفة الافاضة للفيض .وتتجلى هذه الصفة في اولياء الله تعالى »

فآن في هذه الفرصة وقت السؤال الذي يجول في ذهننا فسألنا الشيخ حالاً عن وضعية (حضرة الباب) فقال :

(نعم . ان حضرة الباب من اولياء الله . فباب الله مرآة معرضة للحق يظهر فيها الفيض الالهي ومع هذا فان الاستفاضة من اولياء الله لا تكون بطريقة الوحي بل تكون بصورة الالهام وهذا يكون احياناً منبعثاً عن نفحات خير قلبية وطوراً عن وساوس .وبناء عليه فان الخطأ ممكن لاولياء الله . ومع هذا فان شخص الباب شخصية ممتازة فهو جوهر لطيف تقريباً . فلا يتيسر لكل انسان ان يصل الى ما وصل اليه من المظاهر وان استفاضة الفيض انتقلت بعد وفاة حضرة الباب الى والد الشيخ» فسألناه :

— وهل انتقلت اليكم ؟

فاجاب بقوله (لا) « وانني اقسم لكم بانني اقول الحق فليس لي صفة مثل هذه »

ولا ريب ان الشيخ كان يظهر التواضع . وقد شاهدناه رأي العين يتظاهر كانه لا شئ امام مريديه . وحينما عزم الشيخ على مفارقتنا كان يقول لنا (واذا لم يقم الانسان باداء الفروض بعد ان يؤمن بالله ورسوله فلا يخرج حينئذ عن كونه مقصراً بسيطاً . وينال العفو الوارد في الآية الكريمة (ان الله غفور رحيم). آه . . . لو كانوا يقولون تلك الكلمة)

وحاصل القول ان الشيخ فادي في حديثه هذه المرة . واراناً في وجهه ناصية اجتماعية واسعة وبعد ان بارحنا الشيخ نظرنا في بعضنا ثم انطلقت السنتنا جميعاً بالقول :

(اليس هو مبدعاً (ارتيست) ذكياً جدًا) ؟ ؟

— ١٦ —

من حيفا الى عكا

اقمنا في حيفا منذ اسبوع فلم نشعر بضيق ولو قلل فيها . لان كل ناحية فيها صحيفة بديعة ينظر اليها بكل اهتمام وتدقيق ومع هذا فانني اعترف بان سفوح الكرمل [illegible] البيضاء ورماله النظيفة وهواء نزل الكرمل المدني تذهب كل الاتعاب المزعجة . ولو لم تكن [illegible] الاشياء مجتمعة هنا لما كنا نتحمل تلك المتاعب الفكرية والمشاق الناعية [illegible] سبعة او تسعة او عشرة ايام . وخصوصاً الثلاثة ايام التي انقضت في حيفا مدة عيد [illegible] حيفا سكونا وبساطة كان لها ذوق خصوصي بالاستراحة . فكنا نحن [illegible] عمالنا [illegible] ولم يكن في البلدة مرض [illegible] . فالهواء والبحر و [illegible] بالامكان البقاء هنا مدة طويلة . ولا ننكر اننا [illegible] المفروش به مدخل النزل وقد تهيأت [illegible] الى عكا — شعرنا [illegible] من البلدان حتى الآن اثراً جميلًا في نفوسنا مثل حيفا . ولما تقربنا من العربة [illegible] رأينا البنات الالمانيات اللواتي يركضن في ابوال [illegible] التي تشبه حلياً خارجة من تحت يد الصائغ تتبسم . حتى [illegible] الصدف الذي [illegible] تحت اقدامنا يتبسم

تعرفنا باناس كثيرين مدة اقامتنا في حيفا . فان الاهالي هنا على وجه العموم يحبون التقرب والتعارف . وحين كانت تمر عربتنا باحراسها وضوضائها من طريق حيفا [illegible] كنا نشاهد على جانبي العربة اوجهاً عرفناها تتبسم ونسيعنا [illegible] وايديها

وصلنا اخيراً الى القسم الشرقي من حيفا [illegible] اولاً المحطة [illegible] نسير بين اشجار النخيل الواقفة وقفة المتوكل الملول ثم تقربنا من [illegible] نرى على يميننا رمالاً متسعة سمراء وعلى شمالنا بحراً ازرق ممتداً [illegible] امواج البحر التي تمتد فوق تلك الرمال المستوية اظرف من كومات ياسمين بيض [illegible] مقتبل الصباح . بل الطف من كومات الفضة . ولا تنقطع الامواج عن مهاجمة [illegible] ترجع منهوكة القوى وتنسحب ... فتظهر حينئذ السرطانات [illegible]

فوق الرمال التي بللتها الامواج ثم لا تلبث ان تختفي في صدر البحر . سارت عربتنا نحو ساعة فوق تلك الامواج الفضية وبين صفوف السرطانات وعلى هاتيك الرمال المتبلله . فلم يغب عن اعيننا منظر مؤلف من سماء زرقاء وبحر ازرق ورمال سمراء . غير انا كنا نقطع احياناً مصبات انهر صغيرة كانت مياهها تترقرق فوق الطريق . وما زلنا متابعين السير على الساحل وسط تلك الرمال التي لا تحد . فنظرنا مرة الى ورائنا فوجدنا حيفا آخذة بالاختفاء بالوانها . وقد اخذ جبل الكرمل وخضرته يختفي تدريجاً حتى اشبه سحابة من الدخان . وفي الوقت ذاته اخذت تتجلى امامنا بلدة اصبحت مآذنها وبعلوها حاكمة على البحر . وهذه هي عكا

ولما تقربنا منها اخذتنا الدهشة . لان عكا لم تبق بصورة احط مما وجدناها تماماً . ولم زدنا تقرباً من البلدة ... هنالك عدة اشجار من النخيل . وحينما قطعنا محلة الخط الحديدي ... فصادفنا مررنا ايضاً على عدة قهوات لصيادة السمك على الساحل وقد شاهدنا تحت ... بيوت مبنية على الطرز الجديد . فنظر احدنا الى هذه الدور وقال بلا اختيار :

— لقد ظلموا عكا بقولهم انها بلدة وخيمة . فليست وخيمة مطلقاً ...

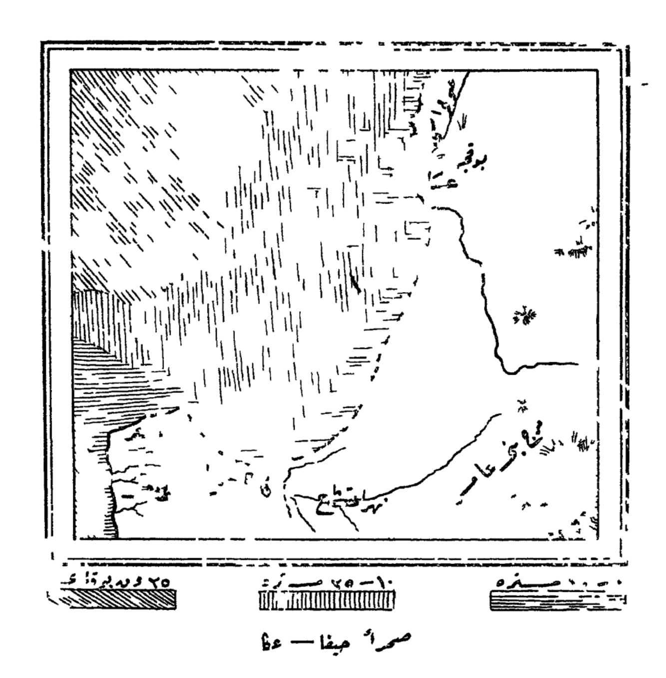
ولكن لم يتم رفيقنا كلامه حتى ظهر امامنا جدار كبير قد ارتفع نحو السماء باحجاره العريضة وقد اكلت عليه السنون وشربت . وفي الطرف الآخر باب سري مظلم . فدخلت عربتنا من هذا الباب واخذنا نقطع انفاقاً ... ولكننا لا ... بعضنا مستفهمين ولا نعلم الى اين تأخذنا العربة . وهل ... في هذه المحلات ? ... لبث الحوذي ان قال لنا بصوته الخشن

— ستنزلون هنا فقد انتهت الطريق

نزلنا من العربة واخذنا نسير في ازقة وانفاق ضيقة ومظلمة وعفنة فكان ممراً ضيقاً وغير منتظم لدرجة انا نكاد لا ... بتدخر ... . فخاطب رفيقنا نفسه بقوله :

— انهم يحتون فما يفعلون

وانتهى ... رائحة ... فاستشعرنا منذ الآن بالضيق والكآبة التي تحيق ...



صحراء حيفا — عكا

— ١٧ —

عكا

١ — وضعية عكا . منظرها . داخليتها

تقوم عكا في منتهى النقطة العليا من الخليج الذي يبدأ من حيفا ويمتد نحو الشمال راسماً باعوجاجه علامة الاستفهام . حتى انها ترى من بعد كانها رأس في البحر او شبه جزيرة صغيرة ملتصقة بالساحل . وقد احيطت هذه الشبه جزيرة بسور قديم محكم الاطراف بموازاة البحر . واحيطت من طرف آخر بجدران مرتفعة قد بقيت من اقسام السور الذي احاط بالمدينة من جهة البر . يبتدأ من الشرق وممتداً نحو الشمال ومنعطفاً بعد هذا الى الغرب حتى ينتهي بالبحر على شكل زاوية قائمة . وبهذا الاعتبار فان هيئة قصبة عكا عبارة عن ساحة مساكن مستطيلة التشكل قد تراجعت الزاوية الشرقية الجنوبية منها نحو الداخل . وقد تراكم كل شيء في هذه الساحة فوق بعضه . حتى انك ترى من بعيد مآذن الجوامع وسقوف الدور وقباب الكنائس والابنية القديمة وسطوح الدور متراكمة فوق بعضها وهي القسم الداخلي ضمن السور . وما عدا ذلك فان ثلاثين او اربعين دارا فقط متفرقة ذات حدائق . فاذا اضفنا هذه الدور الى مجموع البلدة تعرف بيان الوضعية العمومية لقصبة عكا بجميع مشتملاتها

ويستدل بسرعة من الاقسام الخربية من السور الذي ضيق الخناق على القصبة انه قديم منذ اعصر . وقد تهدمت اقسام السور تماماً في الجهتين الغربية والشمالية و [illegible] الداخل الى عكا منذ القديم سوى مدخل في الجهة الشرقية وهو [illegible] . وكان [illegible] في الجهة الشمالية [illegible] ثلاث سنين او اربعة . وبقيت [illegible] الدائرة المحدودة . وقد كانت عكا وقلعتها قبل [illegible] [illegible] كانوا يرون ان ابقاءها ضيقة متراكمة اوفق . حتى انهم كانوا لا [illegible] لدور في [illegible] السور التي يبلغ محيطها نحواً من اربعين متراً مراعاة لاطراد [illegible] [illegible] بالاعتبار مطلقاً . وكانوا لا يسمحون باشادة الدور ايضاً في ساحة اخرى [illegible] داخل [illegible] الدافع . واما القسم الباقي داخل السور فقد كان ثلثه [illegible] الاخرى [illegible] بالاوقاف فاضحت عكا التي تبلغ نفوسها نحواً [illegible] محصورة في ساحة ضيقة

جداً محرومه من الترقي والظهور . وبسبب ذلك كانت دورها متراكمة ومتلاصقة ببعضها حتى انك لا تجد شبر ارض خالياً . وكانوا ينشئون دورهم على عدة طبقات . وقد اضحت ازقتهم انفاقاً ضيقة كانها مداخل خرابات قديمة . فرشت ازقة عكا باحجار ثخينة مربعة الشكل ولكنها لا ترى وجه الشمس مطلقاً ولهذا لاتنقطع روائح العفونة الخارجة من جدرانها . وليس من الممكن الجمع بين السكنى في هذه البيوت والتخلص من الملل والامراض نعم لا ننسى ان الطبقات العليا من الدور تطل على البحر وهي ذات مناظر لطيفة ولكن لا يحرم احد من الاقامة في الاقسام الباقية من الدور والاختناق من قلة هوائها ورطوبتها وروائحها الكريهة المتعددة

في قصبة عكا سوق ضيقة جداً وحوانيت تفضل عليها حوانيت القرى وبناء قديم لدار الحكومة قائم في احدى الطرق المظلمة المتداخلة . وجامع الجزار احمد باشا . وقد استحضرت احجار هذا الجامع من قيسارية (Cesaré) وبني بها والحاصل ان منظر داخلية عكا مكرب وكانه حمل من الاحجار ساقط فوق رأس الانسان

ان البلدة القديمة ذات الاسرار والخفايا هي بكيفية وضعيتها بقايا تاريخية . ولا يمكن ان تجد بلدة غنية بوقائعها اكثر من عكا . فكم لاقى الفينيكيون بسبب قصبة (Acco) القديمة وقد سمى اليونانيون خيراً هذه البلدة (Ptolemaïs) التي هي كناية عن (Ptolémé d'Egyte) . وكم بدلت مستعمره الامبراطور (قلود) البحرية من المالكين لها . ولما استولى العرب عليها دعوها عكا . وتحارب الصليبيون وصلاح الدين مراراً في هذه الانحاء . والى هنا محل ريشارد قلب الاسد . ومنذ هذا التاريخ ننظر الى عكا بانها مدخل المسيحية في ارض فلسطين حتى ان سان جان سمي هذه البلدة (Saint-jean d'Acre) . ثم انتقلت الى ايدي السلمان فالمماليك لاشرف والشيخ ظاهر العمر . ثم انتقلت الى يد الجزار احمد باشا . وحاصرنابوليون عكا ثم جاء ابراهيم باشا وهدمها والقى الاسطولان الانكليزي والنمساوي قنابلهما بالاشتراك على اسوار عكا . ولقد ازالت هذه الوقائع المتوالية جميع ما في عكا من الآثار القديمة

وعلى هذا فان عكا بلدة عرفها الفينيكيون وبنو اسرائيل واليونانيون والعرب والترك والفرنساويون والانكليز والنمساويون والمصريون وغيرهم . وهذه مزية عكا . وعندي اذن يجب ان لا يبحث في عكا عن وضعية او عن منظرة او عن انتظام . واذا غلبت علي عواطفي فانني اقول انهُ يجب ان تعلق الابواب الحديدية الكبيرة في عكا وتترك هذه البلدة لحالها خالية خاوية . يجب ان تبقى عكا شيخة ذات اسرار وخفايا



منظرة عكا العمومية

٢ — الاحوال العمومية في عكا

[١] — قضاء عكا — ان قضاء مركز عكا قائم في الشمال الغربي من اللواء المسمى باسمه ويحده شمالاً قضاء صور وغرباً قضاءآ صفد والناصره وجنوباً قضاء حيفا . ويحيط به من الجهة الغربية البحر الابيض

الاقليم — يعتبر اقليم عكا وحيفا من الاقاليم الحارة المعتدلة . فالثلج لايسقط الا نادرًا جدًا ايام الشتاء . وتمطر السماء امطارًا غزيرة في اشهر تشرين الثاني وكانون الثاني وشباط . وقد سقط (٤٤١) مليمترًا من المطر عام ١٣٣١ . ولم يحدث ان درجة الحرارة تسقط ايام الشتاء الى ما تحت الصفر . فهي تتراوح ما بين الدرجة الخامسة والثالثة فوق الصفر . وقد بلغت درجة الحرارة الحد الاعظم عام ١٣٣١ فكانت (٤٣) ونزلت ذلك العام الى ٥ و ٣ فوق الصفر . اما الحرارة المتوسطة ايام الصيف فهي من الخمسة الى العشرة

[٢] — التشكلات الارضية — ان التشكلات الطوبغرافية في قضاء المركز بل وفي سائر اللواء عبارة عن تلال مؤلفة من اراض بركانية محاطة بسهول . وان اكثر الاحجار الظاهرة عبارة عن احجار كلسية ورملية . وفي داخلها مقادير كثيرة من الحوامض الحديدية. ويوجد الكلس في تركيب الطبقات الترابية العميقة القريبة من الساحل . اما قوتها الانباتية فكثيرة جدًا حتى انهم يزرعون الترمس في الرمال . وتوجد قليلًا المواد الاصلية في الطبقات العليا من المحلات الرملية . ولايوجد اثر للحامض الفوسفوري في هذه الاماكن . وتتألف هذه الطبقات من ٠٦٥ و٠ من البوتاس و٣ .٠ و٠من الازوت ومابين ٣٦ و٠ و ٥٦ و٠ من الكاربون

وبفضل مساعدة الاقليم يخرج في هذه الاتربة الضعيفة بتركيبها عنب ولوز نفيسان جدًا . ويزرعون في هذه الاراضي التي لا تصلح لزراعة القمح بطيخاً وقاووناً وبطاطة . وكلما يتقرب الباحث الى الجهة الجبلية يجد ان الارض اصبحت حجرية كلسية وربما وجد اقساماً من الاراضي مغطاة بطبقة من احجار البازلت المدورة

ولون التراب في الاراضي الجبلية احمر وابيض واسود . وتوجد مقادير كثيرة من الحامض الحديدي في تركيب التراب الاحمر الذي يسميه العرب (الارض الحمراء)

واما التربة البيضاء التي يكون لونها رمادياً او رصاصياً فهي منبتة للغاية . الا انه يكثر في مثل هذه الاراضي القديمة البوتاس والحامض الفوسفوري المزوجان بكثير من المواد

العضوية · وباعتبار العموم فان القسم الساحلي من قضاء عكا كلسي·وقسم السهول رمادي ورملي ويغلب ان يكون تباشيرياً

ويخرج الماء العذب غالباً في الاراضي الرملية من الساحل على عمق ٢٠ او ٦٠متراً واحياناً على عمق ١٠ او ٢٠ متراً · اما طبقة المياه في الاراضي الجبلية فتظهر على عمق ١٠٠ متر

[٣] – نفوس عكا – هذا هو احصاء النفوس في قضاء عكاء :

مقدار النفوس	اسماء الطوائف	العام	مقدار النفوس	اسماء الطوائف	العام
٢٨٢٥٦	الاسلام	١٣٢٥	٣٢٢٤١	الاسلام	١٣٣١
٠٣٦٤٨	الروم	«	٠٤٠٠٠	الروم	«
٠٤٠٩٧	الكاثوليك	«	٠٤٣٦٧	الكاثوليك	«
٠٠٣٧٣	البروتستان	«	٠٠٣٣٤	البروتستان	«
٠٠٢١٢	اللاتين	«	٠٠٢٧١	اللاتين	«
٠٠١٣٠	اليهود	«	٠٠١٠٥	اليهود	«
٠٠٠٠٤	الارمن	«	٠٠٠٠٤	الارمن	«
٣٦٧٢٠	المجموع		٤١٣٢٢	المجموع	

ظهر من الجدول المذكور اعلاه ان قضاء عكا زاد في ست سنين حسب القيود الرسمية (٤٦٠٢)

ويؤخذ من القيود الرسمية المقادير الآتية عن المواليد والوفيات في قضاء عكاء :

المواليد	الوفيات	العام	المواليد	الوفيات	العام
٤٥١	٤٥٧	١٣٢٥	٦٢٢	٢١٧	١٣٣١

وان التدقيق في هذا الجدول يستلفت نظر صاحب المراق للبحث عن التحسين الواقع في الاحوال الصحية والولادية ولكن لا يصح لنا مطلقاً الاعتماد على قيود النفوس لانها ليست المرآة الحقيقية للمواليد والوفيات الصحيحة

وفي قضاء عكا (٦٠) قرية · ومنها القرى الآتي بيانها وهي التي تزيد نفوسها على الف شخص : بصه (١٧٢٠) مجد الكروم (١٠٤٤) مغار (١٥١٦) سخنين (١٥٨٢) طمره (١١٠٠) شعب (١٢٤٠) · وفي موكز ناحية شفا عمرو المرتبطة بمركز اللواء ٢٧٢٤ شخصاً والقسم الاعظم منهم دروز

[٤] — تاريخ عكا — ان قصبة عكا هي مركز اللواء . والمسافة من حيفا الى عكا ساعة ونصف بالعربة وعلى بعد عشرين دقيقة منها تمر فوق نهر المقطع البالغ عرضه (٣٠) مترًا . ويكثر على سواحل البحر الصدف الذي كان الفينيقيون يصطادونه لاستخراج الصباغ الارجواني منه . ويوجد هذا الصدف بكثرة في نهر نعمين خصوصاً . وبعد ان تقطع هذا النهر تترك على يمينك « تل الفخار » الذي اتخذه نابليون قبلًا مقرًا لجيشه . وبعد ان تقطع خمس دقائق تدخل الى البلدة من بابها . كانت تسمى عكا بالقديم عكو او عقو . وقد كانت بلدة تجارية كبيرة ايام الفينيقيين . ويستدل من الآثار القديمة الباقية خارج البلدة ان القسم الاعظم منها كان في تلك الناحية من القصبة

وفي زمن البطالسة الذين تولوا ادارة الحكومة في مصر بعد اسكندر الكبير نسبت بلدة عكا الى اسم احدهم وسميت (بطولمايس) . ويستدل من كتابات مؤرخي روما ومن السكة المضروبة ان الامبراطور « قلود » تولى ادارة عكا ايضاً . وقد فتحت اثناء الفتوحات الاسلامية على يد معاوية بن ابي سفيان و لحقت بالبلاد الاسلامية وقد عمرها هشام بن عبد الملك

ان بلدة عكاء قائمة على رأس مثلث داخل في البحر في المنتهى الشمالي من خليج عكا البالغ اتساعه ١٢ كيلومترًا والمغلق برأس الكرمل . وتبعد عن بيروت تقريباً من ١٨٠ كيلومترًا في الجهة الجنوبية . وهي محاطة بثلاثة اسوار داخلة ببعضها . ولكن الاقسام الساحلية منها خربة واما الاقسام البرية فلا تزال مستحكمة ومتينة

استولى « بودوين » الاول بمعاونة الاسطول الجنوي على عكا عام « ١١٠٤ » م واتخذها الصليبيون اسكلة حربية وتجارية . وبعد موقعة حطين المشهورة استرد صلاح الدين الايوبي هذه البلدة واستولى عليها . وبعد اربع سنين استعاد ريشارد قلب الاسد ملك انكلترة هذه البلدة . واصبحت من ذلك الحين طريقاً لانتشار المسيحية في الاراضي الفلسطينية

ونقل (الشفاليه) الروحانيون مقرهم العمومي الى حيفا . حتى ان الشفاليه (سن جان) منح اسمه لقصبة عكا . وعلى عقب الانتصار المسيحي الاخير اجرى القتل العام في المسلمين . ولكن في السنة ذاتها اي عام ١١٩١ م و٦٩٠ هجرية استرد الملك الاشرف (صلاح الدين خليل قلاوون) احد ملوك مصر مدينة عكا بصورة قطعية فانتهت بذلك الحكومة الصليبية من هذه الديار .

وقد فتح حضرة السلطان سليم ياوز مدينة عكا مع سائر البلاد الشامية والحقها بالبلاد العثمانية وربطها بايالة صيدا

وفي اواسط العصر الثامن عشـر الميلادي علن ظاهر العمر المشهور عصيانه ضد الحكومة العثمانية فاستقلت جميع انحاء الجليل وعكا وكان متصرف بيروت في ذلك الحين احمد باشا الذي لقب اخيراً بالجزار بسبب ما سفكه من الدماء في محارباته مع العربان · فسار على العاصي ضاهر وغلبه فعين محافظاً على عكا . وفي عام ١٧٩٩ هاجم الجنرال الفرنساوي نابوليون بونابرت قلعة عكا · فلم يقدر على اقتحام المقاومة الغضنفرية التي اظهرها المحافظ احمد باشا الجزار ولم يستطع ان يتحمل ايضاً هجمات حليفتنا في ذلك الحين الدولة الانكليزية من جهة البحر فعاد نابليون خائباً مدحوراً . ويدعون ان عكا هي القلعة الوحيدة التي حاصرها نابليون ولم يستطع فتحها . وعلى اثر هذا الانتصار الباهر عين الجزار احمد باشا والياً على الشام مكافاة له . وفي سنة ١٨٣٢ خرب المهاجم ابراهيم باشا قسماً مهماً من عكا . وبعد ثماني سنين ارسلت اساطيل النمسا وانكلتره قنابلها عليها · وقد خربت هذه الوقائع التاريخية اهم الآثار العتيقة والابنية القديمة في عكا · وللمرحوم الجزار احمد باشا جامع لطيف ومدرسة (وقد استحضر احجارهما من قيسارية) وله حمام ايضاً وثكنة عسكرية جسيمة جداً . وفي الابنية المذكورة صناعة معمارية وخصوصاً التزيينات بالحجر الصيني فانها لطيفة جداً . ويقال ان المستشفى العسكري اليوم قد كان مقراً للشفاليه (سن جان) .

وفي داخل الجامع المكتبة الاحمدية وقد بناها الجزار احمد باشا مع بناء الجامع عام ١١٩٦ وجددت عام ١٣٢٣ وصنفت كتبها . ويبلغ عدد الكتب فيها ١١٩٩ منها ٤٨٨ كتب تفسير وحديث وقصص نبوية و٤٦٦ كتب لغة وتصوف وادب واما الباقي فهي كتب تاريخ وجغرافية وغيرها من العلوم والفنون

[٥] — الوضعية العمومية — تبلغ نفوس القصبة ٩٤٧١ منهم ٧١٠١ اسلام و ١٤١٨ روم و٥٩٥ كاثوليك و١٣٣ لاتين و ٦١ موارنة و١٠٥ يهود

البلدة محاطة بسور محكم وبسبب منع البناء قبلًا خارج السور فقد اصبحت الدور متلاصقة متراكمة فوق بعضها . والازقة عبارة عن انفاق ضيقة · فأصلاحها يحتاج لمصارف زائدة وبعد اعلان الدستور سمح للاهلين بالبناء خارج السور فانشأوا عدة بيوت والمأمول ان تتشكل بعد الحروب في تلك الجهة محلة جميلة على الطراز الجديد

كانت عكا حتى الزمن الاخير مخرجاً لكافة حوران ولما جاورها من البلاد الداخلية فكانت بهذه الواسطة اسكلة تجارية مهمة وكان مرفأها المساعد لدخول المراكب الشراعية الكبيرة فيه خير مسعف لها على المعاملات التجارية

ويدعون انه كان يخرج من مرفأ عكا سنوياً مليونان ونصف مليون كيلة من الحبوب (غير

انه لم يمكن الوقوف على احصاء صحيح في هذا الموضوع بسبب ارسال القيود الرسمية الى الداخلية بواسطة الحرب) ولكن بعد ان ربط الخط الحديدي مدينة حيفا بجهتي جنين والشام اخذت تجارة عكا تضمحل تدريجاً وبدأت واردات الكمرك فيها بالتناقص فكانت كما يأتي :

غروش		
٤٤٧٠٠٠	عام	١٣٢٣
٥٨٣٠٠٠	«	١٣٢٤
٤٥٠٠٠٠	«	١٣٢٥

وقد اضطر الحمالون الذين كانوا يربحون يومياً ستة مجيدية او سبعة لان يتركوا عكا ويذهبوا الى حيفا . واغلقت الخانات الكبيرة التي كانت تأوي مئات الالوف من الجمال والبغال وغيرها من حيوانات النقل — ابوابها واحداً بعد آخر . ولا يملك الانسان نفسه من التأثر والحزن على مرفأ مشهور منذ القديم بتجارته البحرية وعلى اهاليه الذين اصيبوا بهذه الضربة التجارية . وقبل الحرب الحاضرة بمدة قليلة وصل الخط الحديدي الذي كان ينتظره العكاويون بفارغ الصبر الى بلدتهم التاريخية وما كادت الحركة التجارية التي كانت غارقة في سباتها ان تستيقظ حتى داهمتها الحرب العمومية وفضلاً عن تعطيل القطار الحديدي فقد قلعت خطوطه ايضاً . وان العكاويين الذين ظهر البشر على وجوههم مدة قليلة تراهم ينتظرون بصبر لا مزيد عليه اصوات القاطرات ان تعود اليهم ثانية البشائر عن حياتهم التجارية وثرواتهم التاريخية

[٦] — المعارف في قضاء عكا — يوجد في مركز اللواء مكتب اعدادي يضم ٧٠ طالباً واربعة مكاتب ابتدائية اثنان للذكور واثنان للاناث . ففي مكتب الذكور الاول ١٨٤ تلميذاً وفي الثاني ٦٨ ولا بأس بالهيئة التعليمية في المكتب الاول . وانها في الثاني ايضاً ليست رديئة . وفي مكتب الاناث الاول ٦٨ طالبة وفي الثاني ١٥٢ طالبه . وعلاوة على ذلك ففي البلده مكتب ذكور ابتدائي للروم الاورثوذكس . ومكتب للحضانة تديره امراة مسيحية . وفي كل مكتب منهما من الستين الى السبعين تلميذاً . وقد اسس في قرى زيب وشفا عمرو وشعب ومجد الكروم وسخنين مكاتب ابتدائية وذلك من اصل ستين قرية ملحقة بمركز اللواء . وان المبلغ المخصص لمعارف قضاء عكاء يبلغ ٢٢٠١٧٠ غرش وهو لا يصرف مثل سائر المحلات في الجهات اللازمة ليخفف شيئاً على الاقل من الجهالة المتكاثفة . وان يكن المبلغ غير كثير ولكنه غير قليل ايضاً وهو على الاقل يكفي لافتتاح مكتبين صحيين جامعين للغاية والقصد من العصر الحاضر

٣ – الاحوال الاجتماعية في عكا

ان سبعة آلاف وكسور من نفوس القصبة البالغة تقريباً من العشرة الاف هم اسلام . وما يبقى من ذلك فهو منقسم على المذاهب الآتية بنسبة الكثرة : روم اورثوذكس . روم كاثوليك لاتين . يهود . موارنه بروتستان . ارمن . وان يكن لاحد من هؤلاء شخصية معينة وحالة معلومة فهم المسلمون . ولكن ما اعظم هذه الشخصية ايلاماً ... وبقدر الانحطاط المؤلم في دور عكا فان معيشة الساكنين فيها اشد انحطاطاً واكثر ايلاماً ... فاذا استثنينا من بين الاهلين عموماً ثمانية او عشرة من الاسلام وخمسة او ستة من المسيحيين الذين يشتغلون بالتجارة والزراعة وهم اصحاب ثروة ويملكون املاكاً واراض بقيمة عشرين وثلاثين الف ليرة فان الباقين من الاهالي لايشتغلون بغير المهن الفقيرة مثل الصيادة والملاحة وبيع الخضر . يكتسي الاهلون غنبازاً او سروالاً ومن فوقه حزام (زنار) ورداء (جاكت) وطربوش او عمامة (اغبانية) وهم جميعاً فقراء . وان عكا تحسب من جملة البلاد المنحطة جداً بمعارفها . وبسبب حرمان عكا من مكتب منتظم بقي محيطها على فطرته

يمضي الاهلون اوقاتهم في القهوات . ففي خارج السور ست قهوات تراها ممتلأة ليلاً ونهاراً

ليس في العكاويين ذكاء حاد . او حركة زائدة او اجتهاد او شيء يشبه ذلك مثل التشبث والميل الى العمل . والحاصل انهم خالون من كل شيء . وفي الوقت ذاته فانهم يقرون بانهم لايحبون بعضهم وليس فيهم ميل او رغبة بمعاونة بعضهم بعضاً . ورغماً عن ان قيافة العكاويين الخارجية نظيفة فان داخلية دورهم التي لا ترى النور قذرة . وعبثاً البحث عن الانتظام فيها

يمكن ان يقال ان تعدد الزوجات هنا قليل جداً . والسبب في ذلك اكثر من كل شيء هو الفقر . لا يحسب العكاويون مقتصدين فهم يصرفون ما يجدونه وما تصل ايديهم اليه . ولا يفتكرون بالمستقبل . ومن جهة اخرى فان اهالي عكا متدينون ولكنهم غير متعصبين . وتمتلأ جوامع عكا الستة بالمصلين يوم الجمعة ... وقد انتشرت هنا الطرق الصوفيه مثل الشاذليه والرفاعيه . وتسمع ليالي الجمعة والاثنين من محلات متعددة اصوات الاذكار التي تقام

ويتبع العكاويون في مراسم الزواج وغيرها العادات المتبعة في عموم السواحل . ويتبعون طريقة الزفاف الجارية في بيروت . الا ان الزوج يرسل الى خطيبته بعد عقد النكاح هدية كلائة او ثياب وتسمى (الفطور) ... وليس من المتاد الختانه قبل ان يصل الصبي الى الخامسة من عمره

ويغلب على العكاويين ان يذهبوا الى حوانيتهم او الى القهوات ومنها يعودون الى دورهم وقد طبعوا على الخمول ولذلك لا تراهم يذهبون الى محل نزهة لأستنشاق الهواء . ومن الصدفة خروجهم للنزهة الى ساحل البحر . ويخرجون احياناً الى محل بعيد عن عكا مقدار ربع ساعة وهو جنينة (الشاحوطه) وهي تقريباً عبارة عن مستنقع ويذهبون الى (البهجه) في الجهة الشمالية . ان اللغة في عكا هي عربية العوام فقط . ويلفظون هنا (القاف) مثل (الهمزه) ويلحقون احياناً حرف (الشين) في اواخر بعض الافعال مثل النابلسيين . غير انهم لايمدون الكلمة

ولا يتكلمون هنا بلسان غير العربية . ولا يتجاوز عدد المتكلمين بالتركيةواحداً في المئة . ويقال ان اثنين فقط من المسلمين يعرفون الفرنساوية . ولا يتجاوز عدد المتكلمين بالفرنساوية من المسيحيين الخمسة والعشرين . وليس في عكا اغانٍ خصوصية او ضروب امثال تمثل الحالة الروحية فيها . وحاصل القول ان عكا باعتبار حالتها العمومية ظل متكاثف

٤ — الحالة الصحية في عكا

ان الامراض التي لاتفارق عكا بصورة دائمة هي الملاريا والحمى الراجعة . ولهذا اسباب متعددة : اولاً — وجود المستنقعات فانه على مساحة ربع ساعة تقريباً من شرقي عكا يوجد مستنقع مساحته السطحية من كيلومترين الى ثلاثة كيلومترات مربعة وعمقه نحو متر ويسمى (شحوطه) وهو يتكون من طغيان نهر (النعامين) ايام الشتاء

ثانياً — يوجد مستنقع آخر داخل البلدة وفي الجهة الغربية منها ويسمى (بركة الحمام) وتبلغ وسعته المائتي متر مربع وهو يتكون من تراكم مياه الامطار . ثالثاً — يوجد مستنقع آخر بالقرب من بركة الحمام مساحته تقريباً من خمسمائة متر ويتكون ايضاً من مياه الامطار . فهذه المستنقعات الثلاثة تفسد هواء عكا فضلاً عن ان هذه البلدة نفسها بعيدة فراسخ كثيرة عن الشروط الصحية . واضف الى هذه الاضرار تلاصق الدور ورطوبتها وعدم نفوذ الشمس والهواء اليها وتراكمها فوق بعضها والروائح الكريهة التي تنبعث من الترشحات المعلومات . وعلاوة على ذلك فانه يوجد في هذه المساحة الضيقة عدة مقابر وبضع خانات وعدة اصطبلات وعدة مواقد للحمامات فاذا نظرنا الى مجموع ذلك نعلم الحالة الكريهة التي يصل اليها الهواء في هذه البلدة ونقف بسهولة على اسباب وقوع كافة الامراض

ان ماء عكا رديءٌ جداً فان هذا الماء يخرج من قرية (كابرى) في الجهة الشمالية البعيدة نحوًا

ثلاث ساعات عن القصبة ويجيء اليها بطريق مصنوعة من الاحجار ويوزع على الدور . الا انهُ معرض لكل انواع الاختلاطات في الطريق ولهذا تراه في عكا عكراً مع انه براق في اصله حتى ان طعمه يفسد . والغالب انه يكون مملوءاً بالميكروبات

ورغماً عن ان الاهالي هنا غير منهمكين بالمشروبات ولكن المناسبات غير المشروعة تزايدت جداً بسبب الفقر والضرورة . ويقال انه يقع يومياً عدة وقائع من حوادث اسقاط الجنين

ان اهالي عكا على الغالب صفراوي المزاج وعصبيون . ويكثر الضعف في الاطفال . صحة النساء مؤلمة جداً ويكثر المرض العصبي (نوارستهني) فيهن . وللاهلين اعتقاد غريب وهو ان الذي يغتسل في مستنقع (عين البقر) يشفى من كل داء . وهذا المستنقع ببعد عن عكا خمس دقائق في الجهة الشرقية وهو مملوء بالاقذار والعفونات . فاذا تصورنا ان الطبيب الوحيد لشفاء العكاويين العوام هو هذا المستنقع وهم لا يراجعون طبيباً سواه — تظهر لنا درجة الصحة في عكا

٥ — الرقابة بين عكا وحيفا

ان مدينة حيفا التي قطعت بخطى واسعة مراحل كثيرة في سبيل المدنية وازدادت اتساعاً عاماً بعد عام وازدانت بقصورها الجميلة ودورها التجارية الكبيرة وبحدائقها البديعة — قد قامت اخيراً تحاول غصب عكا مركز للتصرفية كما غصبتها من قبل حياتها التجارية فيقول اهالي حيفا : « ان القائمقامية لم تبقَ كافية لبلدتنا الجميلة التي اصبح ازدياد نفوسها وترقيها التجاري امراً محسوساً . وان مركز المتصرفية آخذ بالانطفاء تدريجاً . وان الاهتمام باصلاح بلدة اصبحت معطلة تماماً من الوجهة التجارية وهي اقل من بلدتنا نفوساً والاعتناء بجعلها في حالة مدنية — هو امر غير ممكن وان بقاء مركز المتصرفية هناك امر غير جائز على ان القائمقامية لا تكفي للقيام بحاجيات مدينة حيفا المدنية والعمرانية ولهذا يجب عدم التردد بنقل المتصرفية الى هنا والقائمقامية الى هناك»

وان العكاويين يدافعون بكل قواهم ليدفعوا هذه الطخة السوداء عن بلدتهم القديمة التي ارتبطوا بها بروابط تاريخية ويقولون في سبيل المدافعه : « اولاً — ان حيفا بلدة تحسب نفسها وطناً لكل سائح وطواف في العالم وليس لها شكل وطني . وما تشاهدونه من المباني الجميلة والحوانيت البديعة والمستودعات العظيمة فانها جميعاً ليست للمسلمين وهي اما ان تكون لاجنبي او ليهودي . ولهذا لا يجب الاعتماد على بلدة ليس لها وجهة وطنية . ثانياً — ان في بلدة عكا ثكنة عسكرية تأوي حين الايجاب عدة طوابير بل فرقة من الجند وفيها محافر ومستشفى عسكري . اما الحيفاويون فانهم يضطرون لايواء من يجيء اليهم من الجند ولو كانوا عدداً قليلاً في النزل وفي الخانات .

وفضلاً عن ذلك فان الاسلام في حيفا هم دائما احط من الالمان ومن اليهود الاجانب حتى ومن المسيحيين المتنورين · وفي هذه البلدة عدد معين من المسلمين الذين يمتن الانسان من محادثتهم » ؟

فنصرف النظر عما يقوله العكاويون او الحيفاويون ونشرح رأينا المستقل في هذا الموضوع فنقول: ان انتظام الادارة في حيفا التي اظهرت استعدادها للترقي والتقدم في مدة قليلة وقد اخذت بالاتساع عاماً بعد عام حتى اكتست هذه الحلة البديعة لا يتم الا بمتصرفية او بقائمقامية مرتبطة بمركز الولاية على الاقل · فان القائمقام الذي يبعد عن آمره ساعة من الزمان لا يكون حرًا في عمله · اذ يمكن للمتصرف ان يلغي قسماً مهماً من التدابير الادارية التي يرى القائمقام امرًا مبرماً لاتخاذها · وقد فهمنا ان اكثر القائمقامين في حيفا يشتكون من قرب مركز المتصرفية لحيفا · ومن المناسب حل هذه المسئلة الادارية التي اوجبت كثيرًا من الاراء

— ١٨ —

من عكا الى صور

كنا مقتنعين حين دخولنا الى عكا ان العيشة في هذه البلدة امر صعب جداً · ولم يطرأ اقل تزلزل على اعتقادنا هذا مدة اقامتنا في عكا · ولقد كنا نسعى للابتعاد قبل وقت عن هذه البلدة فلا نوفق الى ذلك · وخصوصاً ان الطريق بين عكا وصور تشغل يوماً تاماً من سياحتنا وستكون على ظهور الخيل تحت اشعة الشمس المحرقة · ولا ريب انها ستنهك منا القوى فكان ذلك مشغلة لبالنا · ثم استقر رأينا على الخروج من عكا في وقت راطب بعد الظهر وان نثابر على سيرنا في الليل · وبكل جهد ومشقة توفقنا للحصول على عدة حيوانات نقل ضعيفة · ولا ننكر اننا لما فارقنا عكا لم يحب احدنا ان يلتفت الى وراء فينظر اليها · وبعد ان ابتعدنا عن ذلك السور المنهدم انحرفنا قليلاً نحو الشمال وبدأنا نصعد قليلاً

كانت ترى لنا في الجهة اليمنى من الجبال قرى (الجديدة) (المكر) (كفر ياسيف واسمها القديم Achsaph :) وبعد عشرين دقيقه فارقنا (البهجه) . وحينما قطعنا مقسم الماء المرتفع وصلنا الى القصر الذي كان لجزار باشا ثم انتقل اليوم الى عبد الله باشا · وبعد نصف ساعة قطعنا جسراً على وادي السميرية وسرنا على الطريق مقدار عشرين دقيقه فوصلنا الى قصبة بهذا الاسم · وقد كان اسم قصبة (السميرية) قديماً (Simeron Meron) وسماها الصليبيون

(Le Casale Semelaria Templi) ويظهر ان اراضيها المنبسطة تزرع كل عام
وعلى الجهة اليمنى تقوم قرى (القويقات) و (عمقا) — وهي القرية المذكورة في التلمود باسم
(Amiqo) ثم بدله العبرانيون وسموها (Pethhaemeq) — و (الشيخ دامون)
و (الشيخ داود) و(القهوه) و(الكابره) — واسمها القديم El Kabry) — وترى في
هذه القرية الاخيرة مياه جميلة جداً . ومن هنا ظهرت لنا عن بعد صخور (رأس الناقوره)البيضاء
وبعد مسيرة خمس دقائق اصبح على يميننا مجرى النهر وبعد ١٥ دقيقه اصبحت على يميننا ايضاً قريتا
(وادي المجونه) و (المزرعة) . وبعد عشرين دقيقه ظهر لنا الجسر الممتد على (نهرالمفشوخ)
وبعد مسيرة ٤٠ دقيقه انحرف الطريق نحو اليسار فسرنا فيه نحواً من ربع ساعة فوصلنا الى قرية
(الزيب) التي اصبحت بحالة تلة خربة

مضى على خروجنا من عكا اكثر من ساعتين ونصف . ولما وصلنا الى هنا كانت الشمس قد
احتجبت وامتلأ الافق ظلاماً . وقد بقي علينا سبع ساعات او ثمانية على الاقل حتى نصل الى عكا
ولما اخبرنا الدليل عن صعوبة الطريق فضلنا البيتوتة في(زيب)

***

نهضنا ثاني يوم قبل بزوغ الشمس فركبنا خيولنا من هـذه القرية التي تهف منها روائح تبن
محروق ونتن اقفاص الدجاج . وبعد خروجنا عدة من (Achazib) بلدة بني اسرائيل القديمة
او من قصبة (Ecdippe) حسب اصطلاح مؤلفي الروم واللاتين دخلنا (وادي القرين)
وخلال ٣٥ دقيقه قطعنا(وادي القرقره) وبعد ١٠ دقائق قطعنا (عين المشرفه) التي كانت على
يميننا وقد كانوا يسمون قديماً هذه المحلات (Misrephath Mayin) وكانت عن يميننا
قرية البقه . فوصلنا الآن الى (جبل المشقه) . ويمتد هذا الجبل نحو البحر ويسمون آخر نقطة
منه (رأس الناقوره) . وقد كانوا يسمون قديماً هذا المحل (Tyricrum Scala) اي سلم
الصوريين . وقد افتتحت هذه الطريق بوطأ اقدام المارين عليها . فالطريق ضيقة جداً . غير
ان منظرة هذا المحل جميلة جداً اذ تظهر لك من الجهة الجنوبية عكا قائمة وسط البحر الازرق
ومن ورائها جبل الكرمل قد ارتفع نحو السماء . وامتدت هذه الطريق ١٥ دقيقة . ثم انحرفت
قليلاً نحو الداخل . وبعد ٣٥ دقيقه اخذت تظهر قصبة صور من الجهة الشمالية . ولكنها
لاتزال بعيدة عنا اربع ساعات . وهنا تقوم (قلعة الشمعة) على محل مرتفع في الجهة اليمنى وبعد ٣٠ دقيقه
يمر بخرابة (ام العامود) او العواميد) القائمة على ضفة نهر صغير وقد كانوا يسمون هذا المحل
قديماً (Tourân) اما النهر فيأتي من « حامول واسمها القديم Hammon » وبعد ٤٠

دقيقه قطعنا نهر (اسكندرونه Alexandaras chene) وخرابتها . ثم اخـذ الطريق الموصل الى (رأس الابيض) يصبح صخرياً وقد كنا نعقب ساحل البحر . كان رأس الابيض معروفاً في القديم باسم « Promen tarium Allum » ويوجد هنـا على الجهة اليمنى في محل مرتفع (برج البياره) وعلى الجهة اليسرى ترى هوة على ساحل البحر يبلغ عمقهـا ٦٠ متراً وبعد تسلق التـلة وتزول ذلك المنحدر المدهش مدة ساعة من الزمن بـدأنا بتعقيب طريق الساحل المستقيم . وهنا تظهر خرابات (شيبريه) على ذروة قائمة في الجهة اليمنى وعلى بعد منهـا (بيوت السيد) و (العزيه) وبعد السير نصف ساعة في (وادي العزية) قطعنا من الجهة اليمنى قرية (كايله) القائمة امام جسر قديم . وبعد عشرين دقيقه قطعنا (نهر المنصوره) وبعد السير ٢٥ دقيقه وصلنا اولاً الى رأس العين وبعد ساعة من هذا المحل وصلنا الى قصبة صور « Tyr » . ان قصبة الصور محاطة من جميع اطرافهـا بالرمال وكانها مدفونة بالرمال . فانحرفنا اولاً نحو اليمين قليلاً ثم وقفنا امام حانوت بالقرب من مدخل البلدة الضيق وقد انتصف النهار . وقـد كنا تعبين منهوكي القوى من سياحتنا هذه التي امتدت نحواً من سبع ساعات او ثمانية . ولمـا طرحنا انفسنا في جهة مرجهات نهو النزل الكبير الذي يشبه سوق الدلالين استشعرنا بنيلنا سعادة ولو كانت موضعيه وموقته

— ١٩ —

صور

١ ـ وضيعة صور . منظرها . داخلها

ان بلدة صور القديمة (Syr تير) التي بنيت قبل الميلاد العيسوي بالفين وسبعمائة سنة والتي كان يسميها العبرانيون « Zor » والعرب « Sour » لا يمكن ان يستدل من حالتها الحاضرة الصغيرة العارية عن كل اهمية — على ما كان لتلك البلدة من الاهميـة التاريخية فاذا مادخلت صور يداخلك اعتقاد جديد وهو انه يجب على التاريخ القديم ان يقطع علاقاته مع الزمن الحاضر ويعيش عيشة خالية فقط . ولا يمكننا بغير هذه الواسطة ان ننظر الى هـذه القصبة التي اصبحت حياتها الماضية من الاساطير والتي كانت مسقط راس « آستارته Astarté » ومركزاً دينياً لسلطنة « ملقارت Melqart » . ولا نزال ننظر في الوقت الحاضر الى هذه القصبة

كانها جزيرتان قد انفصلتا عن بعضها في حينه فاحداهما مركز بحري والاخرى مركز بري واسع يمتد شمالاً من نهر القاسميه الى رأس العين جنوباً . ولا نزال نسرح النظر فكراً في السحن المختلفة التي تحضر اليهـا وتخرج منها على اختلاف مذاهبها واديانها واجناسها ونحلها ونشاهد ما اقامه اولئك السكان فيها من الاعمال العظيمة كالاسوار والقلاع والدور والحواجز والاقنية والمعابد . وما تتضمنه هذه التربة وتلك الرمال من تذكارات الشجاعة والبسالة الثمينة التي مضى عليها اربعة آلاف سنة تقريباً

اما اليوم فان هذه البلدة الفقيرة ليست سوى كومات من المساكن الصغيرة بين الجهة الشمالية والشمالية الغربية من شبه جزيرة رملية ممتدة نحو الغرب . وباعتبار الوضعية فان القصبة الحاضرة تشغل الضلع الشمالي من الجزيرة القديمة . ولا يزيد طول القصبة من مدخلها في الجهة الشرقية الى طرفها الغربي على مائتي متر . وما زاد على البقعة التي تقوم فيها القصبة فهي سهول قائمة في الجهتين الغربيـة والجنوبية تحرث وتزرع . وفي الجهة الجنوبيـة تقوم مقبرة كبيرة

وتوجد في الجهة الشرقية الجنوبية من صور اعمدة قديمة وانقاض وسدود وحواجز . وتمتد هذه الانقاض الى الغرب والى الغرب الجنوبي من الجزيرة . اما آثار الجهة الجنوبيـة فمدفونة في الجنائن . ويعثر هنا على خرابات حجرات . ويقدرون انها كانت مقابر قديمة

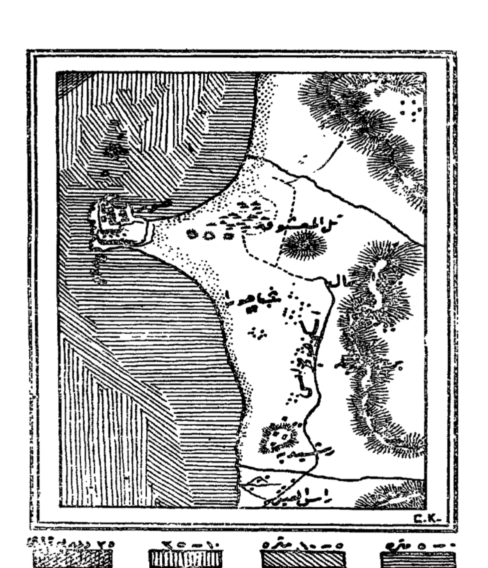
اما الجهة الغربية من صور فقد بقيت فيها آثار القلاع من القرون المتوسطه . ولا يزال كثير من اعمدتها ظاهرة . والحاصل انه لم يبق من القديم سوى القليل . وقـد نقل قسم كبير من المواد الابتدائية التي تحسب من الآثار العتيقة الى عكا وبيروت

اما الاثر الوحيد الباقي ويحسب على قدر الامكان من الآثار القديمة فهو الكنيسة العائدة لزمن الصليبيين والقائمة في الجهة الشرقية من القصبة . ولم يحفظ منها سوى القسم الشرقي

امـا مدخل القصبة فلم يبقَ فيه اثر لا للسور الداخلي الذي كان حول المدينة ولا للسد والقناة اللتين اقامهما الاسكندر كما انه لا يوجد اثر للسور الخارجي ايضاً

وفي الوقت الحاضر يوجد رصيف في الساحل الشمالي من قصبة صور وهو يقوم مقـام المرفأ القـديم الذي كان معروفاً باسم الرصيف الشمالي او رصيف صيـدا . ولا تزال تظهر آثار البنايات القديمة في الساحل

ولصور رصيف آخر كان يسمى قديماً (المرسى المصري) وهو مدفون اليوم تحت الرمال . هذه حالة صور في الوقت الحاضر . وقد اصبحت الحواجز التي هدمت بمرور الزمان وتراكمت حول الدور



صور وضواحيها

سدا منعاً لتوسيع القصبة ومع هـذا فانه يوجد مانع آخر وهو (الاراضي المدورة) فهم يريدون ان يبيعوا هذه الاراضي القائمة في الجهة الشرقية باثمان باهظة فيمتنع الاهلون عن اشترائها فاذا لم تبع المأتا دونم المزروعة في ساحل البلدة والاربعة آلاف دونم من الاراضي الرملية الخاليه فان القصبة تبقى على صغرها وانحطاطها

ان سوق صور قائم على الطريق الوحيدة التي تقطع القصبة من شرقيها الى غربيها . وكافة الحوانيت التى لا تتجاوز الاربعـين او الخمسين مبنية على الطرز العتيـق تماماً . وفي هذه الطريقة باحة ضيقة يقوم في وسطها كوخ صغير وفي داخله بقعة صغيرة مغروسة بشيء قليل. ويسمونها حديقة البلدية . وجميع طرق القصبة ضيقة وترابية وعبارة عن مداخل ومخارج معوجة ما عدا هذه الطريق الوحيدة المفروشة باحجار صغيرة قائمة والتي لا يتجاوز عرضها الاربعة او الخمسة امتار . وفي الجهة الشرقيه خارج القصبة يوجد بئر عمومي يسمى (عين) ومنه يستقي الاهلون واذا اضفنا الى قصبة صور حمـاماً تحت الارض باق من الماضي . وقهوتين مبنيتين على الطرز الشرقي في جوار حيفا من الجهـة الشمالية تتجلى الوضعية الداخليـة في صور .

ويروى ان حضرة يسوع زار جوار قصبة صور وان الرسول بطرس اقام فيها سبعة ايام ولهذا ترى المسيحيين لا ينسون هذه القصبة . وقد اصبح من المعتاد اشادة مبان نصرانية في المحلات التى قضى فيها المسيح (عليه السلام) حياته ولذلك اقام المسيحيون في صور بنـايات كبيره وكنائس وامثالها . ومن ذلك دير الفرنسيسكان ومكتبهم ودير اخوات القديس يوسف « Sæurs de St. Joseph » وكنيستهن ومكتب لكل من طائفتي الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ومكتبان انكليزيان احدهمـا للذكور وآخر للاناث ومكتب انكليزي للعميان ايضاً

٢ — الاحوال العمومية

[١] — قضاء صور — يحد قضاء صور شمالاً قضاء صيدا وشرقاً قضاء مرجعيون وجنوباً لواء عكا وغرباً البحر الابيض

ينقسم القضاء الى ثلاث نواحٍ وقد تشكلت مديرية في تبنين وبقيت الناحيتان الاخريتان تابعتين لمركز القضاء

بلغت نفـوس القضاء عام ١٣٣٢ (٤١٢٤٠) مابين ذكور واناث وقد كانت عام ١٣٢٤ « ٣٢٣٠٥ » فبلغت الزيادة في نفوس القضاء خلال سبع سنـين (٨٩٣٥) وان الزيادة في هذا

القضاء توجب الامتنان

يخمنون مساحة القضاء السطحية بخمسمائة كيلو متر مربع وهي منقسمة الى الانواع الآتية :

كيلو متر مربع	
١٦٥	اراض صالحة للزرع
٠١٠	اراض باقية تحت الماء
٠٠٥	« قابلة للاسقاء
١٥٠	احراج ومراع
١٧٠	اراض صخرية
٥٠٠	وهذه مساحة القضاء عموماً

[٢]— الاحوال الطبيعية في القضاء — لاتوجد جبال عالية في القضاء . وتبدأ الجبال المسماة « عامل » في مبدأ نهر القاسمية وتنتهي في المحل المسمى « مشيرفه » وهي من شعب جبال لبنان وارتفاعها الوسطى « ٦٥٠ » متراً . وصخور هذه الجبال كلسية وغرانيت . ولا يوجد سوى نهر القاسمية في القضاء . وقد كتبنا عن هذا النهر بياناً كافياً في القسم العمومي

اما درجة الحرارة في القضاء فحدها الاعظم ايام الصيف في الساحل ٤٣ ونصف وفي الجبل ٢٨ وفي الخريف تكون في الساحل ٢٥ وفي الجبل ٢٠ . اما ايام الشتاء فتهبط في الساحل الى ٧ وفي الجبل الى (٢) وتكون ايام الربيع في الساحل ٢٠ وفي الجبل ١٧

الاهوية— يهب ايام الخريف الريح الشمالي وتهب ايام الشتاء الاهوية الجنوبية والغربية . اما ايام الصيف فيصبح القضاء باجمعه معرضاً لهواء الغرب وفي الربيع يكون معرضاً للهواء الشرقي اما الاهوية الجبلية المنتظمة فتهب في شهري حزيران وتموز

[٣] — قصبة صور — مركز القضاء قصبة صور وهي واقعة في الجنوب الغربي من مركز الولاية على بعد ٧٥ كيلو متراً منها ومحاطة من جهاتها الشمالية والجنوبية والغربية بالبحر الابيض ويحيط بها من الطرف الشرقي جنائن واراض مزروعة

اسم القصبة القديم (تير) . ان قصبة صور التي كانت تخرج عدداً عظيماً من السفن في الاعصار القديمة وفي ايام الفنيكيين فملكت التجارة البحرية في العالم بوسائطها النقلية حتى سميت (ملكة البحار) واحرزت الدرجة العالية في الثروة والمدنية واصبحت مركز انتشار القسم الاعظم

من العلوم والفنون — كانت مبنية على ارض مؤلفة من جزيرتين صخريتين ربطتا بالبر برزخ ذي طريق معبدة . ومعنى (تير) في العبرانية والفينيكيه (الصخرة) وقد انشأ اسكندر الكبير الطريق التي تربط الجزيرتين بالبر

اما قصبة صور اليوم فهي مبنية في النقطة التي تربط البرزخ بالجزيرتين . واما صور القديمة فقد كانت قائمة في القديم على شبه الجزيرة . وتبلغ مساحة شبه الجزيرة التي كانت تشغل ثلثها ٥٧٦٥٠٨ امتار مربعة تقريباً

ان منظرة القصبة الحاضرة منحطة جداً لفقدان المزروعات منها . غير ان هذا الانحطاط يعدله نوعاً ما اشجار النخيل القائمة في محلات مختلفة ولطافة منظرة البحر والخضرة في السطح المائل من الجهة الشرقية . ولقد سقطت اهمية صور التجارية ومركزها البحري الى درجة الصفر وانحصرت تجارتها بتصدير الحبوب التي ترد اليها من حوران وباخواج شيء قليل من القطن والتبغ . وخرج من مرفأها (اي عام ١٣٢٩ مالية) حبوب واثمار بقيمة ٣٠ الف ليرة . وقد بقي شيء قليل جداً من الآثار المهمة في القصبة : ولا تزال بقايا مقبرة صور القديمة التي تأسست وتوسعت في ادوار مختلفة . وعلاوة على ذلك فقد بقي فيها معبد قديم صنع من حجر واحد . وكذلك المجاري التي تنقل المياه من (آبار سليمان) في راس العين

ويبلغ عدد هذه الاحواض (ثمانيــة) ويروى المؤرخون في القرون الوسطى ان الملك (حيرام) استعان بحضرة سليمان فارسل اليه عمالاً بنوا هذه الاحواض . اما اليوم فقد ظهر من طرز انشاء هذه الاحواض انها من آثار الرومانيين . وتوجد في القصبة خرابة كنيسة اشادها الونديكيون باسم (القديس مارق) ايام الصليبيين . وقد رغب الجزار احمــد باشا ان ينقل الاعمدة الحمراء من هذه الكنيسة الى الجامــع الذي اشاده في عكا . ثم صرف نظره عن ذلك لعدم تمكنه منه

[٤] — تاريخ صور — انشئت مدينة « تير » لاول مرة على البر في محل يدعى « عدلون » قبل الميلاد المسيحي بثلاثة الاف سنة . وكانت تسمى في ذلك الحين « سارا » . امــا اصل مدينة صور فقد انشأها الملك « حيرام » الفينيكي على الجزيرة الصغرى من الجزيرتين المذكورتين سابقاً ووصلها بمعبد « هاميلقارت » بطريق معبده . ويؤخذ من مشاهدات هيرودوت ابي التاريخ انه كان في المعبد المذكور عامود من الذهب . ويُظن ان حضرة سليمان ملك بني اسرائيــل ارسل هذا العامود الى المعبد الفينيكي مكافاة لحليفه الملك حيرام ملك فينيكيا مقابل ما ارسله هذا من اللوازم والفعلة والعمال حينما انشأ سليمان معبد القدس عام « ٩٦٩ » قبل الميلاد

ولما خرب بخت نصر عام « ٥٨٢ ق ٠ م » مدينة صور التى انشأها حيرام انتقل الاهلون الى الجزيرة الكبيرة «عام ٥٧٢ ق٠م » وانشأوا بلدة صور الثانية هنا ٠ وان البلدة الجديدة هي مدينة صور التى راقبت صيدا بتجارتها وهي التى كانت ترسل سفنها التجارية الى اقصى انحاء المعمور في البحر الابيض والبحر الاطلاسي وهي التى احوزت مقاماً نافذاً وحيزاً سامياً في العالم القديم ٠ورغماً عن تخريب اسكندر الكبير لهذه المدينة عام « ٣٣٢ ق ٠ م » ورغماً عن ظهور مدينة الاسكندرية رقيبة لها فان اهالي صور ما زالوا ثابتين على خطتهم ومقاومين لكل معارض ٠ وقد حافظوا على الدرجة الاولى في صناعة الصباغ الارجواني وعمل الاواني الزجاجية ٠ وقبل الميلاد بثماني عشرة سنة استولى عليها « پومپه » الروماني والحقها مع ايالة صيدا بحكم الملك الاسرائيلي « هرود الكبير » الذي كان محمياً من قبل الرومانيين

ولما افتتح المسلمون سوريه استولوا على مدينة صور ايضاً وفي عام ١٣٢٤ ميلادية استولى الملك بدوين الثاني الصليبي « **Boudouin** » ملك القدس على مدينة صور وعلى قلعتها الحصينة وبقيت بيد الصليبيين ٨٧ سنة ورغماً عن هجمات صلاح الدين الايوبي فانه لم يتوفق لاستردادها ليد المسلمين ٠ ولكن الملك الاشرف « صلاح الدين بن قلاوون » احد حكام مصر طرد المسيحيين منها واسترد صور وفي عام ١٥١٠ الحق حضرة السلطان سليم ياوز مدينة صور بالدولة العثمانية

ومن العوامل التى اثرت في الاهمية التجارية لمدينة صور هي الآفات السماوية فقد اصابت المدينة عام ١٢٠٢ زلزلة مدهشة خربت القسم الاعظم من البلدة ٠ وفي العصر الحاضر اي عام «١٨٣٧» اصيبت البلدة بزلزال آخر دفع بها مسافات بعيدة الى الامام في سبيل التأخر

ولقد كان للبلدة مرفآن في الجهتين الشرقية والشمالية ٠ اما اليوم فقد امتلاء الجنوبي منهما تماماً وضاق الشمالي جداً ويظهر ان المرفأ الجنوبي كان محفوظا بمكاسر للامواج من مبدأه حتى رأس الابيض المشاهد من صور ولا تزال آثار قليلة باقية من هذه المكاسر

اما المرفأ الشمالي للجزيرة فان عمق الماء في المحلات الداخلية التى ترسو فيها السفن الصغيره يبلغ قامة واحدة وفي المحلات التى تلقي السفن مرساتها يبلغ ست قامات ٠ ويمكن في الوقت الحاضر لخمس بواخر كبيرة ولخمس عشرة باخرة صغيرة ان تلتجأ الى هذا المرفأ وتجتمع فيه بوقت واحد ٠ وللمرفأ رصيف قديم يبلغ طوله ١٥٠ متراً وسدٌ من مكاسر الامواج يبلغ طوله ٤٠٠ متر وهما من الآثار القديمة

كانوا يستحضرون الماء قديماً الى صور باقنية تحت الارض من خزائن الماء القائمة في تلة

(معشوق) على بعد كيلو مترين ونصف شرقي صور ولا تزال آثار هـذه المخازن التي تأخذ مياهها من رأس العين مشاهدة بالقرب من الصخر الكبير القائم جنوبي الذروة

اما اليوم فان اهالي صور يدفعون احتياجهم للماء بما يستقونه من البئر الوحيدة القائمة في المدخل الشمالي للقصبة . وان ماء هذه البئر صافٍ ولكنه مالح قليلاً

[٥] نفوس صور وبلديتها — نذكر هنا اعداد النفوس في اعوام ١٣٢٤ و ١٣٢٨ و ١٣٣١ مالية

	عام ١٣٢٤	عام ١٣٢٨	عام ١٣٣١
اسلام	٣٤٤٧	٣٦٥٠	٣٧٤٩
كاثوليك	١٦٤٣	١٦٦٩	١٧٥٨
روم	٤٣٢	٤٤٧	٥١٩
موارنه	٤٧٤	٤٨٩	٥١٦
بروتستانت	٣	٣٠	٣١
	٦٠٢٦	٦٢٨٥	٦٥٧٣

ظهر من هذا البيان ان نفوس قصبة صور لم تترق ولم تنم مطلقاً في السنين الاخيرة . وقد كانت المهاجرة الى اميركا حتى اعلان الحرب لم تنقطع مطلقاً من جميع انحاء القضاء . وان من الامور المؤسفة التي تستلفت النظر حالة الفقر والضرورة التي اصيبت بها قصبة صور التي اشتهرت بمعادنها وبقابليتها الطبيعيه لتأسيس الاحراج وجنائن البورتقال وبمركزها التجاري العظيم الذي نالته في القرون الاولى — وقيام الصهيونيين والالمان بتأسيس مستعمرات في فلسطين واستحصالهم النتائج الجيدة منها . ولقد هاجر حتى الآن الى البلاد الاجنبية من جميع القضـاء خمسة آلاف شخص. وعاد الى صور تقريباً من النصف بعـد ان اكتسبوا شيئاً من الثروة

وان بلادة الاهلين وفقرهم وضرورتهم وعطالة المدينه وكثرة مهاجرة الاهاين الى اميركا هي ادوار اجتماعية مهمة يدعو كل واحد منها بـبوائق مؤلمة ارباب العزم والوطنية من المأمورين الى العمل تلافياً لاخطارها

يبلغ طول اسواق صور المنحطة اربعة آلاف متر . فخمسمائة متر منها يبلغ عرض الاسواق فيها الستة امتار واما الباقي فيتراوح عرضها من مـتر الى ثلاثة امتار . ولقصبة صور التي يتألم المنتسبون للتاريخ من حالتها الحاضرة بلدية ايضاً وبسبب زيادة الفقر بين الاهلين بواسطة الحرب العامة التي عطلت استيفاء الواردات المهمة التي كانت تؤخذ عن الامتعة التجارية سقطت بلدية صور حتى كانت

الواردات في ميزانيتها لعام ١٣٣٢ (٥٥١٥٠) عرشاً مع ان مصارفها في ذلك العام بلغت (٧٣٦٦١) غرشاً منها ٣٦٦١٠ غرش للمعاشات وخمسة آلاف للتدابير الصحية و ٤٠٠٠ لتجهيز الاموات . وقد كان رئيس البلدية يشكو من كثرة مصارف دفن الاموات ويقول انه كان يوجد لهذا المصرف في الميزانية قبل الحرب ثلاثة آلاف غرش . اما اليوم فقد بلغ ما اصرف منهُ خلال ثلاثة اشهر الفي غرش . فهل يعرف الرئيس المسكين ! ان قرى ملبس والمطله وريشون لوزيون وغيرها من القرى اليهودية كانت محاطة من اطرافها لاربعة بالامراض السارية وبقيت سالمة مصانة من كل شيء بفضل التدابير الصحية البلدية التي اتخذوها بجد وثبات ومتانة ؟ لكن معرفتها وعدم معرفتها لديه سواء . وانني ارى بانه لا يمكن العمل بهذه التشكيلات البلدية وبرجال البلدية هؤلاء في هذه البلاد المسكينة

لا يوجد في ميزانية البلدية لعام ١٣٣٢ ارقام معينة للتنوير والتنظيف وتوسيع الطرق وفتحها او لمثلها من الاعمال المنتظرة من البلديات وقد خصصوا ٢٠٠٠ غرش سنوياً لمصارف حديقة البلدة القائمة وسط القصبة العارية من الاشجار والمملوءة بالاعشاب اليابسة . فاما ان يحسنوا حالة الحديقة ويجعلوها صالحة للنزهة او انهم يهدمونها ويجعلون مكانها باحة وسيعه

[٦] — المعارف — يوجد اليوم في كافة القضاء ١٥ مكتباً : منها ١٢ للذكور و ٣ للاناث . ويبلغ عدد الطلاب في المكاتب ٤٠٠ منهم ٢٥ في مكاتب الذكور و ١٥٠ في مكاتب الاناث غير ان ٦٠ في المئة من هذين القسمين هو من غير المسلمين و ٤٠ في المئة من اولاد المسلمين . وانها لنسبة تستلفت النظر جداً لان مقدار المسلمين في القضاء يقرب من ثلاثة ارباع السكان . غير ان مسلمي القضاء وهم المتاولة قد اصيبوا بجهالة كثيفه جداً . وقد ظهر بالتخمين ان خمسة في المئة من اولاد المتاولة يذهبون الى المكاتب والخمسة وتسعين الباقين يقضون حياتهم وايامهم بين المزابل وفي الازقة القذرة . ولهذا بات من الواجب على الحكومة المحلية ان تطبق قانون التدريسات الابتدائية بتعميم التحصيل الابتدائي اجبارياً . وليس في الامكان الوقوف على معلومات كافيه بخصوص المكاتب الابتدائية في مركز القضاء او في القرى سواء كانت رسميه او غير رسميه . والسبب في ذلك التعطيل الرسمي للمكاتب وذهاب المعلمين بالأذونيه

[٧] — الاحوال الزراعية والمواسم — تقسم الاراضى المزروعة في قضاء صور عام ١٣١١ الى الوجه الآتي :

دونم	نوع المزروعات	نسبة المحصول الى البذار المزروع
٣٢٠٠٠	قمح	خمسة لواحد

١٠٠٠٠	شعير	سبعة لواحد
١٠٠٠٠	عدس	〃 〃
٣٠٠٠	فول	ثمانيه 〃
١٠٠٠٠	جلبان	سته 〃
٨٠٠٠	حلبه	عشره 〃
٨٣٠٠٠		
٤٠٠٠٠	الاراضي التي هيئت للمزروعات الصيفيه	
٥٧٠٠٠	〃 〃 تركت بوراً اتباعاً لطريقة المناوبة	
١٨٠٠٠٠		

ظهر من هذا ان مساحة الاراضي التي تزرع في القضاء هي عبارة عن ١٨٠ الف دونم وهي ثلث المساحة العمومية لاراضي القضاء اما الثلثان الباقيان فهما اما اراض غير مزروعه او صخرية ·
وهذا احصاء المحاصيل السنوية العموميه لعام ١٣٣١ ماليه

اوقه	جنس المحصول
٣٠٠٠٠٠٠	قمح
٠١٠٠٠٠٠	جلبان
٠١٥٠٠٠٠	عدس
٠٠٥٠٠٠٠	ترمس
٠١٥٠٠٠٠	فول
٠٠٣٥٠٠٠	حمص
١٠٠٠٠٠٠	شعير
٠١٥٠٠٠٠	حلبه
٠٠١٠٠٠٠	سمسم
١٥٠٠٠٠	ذرة
٤٧٤٥٠٠٠	المجموع

الاحراج — يؤخذ من المعلومات الرسمية ان عدد الاحراج في كافة القضاء يبلغ ١٥ فيقطع منها في السنه ٥٥ الف اوقه حطب ويصنع منها ٦٥٠ الف اوقة فحم ويصدر منها سنوياً الى الخارج ٣٠٠

متر مكعب من الاخشاب •وستة من هذه الاحراج تبلغ مساحتها ٢٢٠٠ دونم وهي عائدة للقرى والقصبات . وتسعة منها تبلغ مساحتها ٥٢٠٠ دونم عائدة للحكومه . ويغلب ان تكون اشجار هذه الاحراش من السنديان والبلوط . وحفظاً لهذه الاحراج من التعدي ارتأى مجلس ادارة القضاء تعيين اربعة محافظين من ابناء القرى المجاورة في اربعة مواقع تنقسم اليها الاحراش باعتبار ان كل اربعة احراج متجاورة تعتبر دائرة مستقلة على ان تستوفي هذ الاجرة حسب النظام من اهالي الجوار . واذا لم يمكن فمن الدائرة البلدية (؟!) ولم يستخدم حتى الآن سوى محافظين فقط

[٨] — الآثار العتيقة في ناحية تبنين — ان تبنين هي ركز ناحية تبنين الملحقة بالقضاء وهي قصبة قائمة على بعد عشرين كيلو متراً شرقي صور ومبنية على تلال مستورة بالاحراج والكرم والاشجار المثمرة وهي ذات منظر حسن . واكثر الاهلين فيها متاولة وقسم منهم مسيحيون ويقيم مدير الناحية في القصر الباقي من الآثار القديمة في هذه القرية الكبيرة . ويقوم في الجهة الشرقية من القصر احجار ذات قطع كبير وخزائن ماء يستدل منها على ان تبنين كانت مستحكمة جداً في ذلك الدور التاريخي وان القلعة التى انشأها (هوك سن اومر) زعيم طبريا والتى بقيت من آثار القرون الوسطى — انما هي منشأة للقيام بالغارة والهجوم احياناً على اراضي صيدا . وفي واقعة حطين الشهيرة استولت الجيوش الاسلامة على قلعة تبنين . ثم هدمها الجزار احمد باشا والي القلعة المذكورة

ويوجد على رأس النبع في قرية « قدس » واسمها القديم « قادوس » القائمة على بعد ثماني ساعات في الجهة الشرقية من مركز القضاء — عدة قبور كبيرة بقطعة واحدة ويوجد في الشمال الشرقي من النبع مخزن كبير مبني من احجار عظيمة . وقد كان مخصصاً لدفن الاموات . ويرى في اطراف القرية معبد خرب وكثير من اللحود المنحوتة والمباني القديمة وهي التى يسميها القوم « العماره » ولا ريب انه اذا بحثوا في هذه الاماكن يخرجون منها كثيراً من الآثار العتيقة المهمة

٣ — الحياة الاجتماعية في صور

تخمن نفوس صور بالوقت الحاضر بستة الاف او بسبعة آلاف ونصف هؤلاء مسلمون والنصف الاخر مسيحيون وخمسمائة من المسلمين من اهل السنة والباقي من المتاولة . اما المسيحيون فاربعمائة منهم موارنة و ٢٠٠ لاتين والباقون روم . ويوجد في القصبة عدد قليل من اليهود والبروتستان

تفترق في صور محلات المسلمين عن محلات النصارى فيقيم المسيحيون في القسم الشمالي والشمالي الغربي ويقيم المسلمون في الاقسام الباقية من البلدة . وتمتد (حارة المصاروه) شرقي القصبة وهي خاصة بالسنيين من المسلمين

ولما كان عدد السنيين في صور قليلا جدًا فليس لهم خصوصية معروفه في هذه البلدة الصغيرة . ولا فرق بينهم وبين مسلمي السواحل الاخرى في طراز المعيشه واللباس وفي حالاتهم الروحيه والفكرية وفي عاداتهم الاجتماعيه . وليس في صور حياة علميه او حياة صناعيه . الاهالي يقنعون بالقليل . وهم بطيئو الحركة . اما الدين فلم يصل لدرجة التعصب بين السنيين حتى ان مشايخهم يدعون بان السنيين يتهاملون بدينهم . ويتجلى ضيق المعيشه هنا . ويكاد تعدد الزوجات ان يكون مفقودًا

اما المتاولة الساكنون قصبة صور فان حياتهم الاجتماعيه تكاد ان تكون منحطة تماماً . لان المتاوله مفطورون على الانقياد الاعمى لكبارهم فهم لا يمتنعون عن التسليم بكل موجود عندهم امام اولئك . ولا يضيع كبراؤهم هذه الغنيمة فهم يعرفون طريقة الاستفادة فيمتصون هذه الكتلة البشرية كانهم يحلبون لبن بقرة عندهم . ويحمون رؤساء الدين في هذا الانحطاط لترويج آمال الكبراء . ويظهر للمدقق ان للرؤساء الدينيين دخلا بترك المتاولة على ما هم عليه . وبناء على هذا فانه لا يوجد فرق بين معيشه المتاوله في القرى ومعيشة المتاوله في صور فجميعهم آلات صماء بايدي الكبراء . ففقدوا كل شيء باسم الحياة العائليه او تربيه الاولاد او رفاه الفكر وراحته

سلّم المتاوله امورهم التعليمية لايدي المجتهدين فهؤلاء يلقون الدروس في المدارس . ينتقل الطالب منهم من درجة مراهق الى مرتبة فقيه ثم يذهب الى العراق فيكمل تحصيله ثمت ويغدو مجتهدًا . يلبس الطالب والمراهق والفقيه والمجتهد الكسوة العلميه التي يكتسيها السنيون . يرجع المتاوله في جميع امورهم الى المجتهدين . وفي كل قرية جامع للمتاوله يسمى (حسينيه) وليس فيه مأذنه او منبر . يدين المتاوله بدين عموم الشيعيين . وليس لهم اعمال خصوصيه . يتمسكون بدينهم تمام التمسك . يؤمنون بالله وبالرسول . ويعتقدون بخلافة الامام علي والائمة الاثني عشر المعروفين . ويقولون ان آخر هؤلاء الائمة هو المهدي الذي اختفى في سامره بالعراق عام « ٢٥٥ » وانه لا يوجد بعده خليفه . وينتظرون قدوم المهدي بكل تسليم واعتقاد . ويتغنون بقول شاعرهم الذي يدعو الامام بقصيدته التي يقول فيها

اجل فداك العالمون باثرهم

ويجيز المتاولة نكاح المتعة ولهذا يسهل على المرأة ان تتزوج بعدة رجال على التعاقب فتلد عدة اولاد من آباء مختلفين . لا يصلي المتاولة جماعة الا اذا كان واحد من مجتهديهم اماماً . يجمعون بين الصلوات فيصلون صلاة الظهر والعصر في وقت معين بين الصلاتين ويؤدون المغرب والعشاء في وقت متوسط بينهما . ولا يعقدون ايديهم في الصلاة . يصلي المتاولة صلاة التراويح فرادى . وليس عند المتاولة صلاة الجمعة . اما صلاة العيد فيجب ان تؤدى بامامة المجتهد

يتلقى المتاولة دينهم من مجتهد حي . وفي صيدا وصور ومرجعيون ثلاثة من كبار المجتهدين . يقيم المتاوله مأتم في اوقات معينه للامام الحسين . واذا اكلوا شيئاً من مسيحي يتمضمضون بماء كثير . ولا يجوز عند المتاولة ان يطلق الرجل زوجته ثلاث مرات في جلسة واحدة . وما يقع من هذا القبيل يحسب طلقة واحدة . ويجوز للرجل الجمع بين نكاح المتعة والنكاح القطعي . وليس في نكاح المتعة طلاق . وينتهي النكاح بختام الاجل . لا يرث الزوجان من بعضهما في نكاح المتعة . اما اذا حصل منهما ولد فانه يرث

يدفع المتاولة زكاة اموالهم للمتاولة الفقراء . وعلاوة على ذلك فانهم يعطون خمس ارباحهم الى السادات . ولا يفترقون بباقي الاعتقادات والخصوصات ويجدر بنا ان لا نهمل الاشارة الى عاداتهم الغريبة . ففي كل دار حوض يسمونها (جابيه) او (ام كرى) فلا يؤمنون بطهارة شيء من الاشياء الا اذا ادخل الى هذا الحوض واخرج منه . واذا نظرنا الى ان هذه الاحواض تترك مدة على حالها نعرف الضرر الذي ينشأ عن هذه العادة

اما الطوائف المسيحيه في صور فانهم يستجلبون النظر اكثر من سائر الطوائف فهم يشتغلون بالتجارة . ولقد حصل عندهم انتباه في الايام الاخيره بواسطة مؤسساتهم الدينية والعلمية وبسبب اختلاطهم الدائمي بالاشغال مع المسيحيين في بيروت وصيدا وجبل لبنان . ويعدون اليوم ارقى الطبقات في صور من جهة المعيشة والحياة البيتية . ويوجد بينهم من يعرف الالسنة الاجنبية

هذه هي الحياة الاجتماعية بين الصوريين الذين تكلمت عن حياتهم العمومية . غير ان هذه الكتلة الصورية تجتمع طبقاتها وصنوفها في بعض النقاط وتلتحم مع بعضها :

اولاً — مسئلة النفوذ : فانه يوجد افراد ارتفعت رؤوسهم بطريقة من الطرق بين جميع الطبقات من اهالي القضاء سواء كانوا متاوله او سنيين او روماً او موارنة انتقلت اليهم ثروات تزايدت تدريجاً حتى وصلت الى الحالة الحاضرة وقد توسلوا مع طول السنين بكل واسطة لتزييد ثروتهم وانماء ماليتهم كعضوية المجالس والمأموريات التزموا الاعشار وانتهزوا كل فرصة ممكنة حتى وصلوا الى ما

وصلوا اليه من العــود · و يوجد اليوم في صور طبقة من المتنفذين الذين لا يملكون مباشرة رؤوس اموال كافية ولكن ترى الاهلين منضمين اليهم وملتحقين بهم لمزية من المزايا التي تمسكوا بها ·وبين طبقة المتنفذين في صورقسم من رؤساء الشيعه وقسم من مثري السنيين · وبين المسيحيين اناس ينضمون الى اولئك او الى هؤلاء · ولا يتحاشى هؤلاء المتنفذون من القيام بالتزوير والمفاسد ضد بعضهم · ولا غاية لهم من ذلك سوى زيادة الانتفاع والاستفاده · ويؤخذ من روايات بعض ارباب العلاقة ان هؤلاء يتفقون مع بعضهم كل عام ليبقوا بدلات الاعشار على ما كانت عليه في السنين السابقة · ولاريب ان هؤلاء كانون بلاء وضرر يغلي فوق رؤوس فقراء الاهالي المحرومين من جميع اسباب الرفاهية والتمدن ولهؤلاء موقع ومقام فوق كل جنسية ومذهب

ويوجد في صور حالة ثانية عامة تستوجب الاسف وقد نمت جذورها في صلصال السفالة الاجتماعية لا وهي مسئلة المهاجرة : فيبلغ عدد المهاجرين سنوياً من صور الى اميركا الوفاً من مسيحيين ومسلمين وهؤلاء يتركون اسرهم هنا ويذهبون الى بلاد المهاجرة · ولا يمكنهم ان يرسلوا من اميركا الى اهلهم في صور سوى ما يقتصدونه من ارباحهم . ولكن ذلك لا يكفي اهليهم الذين يصبحون في حالة مؤلمة من الفقر والسفالة · يكبر اطفالهم وهم قطعــان لا حامي ولا راعي لها · تعجز نساء المهاجرين عن اشباع الاطفال وتضطر للسقوط في جميع انواع المهــاوي الاجتماعيــة · وان اكبر الجروح القتالة في صور هي هذه المسئــلة · ويدعي بعضهم ان اكثر من نصف سكان صور بالحالة الحاضرة هم النساء الباقيات بلا معين ولا ملجأ · وتدخل في هذا القسم نسوة الطوائف المسيحية والمتاولة · ولقد اضطررن اولاً بحكم الضرورة والاحتياج لسلوك طرق غير لائقة سداً للعوز وربما انقلبت الحالة لطور مرض اجتماعي سري الى القرى ايضاً حتى انه اصبح بدرجة حادة في قرية (جويه) · ولا ريب ان هذه الحالة مهواة مهلكة لقصبة صور

٤ — الحالة الصحية في صور

ان الحالة الصحية في صور يجب مقابستها مع وضعيــة البلدة وطراز الحياة فيها والشروط الصحيــة في الجوار · ولقد اشرنا قبلاً الى تلاصق دور البلدة وعدم نفوذ الهواء والشمس اليها فلا لزوم لاعادة ذكرها هنا · اما طراز الحياة فانا قبل ان نتكلم عنه ننشر هنا جدولاً ببيان الاعمال التي اتخذتها الايدي العاملة مهناً لها وهو دليل بليغ على بيان قصدنا

عدد

٠٣٩ . معلم وطبيب وامثاله

٠١٤٣ تاجر
٠١٥٠ نجار
٠٤٠٠ مكاري
٠٤٠٠ حمال
٠١٥٠ خادم
٢٨٠٠ بلا عمل

ومع اعترافنا بان هذا الاحصاء غير حائز لدرجة الوثوق مثل غيره من الاحصاآت ولكننا نعرف منه درجة الفقر والضرورة والانحطاط بالمعيشة المستولية هنا . ويعلم منه انه لا اثر للرفاهية قطعياً في محيط صور

ولا ننسى هنا ان نضيف على ذلك قيام المستنقعات الناشئة عن توزع المياه من انهر (سامرو) و (بقبوق) و (راس العين) . وبناء على هذه الاسباب يجب الاعتقاد بوجود مرض شديد الوطأة بين هؤلاء الاهلين المبتلين بدورهم وبمعيشتهم وبهوائهم رغماً عن ادعاء الطبيب بانه لم يعاين مدة وجوده في صور سوى ثلاثة من المسلولين . فان الذين لم يروا لزوما لمراجعة الطبيب وساروا الى دار البقاء بدون صوت ولا خبر لا يعلم عددهم الا الله . ومهما يقولون عن الحالة الصحية في صور فانها ضربة قاضية على اهالى هذه البلدة الفاقدين لجميع انواع الرفاهية والانتظام وحسن التغذي والعيشة المحرومين من كل شيء حتى من الهواء النظيف

ان اصابات الملاريا هنا تحدث تأثيرًا كبيرًا فترجع الاحياء الى هياكلهم العظمية . وكذلك مرض العيون فانه شديد . ويقول طبيب القضاء ان ٦ او ٧ مصابون بمرض العيون من بين الذين يراجعونه يومياً وعددهم يتراوح بين ١٠ و ١٢

وقد احدثت علة التيفوس في الايام الاخيرة (حتى شهر تموز سنة ٣٣٢) اضرارًا بليغة هنا . فقتلت اكثر من مائة شخص من صور . ولا ارى لزوماً للكلام هنا عن الامراض العادية مثل (حرقة البول) و (الاسهال) العادي وما يشابهها

ولا اترك هذا البحث قبل ان اشير الى تناقص النفوس في المستقبل رغماً عن القيود الظاهرية في دفاتر النفوس وعن التزايد الجلي المسطر في صحائفها . فان تيارات المهاجرة التي لا تنقطع انزلت ضربات شديدة في هذا المحيط حتى اصبحت كتلة كبيرة من البشر عاطلة مهملة في هذا القضاء . نعم ان المواليد لا يظهر عليها التناقص المتواصل ولكن لا اقول بصحة احصاآتنا التي نضعها . ومع هذا فان الاحصاآت الصحيحة هي التي تلهينا قليلًا عن الحالة التي لا تمليها علينا

الحقيقة الرياضية . ولقد عثرت على بيان غريب في احصاء عمومي وضع للقضاء لعام ١٣٢٨ وهو :

في قضاء صور

٧٢٠٠	متزوج
٣٥٠٠	ارملة
٢٥٠٠	مطلقة
١٩٥٠٠	باكر

ويؤخذ من هذا الجدول انه توجد كتلة بشرية مؤلفة من ٢٥٥٠٠ امرأة عاطلة مهملة امام مجموع صغير لا يتجاوز الـ ٧٢٠٠ رجل ولاريب ان الصغيرات غير داخلات في هذا الحساب. لانه جاء في بيان آخر ان مجموع نفوس القضاء يزيد سبعة آلاف شخص وهذا العدد يجب تخصيصه بالاولاد

فاذا اضفنا الى ذلك مسئلة التناقص الحقيقي في المواليد يظهر لنا باقرب ملاحظة الحالة الصحية المؤلمة التي ابتليت بها صور وكيف انها تتدحرج في مهواة خفية من الاضمحلال والسقوط

— ٢٠ —

في طريق صور — صيدا

كنا نعيش مدة اقامتنا في صور في نزل غريب جداً . فهو ولا ريب مقام واسع ولكنه محروم من جميع وسائل الراحة ولقد كنا نلاقي صعوبات جمة بتدارك احتياجاتنا . ولم يتيسر لنا احد نطلعه على قصتنا . ومع هذه الحالة فان صور لم تكن ثقيلة الوطأة محرجة للصدر مثل عكا . ولا شبهة ان في تربة صور مزية لا يمكن لغير « Baloetyros » القدماء ان يفهموها . واذا تذكرنا انه لما تهيأنا للسفر الى صيدا نظرنا الى هذه الصحيفة الباقية من تاريخ الازدهار نظرة وداع طويلة فاننا نكون ظالمين . ولقد كان ضميرنا يكرر قولنا : « ان هذه المدينة التي عاشت اربعة آلاف سنة لم ترَ على كل حال وجه التدني والاضمحلال قدر الوقت الحاضر »

خففت شمس الظهيرة شيئاً من حرارتها فركبنا عربة . وقد كانت رمال مدينة تير المرمة تتطاير عن يميننا . وفي تطاير هذه الرمال معنى مؤلم وجارح وكانها تقول :

— اتركوا هذه الثروة القديمة تغرق في سبتها الابدي

نعم ان المدينة وجميع ما فيها الآثار كانت في سبات. وليس فيها سوى البحر العنود لا ينفك عن مهاجمة الساحل بكل حدة وهياج

انقضت نصف ساعة على سفرنا فانحرف طريقنا نحو الداخل وبعد خمس دقائق كان عن يميننا قرية (عين بقبوق) وعن شمالنا قرى (طورا) و (بيدياس) وبعد ساعة ظهر لنا خان ثم (نهر القاسميه) وهذا النهر يطلق على القسم السفلي من نهر (الليطاني) . وهو عميق ومياهه تسرع بسيرها لتصب في البحر . وفوق الخان خرابات (برج الحوا) وعلى بعد ربع ساعة نحو الداخل خرابات (قبور الملوك) . ولما اخذنا نتباعد عن هذا المحل كانت الشمس تودعنا عن بعد مرسلة آخر رسل من اشعتها . وكانت طريقنا جميلة للغاية . وقد اخذ نسيم المساء العليل يهب فوق اراضي فينيكية القديمة . وبعد خمس وعشرين دقيقه بدأ القمر يضيء لنا الطريق بصورة لطيفة . فظهرت لنا بعد ذلك خرابات خان آخر على الطريق

وكان على الجهة اليمنى صخرتان بيضاوان كبيرتان وقد تكونت منهما مغارتان قديمتان . وتقربنا بعد عشرين دقيقة من (ابو الاسود) فبدأت من هنا خربات سور وبناء . وبعد ٢٥ دقيقه كان على يميننا (بني سير) وهي مغارة وعدة اعمدة وبعد ١٥ دقيقه وصلنا الى (عدلون) وقد كانوا يسمون عدلون قديماً (**Ornitopolis**) . وهنا توجد مغارة تسمى (ام البزاز) ويقال ان ماء يتناقط فيها من بز مصنوع من الحجر

وبعد مدة قطعنا (الانصارية) عن الجهة اليمنى وتركنا نهر (الخزيراني) البعيد نحو اربعين دقيقه وبعد مفارقتنا عدة مغارات امام (السكسيكه) وصلنا الى موقع تقوم فيه عن اليمين خرابات وعن الشمال (سارافاند) المرتفعة . كانت (سارافاند) تعرف قديماً باسم **Zarapta** او **Izarepta** ويروى ان ثمت مقاماً للخضر . وبعد قليل ظهر لنا ظل قاتم في جهة الامواج فقيل لنا :

— لو كان الوقت نهاراً لظهرت علينا صيدا . وما ذاك الظل البعيد سوى صيدا ...

قربنا اذن من صيدا . وبعد ١٥ دقيقة وصلنا الى نبع « عين القنطره » وبعد عشرين دقيقه بلغنا نهر « العقبيه » . وكانت تقوم هنا في الجهة السفلى من ساحل البحر قلعة « برج الخضر » وبعد ١٥ دقيقه وصلنا الى « نهر الجزاريه » وبعد ١٠ دقيقه اخرى وصلنا الى « نهر العدسيه » بالقرب من « تل البراق » و « خان البراق » وقد قامت هنا جنائن . وبعد عشرين دقيقه وصلنا الى « نهر الزهراني » وبعد ٢٥ دقيقه مررنا في وادي الطيش وكانت « الغازيه » على يميننا . ومن هنا بدأت

الاراضي المستويه والسهول الواسعة . وبعد اربعين دقيقه قربنا من « نهر الزنبق » . وبعد ان قطعنا « دير بسير » و « ميوميه » عن اليمين وصلنا الى جنائن صيدا

اخذنا نمشي بين جنائن صيدا فقطعنا بعد عشرين دقيقه « نهر الدغوث » وهو النهر الذي كانوا يسمونه قديماً « Ardupia » وبعد خمس دقائق ظهرت امامنا اول دار في صيدا . وقد انتصف الليل تقريباً . و كانت منظرة صيدا بخضرتها وضوء القمر يتلألأ فوقها منظرًا بديعاً يستجلب الاعجاب . وانتهى بنا السير بوقوف مركبتنا امام بناء كبير وهو النزل . فلم نشعر بتعب من سفرنا هذا الذي قضيناه بلطف وخيال شعري .

— ٢١ —

صيدا

١ — وضعية صيدا ومنظرها

بنى الفنيكيون مدينة صيدا [illegible] و Sidon) القديمة التي باقي منهم على قسم من [illegible] داخل في البحر Promontoir . [illegible] البلدة القديمة التي يسميها الشاعر اليو[illegible] في اشعاره [illegible] تاريخ ووقائع وحوادث قدر ما لمدينتي عكا وصور . ولكن الريب ان الشكل الحاضر لقصبة لايزيد تذكارنا بماضيها الزاهر . ولو عاش (هوميروس) في هذه الايام لاعجبته هذه القصبة اللطيفة ولسماها البلدة الزمردية بدل البلدة النحاسية . نعم ان صيدا بلدة زمردية بكل معنى الكلمة . فان السفوح الغربية والشمالية والجنوبية المتجهة نحو البحر الازرق خضراء زمردية على طول القصبة . فالربيع لايفارق صيدا بواسطة جنائنها التي تمتد نحو ساعتين شمالاً وجنوباً وهي مغروسة بكافة انواع البورتقال والليمون واللوز والموز وغير هذا من الفواكه . انبلدة صيدا الممتدة من الشمال الى الجنوب ونحو الغرب قليلاً غنية بمناظرها . ويزيد في حسن هذه البلدة الخضراء وبديع مناظرها تلال جبل الريحان (Tomat Nhia) القائمة وراء الجنائن من الشرق . وقريتا (الهلالية والبرامية) المتلألئتان عن بعد كالماس وخصوصاً قصورهما اللطيفة الملونة التي تشهد لبانيها بالصناعة والاهتمام

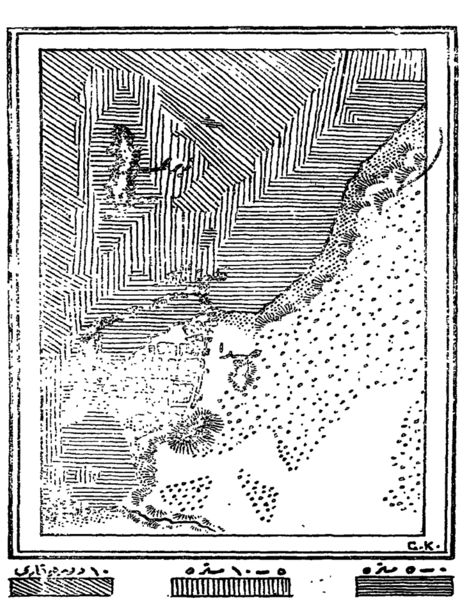
ويفصل بين لبنان وهذه الساحة الخضراء (نهر الاولى) الجارى من الجهة الشمالية نحو الجنائن

ويتم هذا الحد الفاصل في جهة الشرق بطريق معبدة منتظمة . ولقد اهدى هذا الاقليم البديع هدية صغيرة من محاسنه الى البحر وهي جزيرة صغيرة في الجهة الغربية من القصبة . وحاصل القول ان البلدة بكافة ابنيتها وبخضورتها وبجنائنها وببحرها وبساحلها هي احدى المدن الزاهرة البديعة

٢ — داخلية صيدا

[١] — ابنية القصبة وازقتها — في الجهة الشرقية من قصبة صيدا جادة واسعة تقطع البلدة من اولها الى آخرها اي من الجنوب الى الشمال وهي الطريق الوحيدة فيها . وهذه الطريق تمتد من صور وتنتهي بالقرب من قلعة البحر في الجهة الشمالية على اليمين ويسمي الصيداويون قسماً من بلدتهم حتى قلعة البحر طريق (الشاكرية) . اما القسم الممتد على الساحل فيسمونه (طريق القملة) ومع هذا فانهم يطلقون على قسم من نهاية طريق الشاكرية وهو من جهة قناطر الماء الى جهة بيروت اسم (طريق بيروت) وتمتد طريق بيروت اكثر من نصف ساعة وهي بين الجنائن المتواصلة فيمكننا ان نقول انها بهذا الاعتبار الطف طريق في سورية . ولا ننسى ان الاقسام التي تمتد من جنوبي طريق الشاكرية الى جهة صور هي لطيفة جداً مثل هذه الطريق . اما الطرق الاخرى في صيدا فرغماً عن كثرتها وعن رصفها بالاحجار فانها غير حسنة وكئيبة جداً. وانها لتفوق بظلامها وعفونتها ازقة عكا القديمة . ولا يظن القارئ ان في سوريا ممرات وطرقاً هي اشد رداءة من طرق صيدا

اما الجهات التي هي في اقصى درجة العمران من صيدا فهي القسمان الشمالي والشرقي . فدور على الطراز البيروتي . ونزل كبيرة . ومخازن كبيرة ونظيفة وهي زينة طريق الشاكرية من اولها الى آخرها . وان الدور الجديدة المبنية على الساحل الممتد من الشمال الى الشرق جميلة للغاية فهي ذات طبقتين عموماً واكثرها مصبوغ بالازرق او بالاحمر . وقد سترت سقوفها بالآجر الاحمر . فنظرت من جهة الى البحر واطلقت نوافذها من جهة اخرى على طريق الشاكرية . وليس لها اتصال على الغالب بدور اخرى فاصبحت بهذا الاعتبار مطلقة الجوانب الاربعة . ويقيمون على جبهات دورهم المطلة على الجادة اقفاصاً غريبة (شعريات) وستائر عجيبة للتحجب ولكنهم معذورون بهذا القدر . ورغماً عن ان الدور التي بنيت على الطرز البيروتي غير قليلة ولكنها غير مهمة بالنسبة لنفوس صيدا . ويجب ان لا يلفظ باسم ما يبقى من محلات صيدا ما عدا الاقسام الباقية من هذه الطريق والمسماة (الشارع) و (الطاحون)



صيدا وضواحيها

و (الوسطاني) . فان الدور المنحطة والبيوت الرديئة قائمة في الجهة الجنوبية والغربية والوسطى والشمالة الغربية من القصبة. وربما كانت قصبة صيدا منحصرة في ساحة ضيقة وقد بقيت مدة طويلة على هذه الحالة مثل صور وعكا حتى كانت دورها المذكورة شكلاً مصغراً لعكا . ولكنك لا تجد فيها داراً ذات طبقة واحدة. وترى على الغالب فوق القبب التي تستر الطرق في ساحات ضيقة حجارة سوداء يعلوها اخضرار . ونوافذ خشبية سوداء قذرة. وحديداً اكله الصدأ . وتعرف الدور بجدرانها المستورة بالدخان وبداخلها المظلم وبباحاتها العفنة المحرومة من الهواء . هذه هي مساكن الصيداويين ولا يوجد نظير لطرق صيدا الا في محلة السامريين . كما انه لا يوجد نظير لهـذه الدور التي لاسبيل لتنظيمها وتوسعة ازقتها وايصال شيء من النور والحياة لها . ولا يرى الانسان وسيلة ناجعة لاصلاح هذه المحلات سوى الهدم ...

ولاينتظر انهدام هذه الدور بمرور الايام لانها محكمة البناء . ولقد جاءت هذه البنايات لطخة سوداء في هيئة صيدا الجديدة الضاحكة من ظاهرها . وتتألف من هـذه الدور ست محلات واسماؤها ثقيلة مثلها . وفي محلة (الزويتني) و (الساحـه) و (كشك) و (كنان) وامثالها اثار عتيقة من قبل العمران الاخير الذي قام في صيدا . ويمكننا ان نذكر من بين تلك الآثار القديمة « قلعة المعزه » او « القلعة الفوقا » في الجهة الجنوبية من القصبة و«قلعة البحر » او « القلعة التحتا » في ساحل البحر والسراي التي انشأها « فاخر الدين » احد رؤساء الدروز في الجهـة الغربية من القصبة

ان صيدا غنية بجوامعها ويؤخذ من المؤلفات القديمة ان فيها تسعة جوامع ولكن لا يعرف فيها بالوقت الحاضر سوى « الجامع الكبير » و « جامع البحر » و « جامع البطاح » و « جامع كتخدا» و « جامع المصلية » و « جامع المجذوب » . وفي صيدا اربع حمامات وهي « حمـام المير » و « حمام الجديد » و « حمام السوق » و « حمام الشيخ » وهي من هذه الجهة غير سيئة الطالع مطلقاً

ولا ننسى ان في وسط القسم القديم من القصبة باحة صغيرة تعرف باسم « ساحة السرايا » وحوض ماء ايضاً

ولو بقيت هذه القصبة على بناياتها القديمة لكانت تحسب خالية من المعنى مثل رفيقاتها مدن السواحل . ولكن صيدا قد ازدهت وزاد رونقها وحسن حالها بمخازنها المبنية على احسن طرز وبناياتها الواسعة وبقهواتها وبنزلها ومطابعها وبمطاحنها وبمحركاتها البخارية المنتشرة بين جنائنها وبياراتها . وخصوصاً بالمباني التي اقامتها الجمعيات الاجنبية للمسيحيين وشادها الموظفون الاجانب وبما فيها من المعابد الكثيرة

ومن البنايات التي يجدر الاشارة اليها مكاتب الذكور والاناث للاميركان وكنيسة الفرنسيسكان ومكتب اللاتين للذكور ومكتب الراهبات « Sœur » ودارهن للايتام وكنيسة الجزويت ومكتبهم وكنائس الموارنة والروم والاورثوذكس والروم الكاثوليك ومكاتب الاليانس الاسرائيليت . ولا حاجة للاشاره للهمة والعناية اللتين بذلتا في اقامة هذه الابنية . كما انه لايصح انكار ان هذه البنايات التي صرف عليها مبالغ عظيمة قد اوجدت روحاً عمرانيه في صيدا

[٢] — ماء القصبه — انمن الاسف ان لايكون لصيدا طالع سعيد بمائها مثل حسن طالعها بموقعها ومنظرتها فان ماءها رديء للدرجة النهائية . يأتيها الماء من مسافة بعيدة وهو مأخوذ من منبع « الباروك » في جوار « عين زحلتا » في جبل لبنان . نعم ان ماء الباروك نظيف وممتاز ولكنه مكشوف في طريقه ومعرض لكل ما يتصور من انواع التلويث . ويزداد تلوثه في المحل المسمى « عماطور » اي حينما يقرب من القصبة ويصب في محل قناطر ماء عاليه تسمى « الطالع » وهناك ينقسم ويجري في قساطل حديدية ويتوزع على جميع انحاء القصبه . ولاينكر ان الماء لايطرأ عليه شيء من التلويث في داخل القصبة ولكنه يجيء اليها ملوثاً . وبهذه الواسطه فان ماء صيدا منبع كثير من الامراض . ففي الماء جميع انواع العضويات وله رائحة كريهة . وقد اتبع في توزيعه العرف الجاري منذ عصور حتى ان الاشتراك به في هذه الايام يكلف مبالغ عظيمه . ولهذا فان قصبة صيدا تعاني مشقات عظيمة من جهة تدارك الماء . ورغماً عن وجود عدة ابار في انحاء متفرقة من القصبة ولكنها لا تسد العوز . وقد عثر الاميركان في الايام الاخيره ببئر (ارتوازي) فخرج منها ماء وافر ووزع على بعض المحلات ولكن الفائدة منه ظلت خاصة . وقد سيل هذا الماء الى حوض غاية اقامها الاميركان في الجادة في القسم الشمالي من صيدا

٣ — الاحوال العمومية في صيدا

[١] — قضاء صيدا — يحد قضاء صيدا شمالاً قضاء جزين من ملحقات جبل لبنان وشرقاً قضاء مرجعيون وجنوباً قضاء صور وغرباً البحر الابيض . ويؤخذ من التخمين الذي وضعه مجلس ادارة القضاء ان المساحة السطحية لعموم القضاء هي ٤٠٠ الف دونم . اما عدد النفوس فهو كما يلي في الجدول :

اسلام	كاثوليك	موارنة	روم	بروتستانت	ارمن كاثوليك	لاتين	يهود	اجانب	الموقع
١١٣٩٨	٩٦١	٦٥٠	١٣١	٧٣	٢	١٧	٨٨٨	٤٧	نفس القصبة
٠٨٦١٤	٠١٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ناحية شومر
٠٩٤٣٨	١٢١٨	٢٤٦٥	٠	٣٧	٠	٠	٠	٠	« جباع
١٧٦٠٨	٠٣٢٧	٣٩٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	« الشقيف
٤٧٠٥٨	٢٥٢٣	٣٥٠٨	١٣١	١١٠	٢	١٧	٨٨٨	٤٧	المجموع

المجموع العمومي

ذكور	اناث
٢٧٥٥٥	٢٦٨٢٩

٥٤٣٨٤

اما مقادير الوفيات والمواليد في عموم القضاء فقد ذكرت في الجدول الاتي :

من سنة ١٣٢٥ الى سنة ١٣٣١

مواليد		وفيات
٤٧٥٨	اسلام	١٥١٦
٠٢٧٨	موارنة	١١٠
٠١٥٤	كاثوليك	٠٥٤
٠٠١١	بروتستانت	٠٠٧
٠٠١٣	روم	٠٠٩
٠٠٠٢	لاتين	٠٠٢
٠٠٦٩	يهود	٠٢١
٥٢٨٥	المجموع	١ ،

ظهر من الارقام السابقة ان نفوس القضاء زادت في ست سنوات ٣٥٦٦ شخصاً وهي بنسبة نصف الزيادة في قضاء حيفا البالغة هناك ٣٧٪ ٠ واذا نظرنا الى الارقام الرسمية التي نعتمد عليها يتبين لنا ان مواليد النساء بين المسلمين زادت ٩٠ نفراً على مواليد الذكور بالنسبة للسنة الماضية وزادت

وفيات الذكور ٠ ٣٦ على وفيات النساء وبهذا الاعتبار فان عدد الذكور في قصاء صيدا آخذ بالتناقص

ان قصبة صيدا واقعة في الدرجة ٣٣ والدقيقة ٣٤ من العرض الشمالي والدرجة ٣٣ والدقيقه ٢ من الطول الشرقي وهي مربوطة بمركز الولاية بطريق معبدة ٠ وقد قامت صيدا في النقطة المركزية من طريق بيروت — صور فتبعد عن بيروت ٤٥ كيلومتراً جنوباً وعن صور ٤٥ كيلومترًا شمالاً ٠ وتنقسم صيدا الى عشر محلات ونفوسها ١٤١٦٧ منهم ١١٣٩٨ مسلماً و ٩٦١ كاثوليكياً و٦٥٠ مارونياً و ١٣١ اورثوذكسياً و٧٣ بروتستانتياً و ١٧ لاتينياً و ٨٨٨ يهودياً و ٤٧ اجنبياً

وقد ظهرت في الثماني سنين الاخيرة زيادة في مواليد الطائفة وهي الاسلامية ١١١٥ من الاناث و١٠١٥ من الذكور وظهر نقص في وفياتها وهو ١٢٥٠ من الاناث و٣١٠ من الذكور . فيستدل من هذا على ان عرق الذكور في قصبة صيدا وفي عموم القضاء آخذ بالاضمحلال والتناقص ٠ وان من الواجب اتخاذ التدابير الصحية والاجتماعية لمنع ذلك

[٢] — تاريخ صيدا — ان قصبة صيدا مبنية على رأس جزيرة قائمة امامها مثل سائر المدن الساحليه الفنيكية وهي قائمة مقام مدينة « صيدون » التي كان لها موقع تجاري مهم جداً ايام الفنيكيين ٠ ومعنى صيدون في اللسانين العبراني والفنيكي « صيد السمك Tsidon » ٠ ويروى ان باني هذه القصبة هو صيدون اكبر اولاد كنعان بن حام بن نوح ٠ وقد استفاد اهلوها من موقع بلدتهم اللطيفة فاوجدوا لانفسهم علائق ومناسبات مع كافة الاقوام في السواحل المجاورة وارتقوا بحرفهم وصنائعهم وتجاراتهم وعلومهم وفنونهم ٠ وبسبب ذلك كانت صيدا ارقى المراكز ايام الفينيكيين واهم المواقع التجارية على البحر الابيض ٠ ورغمًا عن انتقال المركزية الى صور فان صيدا لبثت محافظة على اهميتها التجارية

كان الصيداويون كما قال عنهم الشاعر اليوناني هومر — ماهرين بارعين فنهضوا بتجارتهم نهضة محسوسة ووسعوا نطاقها حتى انهم اسسوا لانفسهم مراكز تجارية في محيط البحر الابيض وفي البحر الاطلاسي الكبير ايضاً ٠ وعاشوا عيشة مستقلة راضية الى ان كان عام ٨٤٠ قبل الميلاد فستولى (سالمانصار) الثالث ملك اشور على مدينة صيدا ثم انتقلت بعد قليل الى ايدي الكلدانيين والى اسكندر الكبير ٠ وبعد هذا الفاتح العظيم استولى الفينيكيون على صيدا ولكنها ظلت محافظة على استقلالها ٠ وفي عام ١٨ ق ٠ م منح الامبراطور اوغست الروماني فاتح سورية مدينة صيدا (لنمرود الكبير) الحاكم السوري

وفي عام ١٤ هجري دخلت صيدا في عداد الممالك الاسلامية اثناء فتوحات الشام ايام حضرة

عمر (رضي الله عنه) احد الخلفاء الراشدين ثم استولى عليها بلا قتال الملك (بودوين) ملك القدس اثناء الحروب الصليبيه

وبعد واقعة حطين وانتصار المسلمين ذلك الانتصار العظيم هدم صلاح الدين الايوبي قلاع صيدا • وبعد عشر سنين استردها الفرنجة عام ١١٩٧ لمدة موقتة . وظلت تتراوح متنقلة بين ايدي المسلمين والمسيحيين الى ان الحقها حضرة السلطان سليم خان بالممالك العثمانية مع جملة القطعة السورية وذلك عام ٩٢٣ هجرية و ١٥١٧ ميلادية . وبقيت مدينة صيدا خربة اثر هذه الوقائع الى مبدأ العصر السابع عشر فاخذت بالنهوض والترقي . ولقد راقت مدينة صيدا للامير الشهير فخر الدين الدرزي باقليمها وموقعها الطبيعي اللطيف فزينها بالبنايات الجميلة ووسع نطاق التجارة فيها . وقد كانت تجارة الحرير من اهم منابع الثروة في صيدا • وبعد وفاة الامير المذكور تدنت اهمية صيدا التجارية بسبب الاعمال الرديئة التي اجراها الجزار احمد باشا حتى انها تنازلت عن مركزها التجاري الى مدينة بيروت . وتهدمت صيدا بالزلزال العظيم الذي حدث اخيرًا ثم اعيد عمرانها ايام سليمان باشا احد الامراء العثمانيين

اتخذت صيدا مركزًا للايالة مدة من الزمن . ثم جعلت مركز قضاء تابعاً للواء بيروت المربوط بولاية سورية . ولا تزال حتى الآن من ملحقات اللواء

ليس في صيدا المحصورة بين جدران السور الخرب مرفأ • حتى ان المرفأ الشمالي المملوء اليوم بالرمال كان حوضاً لتعمير السفن • وقد احيط هذا المرفأ من طرفيه بالصخور والارصفة . وقام في الشمال الشرقي منه جسر بيضي الشكل ذو تسعة قناطر يربط الساحل بقلعة البحر . ويظهر ان باني القلعة هو الامير فخر الدين الدرزي • اما مرفأ المصريين في الجنوب فقد بقيت جدرانه القديمة ومراسيه الصنعية في الجهة الشرقية - وقد كان الامير فخر الدين سده في ذلك الحين . وفي اعلى نقطة من الجهة الشمالية الشرقية من صيدا قلعة يسمونها (قلعة المرد) بناها الملك (سن لوئي) ملك فرنسا عام ١٢٠٣ وفي الجهة الشمالية من القصبة مجاري مياه جعلت تحت الارض لاستحضار الماء من نهر الاولى الى المدينة

سقطت اهمية صيدا من جهة الآثار العتيقة سقوطاً بليغا • وان الجامع الكبير القائم امام سراي الامير المشهور فخر الدين في ذلك البلد كان كنيسة بناها قديماً الشواليه سرجان

ان مقبرة مدينة صيدا القديمة التي اضرّ بها سماسرة الآثار العتيقة لا تزال ظاهرة بين الصخور في محل مرتفع عن سهولها في الجهة الشرقية من القصبة الحاضرة • وان اهم القبور في هذه المقبرة التي يمكن زيارتها والتدقيق فيها خلال بضع ساعات هي القبور القائمة في الجنوب الشرقي من المدينة

وقد ظهر في هذا المحل لحد ملك صيدا (اشمونازار) الذي اكتشف عـام ١٨٥٥ ونقل الى متحف باريس . ويغلب على الظن انه لا يوجد في هذا المحل سوى الكنيسة الصغيرة التي اقامها الفينيكيون لعبادة آلهتهم (استارته) . وان كنيسة قرية مغدوشة هي من هذا القبيل

وفي عام ١٣٠٣ المصادف لسنة ١٨٨٧ ميلادية قام مدير المتحف السلطاني بحفريات مهمة في جنينة شريف افندي احد الاهلين القائمة في الجهة الشمالية الشرقية من صيـدا فاكتشف واحداً وعشرين لحداً

وقد وجد بـين هذه الآثار لحد مزين بالرسوم النافرة وبالالوان والنقوش البديعـة والعجيبة وقد اشتهر باسم لحد اسكندر الكبير ولكن لم يعرف حتى الآن انه لحد اي ملك و انه صنع اي حفار ورسام . وبالنظر لما حواه هذا اللحـد من بديع الصنع العجيب فهو ذو قيمة كبيرة . وقد جاء الاستانة كثيرون من علماء اوربا واميركا لزيارة [illegible] . ولم تبقَ مجلة من المجلات لم تكتب الفصول الطوال عن وصف [illegible] وجد على احد هذه اللحود كتـابة فينيكية . ومنها عرف انه لحد احد الملوك الفينيكيين واسمه (تنيت)

[٣] — البلدية — امامي الآن ميزانية البلدية لصيـدا عن عام ١٣٢٤ و ١٣٢٨ و ١٣٣٠ و ١٣٣٢ . ويؤخذ منها ان واردات البلدية كانت عام ١٣٢٤ (١٤٤٩٤٠) فصارت بعد اربع سنين (١٨٧٢٠٧) وبعد سنتين صارت (١٩١٠٠٠) غرش ولكنها سقطت عام ١٣٣٢ الى (١٠٩٧٠٠) بواسطة الحرب العامة . وتتألف هذه الواردات من رسوم الذبحية والكاز والوسائط النقلية ومن اجور الاملاك . اما قسم المصارف في ميزانية ١٣٣٢ فهو مملوء بالاعاجيب واليك البيان : كانت الرواتب قبل ثمـان سنوات ٢٣٠٠٠ غرش فاصبحت في الميزانية الاخيرة (٨٤٧١٥) غرشاً وخصص لمصارف المواسم والاعياد ١٠١٢٠ غرش ولمصرف الفقراء ١٥٥٠٠ غرش . ولن بلدية صيدا التي تعرف ان الواجب يقضي على البلديات ايام الحرب ان تشتغل ليلاً ونهاراً بالاعمال الحقيقية قـد استعملت صلاحيتها فقط بتزييد الرواتب وبتضعيف مخصصات المراسم والاعيان والفقراء . وتقضي الميزانية بان يصرف ١١٠٣٣٥ غرشاً على هـذه الفصول الثلاثة البعيدة عن المقصد الحقيقي من تشكيل البلديات الاساسي . ومابقي من الواردات العمومية وهو ٤٩٣٦٥ فانها تصرف على التنويرات والتنظيفات وعلى الامور الصحية ولا ريب ان اجوآت البلدية هنا كلا شي مثل سائر القصبات في المملكة

[٤] — المعارف — كان التحصيل الابتدائي في قصبة صيدا يجري حتى مارت من عام ١٣٣٣

بمعرفة جمعية المقاصد الخيرية التي اسسها المرحوم مدحت باشا عام ١٢٩١ وقد بدأت هذه الجمعية حين تأسيسها بفتح مكتب ابتدائي يضم ١٥٠ طالباً ويديره اربع معلمين . وبذلت الجمعية جهدها بتزييد الواردات من جهة وبتكثير عدد المكاتب من جهة اخرى . وقد نجحت هذه الجمعية العالية التي بدأت بالعمل صغيراً فاصبحت ذات واردات مالية حتى بلغ عدد الاملاك التي تحوزها الاربعين وكانت وارداتها عام ١٣٢٩ مالية ٩٤٣٧٠ عرشاً

كانت الجمعية تدير بهذه الواردات المهمة اربعة مكاتب وهي مكتب الفيضيه والخيريه الذكور ومكتب الاناث في محلة الشارع ومكتبي الشمعون للذكور والاناث . ولقد كان في هذه المكاتب الاربعة ٦١٨ طالباً و٥٣٢ طالبة و٧ معلماً و١٨ معلمة . ولم يكن المعلمون المستخدمون في هذه المكاتب حتى اعلان الدستور سوى قوة اجرائيه للقائمقامين . وقد ارادت الجمعية الخيرية بعد عام ١٣٢٤ ان تسلك سبيل التجدد ولكنها لم تنجح ولقد كان بالامكان ان يدار شأن هذه المكاتب الاربعة بصورة اوفق ادارة وعلماً وذلك بواردات الجمعية التي تقرب من الف ليره . وفي عام ١٣٣١ الغيت الجمعية بامر من نظارة المعارف الجليلة والحقت اموالها بهيئتها الاصلية لمحاسبة الولاية الخصوصية وربطت مكاتبها بمديرية المعارف

اما المكتب الابتدائي الذي اسس منذ اربعين سنه تحت ادارة مديرية المعارف فقد قلب الى (نمونه) قبل بضع سنين وعهد بادارته الى معلمين يجب ان يكونوا اكثر اهلية لخروجهم من دار المعلمين . وفي المكتب اليوم ١٠٠ طالب . وقد وقعت زيارتنا لصيدا ايام تعطيل المكتب ولهذا لايمكننا ان نذكر شيئاً عن درجة ترقيه او تدنيه

ولـ. نظر المبشرون الاميركان غارة اهتمام نقيبية اهالي صيدا العلوم والفنون فتوفقوا عام ١٨٨ [illegible] ... ل مكتب تدريجاً رغبة بين الاهلين . وبقدر هذه [illegible] ... شعبة جميلة على تلة عالية مطلة على جنائن صيدا في جوار قرية (ميوميه) وقد صرفت على البناء بضعة آلاف من الليرات ونقلت الى هذا المكان القسم الابتدائي مع الصنف الاول من المكتب . وفي عام ١٨٩٥ افتتحت شعبة لصنعة النجارة ولعمل الاحذية . وقد كان عدد الطلاب عام ١٩١٣ (٢٩٨) . اما التحصيل في المكتب فبدرجة رشدي

وعلاوة على ذلك فيوجد في صيدا مكتب للاناث انشأه المبشرون الاميركاني ومكتب آخر للاناث ايضاً انشأته راهبات القديس يوسف وفي الاول ٩٥ طالبة وفي الثاني ١٣٠ طالبة . وقد اغلقت في الوقت الحاضر جميع هذه المكاتب الاجنبية

[٥] — الاحوال الزراعية — ان (جنائن البورتقال) في قصبة صيدا هي الطف الجنائن التي تبهج القلب وتشرح الصدر بمنظرها في جميع انحاء القطعة السورية بعد الشام ويافا . فقد احاطت حدائق البورتقال والماندارين (يوسف افندي) بالقصبة وجعلتها بشكل بديع . وان الروائح التي ترسلها ايام الربيع حين تتبيح الزهر تعطر جميع الارجاء فتنعش الافئدة وتخلب الالباب . احاطت الجنائن بصيدا من الجهة الشرقية . اما حدودها فتنتهي بنهر الاولى البعيد نصف ساعة شمالاً وبطريق الشوسة ونهر (سينيق) الذي يفصل جبل لبنان عن قضاء صيدا شرقاً ويبلغ عدد الجنائن من ٣٠٠ الى ٣٥٠ وهي منقسمة الى قسمين قسم منها يحسب من الجنائن الكبيرة فتبلغ مساحة الجنينة الواحدة اربعة عشر فداناً (والفدان ٢٠٠٠ متر مربع) والقسم الآخر لا يتجاوز اتساع الجنينة منها الفدانين

وتقسم تربة صيدا من جهة مغروساتها البورتقالية الى نوعين رملية حمراء او بيضاء وترابية حمراء مسودة او بيضاء . فالارض الرملية الحمراء وهي القائمة على ساحل البحر والارض السوداء هما اصلح تربة لزراعة اشجار البورتقال والليمون الحامض وامثالها من الاشجار المثمرة . اما الارض البيضاء فلا تصلح لسقاية الماء ولهذا كانت غير صالحة للزرع . ويقدرون ان ثلث الاراضي في صيدا من التربة البيضاء والثلث الثاني رمل ابيض والثلث الثالث مؤلف من تربة مختلفة

ويقدرون ان جنائن صيدا تخرج سنوياً (٧٠) مليون بورتقالة و (٣٠) مليون ليمونة حامضة . وتباع الالف بورتقالة من ٢٠ الى ١٠٠ غرش والالف ليمونة حامضة بخمسين غرشاً وذلك بشرط الاستلام من الجنائن . وقد اخرج من صيدا عام ١٩٠٢ (٥٠) الف صندوق بورتقال وليمون حامض . وقد اهتم الاهلون في الايام الاخيرة بزراعة شجر (يكي دنيا) ويقدرون محصول هذا الموسم الجميل بستمائة قنطار . ويباع القنطار منه من ١٢٥ الى ١٥٠ غرشاً ولا تزال الرغبة متزايدة بهذه الفاكهة

وعلاوة على [illegible] نه يوجد في صيدا نحو من [illegible] سنة تشتغل باستخراج التوت ونسقى كافة الجنائن الشمالية بماء نهر البرغوث والجنائن الجنوبية بمياه الآبار المستخرجة بواسطة (النواعير) ويوجد في واحدة او اثنتين من الجنائن محركات بخارية لاستخراج المياه . اما الحساب الوسطى سنوياً لمواسم قضاء صيدا فهو كما يأتي :

الوسم المستحصل (بحساب الكيلة)	البذار المزروع (بحساب الكيلة)	جنس المزروعات
٢٢٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	قمح
٨٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠	شعير
٣٠٠٠٠	١٠٠٠٠	ذرة بيضاء
٠٢٥٠٠	٠٠٥٠٠	فول
٩٠٠٠٠	١٥٠٠٠	عدس
١٢٠٠٠	٠٢٠٠٠	حمص
٢٠٠٠٠	٠٢٠٠٠	جلبان
١٢٧٤٥٠٠	٢٠٩٥٠٠	المجموع العمومي

وفضلاً عن ذلك فانهم يستحصلون في قضاء صيدا ٦٠٠٠٠٠ كيلو تبغ و ٠٠ [illegible] قز ويجمعون من ٢٥٠٠٠ شجرة زيتون ١٢٥٠٠٠٠ اوقة زيت . ويؤخذ من الاحصاء [illegible] انه يوجد في القضاء ٥٠٠٠ دونم مزروعة بشجر الليمون والماندالين ويكي دنيا وان [illegible] ذلك جميعه يبلغ ٦٠٠٠٠٠ اوقه

الحيوانات الزراعيه — ان الحيوانات الزراعيه في قضاء صيدا هي كما يلي :

حصان وبغل	حمار	جمل	فدان وبقرة	[illegible]	[illegible]
١٥٠٠	٢٥٠٠	١٠٠	٨٥٠٠	[illegible]	٥٠٠ [illegible]

٤ — الاحوال الاجتماعية في صيدا

[١] طبقات الاهالي وطرز المعيشة — يؤخذ من الاحصاء الاخير ان [illegible] فاثنا عشر الفاً منهم تقريباً مسلمون والف منهم يهود والباقي مسيحيون

والمسلمون هنا سنيون ومتاولة . ومن هؤلاء اصحاب املاك و [illegible] بالتجارة كاصطناع الصابون وامثالها من الحرف التجارية ومنهم اصحاب ثروة [illegible] والاربعين الف ليره . ومن المسيحيين من تبلغ ثروتهم هذا القدر . وعكس [illegible] من السنيين واربعة من الشيعيين وثمانية من المسيحيين الذين هم اقل ثروة [illegible]

ثروة الواحد منهم من (١٠٠٠ الى ٥٠٠٠) ليره . ويظهر من هذا الاحصاء الصغير ن الثروة في صيدا بيد المسلمين ومع هذا فانه لا يحسب ذلك مزية لهم اذا نظرنا الى عدد نفوسهم . اما طرز المعيشة بين طبقة الاغنياء في صيدا فاقتصادية تامة ... حتى ان اقتصادهم قد يبلغ درجة الشح . فيمنع الرجل كل شيء عن اهله وعن اولاده وعن نفسه ايضاً ويسعى بكل قواه لانماء ثروته . ولهذا بات من العبث البحث عن وسائل الرفاهية والعيشة الحسنة في دور الاغنياء ومع هذا فانهم يعشقون السكنى في الدور الكبيره ذات الابهة . ولهذا ترى دور الاغنياء كثيرة الزخرف والبهاء من خارجها .. وربما كانوا يميلون لتزيين دورهم لان ذلك ذات قيمة مادية . ولكن لا يوجد في دور هذه الطبقة شيء قليل من لوازم البيوت ... وانهم ليكتفون بابسيط من الغذاء ... نساؤهم جاهلات . . اولادهم فارغون من العلم طائشون . وهكذا حالة الاغنياء من المتاولة . ومن الضروري استثناء بضعة اغنياء منهم ولا يحسب القاري ان الايضاحات التي قدمناها شاملة للمسيحيين فان هؤلاء كثيرو الاختلاط بمسيحي بيروت فتعلموا منهم ترتيب الدور وحسن الذوق بفرشها . وعرفوا قدر الرفاهية المعتدلة في معيشتهم

ولا تنقص نساءهم اصول المعاشرة كما انه لا تنقص اولادهم المعرفة والتربية .. حتى ان اصحاب الثروة المتوسطة من المسيحيين لا يعدمون حسن النظر والميل الى الانتظام

ولا فرق بين الطبقة المتوسطة من السنيين والشيعة وبين الطبقة الغنية . وان وجد بين الطبقتين فرق فهو بكمية الثروة ومقدارها

اما الطبقة البسيطة فافرادها نجارة او صيادون او حمالون او باعة خضر او اصحاب حوانيت . والصحيح ان عيشتهم رديئة جداً ولكن اجتهادهم وانتباههم يستر نقائص . و.سكنهم

وانني اريد ان اتكلم عن الحياة العائلية في هذه الطبقات الثلاثة . . . سنيون . . . يكتفون بامرأة واحدة ولهذا لا يوجد اثر بينهم للنفور الذي يظهر في العائلات كما . . . عادة في القسم الجنوبي من بيروت . ولما كان نكاح المتعة متبعاً بين المتاولة فلا حاجة عندهم لتعدد الزوجات على ان تعدد الزوجات غير موجود بطبيعته بين المسيحيين . وبناء على هذا فانه يوجد شيء من امارات الصلاح والراحة في حياة صيدا باعتبار عموم السكان

واذكر هنا على سبيل الاستطراد سراً استلفت نظري : وهو الانحطاط في محاسن الوجه والاجسام كلما اوغلت بسيرك نحو الجنوب من بيروت ولكن النسل يأخذ بالتحسن اعتباراً من عكا الى صور . اما الملاحة والجمال فانهما يتجليان تماماً بين النساء والرجال في صيدا

واذا اعتبرنا ان محيط صيدا هو محيط حسن وجمال فلا نغفل عن ان في الاهلين ايضاً ميلاً للتزين

في ملابسهم فانك ري الكبير والصغير والغني والفقير من اهالي قصبة صيدا القريبة من افق مضيء مثل افق بيروت يميل الى تحسين هندامه ونظافة ثيابه ويهتم بترتيب لباسه . نعم ليس للصيداويين طراز مخصوص في ملابسهم ولكن يظهر عليهم اثر الاهتمام والاعتناء بتلبيق كل شيء على اجسامهم ويظهر هذا الاعتناء على الخصوص في صنف النساء

ويظهر اثر الافتتان بالتزين والرغبة فيها بين افقر المتاولة وافقر المسيحيين حتى القرويين . فلا يأكلون ولا يشربون و يصرفون كل شيء في سبيل [illegible] و يميلون لتحسين مشيتهم ولان يظهروا بمظهر النظافة والجمال . وان هذه الحالة هي اكبر عامل في جعل معيشتهم مقتصدة

(٢) — العادات الاجتماعيه — لا يوجد السنيون ولا الشيعة ولا المسيحيون القاطنون قصبة صيدا كتلات مستقلة ولا هم متبعون في حياتهم طرقاً منفردة ومنفصلة عن بعضها وذلك بسبب اختلاطهم مع بعضهم ولهذا يصعب ان يوجد لكل صنف منهم صفات مميزة وتقاليد خاصة في العادات الاجتماعية . فامام السنيين مركز كبير وهو بيروت فلا يمكنهم التماس من تأثيره عليهم . والشيعيون مرتبطون بعلائقهم وجاهاتهم مع صور والنباطية ومرجعيون وغيرها من المحلات والقرى والقصبات القريبة فلا مندوحة لهم عن مشاركة اهليها بعاداتهم الاجتماعية

اما المسيحيون فقد اتبعوا في حياتهم تقاليد عمومية . وبغض النظر عن ان معيشة المسيحيين قريبة من بعضها سواء كان في بيروت اوفي حيفا اوفي صور فان قرب هؤلاء من مسيحيي بيروت يزيد بالمتابهة بين المعيشتين

والموسويين في حياتهم عنعنات قديمة متبعة يطرأ عليها شيء من التبدل في بعض محلات من سوريه وبذلك كان من العبث البحث عن حالات افراديه بين الموسويين في صيدا

وبهذا الاعتبار فان قصبة صيدا اصبحت في عاداتها الاجتماعية مجتمعاً للعادات المتبعة في الشمال والجنوب والشرق والغرب ومع ذلك فان للصيداويين عادات افرادية تستلفت النظر فيجب الاشارة اليها رغماً عن معرفة منبتها ومنشئها . وان قسماً من هذه العادات مختص بالسنيين مثل قرائة المولد الشريف .... فيتلون غالباً قصة المولد الشريف بعد عقد النكاح وبعد حفلة الختان اما الشيعيون فيقرأون (مرثية الحسين) ويسمونها (تعزية) ويكرم السنيون الحاضرين بعد قرائة المولد بالشراب . اما المتاولة فيقدمون الشاي . ومع هذا فان الصيداويين يكرمون الزائرين عقيب الولادة بمشروب غريب بجسمه وسمه . ويسمون هذا المشروب (قينار) وربما كان محرفاً عن كلمة (قاينار) التركي اي (المغلي) وهذا المشروب عبارة عن خلاصة القرفة المغلية الموضوع فوقها سكر وصنوبر وفستق

وللصيداويين عادة غريبة عامة بين السنيين والشيعيين وهي ضربهم خيمة فوق مرقد المتوفى بعد دفنه وتبقى ثلاثة ايام او اسبوعاً وربما امتد بقاؤها شهراً ويقرأون القرآن الكريم تحتها ويذهب اهل المتوفي نهاراً الى الخيمة ويبكون ويندبون . وربما كانت هذه العادة منتقلة من المتاولة الى السنيين . وهذه العادة متبعة ايضاً في صور . هذه هي صيدا التي يمكننا ان نذكر بعض عادات صغيرة لها . وكما قلنا قبلاً انها عادات عديمة الاهمية ولا قيمة لها مطلقة

٥ — الاحوال الروحية

[١] — الاخلاق والطباع — اذا اردنا ان نبحث عن وصف اساسي في الحالة الروحية بين اهالي صيدا فاننا نجد فيهم ميلاً خصوصياً للربح والكسب فالصيداوي يتعب ويركض ويسعى ويتحمل كل شيء في سبيل الربح . لا يمل من السعي حتى يربح . نعم ان هذه الطبيعة صفة ممدوحة ومقبولة اذا بقيت ضمن دائرة مشروعة . ولكن يخشى ان يصل هذا الميل الى درجة [illegible] كثيراً في الصيداويين حتى يصبح الميل الممدوح حرصاً وشغفاً مذ وما [illegible] وان محبة الصيداويين للمال وعدم اعتنائهم بدورهم واهمالهم مسئلة [illegible] عن التوسع في هذا الميل وانقلابه لمرض الحرص

[illegible] فاننا لا ننكر ان هذا الخلق اساسي في كل صيداوي . اما الكسل فلا اثر له في صيدا فالوبل يخرج خبزه من تحت الارض . الولد الصغير يعمل حتى انه ليحترف مهنة الحمالة [illegible] ويتعب حتى يربح . وهكذا المرأة تجمع ما يمكنها جمعه فتصنع خبزاً او جبناً او [illegible] [illegible] ويكفي لمعرفة ذلك المرور في السوق التي تقام في جادة الشاكرية اذا كان الطقس جيداً [illegible] الشيخ والشاب والولد والمرأة ينادون باعلى اصواتهم ويتراكضون ويتعبون ليكسبوا [illegible] ترى الصيداويين متسابقين في اعمالهم فالاولاد يجتهدون في المكتب ليفوزوا [illegible] والكبار يريدون ان يسبقوا بعضهم بالثروة والحاصل ان وسائل الربح في منازعة الحياة هنا ليست نظرية بل هي عملية

[illegible] قبلاً ان الحرص موجود في صيدا وان هذا الحرص ينفرهم من كل شيء يحبونه ظاهرياً [illegible] الصيداوي يقول « مادام انه لا احد يراني ولا احد يقول فلان اكل كذا او فلانة اكلت كذا فلماذا اذن [illegible] بالصرف ؟ » فلا يأكل ولا يصرف بل يضيف على جيبه او على كسبه شيئاً من الثروة المادية . [illegible] الصيداويون زيارة بعضهم ولهذا نعتقد ان اهمالهم مسئلة المفروشات وعدم اعتنائهم بها ناشئ من ذلك « لانه لا يراها احد . . »

يخاف الصيداويون من بعضهم . وليس ارتباطهم بالدين قوياً . وان القاعدة الاخلاقية الاساسية في حياتهم هي التملص على قدر الاستطاعة من ملاحظة غيرهم وانتقاده لهم . وحينما يفتكرون بالسوء يجول في ذهنهم الامثال . ولهذه الاسباب ترى ان الاسلام مع بعضهم والمتاولة مع بعضهم حتى ان المسيحيين مع بعضهم لا يحسنون المعاشرة . فالمنازعات والمفاسد والتحريكات قائمة بصورة دائمة فيما بينهم . لانهم لا يهضمون بعضهم ولان طبعهم يدعوهم الى الغلو في الطمع ايضاً . مع اننا اذا نظرنا الى علائق المسلمين مع المتاولة او مع المسيحيين نجدها حسنة جداً لدرجة توجب الحيرة . والسبب في ذلك ان الطمع في صيدا يتكون بين الاقران والامثال ولا يتعدى حدود هذه الدائرة

ومع هذا فان الصيداويين هينون لينون في جميع اعمالهم ما عدا مسائل الطمع والحرص فالصيداوي حليم مطيع مثل الغنمة

ويمكننا ان نجد بسهولة جذور منازعات النفوذ التي لا يقل وجودها في صيدا ثابتة هنا ايضاً في هذه المسائل ومع هذا فان التفوق النسبي العام في نهضة الاهلين بالنسبة لباقي البلاد دزعزع كثيراً من دعائم النفوذ فيها

[٢] — الحالة الفكرية — لا ريب ان الميل للسعي وطبيعة العمل الظاهرتين في اهالي صيدا ليستا خاليتين من الذكاء . فمن الضروري الاعتقاد بان في الصيداويين رشياً للرقي مستعداً للظهور والانكشاف . فالطلاب الصيداويون في المكاتب راجحون وظاهرون دائماً على بقية الطلاب من ابناء البلاد الاخرى . وبسبب ما فطروا عليه من القابلية للتقليد فانه تظهر عليهم في مدة قليلة آثار الانتباه البينه . ولو لم يظهر الترقي على صيدا بهذه الدرجة فان الحالة الفكرية تشير ولا ريب الى سيرها نحو الصلاح . غير ان المسيحيين هنا هم ارقى حالاً من المسلمين على وجه العموم . والعامل في ذلك تجده في المكاتب التي افتتحتها الطوائف المسيحية والاجانب . لا تجد في صيدا امرأة او رجلاً من المسيحيين لا يقرأ ولا يكتب . استيقظت الامم المسيحية هنا مثل سائر المحلات من سباتها وفتحت عيونها وهي تنظر الى حاجيات الحياة باحداق باصرة

اما المسلمون فليست بينهم حركة فكرية بالدرجة المطلوبة فاذا نظرنا مرة الى النسبة العددية بين المسلمين والمسيحيين في صيدا وحققنا النظر بين عدد الطلاب المسيحيين في مكاتبهم التي لا تتعدى العشرة وبين عدد الطلاب في المكاتب المسلمة ووقفنا على النتيجة نعرف حينئذٍ درجة التراخي والاهمال بين المسلمين

ان المسلمين يدخلون اولادهم في الصناعات قبل ان يأخذوا حظاً ولو جزئياً من العلم بل قبل ان يفتح الولد عينيه . وهذه هي العلة المستولية على الرأي العام في صيدا .. فالصيداويون لا يفتكرون بان

النسل الضعيف في فكره وعلمه لا ينجح في مجادلات الحياة بل هم لا يقدرون قدر ذلك

ومن الجهة الاخرى فان الفرق الواضح بين مكاتب الامم المسيحيه ومكاتب الامة الاسلامية يتجلى بصورة ظاهرة في صيدا كما هي الحالة في حيفا وفي كل محل ناهض . ويمكننا اعتبار هذا من جملة العوامل المؤثرة بسقوط الحالة الفكرية او ارتقائها وهو امر يستجلب النظر

ان سقوط الحالة الفكرية بين المسلمين يتجلى باشكال مؤلمة جداً في نسائهم وبناتهم . وانني اصرف النظر هنا عن ايضاح ذلك وشرحه لانه ظاهر ومعلوم

وبالنظر لقرب صيدا من بيروت فان فكرة المطالعة والميل اليها منتعشة فيها . وان لم يؤدِ بهم الميل والرغبة الى ايجاد مكتبة عمومية او تأسيس نادٍ عام للتعارف والتعاون والارتقاء غير انه يمكننا مشاهدة هذا الميل مصغراً في انصباب الاهلين على مطالعة الصحف . فللصحف الراقية في بيروت والشام مشتركون في صيدا . وكل فرد من اهالي صيدا يميل الى المطالعة والوقوف على احوال العالم . وقد تأسست فيها مطبعة باسم (العرفان) وكانت تصدر تحت العنوان المذكور مجلة اسبوعية علمية سياسية ادبية . ولما كان صاحب الجريدة مترقيا فقد كان غرض الصحيفة تنوير الامة والنهوض بهم وقد اضطر صاحبها اخيراً لايقاف اصدارها بسبب فقدان الورق ونتمنى عودة الجريدة الى عالم الظهور لانها في الحقيقة جريدة جدية وعلمية

[٣] — مسئلة الذوق والحسن — مهما يكن الصيداويون ميالين للطمع والاجتهاد واكتساب الماديات فان محاسن بلدتهم علمتهم قسراً طريقة الاستفادة من جمالها . وحينما يفتح الزهر اكمامه ايام الربيع ويدنو قطاف موسم (يكي دنيا) تنتشر الروائح العبقرية من حدائق صيدا فيتنشقها القادم قبل الوصول اليها بساعتين . وكلما تسنح الفرصة للصيداويين في تلك الاوقات يذهبون الى الجنائن فيطوفون بين اشجارها ويجنون عطايا الطبيعة ومنحها الفائقه . وهو ذوق سنوي لهم . وقد الف الصيداويون ان يخرجوا للنزهة يومياً بعد انجاز اعمالهم . ففريق منهم ينصب الى الطريق في جنوبي القصبة وفريق منهم يسير نحو شماليها ويتنزه حول قلعة البحر . وفريق منهم يتبع الساحل الشرقي فيمشي فوق الرمال البراقه . ولقد اصبحت هذه النزهات الطف مشغلة يومية لهم . وفي الحقيقة ان صيدا البديعة المناظر والمواقع ايام الربيع والخريف بل وفي جميع ايامها — هي متنزه بديع بكل معنى الكلمة . بل هي محل للنزهة وخصوصاً التلال الزمردية القائمة خلفها . فان هواءها العليل ينعش القلب ويحيي الفؤاد . ولقد عرف الصيداويون الذين الفت عيونهم الالوان الزاهرة — معنى الجمال وعرفوا قدر المحاسن . وكما ان اصابعهم تعرف ملاحة الذهب فان اذواقهم تعرف قدر الازهار الجميلة والوجوه الحسنة . وللصيداويين غرام خاص

بالازهار يوجب الحيرة فلا تخلو دار من غرانس الورد والياسمين والقرنفل والفل والزنبق . ولا يشبع الصيداويون من النظر اليها . ومن الامور التي تستحق الذكر جمال المحيط في هذه البلدة . ويمكننا ان نعتبر صيدا القاعدة السورية في حسن اجساد ابنائها وجمال وجوههم . ويتمنى الانسان ان يكون للذوق البديعي حياة في منطقة صيدا البديعة ببساتينها وببحرها وبمحيطها وبازهارها وبمياهها. ولقد بحثت ودققت في الامر فعلمت بكل امتنان ان محيط صيدا هو مركز او مسقط رأس لشعبة ادبية بجميع اطرافها وهي الادبيات المتوالية . فما اسعد هذا المحيط ؟...

— ٢٢ —

ادبيات المتاولة

لا ننكر لطافة الادبيات التي تنشأ في هـذه الانحاء فوق مسرات الطبيعة في صيدا وصور وملحقاتها . ولكننا اذا امعنا النظر نجد ان الشخصيات الرقيقة والناعمة التي يمكن ان تنشأ في هذا المحيط قد اثرت فيها بعض العوامل حتى تبدلت لدرجة انها اصبحت لا تُعرف بل لا يُشعر بوجود اقل علاقة جزئية بينها وبين هذا المحيط

ولا يخفى ان منطقة صيدا وصور موجودة جنوبية على قدر الامكان ويسكن فيها خاصة نحو من مائة الف متوالي . ولا شبهة ان اوصف لمعتبر لهذه المنطقة التي تسمى (جبل عامل) هو التشيع . ومن الحقائق الواضحة ان هذه الكتلة البشرية لمحاطة من جميع اطرافها بالسنيين وبالدروز وبالمسيحيين قد بذلت غاية جهدها واهتمامها سنين طويلة منذ عصور بعيدة حتى حافظت على كيانها باي صورة كانت

ومع هذا فان جميع هذه المساعي والاعمال مترتبة على رجال الدين لأن الغاية المتبعة بين سكان جبل عامل هي (المحافظة على كيان الدين) ولا يمكن الحصول على ذلك طبعاً الا بارشاد رجال الدين وتعاليمهم . ومن الجهة الاخرى فان بكوات المتاولة وارباب النفوذ فيهم لا يحبون التجاوز عن سلطتهم ونفوذهم الذي ورثوه عن اسلافهم . اذن كيف يمكن تشتت هذه الكتلة البشرية المجتمعة تحت عنوان (متوالي) ؟ وماذا يجب عليهم ان يعملوا حينئذ ؟ وكيف يعيشون بل كيف يفهمون للتخلي نفوذهم ؟ ولهذا فقد اصبح من البديهي التفاف هؤلاء البكوات قبل كل شيء حول العلماء واظهارهم لهم حرمة ورعاية اكثر من اللزوم وادلاءهم اليهم بالعطايا حتى استجلبوهم نحوهم . وهم لايزالون يعملون كذلك . وهذا هو السر والحكمة باحراز المجتهدين بين

المتاولة هذا النفوذ والاعتبار . ولا ريب ان لهذه القيافات العلمية التي ينحني امامها المتاولة حتى البكوات ويقبلون ايديها ويقدسونها — منزلة عالية . . وهكذا يضطر الاهلون للاعتقاد كذلك

يخضع البكوات والرؤساء للعلماء والمجتهدين ويركعون امامهم احتراماً وتعظيماً ولكن لا ننسى ان الحرمة بالمقابلة . وما دام سيد (بك) مائة الف من البشر يحترم هؤلاء ويعظمهم هذا القدر فقد وجب على العلماء ان يؤدوا فائض الشكر لما ادانهم اياه البكوات . ولهذا لا تنفك تسمع من افواه العلماء نغمات التثبيت والتأييد لنفوذ العظماء منتهزين فرصة القاء التعاليم الشيعيه على الاهلين . حتى اصبح العلماء مداحين سيارين ذوي نفوذ لبكوات الشيعه . ويعرف من هذا مزية الدروس التي تلقى في المدارس وماذا تكون؟ ومهما تكن فلا تتجاوز حد تعليم القواعد الشيعيه .

ان البكوات يسرون من هـذه الخطط والاصول . نعم ان رؤساء المتاولة منحطون في مراقيهم الاجتماعية من حيث العلم . ولكن لا اهمية لذلك مطلقاً . فان الكتلة البشرية التي يحكمون عليها هي احط منهم واكثر ظلاماً بمئات من الدرجات . وبناء على هذا فانهم لا يخشون هذه الجهة . وباعتبار العلم فان العلماء هم اتباع لهؤلاء ايضاً نوعاً ما . على ان الغايات التي يلقنها العلماء لا تتجاوز حدود اختفاء الخليفة الاخير من الائمة الاثنى عشر في سامره . نعم ان هـذا المهدي لا بد وان يظهر يوماً من الايام مهما تأخر . ولكنه سيأتي من تلك الانحاء . وما دام ان المتاولة لا خليفة لهم اليوم ولا يمكن ان يكون . واذا كان عليهم رئيس فهم اولئك العلماء . فهل يكون بعد ذلك دين او تلقينات احسن من هذه ؟ واذا عرفنا ان الرؤساء يستفيدون من طبقة العلماء على هذا الوجه بكل معنى الكلمة عوضاً عن ان يخشوا منهم لا يبقى عندنا شك بان الحبائل التي تنصب لهذه الكتلة من العوام البالغة نحواً من مائة الف تتم وتظهر لحيز الوجود بدون شريك او رقيب

ويعرف بسهولة جدًا الاشياء التي تنفتح لها قلوب هذه الطبقة من الاهالي القائمة بين انحصار علمي شديد من جهة ونفوذ شديد من جهة اخرى . فهم يحبون ان تكون لهم مؤلفات تصف ببلاغة عظمة الحق تعالى وقداسة الائمة الاثنى عشر . وترحب بقدوم المهدي المنتظر . وتتغنى بمدائح بكواتهم . وتعلي قدر الشرع وخصوصاً شريعتهم . ولا يقوم بهذه الاعمال من بينهم سوى طبقة العلماء . وهذه هي الغاية التي يسعى اليها علماء الشيعة بل ليس لهم صنعة سواها فاذا كسدت هذه الصناعة لا يمكنهم ان يجدوا حينئذ شيئاً من النفوذ الذي نالوه لدى البكوات بل انهم يفقدون ايضاً مقامهم العالي بين الامة . وبناء على هذا فان ما يكتبه هؤلاء لا يتعدى حدود هذه الدائرة على انه لا يوجد غيرهم من يقدر على الكتابة

وهل يجد البكوات مو امات واثاراً تضرب لهم على وتر النقطة الحساسة من غاياتهم — افضل من هذه الآثار ؟ ولا ريب ان العلماء الذين يضعون امثال هذه المؤلفات النفيسة وهم يقصدون المنفعة العامة لا يضيع عليهم شيء من عواطف البكوات واحساناتهم التي تملأ الاكف . ولا ريب ان اولئك يثابرون على هذه الخطة غير ناظرين الى مزية التآليف وقدرها • ولهذه الاسباب فان ادبيات (جبل عامل) المحكومة بهذه العوامل والمؤثرات هي عبارة عن ادبيات (شيخ) وعن ادبيات شرعية

يقسم علماء المتاولة ادبيات جبل عامل الى ادوار مع ان تقسيم الدور الادبي هو نتيجة طبيعية لتبدل اشكال الجمعية الانسانية وتحولها ولهذا لانرى حاجة للقول بان هذا التقسيم هو شخصي وهو خال من المزية العلمية

يقسم علماء المتاولة الادبيات المتوالية الى ثلاثة ادوار :

الدور الاول — يبتدأ من استيطان المتاولة جبل عامل الى اوائل القرن الحادي عشر الهجري ويقال ان الشيعيين استوطنوا هذه الجهات في خلافة حضرة عثمان . ويجدر بنا ان نقول ان هذا الدور انقضت اكثر اوقاته بالمحاربات المختلفة فظهر فيه شيء من الرقي العلمي كما انه مضت عليه ادوار انحطاط معروفة

ويمكننا ان نذكر من بين الذين اشتهروا في هذا الدور . (الشيخ محمد بن مكي الجزيني) المتوفي عام ٧٨٨ هـ . وقد ولد هذا العالم في جزين من منطقة جبل لبنان الواقعة وراء صيدا • وقد كان هو وزوجته واولاده من العلماء • ويذكر التاريخ ان ابنته (ست المشايخ فاطمة) قد اكتفت مقابل حصتها من ارث والدها واملاكه بالكتب التي ابقاها في تركته • ويدعون ان صك المصالحة المخطوط بهذا الخصوص لا يزال باقياً حتى الآن

اشتهر الشيخ محمد في حياته بالعلم والفضل . وله ما يقرب من ستين او سبعين مؤلفاً عربياً واكثرها بالحديث واصول الفقه . وقد كانت له شهرة عظيمة في عصره حتى ان ملك خراسان (علي بن المؤيد) دعاه الى عنده بكتاب خاص حينما كان الشيخ مسجوناً في دمشق • وقد اهتم الشيخ بالعلم اكثر من الشعر ولهذا لا يوجد له سوى اثنى عشر بيتاً من الشعر بين جميع مؤلفاته الكثيرة

وممن اشتهروا في هذا الدور (الشيخ زين الدين بن علي الجباعي) . ولد المومى اليه في محل يدعى (جباع) شرقي صيدا وفي الانحاء الشمالية من النباطية . وقد قتل عام (٩٦٦) هـ حين ذهابه الى القسطنطينية • وقد اجرى مفتي القسطنطينية الشريف عبد الرحيم العباسي حكم القصاص في قاتله • وللمومى اليه ٧٨ مؤلفاً بالتوحيد والتفسير والحديث والفقه • ويوجد منها مؤلفات منظومة

ومن اركان هذا الدور (الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي) . ولد الشيخ بهاء الدين في الكرك ونشأ في جبع هاجر الى ايران وارتقى الى رتبة الوزارة في زمان الشيخ عباس الصفوي ثم ترك مقام الوزارة ورغب في السياحة ثم الف كتابين على طرز دوائر للمعارف احدهما (الكشكول) والثاني (المخلاة) . وقد نشأ المولف في القرن الحادي عشر الهجري والف الكشكول عام (١٠٠٢) هجرية . ولصاحب الترجمة اشعار ومؤلفات في فني الحساب والهندسة . وله مؤلفات دينية كثيرة ايضاً

تبين ممن ذكرناه من تراجم الاشخاص المعروفين ان هذا الدور كان من اهم الادوار الراقية علماً . ويمكننا ان نقدر عدد النابغين في هذا الدور بمائتين او بثلاثمائة

اما (الدور الثاني) لادبيات المتاولة فقد بدأ من القرن الحادي عشر الهجري وامتد الى القرن الثالث عشر وقد اشتهر في هذا الدور (الشيخ محمد بن محمود الشقري) . ويقال انه اعظم شاعر اشتهر في هذا الدور وان شيئاً من اشعاره منشور في دواوين اسمها (الميمنة) و (السلافة) واكثر اشعاره غزل ونسيب . وقد نشأ صاحب الترجمة في القرن الحادي عشر لهجرة

ومن اركان هذا الدور (الشيخ نجيب الدين العاملي) . ولد في جباع وترك في ايران وله (رحلة) واشعار كثيرة . وقد اقتبس ابن (معن) شيئاً من اشعاره في كتابه المسمى (سلافة الدهر) ولصاحب الترجمة مؤلفات دينية ايضاً

ومن مشاهير هذا الدور (الشيخ محمد الحرفوشي) هو من جبل عامل نشأ في القرن الحادي عشر وله اشعار ومؤلفات في العلوم العربية

ومن علماء هذا الدور (الشيخ حسن بن زين الدين الجباعي العاملي) . وقد امتازت مؤلفاته بالكتب المدرسية . ويقرأون اليوم مؤلفاته في كافة مكاتب البلاد التي يسكنها الشيعيون اليوم

ومن رجال الدور الثاني (الشيخ علي بن يونس النبطي وهو من النبطية . وليس له اشعار غير انه الف كثيراً في علم الكلام والتفسير

يؤخذ من هذه الزبدة الصغيرة ان الشعراء الذين نشأوا في هذا الدور الثاني هم اكثر من الدور الاول . وانه يمكن ان يطلق على الدور الاول اسم (دور العلماء)

اما (الدور الثالث) للادبيات المتوالية فهو من مبدأ العصر الثالث عشر الهجري الى الوقت الحاضر . وقد اشتهر في هذا الدور اولاً (الشيخ عبد النبي الكاظمي) . نشأ في اواسط القرن . واصله من قصبة (الكاظمية) في العراق . ثم اقام في قصبة (جوية) بالقرب من صور

ولهذا عد من مشاهير جبل عامل . ومؤلفاته منحصرة بالفقه والعلوم العربية

واشتهر فيه ايضاً (الشيخ حبيب الكاظمي) . وهو من الكاظمية ثم استوطن صور وظهر بها . ويقيم في قرية (معركة) وهو شاعر فقط . وليس له مؤلفات دينية . ومؤلفاته غير مطبوعة

وممن عرف في هذا الدور (الشيخ علي زيدان العاملي) . ولد في معركة واشتهر فيها . وهو من الشعراء

ومن علماء الدور الاخير (الشيخ علي السبيتي) وهو من علماء اللغة وله مؤلفات عديدة . وتنحصر مؤلفاته بعلم البيان والبديع والتاريخ وامثالها . وشعره راق جداً

ومن الذين اشتهروا اخيراً (الشيخ محمد علي عزالدين) المتوفي عام١٣٠١ . نشأ في قرية (كفره)ولكنه اشتهر في قرية (حناويه) .وله مؤلفاتبعلمالكلام وقد الف كتاباً سماه (سوق المعادن) وهو اشبه بدائرة معارف . واشعاره راقية جداً

من العلماء المهمين في هذا الدور (الشيخ عبدالله نعمي الجبا ي) المتوفي عام ١٣٠٣ .وقد كانوا يعتمدون في جبل عامل على اجتهاد هذا الذات في امر الفتوى. اشعاره قليلة جداً . وله مؤلفات فقهيه

ويوجد ما عدا ذلك شعراء من المتاولة لا يزالون احياء . ومن هؤلاء (الشيخ عبد الحسين) المولود في قرية (خيام) من ملحقاء قضاء مرجعيون وهو مقيم في قرية (النباطيه) منذ احدى عشرة سنة وله ديوان شعر غير مطبوع . ويوجد بين اشعاره منظومات فنيه على طرز (ديداقتيك Didactique) ومقطعات تشبه طراز (ليريك) . وقد نشرت مجلة العرفان اخيراً قصيدة غراء للمومى اليه تكلم فيها عن المخترعات الاخيرة . ويقال ان له شعرا غزلياً ومؤلفات فقهية ولكنها غير مطبوعة

ويمكننا ان نذكر من بين العلماء (الشيخ سليمان ضاهر) من اهالي نباطيه . وله ديوان غير مطبوع ومقالات نشرت فقط في مجلة العرفان وفي جريدة (المرج) التي كانت تصدر في مرجعيون

ومن العلماء الاحياء اليوم (الشيخ احمدرضا) من اهالي النباطيه ولهذا الرجل شعر قليل وآثار طبعت في مجلة المقتطف التي تصدر في مصر . ومن مؤلفاته (رسالة الخط) و (روضة اللطائف) و (هداية المتعلمين) . اما التأليف الثاني فلم يطبع

ظهر لنا من هذه الخلاصة التي ذكرناها عن ادبيات المتاولة انه لا يوجد لهذا الفرع من الادبيات اوصاف خاصة بها . كما انه لا يوجد ما يميزها ويجعلها مستقلة بذاتها . و اذا نظرنا اليها بالمعنى

الذي يقصده تاريخ الادبيات ونزعنا منها الآثار العلمية والادبية والتآليف الدينية لا يبقى فيها الا القليل مما يصح ان يطلق عليه مباشرة اسم صناعة (Art) . واذا توسعنا في الامر يمكننا ان نعتبرها على الاكثر شعبة صغيرة من الادبيات العربية العامة . اذا نظرنا الى العوامل الحاكمة على هذه الشعبة من الادب كما اشرنا الى ذلك قبلا يظهر صحة اطلاقنا على الادبيات المتوالية اسم ادبيات المشايخ او ادبيات الشريعة

اما درجة هذه الادبيات في نظر التاريخ الادبي فهي قريبة من الصفر . ويخطئ من يعتمد على ما فيها من النشيد (ليريك) القليل ويدعي ان للادبيات المتواليه تاريخاً ادبياً . ولا يحسب القاريء ان المؤلفات التي يعتمدون عليها مطبوعة بل يمكن ان يقال ان اكثرها غير مطبوع . وبناء عليه فانه من السذاجة اعتبار هذه الادبيات ذكرى ادبيه مثلت الذوق المتوالي او انها راقت لدى الامة المتوالية . ولما كانت هذه الآثار مبنية على مقاصد خصوصية وقد جعلت خطاباً لاشخاص مخصوصين كما اشرنا الى ذلك قبلاً فقد اصبح تأثيرها على طول الزمان في منزلة الصفر . وهذا يقتضي الواجب الادبي بعدم الاهتمام بهذه الآثار التي يلهج بها المتاولة في محيط جبل عامل ويدعون انها الادبيات الشيعيه والادبيات المتوالية بل يقتضي بان تقابل باستهزاء ادبي . ولا ننسى الاشارة الى انه لا يوجد بين المتاولة اغان بسيطة وصغيرة تمثل الروح الطبيعية في المتاوله كما هي الحالة في كل امة . ولما سألت احد ادبائهم عن سبب ذلك اجابني بقوله :

— ليس في المتاولة عصبية قومية بل فيهم عصبية دينية ...

واني اغض النظر الآن عن اعادة الاشارة لمعنى العصبية الدينيـة التي تجلت من اسطري السابقة . وعلى كل حال فانني ادعي انه لا يوجد بين المتـاولة فن ادبي يمثل اخـلاقهم واوصافهم وميزاتهم

—٢٣—

في طريق صيدا — الجديدة

١ — نحو النبطية

جعلت سياحتنا الساحلية التي بدأت من حيفا عدم اهتمام وشوق في نفوسنا نحو البحر . وخصوصاً تلك الصحائف الزرقاء التي تنتهي في اتجاه صيدا فقد اصبحت في نظرنا اشبه شيء بصحيفه حفظت جيدا

من كتاب شعري نعم كان ذلك الخيال نوراني امثل رفيق عزيز لدينا وكنا نعلم جيداً اننا لا نشعر برابطة الحب الا حين مفارقتنا له واستعادتنا عنه. واي داع للكذب فانه ما عزمنا على السياحة ثانية في داخلية البلاد والا وجالت في ذهني تلك الصداقة اللطيفة . قررنا الابتعاد عن البحر المحبوب . ولم يكن يخطر ببالي اننا سنفارق هذه البلدة الزمردية قبل ان نشيع البحر بنظرة اخيرة . ولكن ما افجع الفراق الذي حصل ? كان الافق لا يزال عبوساً فجاءت المركبة ونقلتنا من اهنأ حضن واخذت تدرج بنا . فلم نتمكن من وداع شيء لا البحر ولا الجنائن ولا صيدا . اختفت تلك المناظر البديعة تحت ستار من دغشة الصباح الطرية . ولم يكن نرى سوى شيء من نجوم السماء التي كانت تطرز صحيفة الوداع بذراتها الفضية . وكانت عربتنا متابعة السير على الطريق المعبدة وبعد قليل ارتفعت من حوالينا تلك الستور القاتمة وبارتفاعها انتهت جنائن صيدا . ولكن لا يزال صوت يأتي من بعيد وهو صوت البحر ينادينا مودعاً قائلاً

— بالمسرات ... بالمسرات ...

اما نحن فكنا نجيبه بآيات الشكر ونقطع السهول القاتمة والمرتفعات القائمة . وبعد اربعين دقيقة من سفرنا مررنا بقرية دير بسين (Deir bessin) . فاضاء الافق حينئذٍ . وبعد ساعة قطعنا « نهر الزاهراني » وبعد خمسين دقيقة وصلنا الى « خان محمد علي » . فاخذت الشمس حينئذٍ تضيء لنا الطريق . وبعد مدة قطعنا عن الجانب الايمن قرية « زيفتا » ونزلنا في منحدر طريق حتى وصلنا الى قصبة « النبطية » . وهذه مركز ناحية

كانت النباطيه لطيفة بسكر سباتها . وكان يظهر شيء من الدور المنفردة في هذه القصبة الآهلة جميعها بالمتاولة . وتظهر جميلة جداً بتوسعها وامتدادها على شكل بيضوي حول ذروة منتفخة الطرفين . اقمنا هنا بضع ساعات . فالدور والاهلون والطبائع هي ذاتها . ولكن البحن تستجلب النظر بجمالها

٣ — ناحية النباطية

ان قصبة النباطية هي مركز ناحية الشقيف التابعة قضاء صيدا والمؤلفة من اربعين قرية ومن ١٥ الف شخص . ويبلغ نفوس القصبة ٤٠٠٠ وجميعهم اسلام شيعيون ما عدا ٢٠٠ فانهم كاثوليك . والقصبة قائمة في نقطة تجارية مهمة جداً وتقام فيها ايام الاحاد سوق عمومية لبيع وشراء كافة انواع الذخيرة والحبوب التي ترد اليها من اقضية مرجعيون وصفد وحاصبيا وصيدا وسكانها اقوياء . وشبانهم اليوم اما في العسكرية او في ديار المهاجرة اميركا . وقد قامت الابنية

التي تزدان بها القرية اليوم بالاموال التي جيء بها من البر الجديد

ويقدرون عدد الذين هاجروا الى اميركا من ناحية الشقيف بالفي شاب . ويعود قسم من هؤلاء المهاجرين الى مسقط رأسه بعد ان يوفق لجمع كمية من الثروة . غير ان هؤلاء الشباب الذين يعودون الى وطنهم لا يظهرون تبدلاً حقيقياً في طراز معيشتهم

وفي النبطية مائة وخمسون تاجرًا يشتغلون بتجارة الحبوب والاقمشة . ولكن القسم المهم ويالاسف لا يميلون لاظهار ارتباطهم التام مع الصدق والامانة وهما الشرطان اللازمان للتجارة . ويقال ان التجار الذين استحضروا اموالاً من تجار الامانة « القومسيونجية » في بيروت بقيمة الف او الفي ليرة ثم ابتعدوا عن وفائها — هم عدد غير قليل

ان المواسم الاساسية في الناحية هي الحبوب ولا يمكن باي صورة من الصور الوقوف على المقادير الصحيحة لذلك . ولكن عرفنا ان اهالي الناحية يعيشون بمواسمهم مقدار اربعة شهر ثم يضطرون لتأمين الاشهر الثمانية الباقية باشتراء الحبوب والذخيرة من السوق التي تقام عندهم

وتصلح اراضي الناحية لزراعة الموز والعنب . ولكن جهالة الاهلين قضت بعدم رواج هذه المزروعات الثمينة وقد كان قسم مهم من الناحية مغروساً باشجار الزيتون . ولكن تطبيق قانون الاعشار بصورة رديئة ونفور الاهلين بدرجة شديدة ساق الاهلين الى قطع هذه الاشجار واحدة بعد اخرى . وبهذه الواسطة اصبح شجر الزيتون نادرًا جدًا في الناحيـــة حتى انه لم يبقَ منه سوى شجيرات متفرقة تشير الى ما كان في تلك الانحاء من الثروة الطبيعية . وتعرف درجة التخريب التي اوجبتها قاعدة تطبيق قانون الاعشار في هذه الناحية بمقايسة الحالة هنا بحالة الكرم ومزارع الزيتون في جبل لبنان البعيدة عنها ساعة . وفي مركز الناحية مكتبان ابتدائيان احدهما للذكور والثاني للاناث وفي الاول من ٦٠ — ٧٠ طالباً وفي الثاني من ٣٠ — ٥٠ طالبة . ورغماً عن ميل الاهلين ورغبتهم بالمعارف فان المكتبين المذكورين ويالاسف في حالة من التذبذب والجهل لا يرضى بها كل صاحب حمية . ومن الضروري اصلاحهما وتعيين معلمين مقتدرين لهما . ولم يؤسس في قرية اخرى مكتب . وقد تأسست عام ١٣٠٦ جمعيـــة سميت (المقاصد الخيرية في النبطية) اسوة بمركز القضاء . وكانت وارداتها قبل الحرب اربعة آلاف غرش والغيت عام ١٣٣١ وضمت الوارداتها الى المحاسبة الخصوصية . وفي مركز الناحية دائرة للبلدية وارداتهـــا ٦٠ الف غرش ومصارفها كذلك . وقد كان القسم المهم من واردات يجيء من رسوم الحيوانات وهو مفقود في الحالة الحاضرة ولهذا فان اعمال الدائرة المذكورة اصبحت معدومة تقريباً

٣ ــ نحو الجديدة

بقينا في النبطلية حتى الظهر ثم ركبنا مركبتنا من امام سوقها القديم وجامعها القديم فاخذت مركبتنا توغل في الاراضي المزروعة ولكنها اخذت بعد هذا تصعد تحت اشعة الشمس المحرقة ولم نكن نصادف في طريقنا غير المتواليات اللواتي تظهر على سحنهن المحترقة بالشمس اعظم لميزات لهن وهي التناسب في الاعضاء وخصوصاً احداقهن السوداء فقد كانت تعرف بسحرها الجذاب . كانت النسوة يمشين ضاحكات مسرورات وقد سترن رؤوسهن بمناديل بيضاء او ملونة وعلقن في اعناقهن قلادات من الكهرباء الصفراء او من الخرز . ولقد كانت حالة هاته النسوة دليلًا جديداً على انهماك ابناء هذه الانحاء بزينة الالبسة فانهن كن يرفعن ذيول البستون (تنانير) الشيت ويربطنها في اوساطهن فتظهر ثيابهن الداخلية بزينتها وبزخرفها . وكنت تراهن وفي ايديهن صرر يمشين الى القصبة مشية لطيفة . ويخرجن منها عائدات الى قراهن . وكان الحر شديد الدرجة لا يحتمل فاستقينا من بئر بيت صادفناه في الطريق وعطفنا نظرنا حينئذٍ على اطرافنا فوجدنا الارض ناراً تتأجج . وبعد مسيرة ساعتين وصلنا الى « ارنون » . وبعد نصف ساعة ظهر امامنا وفي اسافل الجبال المقابلة لنا واد كبير . وظهرت ايضاً (قلعة الشقيف) القائمة في الجهة اليمنى على صخور صعبة ومرتفعة ناهضة عن سطح البحر ٧١٠ متراً . ولا تزال هذه القلعة منذ عام ١١٧٩ . وقد سماها الصليبيون « **Belfort** » . وبعد مدة تقربنا من الوادي وهو مجرى نهر الليطاني العظيم

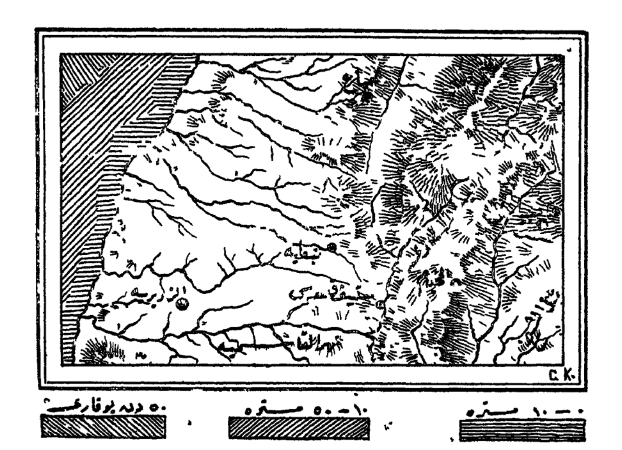
كان منظر هذا المجرى جميلًا وجاذباً للقلب : ماء ازرق ينساب في تلك الحفرة الطويلة بين الاشجار الخضراء وامامه مدرج من اجبال تشبه (انفي تياتر) عظيماً

وبينما كانت مركبتنا تنحدر ملتوية في ذلك الوادي كانت المناظر والبدائع تتبدل وتزداد بهاء . ولبثنا على هذه الحالة الى ان صافحنا مجرى النهر . فكانت المنظرة هنا تصويرية « **Pittoresque**) تامة : جبلان شامخان نحو السماء وقد ارتفعا فوق رؤوسنا احدهما عن اليمين والثاني في مقابله فجعلا لابصارنا حداً معيناً . وكان الظل كثيفاً جداً والماء يجري بسرعة زائدة . ولما وصلنا في سيرنا الى قرب الجسر نزلنا من العربة وجلسنا في جانب الجسر المسمى « جسر الخردل » فتراءى لنا ذلك الجسر وهذا الماء وتلك المنظرة بشكل بديع ممتاز . فشاقها تلك البدائع الخفية والخضرة الزمردية والظلال الندية . ثم ثابرنا على خطتنا فقطعنا ذلك

الجسر الطويل وارسلنا الى البحر من هنا خالص التحايا مع مياه النهر التي تتزج به على طريق صيدا وصور والتي يتبدل اسمها من هنا بعد ان تقطع جسرًا طويلًا وتسمى « نهر القاسمية »

ثم اخذنا نتسلق الجبل القائم شرقي الوادي الممتد نحو الشمال والجنوب . فما الطف هذه المحلات واجملها ؟ انني لا اتذكر منظرًا احلى من هذه المناظر . وخصوصاً المناظر الشائقـة التي كانت تطبعها في حداقتنا الواح الرسوم للجبل الذي تقوم عليه قلعـة الشقيف : تنقلب من صفرة فاقعة الى حمرة قانية الى زرقة قاتمة الى لون رمال كامدة . ثم تتبدل الى ارجوانية نضرة فترفع السدود الواقفة امام الابصار المرسلة . وكانت مناظر القلعة تتجلى حسناً كلما صعدنا في الجبل . ولا تزال القلعة مشرفة علينا من فوق رغمًا عن سيرنا ساعات عديدة . وكنا قبلًا نتقدر ان النظر من هذه القلعة الى الاطراف والاكناف منظر ليس له نظير . وكنا نعتقـد ان كل جهة تظهر من اعلى القلعة فنهر الليطاني على مداه وامتـداده نحو الشمال وسط ذلك المجرى الزمردي وعلى ضفافه سلسلة القرى التي لا تنتهي وجبـل الشيخ « M. Hermon » بعظمته وقصر (السيبه) في الجهة الشرقية وسلسلة جبال نفتالي « Naphtali » التي تمتد من الجنوب حتى صفد وجبل الريحان واطراف صنين في الجهة الشمالية الشرقية

لم تبرح هذه المناظر الخيالية من فكرنا ونحن نصعد في الجبل الى ان وصلنـا قدام العامة فتبدلت منظرتها حالاً الى شكل فضي ناصع . . . ثم اخذت تتضاءل امامنا تتضاءل القمر الى ان غابت عن اعيننا واصبحت مستترة لا ترى . وكنا لا نزال مثابرين على السير قاصدين قصبة جديدة فنمر طورًا بين اشجار التين وطورًا بين بساتين تلك الانحاء . دام الطريق على هذه الخطة مدة طويلة الى ان ظهرت علينا قلعة الشقيف مرة ثانية . ولكنها كانت بعيدة عنا جدًا . وكانت متحجبة وراء خيوط الضياء الحريرية في السماء . وكلما تقدمت عربتنا كان يختفي عنا كل شيء . ولكن جبل الشيخ يظهر لنا عن بعد بذروته المهيبة ذات الوقار . وقطعنا مسافة بعيدة في ارض حجرية . وكان الليل قد ارخى تماماً سدوله . وظهرت علينا قصبة الجديدة قائمة وكانها فاتحة ساعديها عن بعد تدعونا اليها



مجرى نهر «القاسميه — الليتانى» على طريق النبطيه — مرجعيون

ـ ٢٤ ـ

الجديدة

١ ـ وضعية الجديده ومنظرها

ان اسم هذه القصبه التي ليس لها مزية سوى اتخاذها مركزاً للقضاء منذ عشرين او ثلاثين سنه مطابق لحالها . فترى قصبة الجديدة مضيئة جداً وهي قائمة على قطعة جبلية ممتدة من الشمال الى الجنوب بميلان خفيف عن اليمين وعن اليسار . يبدأ البناء من الجهة الشرقية في الجبل . وبعد ان يأخذ شكلاً محدودباً في الوسط يعود الى الانحناء نحو الغرب . ولكن البنايات في هذا المنحني متباعدة عن بعضها ولو كانت متلاصقة لكانت القصبة ترى صغيرة جداً لان عدد الدور فيها يقرب من الخمسمائه

واذا اردنا تعريف وضعيتها الحاضرة باختصار يمكننا ان نقول انها تشبه مستطيلاً محدودب الاسقف وبعبارة اصح فهي نصف اسطوانة . وفي جوار القسم الشمالي للمستطيل تقوم قريتا (دبين) و (... ط) ويتراءى ان الاولى ملاصقة تماماً للجديدة

... المنحني الشرقي (وادي الخوخ) والكرم المسمى بهذا الاسم . وتخرج فيه مياه (عين الاباري) و (نبع الحام) . اما في الجهة الجنوب فترى قرية (قليعة) عن بعد . وفي الجهة الغربية يقوم وادي « الليطاني » على طول وتنتهي تلك الجهة بقرية « بو بقه »

وانني ارى ان المحيط الذي تطل عليه قصبة الجديدة جميل مثل « قلعة الشقيف » . فان جبل الشيخ وذرواته المغطاة بالثلوج ترى من الجهة الشرقية وجبلي الريحان والبقاع يظهران من الجهة الشمالية و « جبل الارتون » و « قلعة الشقيف » يظهران ايضاً عن بعد من الجهة الغربيه ومن وراء ذلك تتلألأ مياه البحر الابيض . اما في الجهة الجنوبية فيرى « جبل صنين » . وتتراءى عن بعد كالخيال بحيرة « الحوله » منبسطة وسط الوادي . فاذا اضفت الى هذه الحالة مناظر القرى اللطيفة مثل قرية « الخيام » وامثالها . تفهم حسن المناظر الطبيعية في الجديدة

٢ ــ داخلية الجديدة

[١] ــ ازقة الجديدة وابنيتها ــ تنتهي في وسط الجديده طريق الشوسه التي تبتدأ من

صيدا التي لا تنتهي ارتفاعاتها ومنحدراتها وحدودياتها وتقوم في نهاية الطريق باحة صغيرة ٠ وفي وسط هذه الباحة الصغيرة يرتفع عمود حجري مرتكز على قاعدة حجرية ايضاً ٠ ويقال انهم كانوا يعلقون مصباحاً كبيراً في حديدة مقوسة وسط العمود ٠ ومن الغريب ان اهالي الجديدة الفا قدين كل شيء من الآثار يتهكمون على هذا العمود ويسمونه « قبراً ٠٠٠ » ٠ وتقوم دار الحكومة وجامع الجديده في هذه الباحة ٠ اما الطريق الغربي في القصبة فضيق وغير منتظم ٠ وتقوم على هذه الطريق حوانيت القصبة وهي ما بين سبعين او ثمانين حانوتاً ٠ وفي القصبه سبعة طرق او ثمانية ولكنها جميعها غير مستوية ولا تشبه شيئاً سوى كومات من الاحجار ٠ وقد سميت هذه الطرق كافة باسماء المحلات التي تقوم بها

وتسمى محلات القصبة باسماء الجهات الاربعة ٠ فمحلة المسلمين في الجهة الشمالية من القصبة ٠ وقد بنيت كافة الدور في الجديدة على طرز [illegible] في لبنان فهي طبقة واحدة وعبارة عن غرفة مستطيلة او مربعة الشكل او غرفتين [illegible] بها باحة [illegible] فرشت بالبلاط ٠ وبالنظر لان الجديدة قائمة على سطح منحن ومتدرج [illegible] كثيراً من اسطحة الدور المبنية من التراب والمحدولة بمحدلة حجرية تقوم بوظيفة المنطلق [illegible] الاخرى التي تعلوها ٠ ولا يقل عدد الدور من هذا الشكل

بنيت جميع الدور بحجارة كبيرة صخرية حمراء ٠ ولاكثر الدور اغطية خشبية ذات جناحين ينفتحان نحو الخارج ولبعضها اجنحة من بلور ادخلت فيها قضبان حديدية طولانية وتفتح من الداخل ٠ ولكل غرفة نافذتان اوثلاث حسب العادة [illegible] فتحات مستطيلة الشكل في اعلى نقطة منها ويسمونها (قرية) وتغطي [illegible] او [illegible] الابنية الجديدة التي يقيمونها حديثاً على شكل جديد [illegible] وعليها عدة غرف ٠ ومن الغريب ان الدور هنا فاقدة للمنتفعات التي لا [illegible] الاهلين يركضون الى ظل شجرة او تحت جدار ٠ وهذا من اهم [illegible] الجديدة

وتشبه دور الجديدة المزارع [illegible] بعيدة عن بعضها ٠ ففي حدائقها اشجار التوت وامثالها ٠ وربما كانت هذه الجنائن [illegible] كومات من الاحجار تكون حداً فاصلاً ايضاً ٠ ويعرف [illegible] الذي يوضع على سقوفها اما الدور الصغيرة فمبنية [illegible] على العاب في الجنائن اما ايام [illegible] فيطبخونه داخل الدار

واما الابنية في دور القصبة البالغة خمسمائة تقريباً فمتوجهة نحو الشرق او نحو الغرب ٠ ويغلب

ان تكون متوجهة نحو الشرق

لا يوجد في داخل القصبة بنايات كبيرة . غير ان كنائس الكاثوليك والارثوذكس وغيرها من الطوائف المسيحية فانها تستجلب النظر . وبهذا الاعتبار فان الجديدة قصبة جد مختصرة. ومما يستجلب النظر طراز التزيين في الدور . فوجد في كثير الدور وخصوصاً دور المسيحيين رسوم رؤساء الحكومات الاجنبية معلقة على الجدران وبالطبع فانه لم ينظر بهذا العمل الى وجهة تاريخية او لانتظام او انسجام ويوجد علاوة على ذلك رسوم افراد العائلة موضوعة وسط اطارات مصنوعة من ازهار مشغولة باليد . ويهتمون هنا بصورة خصوصية بالرسوم الدينيه فترى اكثر الجدران مزينة برسمي يسوع ومريم وعلى رأسيهما الهالات . وقد اصبحت هذه الرسوم مبذولة لدرجة ان القروية تتذمر من اتخاذها . وفي كل غرفة مصباحان ومرآة وثريات ملونه . ويتم عقد الزينة بالازهار المصنوعة على شكل غريب

[٢] - مياه القصبة -- تذهب نسوة القصبة شابات وشيخات صباحاً ومساء الى (عين الكبيرة) في الشمال الشرقي من القصبة ويستقين منها . وهذا النبع مغطى ويجري ماؤه من ميزابين . ويوجد منبع آخر لسقاية الحيوانات وتغسيل الثياب ويسمى (عين الصغيرة) . واطيب ماء في القصبة هو ماء (عين الدفلة) في الجهة الجنوبية من القصبة . والاهلون يشربون من هذا النبع وهو مستور ايضاً

وعلاوة على ذلك فيوجد في دور القصبه عدة آبار عذبة المياه صالحة للشرب . ويوجد عشرون او ثلاثون صهريجاً تملأ من مياه الشتاء التي تسقط على الاسطحة المصنوعة من القرميد

يفهم من هذا ان الجديدة لا تحتاج من جهة الماء . نعم ان مياه الينابيع تقل ايام الصيف ولكن مياه الآبار تسعفها . وعلى كل فان القصبة لا تبقى بدون ماء . وقد امتازت قصبة الجديده بحفظ مياهها وبجودة هوائها

٣ -- الاحوال العمومية

[١] -- قضاء مرجعيون -- يقوم قضاء مرجعيون في الجنوب الشرقي من مركز الولاية ويحده شمالاً قضاء جزين من متصرفية جبل لبنان وشرقاً قضاء حاصبيا والقنيطره من ملحقات ولاية سورية . وغرباً قضاء صيدا وجنوباً قضاء صور وقضاء صفد من ملحقات لواء عكا

واراضي القضاء ذات موانع ما عدا اطراف بحيرة الحوله فهي سهل . وقد امتد نهر

الشريعه في الحدود الشرقيه والجنوبيه الشرقيه من القضاء وتنحلب منه بحيرة حوله وعدة انهر صغيره تصب في نهر الشريعه وفي بحيرة الحوله ومياه في القضاء كثيرة

ويؤخذ من القيود الرسمية في الطابو ان مساحه القضاء السطحيـة تبلغ « ٥٤٠ » كيلو متراً منها ١٠٤ كيلو مترات اراضي الدور ومتمماتها وجنائنها وكرومها و ٣٥ كيلومترًا مربعاً اراض اميرية وهي حجرية خالية صالحة للتحراش او غير منبتة ويفهم من هذا ان الاراضي الاميرية الصالحة للفلاحة والزراعة هي « ٣٠١ » من الكيلو مترات ٠ اما نفوس القضاء فـ « ٣٠١١٥ » منهم « ٢٢٠٣٥ » مسلماً ما بين ذكور واناث « ٤١٦٥ » ارثوذكسياً و « ١٤٦٧ » كاثوليكياً و « ١٣٠٤ » موارنة و « ١٠٧٥ » بروتستانتياً و « ١٠٠ » لاتيني و « ١٧٠ » يهودياً وقـد بلغ عدد المواليد في عموم القضاء عام ٣٢٥ — « ١٠٩ » وعدد الوفيات « ٧٥ » وعدد المواليـد عام « ١٣٢٩ » — « ٢٢٧ » وعدد الوفيات « ٢٦ » وعدد المواليد عام ٣٣٠ — « ٢١١ » وعدد الوفيات « ٧٢ » وعدد المواليد عام ١٣٣١ « ٢٥٦ » وعدد الوفيات « ١٠٣ »

ولا تعلم دائرة النفوس المقدار الصحيح الذين هاجروا من ابنـاء القضاء الى اميركا والى غيرها من الجهات ولكن يؤخذ من التحقيقات الخصوصية انه بلغ عـدد الذين هجروا القضاء موجعيون من ابنـاء الوطن حتى الآن اكثر من « ١٠ » آلاف شخص ، وقد ذهبوا الى اميركا الشمالية والى البرازيل والى المكسيك . ولقد فقدت بهذه الواسطة قصبة الجديدة وحدها « ٢ » شخص . ويقدرون ان ثلث العشرة آلاف مهاجرهم من المسلمين ٠ وقد هجر القسم الاعظم من هؤلاء وطنهم الاصلي تماماً واستوطنوا الارض الجديدة بصورة دائمة

ويقدرون ان القضاء هو من انحاء نهر الشريعة التي اشتهرت ايام العبرانيـين وقد كانت زراعته مترقية في زمن الفينيكيين ٠ ولا ريب انه مرت على هذه الاراضي الانقلابات التي طرأت على البلاد الفينيكية ثم انتهت بانضمامها الى الممالك العثمانية مع القطعة السورية

[٢] — قصبة الجديدة — مركز القضاء هو قصبة الجديدة وهي واقعـة في الدرجة ٣٢ والدقيقة ٢٤ من العرض الشمالي والدرجة ٣٣ والدقيقـة ٥٠ من الطول الشرقي وقائمة على ذروة جبل موازية لذروة جبل الشقيف وتبعد عن مركز الولاية ١٢ ساعة وترتبط بقصبة صيدا بطريق معبدة يبلغ طولها ٥٥ كيلو متراً ٠ وترتفع عن سطح البحر ٧٠٠ متر ٠ هواؤها جيـد نظراً لارتفاعها . ومنظرها جميل جداً لاطلالها على جبل الريحان وعلى جبل الشيخ وعلى سهل مرجعيون

تبلغ نفوس مركز القضـاء ٣٧٥٢ منهم ٢٩ مسلماً ما بين اناث وذكور و ٢١٩٥ من

اروم و ٨٩٠ من الكاثوليك و ٣٧٥ من البروتستان . وقد بلغت المواليـد عام ١٣٣١ (٦٠) والوفيات (٢٣)

ولم تتمكن بلدية قصبة الجديدة التي لا تزال في حالتها الابتدائية من اظهار شيء يستحق الذكر من حيز القول الى حيز الفعل . وليس للقصبة خريطة منتظمة وازقتها مملوءة بالغبار والاحجـار الصغيره ولا يتمكن الغريب ان يعرف مطلقاً تقسيمات الازقة ولو اقام فيها عشرين او ثلاثين يوماً وقد كانت الواردات في ميزانية البلدية عن واجب عام ١٣٢٧ (٢٩٢٥٠) غرشاً ومن واجب سنة ١٢٣ (١٤٦٩٩) غرشاً . اما هذا العام فهي (٣٠٨٨٥) غرشاً . واما مصاريفها فكانت عام ١٣٢٢ (٤٠١٧٥) غرشاً . وفي السنة الماضية كانت (٢٠٨٧٦) غرشاً . وقد ظهر لنا من تدقيقاتنا ان دائرة البلدية في القصبة هي احط دوائر البـلدية على الاطلاق . وهي في اشـد الاحتياج للاصلاح

[٣] — امور المعارف — في مركز القضاء مكتبان رسميان احدهما للذكور والآخر للاناث . ومكتب ابتدائي ذو شعبتين للروم الارثوذكس . ولقصبة الجديدة حالة غريبة جداً في امر المعارف كما هي الحالة فيها بامور البلدية . وبسبب حرمان مكتب النمونه الذكور من الاساتـذة ارباب الاقتدار والاهلية فقد اصبح مجمعاً للبلداء ولا اثر للعلم والتحصيل بين المائه وعشرين طالباً المداومين عليه . اما مكتب الاناث فهو اشد انحطاطاً ولا يتجاوز عدد الطالبات فيه الاربعين

ويقوم امام هذه المؤسسات الرسمية المنحطة مكتب ابتدائي للروم في غاية الجودة والترقي وقـد اعطى المكتب قبلاً للحكومة الروسية بموجب رخصـة رسمية وكانت الجمعية الفلسطينيـة الروسية تدفع رواتب المعلمين والمعلمات . ويزيد عدد تلامذته على الاربعمائـة ما بين صبيان وبنات . وقد اشادت الطائفة الرومية البناء ولكن الحكومة الروسية استحصلت على رخصة المكتب ولهذا السبب اغلقته مديرية المعارف في العام الماضي . وقـد عطل مكتب بروتستـان الذي يبلغ عدد طلابه الثلاثمائة ما بين ذكور واناث لانه لم يكن حائزاً على رخصة رسمية . ولقـد كان اغلاق هذه المكاتب وتعطيلها مضراً جداً للاهلين حتى بات جميع المسيحيين الذين يقرأون ويكتبون بدون مكاتب . اما مكاتبنا الرسمية فانها عاجزة عن تلافي هذا النقص . ولا ريب ان نجاح المكاتب ورقيها متوقف على وجود معلمين ومعلمات من ارباب الاهلية والاقتدار واننا لم نوفق حتى الآن ويا للاسف لاحراز شيء من هذه المزايا البعيدة عن اساتذتنا الرسميين . واذا كانت حالة المعارف في مركز القضاء مختلة بهذه الدرجة فمن العبث حينئذ البحث عن مكاتب القرى . فحالة التربية بيننا محتاجة للاصلاح من اولها الى آخرها .

وباعتقادي ان ربع المبالغ التى تصرفهنا من صندوق المحاسبة الخصوصية على امور المعارف وتبلغ (٢٣٠٠٥) — لم تستثمر كما يجب. ومن الممكن استحصال نتائج حقيقية مفيدة بهذه المبالغ ايضاً ولكن بشرط الجد والعمل المتواصلين

[٤] — المحاصيل الزراعية — ان قضاء مرجعيون باجمعه ذو محاصيل واننا ننشر ادناه التقرير الرسمي الذي عثرنا عليه من المحاصيل الزراعية فيه :

المقادير المستحصلة (كيلو)	الاراضي المزروعة في العام (دونم)	جنس المزروعات
٠١٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	قمح
٠٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	شعير
٠٠٣٠٠٠٠	١٠٠٠٠	ذرة بيضاء
٠٠١٥٠٠٠	٠٣٠٠٠	ذرة صفراء
٠٠٠٢٥٠٠	٠٠٥٠٠	فول
٠٠٢١٠٠٠	٠٧٠٠٠	عدس
٠١٧٥٠٠٠	٢٥٠٠٠	حمص
٠٠٠٦٠٠٠	٠٢٠٠٠	جلبانة
٠٠٢٠٠٠٠	٠٠٥٠٠	توتون
٠١٠٠٠٠٠ اوقة زيتون	٢٠٠٠٠ شجرة	زيتون
١٠٠٠٠٠٠ كيلو	٥٢٦٥	عنب

٤ — الاحوال الاجتماعية في الجديدة

اذا نظرنا لقيد النفوس نجد ان نفوس الجديدة كانت عام ١٣٣١ (٣٧٥٢) شخصاً منهم ٢١٩٥ ارثوذكسياً و٨٩٠ كاثوليكياً و٣٧٠ بروتستانتياً و٢٩٧ مسلماً . وبسبب مهاجرة النصف من الاهلين تقريباً ومكثهم في مصر واميركا فان الجديدة اصبحت قليلة النفوس جداً وتراها ساكنة هادئة هدوءاً مطلقاً وهو امر يستلفت النظر

ان المسلمين في القصبة سنيون ويشتغل اكثرهم بتجارات بسيطة وهم على وجه العموم غير مرفهين في حياتهم ويمكن ان يقال انهم يعيشون بقناعة وفقر. وهم كتلة صغيرة لاتتجاوز الخمسة وعشرين داراً ويكاد ان لايكون لاحد منهم زراعة او فلاحة

ولهذا السبب يمكننا ان ننظر الى قصبة الجديدة بعين انها بلدة مسيحيه ونعرف من هذا بسهولة ان طائفتي الارثوذكس والروم الكاثوليك اصحاب نفوذ . نعم ان في الجديده مركز المطرانخانة : ومطران الجديدة ينظر بشئون اقضية حاصبيا وراشيا وصيدا وصور . ولكنه يمضي اكثر اوقاته في الجديده وحاصبيا . وقد ذهب هذا المطران الى اميركا والبرازيل ليجمع شيئاً من الاموال . ويتألف مجلس المطرانخانة من سبعة اعضاء ومن كاتب وهو ينظر باعمال الطائفة الارثوذكسية وتنفذ اكثر الاعلامات التي يضعها المجلس . ويوجد صندوق للايتام ملحق بالكنيسة وهو يسعف المحتاجين من ابناء القصبة ولا يتجاوز عدد هؤلاء المحتاجين العشرة او الخمسة عشر . وللكنيسة اوقاف وفي صندوقها ثروة مالية . وفي الجديدة ثلاثة او اربعة من الرهبان وهم يستوفون مخصصات معيّنة عن الزواج والعماد والوفاة والخطبة والسلام والمرض وللمطران واردات خصوصية ايضاً . ويقال ايضاً ان دخل المطران سنوياً يبلغ الالف ليرة . ولطائفة الروم في الجديدة مكتبان احدهما للذكور والآخر للاناث وتأتي رواتب المعلمين والمعلمات من روسيا ويقال ان جمعية فلسطين الروسية تقوم بتأدية هذه المبالغ . اما عدد الطالبين والطالبات في هذين المكتبين فيبلغ الاربعمائة وبالطبع فان للطائفة هنا كنيسة ومقبرة تقوم في الجهة الشرقية من القصبة

ويروى انه لا يوجد احد بين شباب وشابات الطائفة الرومية لا يقرأ ولا يكتب . والحاصل ان هذه الطائفة تعرف المطرانخانة مرجعاً لها في جميع الامور . ولا ريب ان مستقبل الفين من النفوس مرتبط بميول المطرانخانة وبافكارها

وفي الجديدة (مطرانخانة) للكاثوليك ومركز المطران في الجديدة ولكن ابرشيته تشمل اقضية حاصبيا وراشيا والقنيطرة وقرى مرجعيون . ولهذه المطرانخانة املاك واراض ومطاحن تبلغ وارداتها الالفي ليره . وللكاثوليك في قصبة الجديده كنيسه وثلاثة رهبان (خوارنه) . وبسبب ان هؤلاء موظفون فان وارداتهم هي اقل من واردات الرهبان الارثوذكس . ولهذه الطائفة المسيحية مكاتب وامثالها من التشكيلات وهم يجارون الروم الارثوذكس في خطتهم

فاذا قابلنا بين هاتين الطائفتين يظهر لنا ان الكاثوليك هم اكثر رقياً . وقد تعممت معرفة الالسنة الاجنبية بينهم اكثر من بين اولئك

وللبروتستانت في الجديدة كنيسة وقسيس

ويمكننا تقسيم الطوائف المسيحية ذات التشكيلات المذكورة في الجديدة الى ثلاث طبقات باعتبار حالتها الاجتماعية :

الطبقة الاولى — هم اصحاب الثروة من ثلاثة الاف الى ستة آلاف ليره ولا يتجاوز عدد

هؤلاء الخمسة او الستة . احدهم تاجر والآخر محام والثالث مزارع • ومعيشة هؤلاء عالية بالنسبة لمعيشة الاهالى فان دورهم نظيفة وصحية • مفروشات دورهم جيدة وقد اعتادوا ان يفرشوها بدكات عالية يضعون فوقها سجادات ويزينون الغرفة بالمنضدات وبالمرايا وبالثريات وبالخزائن ويفرشون الارض بالسجاد ويعلقون على الجدران سجاداً ايضاً . وابناء هذه الطبقة اصحاب ذوق ويعرفون طرق الحياة

الطبقة الثانية — هم في درجة ابناء الطبقة الاولى من حيث الثروة ولكنهم احط من اولئك من حيث الذوق والحالة الفكريه ومن حيث الدور وطراز فرشها . ويبلغ عددهم قدر الطبقة السابقة . ويمكننا ان ندخل طبقة التجار في الجديدة بعداد هؤلاء ويقال ان الضيق في الدور امر مدرك في حالة القصبه الاجتماعية

الطبقة الثالثة — هم الاصناف والمكاريه • ومن هؤلاء قسم قد اسس حوانيت المبيع ويشتغل قسم آخر منهم بمعاملة العربان المجاورين فحوانيتهم فوق ظهور بغالهم . وثلاثون في المئة من نساء هذه الطبقة وتسعون في المئه من رجالها يقرأون ويكتبون

اما حياة العائلة في الجديدة فهي ارقى بدرجة بسيطة بالنسبة لباقي المحلات : يحسنون المعاملة مع بعضهم داخل البيوت وهو امر عام بين جميع السكان . تشتغل النساء باشغال البيوت فقط اما الرجال فيتاجرون و يجلسون في الحوانيت او يخرجون الى محلات العربان فيعاملونهم • ويقيم اصحاب الثروة في دورهم • ويستثمرون اراضيهم بواسطة المزارعين من ابناء القرى . واراضيهم خارج الجديدة

تغلق الحوانيت ايام الاحاد في الجديدة • ويتبادلون الزيارات ذلك اليوم ويخرجون للنزهة فيه • ويغلب انهم يخرجون الى جنائن قرية دبين التي تبعد ربع ساعة عن القصبة في الجهة الشمالية منها . واراضي القرية هناك مغروسة خضراء تتخللها المياه الجارية • ويخرجون احياناً الى نبع الحمام او الى عين القصير البعيدتين عن القصبة ربع ساعة في الجنوب الشرقي منها ويمتعون نظرهم بمنتزهاتها الزمرديه او انهم يخرجون الى حقول العنب باطراف القصبة فيأكلون العنب والتين

اما المسلمون في الجديدة فانهم يتنزهون ايام الجمعة . ولا يوجد انهماك بالمشروبات في الجديدة . نعم ان جميع الاهالي تقريباً يستعملون المشروبات الكحولية ولكنهم يعتقدون انهم لايتجاوزون الدرجة المعقولة

وقد اخذ اللباس هنا شكلا مسيحياً . فالمسيحيات في الجديده لايخرجن الى الازقة متحجبات مثل المسيحيات في حيفا وفي سائر المحلات فلباسهن اقرب للباس القرويات فيلبسن (وسطية) ومن

و قميص و سروال جميعها من ذات الالوان الزاهية المؤثرة في الابصار ويسترن رؤسهن بمنديل او بغطاء ملون . وهذا هو لباس اكثر البنات والنساء في الجديدة

اما الرجل فيلبس غنبازاً قصيراً يميل الى السواد بلونه وقد فتح الغنباز من قدام وقص من اطرافه مقدار خمسة عشر سانتيا ويلبسون بارجلهم قلاشين سوداء ونعالاً سوداء ويلبسون احياناً تحت الغنباز سروالاً وربما لبسوا السروال بدون غنباز . ويلبسون فوق الغنباز اوالسروال (جاكت) ويشدون في اوساطهم زنانير سوداء ويسترون رؤوسهم بطرابيش لونها قريب من السواد وعليها شراريب كبيرة . ويضعون فوق رؤوسهم الطربوش والشرابة بشكل مائل . وتظهر الرجال امامك في جميع انحاء القصبة كأنهم هيأ كل مهيأة للرهبنة . اماملابس الطبقات المثريه فقد استغربت (اي اصبحت غربية) نوعاًما

يكاد ان لايكون في قصبة الجديده طبقة من ارباب النفوذ . نعم انه يوجد اناس اثروا واصبحوا اصحاب مراكز بسلوكهم طرق المفاسد ولكن ذلك لايحسب شيئاً بنسبة مراكز بقية الاقضية . ومهما يكن فانه يمكننا ان نقول ان عدم وجود نفوذ لاحد في هذه القصبة ناشيء عن اسباب وهي قلة المسلمين هنا ووجود المراقبة من قبل الرؤساء الروحيين على الطوائف المسيحية وعدم وجود ثروات ممتازه

ان السبب بخراب الحالة الاجتماعية في الجديده هي مسئلة المهاجرة . فلا يوجد اليوم من الالفين او الثلاثة آلاف مسيحي المقيدين في نفوس الجديده اكثر من الف نفس . واما الباقون فهم في اميركا . واغلب المسيحيين الذين يهاجرون الى اميركا لايعودون منها . ومع هذا فانهم لاينقطعون عن ارسال الدراهم لاهليهم الى ان يتيسر لهم نقلهم الى ديار الهجرة . وقد بنيت اكثر دور الجديده بالاموال التي جيء بها من اميركا . ويوجد قسم من المهاجرين يجمعون شيئاً من الثروة ويعودون الى هنا فيبنون بها دوراً ويأخذون باستهلاك ما بايديهم من المال . وحينما تخلص ثروتهم يرجعون الى اميركا ولا يعودون منها

وفي الجديدة كثير من النساء يقمن بلا رجال وعدد كبير من الدور التي ظلت اطفالها وبناتها ونساؤها بلا رؤساء . ومن الغريب ان المرض الاجتماعي وهو المناسبات غير المشروعة الذي يرى في المحلات القريبة من الجديده هو نادر جداً هنا حتى لايكاد يذكر

وربما كان السبب بذلك وحدة العنصر هنا وعدم وجود عناصر اخرى . ترى ابناء الجديده وهم سكان الجبال ذوي بصيرة وفكرة في مسائلهم الحياتية . يميلون الى الاجتهاد والعمل فترى بنات الجديده لا يتركن من ايديهن الاشغال اليدوية فيصنعن الدانتلا والقلاشين والاحزمه

والقمصان الصوفية . وبسبب المراقبة والشوبق فقد حفظ بناء الجديدة على كيسهم وبسبب نزواء محيط الجديده الجبلي فانه لا يمكننا تشبيه ابناء الجديده بالصيداويين او بالصوريين . واذا اضفنا الى ذلك خلق القناعة العام في الجديده وعرفنا ان كثيرا من الاسر القروية تكتفي سنوياً بصرف الفين من القروش — تظهر للقارئ صحة الفكرة التي قلناها .

٥ — اللغة والادبيات

قلنا حين الكلام عن الحالة الاجتماعية في الجديده ان قسماً من المسيحيين القاطنين هنا قد تعلموا الالسنة الاجنبية . واذا استثنينا من هؤلاء المهاجرين الذين عادوا من اميركا فان الباقين يعرفون الفرنساوية هنا . ولكن عدد المتكلمين بها غير كثير . اما الذين يعرفون اللغة التركية من الوطنيين فهم اثنان او ثلاثة - واما البقية فيتكلمون ويكتبون بالعربية . ومع هذا فانه من العبث البحث عن اللغة الفصحى هنا . فالاهالي في الجديدة يتكلمون اللغة العربية العامية . واما اللهجة فاثنتان : احداهما اللهجة اللبنانية ويتكلم بها الثلث تقريباً . واما الثلثان الآخران فيتكلمون بلهجة العربان لان اكثر الاهلين هنا جاءوا من حوران واستوطنوا الجديده

ولا حاجة للبحث مطولاً عن الادبيات وعن اللسان الادبي في الجديده . ومع هذا فانهم يطلقون على الاغاني والمواليات المستعملة في المحلات المجاورة اسم (عتابه و ميجانه)

اما عتابه فهي عبارة عن نشائد لوم وتعنيف من طريقه (ليريك) وموضوعها العشق . واكثر العتابيات مصنوعة على طريق المحاورة بين العاشق والمعشوق ويمكننا ان نذكر منها شيأ :

— عتابه —

يابو زالف سواد الريباناي
وخد البنت حب المرجاناي
يوم فراق ولقي المرجاناي
وصبحت خيال من تحت الثيابا

— مقابل الشريك —

حلي لي الشايه على الكتف غرفاي
وحي من الجهل يا ولف غرفاي
قصدت عيونهم واشيل غرفاي
عملتوما من ماء حيايا . .

— ستبه —

يا أس دوب، نوبه ودوب سوساي

وحسه بضامري نقرات سوساي

انا لكيت ياخلق اداري الله وسوساي

وما لقيتش رفيق على الهم جابا

واما الميجانيات فانها مقطعات مهيجة للعواطف وقد سميت بهذا الاسم لانها ترافق نقرات خفية (ميج يابو الميج) الخ . ويمكننا ان نذكر منها هنا شيئاً :

— ميجانه —

يا ظريف الطول حبك مطرحو

غمزات عينك في قلبي يجرحو

بتمون على خيك بسيفك تدبحو

بس العوازل ماتخشش بيننا

— ميجانه —

شوف ظريف الطول واقف على الشفا

والمحبة آخرتها للجفاء

واللي يوعد وعد حلو للوفاء

حلي وعدك والمقدر ربنا

— ميجانه —

يا ظريف الطول عيني ياظريف

لا ضماك دم الحبق بجواض ريف

وان كان ياعربي لا عندي تضيف

جوه قلبي لا [illegible] مسكننا . . .

وفي الجديدة كثير من (العتابيات) و (الميجانيات) التي يترنمون بها اوقات الافراح وقد ظهر ان موضوعاتها القامة الظريفة و [illegible] وغير هذا . . . فهي بهذا الاعتبار ذات علاقة بالحياة . وقد اصبحت هذه الاغاني مظهراً للقبول والاستحسان في الجديده نظراً لدلالتها على حالة روحيه هنا

— ٢٥ —

طريق الجديدة — صفد

١ — من الجديدة الى الخالصه

اقمنا مدة وجودنا في الجديدة في غرفة منفردة كان لها في كل جهة من جهاتها نافذة او باب ولو لم يكن ابناء الجديدة مقرين للضيف للاقينا هنا صعوبات جمة . فلا نستكر ن اشتاق هاتف عليه الواسطة . ولقد كانت العربة التي جائت الينا صباحاً بعد ان قطعت طريقاً صعبة ومملوءة بالاحجار وتهيأت لتقلنا نحو الجنوب على طريق طويلة — كانت احسن مخلص ثمين لدينا

ركبنا العربة فسارت بنا على طريق الشوسه متجهة نحو الجنوب وقد اخذت تظهر علينا مبادي السهل البديع الذي ينتهي عن بعد بحيرة (الحولة) . ما كدنا نفارق آخر ابنية الجديدة بل اولها وهي الكنائس والمكاتب — حتى اخذنا نسير بين الاراضي التي كانت مزروعة . وبعد هذا انحرفنا عن طريق الشوسه وسلكنا طريقاً ضيقة وحجرية تمتد الى داخل قرية ...ادفنده على الطريق . وكنا نحسب ان هذه الطريق الحجريه لا تمتد مسافة طويلة واقد كنا نتمسك بطرفي العربة التي كانت تسير سير النملة . ولم يفارقنا الاهتزاز مطلقاً ثم خشينا ان تنقلب بنا العربة فسرنا على الاقدام مسافة ايضاً

قطعنا القرية ولم تزل الطريق على فسادها . ولا ريب ان هذه الطريق ليست طريقاً معبدة حتى انه لا يوجد اثر يدل على اشتغال يد الانسان بها . ودامت الطريق على هذه الخطة مدة ساعة من الزمان . ثم بدأت المنحدرات وصادفنا في طريقنا احجاراً كبيرة وانقاض صخور كبيرة فاضطررنا للنزول من العربة التي اخذت تسير فارغة فكانت تظهر علينا احياناً وهي تنحط وترتفع على الطريق الفاسدة وكانت احيانا تختفي عن ابصارنا فلا نسمع الا صداها من وراء الصخور . ولما انتهينا من المنحدر وصلنا الى سهل مرجعيون وبعد ان قطعنا مسافة في تربة مستوية وناعمة ظهرت امامنا قرية جديده فقالوا ان هذه قرية (المطلة) ولما سألنا عنها اجابونا بقولهم .

— احدى المستعمرات اليهوديه . . .

وهي قرية تطل على جميع صحراء مرجعيون . بنيت القرية على طريق طويلة تمتد نحو الجنوب وهي صعبة ولكنها عريضة . وقامت دورها على طرفي الطريق على نسق واحد . ومن وراء الدور جنائن ومن وراء الجنائن ايضاً دور اخرى



قيافة امرأة بدوية

بنيت هذه المستعمرة عام ١٨٩٦ بموجب خريطة وضعها المهندس (ايشتاقت) وقد صرف البارون روتشيلد على بنائها نصف مليون فرنك • و يقيم هنا ٢٧٠ مستعمراً ولكن لايوجد بينهم احد ادى ما عليه حتى الآن من الدين الى البارون• ورغماً عن ضياع اموال روتشيلد بكل هناء وصفاء فان صرفيات هذا اليهودي الكبير لم تأت بثمرة مطلقاً . وان بلادة اليهود المقيمين في المطلة وكسلهم يستلفتان النظر• فترى دورهم وخصوصاً داخلها مملوءاً بالاوساخ والذباب و بالنظر لانتظام القرية الخارجي فان داخلية دورهم غريبة جداً بعفونتها . ومما يوجب الحيرة تراخي اهل المطلة وتهاملهم مع انه لا يوجد بينهم احد لايقرأ ولا يكتب . وقد اهتمت جمعية (ايقا) بهذا المكان ولم تحرم المطلة من كل شي مطلقاً حتى لامن الطبيب ولامن الصيدلي . وهي تدفع لكل واحد من المعلمين الثلاثة في مكتب المطلة راتباً يتراوح من (١٠٠— ١٥٠) فرنكاً . ورغماً عن ذلك فانه توجد فروقات ظاهرة بين هذه المستعمرة الصغيرة التي هي تاج غاليلة الشمالية وبين مستعمرات غاليلة الجنوبية ومستعمرات يافا

وبعد ان اقمنا ساعتين في المطلة تجهت عربتنا نحو الوجهة الجنوبية متبعة طريقة الشوسة الطويل • ولم نكد نفارق ابواب القصبة حتى عادت الطريق الى ما كانت عليه من التشعث . وبعد قليل دخلنا اراضي المرج وقد كانت ينابيع صغيرة تجري على طريقنا حتى انه كان يتألف منها جداول صغيرة • وبعد مسيرنا ساعة من الزمن على هذه الطريقة ظهرت لنا عن بعد خيام سوداء فقالوا :

— قاربنا الخالصة• وان الخيام التي نراها عن بعد هي بيوت عشيرة (الغوارنة)

اخذنا نشاهد على طريقنا نساء العشيرة وقد اكتسين البسة واسعة تشبه الوانها اللاجورد الغامق القريب من الاسود• وبعد قليل وصلنا الى ضفة مياه متجمعة تشبه بحيرة صغيرة قد اخضرت مياهها واحيطت بغرائس القصب وكانت الحشائش الطبيعية قد بسطت في الانحاء بساطاً اصفر لطيفاً وهنا ازداد عدد الخيام • ثم ظهر بين الخيام بناء واسع مستطيل الشكل مؤلف من طبقة واحدة وقد ربطت امام البناء الخيول . وهنا يقيم رئيس عشيرة الغوارنة

٢ — بين عشيرة الغوارنة

[١] — قرية الخالصة— ان ناحية الحولة مؤلفة من ١٢ قرية وجميع سكانها وهم عشيرة الغوارنة من سكنة الخيام . وقد هاجروا قبل ١٥٠ عاماً مع رئيسهم عيسى ابراهيم من قرية ام الفحم في لواء نابلس وسكنوا انحاء الحولة• ولما جاءوا الى هذه الجهات كانت هنا عبارة عن مستنقعات ومقاصب • فاشتغل ابناء العشيرة منذ اربعين سنة وكسور بتجفيفها بصورة بسيطة وابتدائيه جداً

فتمحوا من تجنيف (١٥) الف دونم تقريبا وبدأوا باستثمارها . ولقد استعمل الحاج يوسف ابراهيم رئيس عشيرة الغوارنة المشهور بشدة ذكائه لساناً قاسياً قبل سنتين ونصف ضد شركة الحولة فقال : (ان بيهم وسرسق لا يقدران على القيام بعمليات زراعية جسيمة وفنية بهذه الدرجة وان غاية هؤلاء من تأليف الشركة واستحصال امتياز بها هي بيع الحولة وانخابها على حالتها الحاضرة للصهيونيين مقابل مبالغ كلية . ولهذا فاننا مضطرون للوقوف امام هذه النيات المرتبطة مباشرة بحياة الوطن وبمنافعنا المادية »

لم نسمع بين افراد العشيرة كلمة التحصيل الابتدائي مطلقاً . ومن الضروري افتتاح مكتبين ابتدائيين على الاقل بين هؤلاء البائسين الذين يدفعون حصة المعارف منذ سنين . ومن وراء قرية (خالصة) التي يقيم فيها رئيس عشيرة الغوارنة ترى عن بعد في الجهة الشمالية الشرقية فوق ذروة الجبل — قلعة خونين من ملحقات قضاء صور . وقلعة (بانياس) وراء الجبل الذي يخرج منه جدول بانياس احد المنابع الاساسية لنهر الشريعه

وهذا بيان بالمحاصيل السنوية للاثنتي عشرة قرية التي تسكنها عشيرة الغوارنة في انحاء الحولة التابعة قضاء مرجعيون :

جنس المزروعات	الوزن بالكيلو
قمح	١٠٠٠٠٠٠
شعير	٠٤٠٠٠٠٠
ارز	٠١٠٠٠٠٠
ذرة بيضاء	٠٥٠٠٠٠٠
« صفراء	١٠٠٠٠٠٠
سمسم	٠٠٠٢٠٠٠
يكون	٣٠٠٢٠٠٠

وعلاوة على ذلك فانه يخرج في اراضي الحولة انواع اخرى من المزروعات مثل البطيخ الاحمر والاصفر وامثالها بقيمة عشرين الف غرش تقريباً وفي تلك الجهات (٥٠٠٠) شجرة حور

[٣] — الاحوال الاجتماعية في عشيرة الغوارنة — وقفت بنا العربة امام دار الرئيس وكان الاهلون يستقبلوننا حين نزولنا من المركبة ثم ظهر امامنا رئيس العشيرة فاخذونا الى غرفة فرشت جميع اطرافها بالسجاد ولكننا لم نصل اليها حتى مررنا بعدة غرف اخرى : والغرفه التي جلسنا

فيها ثلاثة او اربعة من الابواب وجميعهـا مفتوحة . ونوافذ الغرفة بدون بلور او حديـد . وبعد ان استقر بنا المقام جلس امامنا رؤساء العشيرة متربعين وعلى رؤسهم الكفيات البيضاء والعقالات الثخينة السوداء وقد لبسوا الثياب العربية المشقوقة من اوساطها ومن جوانبها وعلى ظهورهم الاردية الطويلة المسماة (ساكو) واقدامهم عارية . كان جميع الجالسين من المتقدمين بالعمر وهم ملتحون وقد اسدل فريق منهم شعره الطويل

ارسلنا نظرنا من باب الغرفة المطل على خارجها لنبحث في تلك الانحاء فعرفنا ان زيارتنا لهم كانت حادثة منظورة عندهم فتراكض الرجال والنساء واخذت النار تشتعل وبعد قليـل سمعنا اصوات (طيق . طيق . طيق) يتردد صداها في اطراف الغرفة فكانوا يهيئون قبـل كل شيء القهوة لاكرام الضيف . ولما كان اول شيء يكرم به الضيف عند العشائر هو تقديم القهوة وهم يتلذذون باستحضارها وتهيئتها ولذلك كانوا يجتهدون بتطويل مدة هذه المراسم . فامتـلأت في بادئ الامر انحاء البناية والخيام القائمة في جانبها بدخان اسود ثم اخذت شرارات النار تتطاير ثم وضعوا فوق النار شيئاً ثقيلاً من النحاس ذا يد طويلة ويسمونه (المحماص) واخذوا يحمصون حبات القهوه ويقلبونها بملعقة من الحديد . ثم وضعوا القهوه المحمصة في هاون مصنوع من الخشب الثخين ويسمونه (مهباج) واخذوا قطعة من الخشب كادت تكون عموداً طويلاً و يسمونها (يد المهباج) وبدأوا بدق القهوه على نغمة لطيفة فكانت اصوات طيق . طيق . طيق . . . تتردد في تلك الانحاء وهذه عادة متبعة عندهم . وبعد مضي زمن غير قليل على دهس القهوه صفوا اباريق القهوه النحاسية حول النيران واخذوا يفرغون من ابريق الى آخر القهوه المدقوقة فيصفونها بهـذه الطريقة ثم يعيدون غليها ثم اضافوا عليها شيئاً آخر واعادوا غليها . وبعد مدة جاؤا الى امامنـا وقد امسكوا بيد ابريق القهوه وباليد الاخرى فناجين القهوه المصفوفة والتي تشبه فناجين قهوات المحلات العادية

صبوا لنا قليلا من قهوة مرة مطبوخـة بحب الهال ثم اعيدت السقيا . ثم بـدأوا خارج الدار بصنع الطعام وحينئذ كثر الازدحام

بعد مضي ساعة بعد الظهر جيء بفراش القوه وسط الغرفـة وطرحوا فوقه غطاء وصفوا الصحون فتحلق الحاضرون جميعهم حول الفراش . وكان امامنا اكثر من عشرين صحناً فاكلنا جميعنا بالايدي وبالاكف . ثم اديرت علينا القهوة . وكان رئيس العشيرة يذكر لنا شيئاً من اخبار العشيرة

ان عشيرة الغوارنه التي تتألف منها ثنتا عشرة قرية هي عشيرة كبيرة وجميعها تابعة لهذا الرئيس

ولا ريب ان نفوذ الرئيس وحيثيته هو فوق التصور . وللعشيرة امام وفي كل قرية مختار . اما الامام فيصلي بهم احياناً واما المختار فيحافظ على التكاليف الاميرية . وقد استولت مسئلة تعدد الزوجات استيلاء شديد بين العشيرة . ويقدرون ان ذوي الزوجات الاربعة هم اكثر من ثلاثة ارباع العشيرة

لم نكن ممتنين من مثل هذه الايضاحات وكنا ميالين للسير بين العشيرة ومشاهدة طراز حياتها ومعيشتها رأي العين

اخذنا نسير بين خيام العشيرة فوجدنا هذه الخيام مصنوعة على شكلين فقسم منها يسمونه (عريشه) وهو مصنوع من القصب الذي يسمونه (قشق) و (بابير) والخيمة طويلة مستورة من جميع اطرافها ومكشوفة فقط من امامها . ويستحضرون جميع لوازم هذا النوع من القصب النابت حول الحولة . وفي داخل الخيمة حصير مصنوعة من القصب المذكوروعدة جرار وشيء للنوم وللالتحاف وامثال ذلك

ويوجد نوع آخر من الخيام ليست على هذه الشكل وهذه خاصة بايام الشتاء ويسمونها (بيت شعر) وهي مصنوعة من صوف الماعز . اما شكلها فيشبه (العريشه) ولكن لونها اسود ونسجها قاس .

وسميت عشائر منطقة الحوله باسم (الغورانه) لاقامتهم في الغور اي الاراضي المنحطة . ولهذه العشائر اصناف وطبقات وهي مراتب موروثة عندهم . وتعرف هذه الطبقات والاصناف بكبر الخيمة وبصغرها فتكون الخيمة ذات اربع غرف او ثلاثة او اثنتين او واحدة . ولما كان ذلك نوعاً من الامتياز فمهما كثرت افراد الاسرة فلا يمكن لصاحبها تأمين راحته الا باقامته خيمة اخرى منفردة

وفي اثناء سيرنا بين الخيام كنا نشاهد الاطفال صفر الوجوه من وطأة الملاريا والنساء قد اصبحن جلداً وعظاماً من شدة المرض المذكور . ولا ريب ان السكنى في انحاء بحيرة الحولة الملوءة بالمستنقعات ومجتمعات المياه خطر عظيم وتهلكة كبرى . ويدعون انهم يتحملون السكنى فيها مستسلمين متوكلين

ولما كان عدد الذين يقرأون ويكتبون بين العشيرة لا يتجاوز مرتبة الآحاد فان علاقتهم بالعالم مفقودة تقريباً . ومع هذا فان هذه العشيرة ليست في حالة البداوة التامة فانهم شبه حضريين . ولهذا كانت البسة نسائهم تشبه البسة القرويات . فتلبس المرأة من الغوارنة غنبازاً عريضاً مصنوعاً من الخام المصبوغ بالسواد ويسمونه (غطه) وتلبس فوق ذلك رداء واسعاً يشبه

(الفراجيات) وهو مصنوع من القماش الاسود ويسمونه (فه واماليه) وتربط المرأة منهن في وسطها زناراً ملوناً فوق (الثمله)ويسمونه (شويحه) . اما على رأسهـا فتضع غطاء اسود ويسمونه (صماده) وتستعمل فوقـه نوعاً من العقال المصنوع من القماش الاسود غـير المبروم ولكنه مربوط من وراء بصورة مهملة ويسمونه (عصابه) . وبينما كنا نطوف بين الخيام كانت النسـاء تروح وتغدو غير مهتمة لذلك . وكانت احـداهن تمر ناقلة على ظهرها جرتين مملوءتين بالماء وقد ربطتهما بحبل طويل دخل بين ساعديها . ولا يعلم كم مرة في اليوم تقطع النسوة المسافة الطويلة بين الخيام وبين نبع الماء المسمى (عين الذهب)

شبعت عيوننا في مدة قليلة من مشاهدة هذه المناظر المطردة . وكنا نشعر بحاجتنا للابتعاد عن هؤلاء البدو الذين يقضون ايام حياتهم كأنهم في القرون الاولى وفي انفسنا آلام جارحة من هذه المناظر . لان الفاقة والمسكنه والانحطاط تتساقط قطرة قطرة من كافة هذه الخيام

٣ — من الخالصة الى الجاعونة

ولما اردنا مبارحة الخالصة اوهذا المجتمع العظيم من الخيام صافحنا رؤساء الغوارنه الذين كانوا يشيعوننا طـالبين الصفح والعفو عن القصور الذي يعتقدون صدوره منهـم في سبيل اكرامنا . فعادت عربتنا الى اهتزازها القديم وكانت تقطع المستنقعات العظيمة القائمة هنا وهناك . وكنا لا نزال سائرين في اراضي الحوله وقد اخذت حمى الملاريا تتجسم لنا بشكل مخيف لأننا شربنا من مياه هذه الانحاء زمناً غير قليل وخالطنا اهلها مخالطة تامة . فكنـا نزدرد حبات الكيناء بدون انقطاع . وقد تابعنا السير مدة ساعتين او ثلاث ساعات (في الغور) المنحط عن سطح البحر والذي كان يتأجج ناراً . وقد كان ممرنا لطيفاً يستلفت الانظار فجبال شاهقة عن بعد وذروات جبل الشيخ . وبحيرة تشبه حوضاً كبيراً . وخيام العشيرة التي لا تنتهي . . مناظر تتبدل في كل حين . لقد كنا نمر احياناً في جانب نبع ماء زلال ننظر اليه وقلبنا يتفطر على الشرب منه ثم نمتنع عن ذلك لاننا نجتهد وراء تقليل شرب الماء على قدر الاستطاعة . كنا نتخيل احياناً حياة هذه الانحاء وتتمثل امامنا ثم نرجع الى انفسنا ونعمل لنترفع ولو ذهنا عدة مراتب ودرجات عن هذه الاماكن

اقبل المساء وقد ازداد تشعث الطريق حتى ان عربتنا وصلت لدرجة انها لا تتمكن من التقدم خطوات قليلة الا بشق الانفس . وبعـد ان قطعنا (زيد) احدى المستعمرات اليهودية تحسنت حالة الطريق نوعاً ما . ثم عدنا لتسلق العلوات ومن هنا ظهرت علينا المستعمرة اليهودية « الجاعونه» قائمة في سفح جبل مرتفع . وبعد ان قطعنا طريقاً معبدة تأخذ الى القنيطرة اصبحنا على مقربة من

الجاعونة . فاخذت الشمس بالغروب

ظهرت الجاعونة لاول نظرة على غاية من الحسن . فكان السير بديعاً جداً في وقت مثل هذا بين اشجار اللوز الممتد مسافة طويلة في مدخل القصبة . وقد كانت الطريق معبدة ومنتظمة جداً وعريضة على طول المسافة المزروعة باشجار اللوز . ولكن الدخول الى القصبة يقتضي له تسلق جبل وقطع عدة علوات . ولكن مركبتنا التي تسقطت اثناء الطريق لا يمكنها الصعود في هذه المرتفعات . وقد كان الليل ارخى سدوله فاضطررنا للسير على الاقدام حتى قطعنا مدخل الجاعونة الواقف والممتد . وقد كانت مشقتنا هذا المساء واهتزازنا طول النهار حالت لا تحتمل . ومررنا اثناء الطريق ببناء صغير يشبه مصيفاً وكان هذا المحل نزلا . ولما دخلنا اليه لم نامل سحناً غريبة عنا . وكأن قرية ملبس ويهودها قد بعثوا من جديد فاستقينا وسط الهدوء الديني في ليلة « شابوت » على فرشنا المشبوعة بالروائح اليهودية التي لم يمكننا الامتزاج معها بوجه من الوجوه

٤ — الجاعونه

[١] — الجاعونة اليهودية — ان قصبة الجاعونه القائمة على السفح المائل الشمالي من جبل كنعان المطل على قصبة صفد هي مركز الشعبة التي عهد اليها بادارة منطقة الاستعمار اليهودية في غاليله العليا . ابتاع قبل اربعين سنة يهوديان من يهود صفد وهما « فريدمان » و « استين » قسماً من اراضي القرية واخذا يسكنان فيها المستعمرين تدريجاً ولدى صعوبة ايجاد المبالغ التي يجب صرفها في سبيل الامور الزراعية ادت الى ظهور مشاكل في سبيل مسعاهما باعا تلك الاراضي الى المهاجرين الذين جاؤا من رومانيا . وبعد ان نالت الحكومة الرومانية الاستقلال التام بموجب معاهدة برلين واخذت تظلم اليهود اخذ قسم من هؤلاء يتركون اراضيهم فهاجر فريق منهم الى كندا وهاجر القسم الاعظم الى فلسطين . وقد ابتلى هؤلاء المهاجرون الذين ابتاعوا اراضي الجاعونة القديمة بالفقر والفاقة . فتقدموا الى البارون روتشيلد واسترحموا منه تسليمهم شيئاً من المال فارسل البارون الى الجاعونه موظفاً يسمى « شابت » اسعافاً لطلبهم . ومنذ ذلك الحين بدأوا باستعمار القرية بمزروعاتها وبابنيتها وبمؤسساتها على حسب البارون .

ان قرية الجاعونة ليست منتظمة وعامرة بدرجة المستعمرات الكبيرة في منطقتي حيفا واليهودية مثل زمارين وريشون وملبس . ولما كان موقع الجاعونه مملوءاً بالصخور كانهم سموها بالعبرانية وهو (روشپينا) فضلاً عن ان سكانها ، طائفة وسيرة من سائر سكان



بحيرة الحولة وجوارها

المستعمرات اليهودية — فان هذه تقريبة حومت من مميزات المستعمرات الاوربية الاخرى كالازقة المستقيمة والاشجار اللطيفة والدور النظيفة

يوجدفي غاليله العليا اربع مستعمرات اصلية • وهذا بيان بها وبما يتبعها من القرى والمزارع الصغيرة مع ذكر اسمائها ومساحاتها :

جدول المزارع والقرى في منطقة غاليله العليا

يكون	مشجر	منازع فيه	غير قابل للزرع	قابل للزرع	اسماء
دونم	دونم	دونم	دونم	دونم	
٢١٨٨٥	٠	٠	١٨٦٠٤	٣٢٨١	جبل كنعان
١٠٩٣٨	٢١١٦	٠	٤١٩٢	٤٥٥٠	الجاعونه
٠٠٦١٣	٠	٠	٠٠٣٥	٠٥٧٨	مجاوز
٠٠٣٨٤	٠	٠	٠٠٣٩	٠٣٤٥	ماهنايم
٠٠٥٣٥	٠	١٢	٠٠٩٣	٠٤٤٢	سمره
٠٣٠١٦	٠	٠	٠٥٨٤	٢٤٣٢	(قبا) القديمة
٠١٢٧٨	٠	٠	٠٣٩٥	٠٨٨٣	(قبا) المفرزه
٠١١٤٩	١٢	٠	٠١٣١	٠٩٩٩	نجمة الصبح
٠٢١٨٩	٠	٠	٠٣٤١	١٨٤٨	وقاز
٠٥٤٣٧	١٢٣	٠	٢٦٠٥	٢٧٠٩	مشمار
١١٣٦٦	٠٨٠	٠	٨٧٠	١٠٤٩٦	حياره
٠١٢٤٥	٠	٠	٦٣٠	٠٠٦١١	تيتبه (المفرزه)
٠٠٨٣٢	٠	٠	٠٦٤	٠٠٧٦٨	ملاحه
١٦٧٣٣	١٥٠	٠	٧٥٤٤	٩٠٣٧	مطله
٧٦٦٠٠	٢٥٦٠	١٢	٣١١٣٥	٣٨٩٧٣	المجموع

و بالنظر لابتياع قسم من هذه القرى وكافة المستعمرات اليهودية في منطقة طبريا باموال البارون روتشيلد فقد كان رجال المرمى اليه يديرون هذه المحلات مباشرة • ولما مرض البارون مرضاً شديداً قبل ١٥ عاماً وخاف من الموت اتفق مع جمعية الاستعمار المسماة (A.J.K) على ادارة المستعمرات في فلسطين • فاسمت الجمعية المذكوره لجنة خاصة لادارة هذه المستعمرات التي

ابتيعت بمال البارون الخاص . وهذه هي المستعمرات التي تخلى عنها البارون في ذلك الحين جمعية الاستعمار اليهودية :

قرى (شوبه)و (امجال)و (نه كرن) في جوار زمارين من منطقة جوده وقريتا (مجدل) و (دغانه) في منطقة طبريا وسائر المستعمرات اليهودية وقرية المطله في غاليله العليا

وقد كانوا يسلمون حتى الزمن الاخير كل اسرة يهودية تهاجر الى هذه القرى ٣٠٠ دونم من الاراضي . ولكن جمعية (A.J.K) اليهودية اشترطت استيفاء نصف فرنك من كل مستعمر عن كل دونم حتى تمكن المستعمر بعد ٣٠ او ٥٠ سنه من ان يضع يده مباشرة على الاراضي

كانوا يسلمون للمستعمر حين تأسيس المستعمرات داراً ومواشي وآلات وادوات زراعية اما اليوم فانهم يشترطون على المستعمر ان يكون له حيوانات وادوات زراعية وهذا بيان احصائي عن نفوس المستعمرات :

عــام ١٩١٤

يهودي حر		مستعمر	المجموع	القرية
٣٦٥	+	٢١٧	٨٢	اجاعونه
واكثرهم مستعمرون			٤٠٦	زبيد
			١١٥	جسر بنات يعقوب
			٢٤٧	المطله
			١١٣٥	

ظهر من هذا ان عدد نفوس الصهيونيين الذين اشغلوا منطقة صفد ولم ينفكوا عن ازعاج رجال الحكومة بمسائل ابتياع الاراضي وشرائها لا يتجاوز عددهم الـ ١١٣٥ شخصاً . وهو عدد يقرب من نفوس قرية اسلاميه عادية ولكن ابتيع مقابل ذلك في منطقــة غاليله العليا ٧٦٦٠٠ دونم من الاراضي فقط لاولاد هذا الشعب المبعثر الذين وصفهم المسيواريتزون بقوله (اولئك الذين حرموا من النظر الى مناظر الطبيعه) — وهذا بيان بمواليد ووفيات المستعمرين :

المواليد

عام ١٩١٢ — ١٩١٣	١٩١١ — ١٩١٢	١٩١٠ — ١٩١١	
١٢	١٤	١٨	اجاعونه

المطلة	٠٩	٠٩	٠٦
جسر بنات يعقوب	٠٥	٠٢	٠٣
زبيد	٠٨	٠١	٠٤
المجموع	٤٠	٢٦	٢٥

الوفيات

الجاعونه	١٥	٠٢	١١
المطله	٠٢	٠٢	٠٣
جسر بنات يعقوب	١٥	٠٥	٠١
زبيد	٠٤	٠٩	٠٢
المجموع	٦٣	١٨	١٧

تبين من البيان السابق ان اليهود المستعمرين في منطقة غاليله العليا قد زادوا ثمانية اشخاص من سنة١٩١٢ — ١٩١٣ وثمانية اشخاص ايضاً من سنة ١٩١١ — ١٩١٢ وستة اشخاص فقط من سنة ١٩١٠ — ١٩١١

ان الذي ينظر الى هذا العدد القليل الذي حصل عليه الصهيونيون في غاليله العليا بعد ان صرفوا الملايين واستكتبوا اعظم الصحف والمجلات في العالم الفصول الضافية الذيول عن الغاية اليهودية واعملوا جهدهم بعقد المؤتمرات — لا يمكنه الا ان يتذكر اقوال الموسيو قالوار يسكي الوكيل العمومي في الجاعونه لجمعية الاستعمار (A. J. K.) في هذا الشأن

يقول المسيو قالوريسكي (ربما كانت مسئلة الحكومة اليهودية التي تدور في جميع الافواه غير بعيدة عن مخيلتنا . ولكن اخراج ذلك من حيز القول الى حيز الفعل امر عسير و ياللاسف . لان عدد نفوسنا لا يساعد على تأسيس هذه الحكومة . اما الغاية الوحيدة في الوقت الحاضر من مستعمراتنا في فلسطين فهي تأليف امة يهودية زراعية وجمع السالكين الدين اليهودي والمتكلمين بلسانه والمتبعين لموروثاته التاريخية في محل واحد من الارض الموعوده وان اقدس امل لنا هو احياء وتهذيب العبرانية التى انحصرت بكتاب الموسويين القديم — في محيط فلسطين المساعد لذلك اما اليوم فلا ينظر مطلقاً للحاكم في هذه المنطقة . وان اقدس سعي يجب على الصهونيين القيام به هو احياء الماديات اليهودية وتجديد الامة اليهودية وادبياتها وعنعناتها)

[٢]— الجاعونة الاسلامية — في الجهة الجنوبية من هذه المستعمرة قرية (الجاعونة الاسلامية)

المؤلفة من اربعين دارا . فاذا قايسنا هـذه القرية بالمستعمرة اليهودية نرى القرية الاولى اكثر مدنية وانتظاماً . واقول متحملاً ثقالة هذا التعبير انه لايكاد الانسان يتقرب من قرية الجاعونة الاسلامية حتى تقابله رائحة اصطبلات واقذار ملأت الارض . وعفونة منتشرة . . . ويرى اوساخاً متنوعة تراكمت امام الحوضين المستورين اللذين انشأهما اليهود في القرية الاسلامية . . . فلا طريق ولا حديقة نظيفة . ولا شجرة خضراء . ولا شيء في هـذه القرية المسلمة . يأوى المسلمون الى اكواخهم الترابية وهم مرضى ومعلولون وينامون وسط العفونة والاقذار . لا نافذة لتلك الاسراب ولا هواء يزيل ما تراكم فيها . اما هناك « اي في الجاعونة اليهودية » فيقيم بنو الانسان في دور نظيفة يتخللها الهواء وتحسن مناخها الجنائن القائمة حولها . وهناك قوم صحاح البنية عرفوا معنى الصحة والعلم وقد فتحوا مكتباً ابتدائياً منتظماذا ثمانية اصناف يتعلم فيه على الاصول الحديثة ١٩٥ صبياً و٩٦ ابنة . اما في الجاعونة المسلمة فلا يوجد سوى معلم يقيم في سرداب مظلم غير موافق للصحة يجتهد ليعلم في بضع سنين مـا يعرفه فقط

يتبعون في الجاعونة اليهودية الطريقة الفنية في زراعتهم . امـا المسلمون فانهم لا يزلون يركضون وراء ابقارهم وقد قلت لهم :

— الا ترون هؤلاء اليهود ؟ كيف يجتهدون وكيف يعيشون سعداء . الا تريدون ان تعملوا مثلهم حتى تعيشوا سعداء ايضاً ؟ فاجابني حينئذ مسلم من الجاعونة بقوله :

— ان لنا الجنه

فلم اجبه بلساني . ولكن عيني اجابته بتأثر لايوصف . ولا اعرف ان كانوا ادركوا مـا اذرفته عيناي من الدموع

٥ — من الجاعونـة الى صفد

بقينا في الجاعونة ليلتين فحان الوقت الذي نذهب فيه الى صفد وكنا ننتظر مجيء العربة التي تنقلنا اليهـا . ولم يمض زمان على تناولنا طعام الغداء حتى دعانا صاحب النزل بوجه باسم الى غرفته وقال لنا :

(احب ان اسليكم قليلاً واريكم هذه الرسوم والالواح و بطـاقات البريد) . فبدأنا اولاً بالنظر الى الجدران وكان اليهودي لاينقطع عن شرح ذلك بقوله :

(— هذا رسم (هرتسل) وهو رئيس الصهيونيين القديم . . . وهـذا رسم (ماكس نورداو) رئيس الصهيونيين الجديد وهذا الجمع هو الجمعية الصهيونية اما الرسم العالي في جانب

اولئك فهو رسم الشاعر اليهودي الشهير (بياليق) وفي الوسط رسمان احدهما رسم احد صناع الميا كل والثاني رسم احد مشاهير مهندسي الابنية . اما الرسوم المصفوفة في هذه الجهـة فهي رسوم المستعمرات اليهودية وهي روشپينا (الجـاعونه) ،ميشمارا ياردهن(**Gard de jurdain**) جسر بنات يعقوب، يسود (زبيد) . الغ »

وبعد ان اكملنا النظر في رسوم الجدران انتقلنا الى النظر في رسوم بطاقات البريد فرعلينا كل شيء من المعابد المو وية والبلاد الرسوية ، والهيئات الموسوية . وقد نقش في الجهة العليا من كل رسم العلم وهو الاشاره الملية ذو لونين البياض والخضرة القاتحة وفي وسطة اشارة خاتم سليمان

وفي اثناء ذلك جاءت العربة فركبنا فيها ونحن نعتقد اننا لم نضع شيئاً من وقتنا

اخذت عربتنا تتلوى في جبل كنعان وتتسلق تلك المرتفعات . وكلما ارتفعنا كانت المنظرة تزداد بهجة وكان جبل الشيخ وجميع مرج الحولة يظهران لنا عن بعد كانهما خيــال . ثم شاهدنا عن بعد بحيرة الحولة وانحاء طبريا . وكانت مياه بحيرة طبريا ترفرف كانهــا حوض من الفضة . وترآى لنا عن بعد كثير من سلاسل الجبال الصغيرة والكبيرة التي لا تنتهي .وبعد ان قطعنا مسافة ساعتين في هذه المرتفعات الناهضة والحمراء التر ب وصلنا الى الجهة الجنوبية من جبل كنعان . ثم اخذنا بالنزول تدريجاً وبعد قليل ظهرت اعاينا قصبة صفد . وبعد مدة جزئية مررنا امام اول بناء من ابنية صفد فوق طريقة معبدة جيدة . وبعد ان درنا حول تلال صغيرة دخلنا صفد

— ٢٦ —

صفد

١ ـ وضعية صفد ومنظرها

في السفح الجنوبي الغربي من جبل كنعان الذي هو عبارة عن صخور كبيرة سمراء — تلة صغيره ملاصقة لسفحه وبالنظر لارتفاعها عن سطح البحر (٨٣٨) متراً فهي مطلة على الجهات الاربعة تقريباً . ان قصبة صفد تبتدأ من السفح الغربي في جبل كنعان وتتوزع في انحاء تلة صفد وتحيط بعد ذلك بالاقسام العليا من هذا المرتفع بشكل محيط الدائره . ولو لم يكن جبل كنعان متصلاً بهذه التلة من الجهة الشرقية لكانت قصبة صفد القائمة وسط تلك الصحارى المنبسطة حتى ابعد الآفاق وبين هاتيك التلال والبحيرات وما ماثلها من العوارض الطبيعية — اشبه شيء بجنة

عالية . ورغماً عن ذلك فان قصبة صفد المكشوفة من اطرافها الثلاثة تمثل منبر الشعر والمحاسن باطلالها على اراضي قضائي مرجعيون وصور من الجهة الشمالية وعلى بحيرة طبريا وغوربيسان من الجهة الجنوبية وعلى جبال (جوق) و (زبود) و (الجرموق) من الجهة الغربية . وان تلة صفدوهي احدى سفوح جبل كنعان تشبه بكرومها وباشجارها وبخضرتها الزمردية وبابنيتها الجديده الظريفة الالوان قبة من الصدف . وخصوصاً قسم صفد القائم فوق جبل كنعان المتدرج طبقة طبقة من اسفل الوادي الى فوق فانه يشبه مدرجاً (انيفتاتر **Amphitheatre**) غنياً وذا حياة . وهذا القسمان من صفد لا ينفكان عن تبادل الزينة المبهجة . فحينما ترسل شمس الصباح اشعتها على تلك القبة الصدفية تمثل للناظر نقوشاً مختلفة الالوان والاشكال ثم تزلق عن سطوح الدور فتلبس القصبة المشعشعة بالانوار حلة حريرية بديعة . ولا تذهل عن الخيوط الذهبية التي ترسلها الشمس حين غروبها عن سفوح جبل كنعان فانها تسطع على المحلات البلورية من البيوت فتصبح البلدة بمجموعها شعلة من نور تمثل ثريا الكواكب ببهجتها وحسنها . فصفد في حالتي الصبح والمساء بديعة شائقة . اما ليل صفد فجميل بقبتها اللاجوردية المزدانة بازاهر الكواكب اللامعة . وبقدر ما تكون الليالي المقمرة ايام الصيف بديعة ونورانية في محيط صفد فان الرداء الابيض الذي ترتديه ايام الشتاء يسحر الالباب ويأخذ بمجامع القلوب ويفتن الارواح

وخلاصة القول ان صفد في جميع احوالها عرش البدائع السحار . وكما ان نسيم ربيعها يشبه مروحة تنفس الارواح . فان صفيراهوية الشتائية الشديده وترددها بين الجبال بعظمة وابهة تروق في النفوس فصيف صفد وشتاؤها جميلان وربيعها وخريفها بديعان ومنيران

٢ ــ داخلية صفد

[١] — ابنية صفد وازقتها — لا ريب ان صفد المؤلفة من اربعة آلاف دار بما فيه الدور القائمة على سفح جبل كنعان وعلى ذروة صفد الاصليه والتى تتجاوز نفوسها الاثني عشر الفاً — هي اكبر قصبة في لواء عكا

قسمت الوضعية الطبيعية قصبة صفد الى قسمين اصليين كبيرين . ومع هذا فان سفوح كنعان هي في الدرجة الثانية من العمران والاتساع . ففي سفح جبل كنعان ثلاث محلات كبيره ويرى الداخل الى صفد من جهة الجاعونة دور (حارة الاكراد) . وقد سميت بهذا الاسم لان الاكراد اول من سكنوها . وفي هذه المحلة ٢٠٠ دار فقط . وفي وسط هذه المحلة تقوم (حارة



صيدن

الدبابية) ويسمون القسم الاخير منها (حارة الجورة) .ويقوم قسم من دور (حارة الجورة) في الوادي . اما اتساع هذه المحلات فبنسبة المحلة الاولى . فالدور هنا طبقات وجميعها متجهة الى ذروة صفد .وقد بقيت من ايام الصليبيين خرابات قلعة في اعلى نقطة من ذروة صفد ولذلك يسمون هذه المحلات (اراضي القلعة) . وتحتاط بهذا القسم اشجار زيتون وسواه . وفي جنوبي اراضي القلعة ومقابل حارة الجوره تقوم (حارة البرج) ويقال ان هذه المحلة سميت بهذا الاسم لانه كان فيها برج . ويطلقون على هذه المحلة المؤلفة من مائة دار وعلى ثلاث محلات اخرى معها اسم (الصورين) .واما دار الحكومة فتقوم على الحدود . وبين قسم القلعة وقسم الصوارين جسر . وتأتي بعد ذلك في الجهة الجنوبية ايضاً (حارة جامع الاحمر) وفي الجهة الغربية (حارة الوطاء) و (حارة السوق) . وحوانيت صفد في المحلة الآخيرة ولا يتجاوز عددها الثانين ويسمون القسم الغربي من صفد القريب من القلعة (حارة القامة) وهو اشرف المحلات فيها .وماعدا ذلك فيرجد في صفد (حارة اليهود)وهي منقسمة الى قسمين . احدهما محلة الاشكنازيين وهي في الجهة الغربية الشمالية . والثانية محلة السفاردين وهي في الجهة الغربية الشمالية .وحاصل القول ان كافة الدور مبنية على اطراف ذروة مقطعها قطع ناقص اما وجهات انشائها فمختلفة طبعاً . وبهذا الاعتبار فان منظرة صفد العمومية مؤلفة من نواحي طبريا فجبال الجرموق فاراضي صور فساحة جبل كنعان

وان احسن المحلات عمراناً هي (حارة القلعة) ففيها ما يقرب من مائة دار مبنية على الطرز الجديد. واذا استثنينا ما يقرب من ثلاثمائة او اربعمائة دار آجرية السقوف وقد اصلح شأنها وبدل طرازها القديم الى طراز جديد فان بقية الدور في صفد مبنية على الطراز القديم بالحجارة البيضاء طليت اسطحتها بالكلس وقد تلاصق القسم الاعظم من هذه الدور وحرمت من الهواء والنور رغماً عن مساعدة موقع صفد

اما الدور التي يسكنها اليهود فهي اشبه بالزرائب . فيمكن المرور على اسطحة الدور والسير عليها حتى ان النور يدخل الى بعض الدور من النوافذ المفتوحة في سقوفها .ولهذا فان الفرج السوداء التي ترى في انحاء ازقة صفد هي نوافذ دور اليهود . ويقيم قسم من اهالي صفد في دور ذات غرفة واحدة وهي دور محلة الجورة . ولا ريب ان هذه المساكن تشبه كل شيء ما عدا الدور . واذا استثنينا داخلية خمسة دور او عشرة من صفد فانه لا يوجد في سائر دورها شيء باسم الفرش والانتظام والنظافة . وبهذا الاعتبار فان صفد في الاخريات

ان حالة الحوانيت في صفد محزنة ومؤلمة جداً. فجميعها راطبة وقذره واكثر مغالقها خشبية وتفتح من جانبها وهي تشبه حوانيت مبيضي النحاس المعروفة في الشرق

ان اكثر الدور في صفد طبقة واحدة اما الدوردات الطبقتين فهي من المستثنيات . وقد انشئت الابنية الجديدة وخصوصاً المستشفيات الفرنساوية والانكليزية وبنايات المكاتب التي اقامها الاجانب على شكل جميل . وبهذه البنايات ينحصر جمال صفد العمراني

وباعتبار ان صفد بلدة قديمة على قدر الامكان فان لها ابنية قديمة معروفة وهي معدودة فاذا اضفنا الى ما سبق بناء دار الحكومة (وجا . اليونس) و (جامع الاحمر) (جامع السويقه)و(جامع الجوقنداري) و (جامع غار سيدنا يعقوب) و (جامع سفاجة) و (زاوية الصدر) وعشرة او خمسة عشر كنيسة لليهود ... عن حالة الابنية في صفد

اما طرق صفد فيمكننا ان نذكر منها (طريق الغزاوي) الوحيدة وهي الطريق المعبدة التي تدور حول تلة صفد من جميع انحائها وتقطعها على مسافة بضع دقائق من تحت القلعة . ويوجد فيها طريق معبدة اخرى تسمى (طريق الميدان)، وهي تمتد من جبل كنعان وتؤدي الى الجاعونة . وهذه هي طرق صفد الاساسية

ويأتي بعد هذا بالدرجة الثانيه (طريق جامع الاحمر) وهي توصل الى (جامع الاحمر) وتؤدي الى طبريا . اما (طريق عين الحمره) وهي داخل الوادي فتوصل الى (جب يوسف) البعيد قليلًا عن القصبه

واما الطرق الاخرى في القصبة فاغلبها موازٍ لطريق (الغزاوي) . وما عدا هذا فانه توجد طرق عمودية او منحنية وجميعها رديئة جدًا . ورغمًا عن ان جميع الطرق الصغيرة في صفد مفروشة بالبلاط فانها صعبة المرور . ومداخل هذه الطرق من الجادات الكبيرة خطرة ومهلكة . فترى على الطريق بضع درجات صغيرة وضيقة تشبه السلالم الحجرية في الدور الصغيرة وهذه اما ان تكون طريقاً او مدخلا للطرق واذا اردت ان تنزل على هذا الدرج وجب عليك ان تتحمل مشاق الروائح التي تنبعث من المياه القذرة المترشحة من الدور ولا يمكنك المرور عليها الا بعد ان تسد انفك . وبهذا الاعتبار فان المرور من اكثر الطرق في صفد متوقف على مهارة ومعرفه

[٢] — المـاء وعلاقات النزهة — يأتي الماء الى صفد من منبعين يخرجان شرقي القصبة وعلى بعد ربع ساعة منها ويسميان (عين الروانه و (عين اللبويه) وقد جمعت مياه المنبعين في محل مسدود واحضرت بقساطل حديدية الى خزان آخر في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة ومن هذا المحل تتوزع المياه على القصبة ويوجد في الطرق عشرون حنفية يستقي الاهالي .

منها • وفي قسم من المباني العمومية والرسمية شعب للمياه • ومع هذا فان الماء يفقد بعد الظهر من هذه المجاري • وهم يستعملون المياه المذكورة للشرب فقط • وما عدا هذا ففي كل دار صهريج يملأ بماء الشتاء • ويستعملون مياه الصهارج في لوازم الدور

ويوجد ما عدا ذلك خارج القصبة منابع اخرى تسمى « عين العافية » و « عين الحاصل » و « عين الزرقاء » فيشرب منها المجاورون لها احياناً ويسقون جنائنهم منها ايضاً

وفي القصبة عشرون او ثلاثون بئراً ولكن مياهها غير عذبة

***

يخرج الصفديون مساء كل يوم الى محلة (نغزاوي) في جوار المستشفيات الفرنسوية والانكليزية القائمة شمالي القصبة وهي اشبه بممر وسيع وباحة • ورغماً عن حرمانها من الخضرة ومن ينابيع المياه فان منظرتها بديعة جداً

ويخرجون ايضاً الى محل يسمى (رجوم) في الجهة الجنوبية تحت دار الحكومة فيسرحون نظرهم من هنا في فيافي طبريا ولكن الوصول من هنا الى بحيرة طبريا يحتاج لمدة ساعتين ونصف بشرط السير باستقامة بدون نزول او صعود

ويخرج الصفديون بقصد النزهة ايضاً الى القلعة • وهي خرابات ذات هواء لطيف • ويقال انه كان حول القلعة خنادق وابراج ولكنها خربت مع القلعة بالزلزال الذي حدث عام (١٢٥٠) حتى انهم يعثرون الآن على شيء من الآثار الماضية وقد جعلوا الجهتين الجنوبية والشرقية منها مشجراً للزيتون • وفي هذه الجهات كروم عنب وتين

ويتنزه الصفديون احياناً في هذه الجنائن والكروم • ويذهبون ايام الربيع الى محلات (عين الوحوش) و (عين الزيتون) و (بيريا) ويصعدون احياناً الى جبل كنعان

٣ — الاحوال العمومية في صفد

[illegible] في منتهى الشمال الشرقي من لواء عكا ويحده شمالا [illegible] وشرقاً قضاء القيطرة وغرباً قضاءا عكا وصور • وقد ذكرنا في القسم [illegible] من الكتاب ان اراضيه جبلية وذات موانع واودية ورغماً عن ذلك فان اكثر انحائه [illegible]

وفي القضا بحيرة تسمى (بحيرة الحيط) وهم يصطادون منها عدة انواع من السمك • وتجري في القضاء انهر (وادي القرن) و (الشريعة) و (وادي المطاحن) وهي تسقي اراضي القضاء وترويها

ويؤخذ من قيود الطابو ان في قضاء صفد ثلاثة انواع للاراضي وهذا بيانها :
فاراضي القضاء عبارة عن (٥٠٠٠٠) الف دونم منها ٢٣٠٠٠ دونم اراض اميرية و ٢٥٠٠٣ دونم اراض موقوفة و ٢٣٧٥٠ دونم اراضي موات . فالاراضي الاميرية والموقوفة قابلة للزرعة والفلاحة . واما اراضي الموات فهي خالية من الزراعة والسكان

واهالي القضاء عبارة عن ٢٢١٣٧ شخصاً ما بين ذكور واناث . منهم ٢٢٧٤٧ مسلماً و ٢٠٣٧ كاثوليكياً و ٦٠٧٩ يهودياً و ١٠١٩ مارونياً و ٢٣٠ ارثوذكسياً و ٢٢ بروتستانتياً و ٣ لاتين . ويقدرون بتخمين رسمي آخوان مساحة اراضي القضاء هي ٧٥٠ كيلو متراً مربعاً . وقد فهمنا من بعض الشبان المتنورين (ولم يمكن تحقيق ذلك رسمياً) ان عشرة في المئة من سكان القضاء تقريباً قد هاجروا الى جهات اميركا الشمالية والجنوبية واستوطنوا بلادها حيث امنوا معيشتهم

[٢] قصبة صفد — ان قصبة صفد هي مركز القضاء . وهي قائمة شرقي عكا وعلى بعد ٤٥ كيلومتراً منها وعلى بعد ١٣٥ في الجنوب الشرقي من مركز الولاية وعلى بعد ٣٥ كيلو متراً في الجهة الشرقية من مركز ناحية شفا عمرو وعلى ١٥ كيلو متراً من غربي نهر الشريعة . وهي مبنيه على جبل يرتفع ٨٣٨ متراً عن سطح البحر . محاطة بالكروم والجنائن وبشجر الزيتون . هواؤها لطيف جداً . وان اعلى موقع في غاليله هو صفد . اما منظرة المدينة من اعلى التلة ومن القلعة الخربة فجميلة جداً : وفي الجهة الغربية منها ينهض جبل زبود (وارتفاعه ١١١٤ متراً) وجبل الجرموق (وارتفاعه ١١٩٩ متراً) وهو اعلى جبل في جميع القطعة الفلسطينية ويرى منها عن بعد ايضاً وادي الطواحين . وفي الجهة الجنوبية منها ينهض جبل طابور وفي الجنوب الغربي يقوم جبل الكرمل . وفي الجهة الجنوبية الشرقية من صفد بحيرة طبرية . وفي الجهة الشرقية منها سلاسل الجبال وفي الشرق جبال حوران والجولان

يبلغ عدد نفوس القصبة ١٢٧٥٥ ما بين ذكور واناث . منهم ٧٠٧٧ مسلماً و ٥٢٥٦ يهودياً و ٣٨٢ كاثوليكياً و ١٥ ارثوذكسياً و ٢٢ بروتستانتياً و ٣ لاتين . اما المواليد والوفيات السنوية فهي كما يأتي :

المواليد

	عام ١٣٢٥	عام ١٣٢٧	عام ١٣٢٩	عام ١٣٣١	المجموع
اسلام	٠٩٩	١٠٠	٨٥	٣٠٨	٥٩٢
يهود	١٤٧	٠١٨	٤٨	٠٣٣	٢٤٦

مسيحيون	٠٠٢	٠٠٠	٠٧	٠٠٦	٠١٥
المجموع العمومى					٨٥٣

الوفيات

اسلام	٠٤٩	٠٤١	٦٤	١٣٠	٢٨٤
يهود	٠٣٦	٠٠٨	٤٢	٠١٢	٠٩٨
مسيحيون	٠٠٠	٠٠٢	٠٩	٠٠٠	٠١١
المجموع العمومي					٣٩٣

[٣] — تاريخها—ان صفد او قصبة صافهت حسب التعبير القديم احدى المدن الاربعة المقدسة عند اليهود وهي من المحلات المعروفة والمشهورة في التوراة الشريفة وفيها بيت الحزن المعروف باسم غار يعقوب احد المحلات المقدسة جداً لدى اليهود

اصيبت القصبة بزلزالين عامي ١٨١٩ و ١٨٣٧ وقد قتل في الزلزال الثاني خمسة الاف من اهلها وهدمت قلعتها . والقصبة قديمة وقد استولى عليها الصليبيون واستردها اولاً صلاح الدين الايوبي ثم استولى عليها عام(١٢٦٦ م) الملك الظاهر بيبرس رابع الملوك في دولة المماليك البحرية التى حكمت في مصر . ويدعون ان (جسر بنات يعقوب) القائم بين نهرالشريعة وبحيرة الحولة قد سار عليه النبي يعقوب مستندين في دعواهم على ما جاء في التوراة الشريفة من تراجم يعقوب عليه السلام بين النهرين . ولكن فريقاً من المؤرخين يثبتون بالادلة المقنعة ان الجسر المذكور والبناية العظيمة المشادة في جانبه هما من آثار العصر الميلادي الرابع عشر . ويجدر بنا ان ننقل هنا الفقرة الواردة في الصحيفة ٣٥٤ من التاريخ السنوي « سالنامه » لولاية بيروت المحرر عام ١٣٢٦ وهي :

يوجد بئر في موقع (خيرة) المعروف في التوارة الشريفة باسمه القديم (دوقان) وذلك بالقرب من قرية عرابة التي تبعد عن نابلس خمس ساعات وعن جنين ساعتين ونصف و يسمى (بئر يوسف عليه السلام) ويوجد بئر آخرمثل هذا في جوار نابلس وفي صفد بئر ايضاً يسمى « جب يوسف عليه السلام » وقد اقيمت عليه قبلًا قبة ونشرنا رسمه في القسم الوارد من القائمقامية المذكورة . غير ان وجود بيت الحزن ليعقوب عليه السلام في المنتهى الشرقي من بلدة نابلس في الارض الكنعانية ودفن كثير من اولاد النبي المشار اليه بالقرب من نابلس ومعرفة ان قرية ارتاح التى تناول فيها يعقوب عليه السلام القميص الذي اوصله اليه يوسف عليه السلام من مصر هي في

جوار قصبة طول كرم من ملحقات نابلس وقيام دار الحزن بالقرب من البئر على بعد عشرين او ثلاثين دقيقة منها ووجود ذلك الموقع على الطريق العام الذي كان يسمى طريق الشام — كل ذلك يشير الى ان يعقوب عليه السلام كان مقيما في نابلس وان البئر المذكور هو (بئر يوسف عليه السلام) ويؤيد ذلك سلسلة الحوادث التي جرت

***

وينظر اليهود الى قرية « مايرون » التي تبعد عن صفد ثلاث ساعات نظر احترام لاحتوائها على مراقد كثيرين من علماء اليهود . ويقدس اليهود قرية (ميرون) هذه التي مر ذكرها في التلمود وفي هذا الموقع كنيسة لليهود مبنية بحجارة كبيرة ولكنه لم يبق منها سوى الجدار الجنوبي . وفي هذا الجدار يقوم باب الكنيسة واساسها المصنوع من قطعة واحدة من الحجر بطول ثلاثة امتار . وبالقرب من المعبد مدفن « رابه ن يوحنان صاندلار » احد علماء اليهود وفي داخل المقبرة مدفن « شمعون بن يوحاي » الذي وضع تفسير التوراة الشريفة وفي اسفل من ذلك مدفن « رابهن هللهل » و ٣٦ من تلامذته وقد صفت مدافنهم في غرفة ذات سبع قبب منحوتة في الصخور . وجميع هؤلاء العلماء والمئات من الاموات المدفونين بالقرب منهم هم من رجال العصر الميلادي الاول . ويجتمع اليهود كل عام في ٢٠ نيسان في مقبرة ميرون ويقيمون مناحة عظيمة ويتلون تحت اشعة المواد الدهنية التي توقد بصورة خصوصية تفسير التوراة الذي الفه شمعون

[٤] — البلدية — تزيد واردات البلدية في صفد على الالف ليرة سنوياً وذلك بالحساب الوسطي ولكنها لم تعمل حتى الآن شيئاً يساوي المائة ليرة . ويقضي قانون الميزانية ان لا تتجاوز رواتب الموظفين في البلدية خمس وارداتها السنوية ولكن بلدية صفد تدفع اكثر من وارداتها رواتب لموظفيها وتنشئ البلدية الآن جسراً وذلك باشارة من القائمقام . وقد تقرر تقريباً انشاء حديقة عمومية وفي جانبها نزل وقهوة (غازينو) هذا اذا كانت واردات البلدية في المستقبل مساعدة لذلك .

ان مدينة صفد المرتفعة عن سطح البحر ٨٣٨ قابلة للعمران كثيراً . وقد بنيت القصبة جميعها تقريباً على اطراف التل الذي تقوم في قمته القلعة القديمة الخربة . ويمكننا ان نقول ان جميع تلك الابنية هي عبارة عن اكواخ منحطة لا توافق حفظ الصحة مطلقاً . وليس من سبب لبقاء صفد في هذه الدرجة من الانحطاط . وان اليهود الذين يتألف منهم القسم الاعظم من سكان القصبة قد هاجروا من بولونيا الروسية وسكنوا صفد ليموتوا في هذه البلدة المقدسة . وقد افتتح في ذلك الحين مكتب نشأ منه عدد كبير من العلماء اليهود . وان هؤلاء اليهود البلداء الذين هجروا بلادهم وملأوا ارجاء القصبة لغاية اخرويه وغرض ديني وهو اعتقادهم ان المسيح عليه السلام يهبط



جب يوسف عليه السلام

الى الارض في هذا المكان—لايظهر عليهم ميل او ارتباط باذواق الحياة . فقسم جزئي منهم يشتغل بالتجارة . واما الباقون فهم يعيشون من الرباط (سيناغوغ) القائم بالانعامات التي تأتي اليه من اوربا

[٥] — المعارف — في مركز القضاء وفي جميع ملحقاته (١٠) مكاتب رسمية و (٢٢) مكتباً غير رسمي . وفي نفس قصبة صفد ثلاثة مكاتب للذكور احدها مكتب حضانة ومكتب واحد للاناث . وفي مكتب الذكور الابتدائي الاول ١٥٠ طالباً وفي الثاني ٧٠ طالباً وفي مكتب الحضانة ٦٠ صبياً . وفي مكتب الاناث الذي تقرر تفريقه الى مكتبين (١٥٠) طالبة . وعلاوة على ذلك فقد تأسس في كل من قرية سعسع . وترشيحه . وحسينيه . وفرعم . وجسن . وديشوم مكتب ابتدائي ولكن معلميها غير مقتدرين حسب ما يجب . ويمكننا ان نقول ان جميع مسلمي صفد بعيدون جداً عن مسائل المعارف . اما الامم غير المسلمة فانها اكثر ترقياً ونهوضاً مثل سائر المحلات

واما الاثنان وعشرون مكتباً التي اشرنا اليها سابقاً فقد اغلق منها (١٣) مكتباً بسبب انتسابها للدول المحاربة او لانها بدون رخصة . ويقوم بادارة المكاتب الباقية جمعية الاليانس وجمعية (A. J. K.) والنمساويون والالمانيون . ويوجد اليوم في المكاتب ٤٨٠ طالباً و٤٠٢ من الطالبات . واكثر المداومين على المكاتب المذكورة هم من الامة اليهودية

[٦]—المحاصيل الزراعية—ذكرنا قبلاً ان كافة اراضي القضاء جبلية وذات عوارض وبين ذلك اودية . ولكن رغماً عن ذلك فانها منبتة ومستورة بالاشجار . وهذا بيان بالمحاصيل السنوية حسب الحساب الوسطي .

المحاصيل المستوفاة (كيله)	المزروع من الاراضي (دونم)	جنس المزروعات
٢٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	قمح
٤٨٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	شعير
٠١٥٠٠٠	٠٥٠٠٠	ذرة بيضاء
٠٠٣٥٠٠	٠٠٥٠٠	فول
٠١٧٠٠٠	٠٧٠٠٠	عدس
٢٠٠٠٠٠	١٢٥٠٠	حمص
٠١٢٠٠٠	٠٦٠٠٠	جلبانة
٩١٧٥٠٠	١٤١٠٠٠	المجموع

وعلاوة على هذه المحاصيل الزراعية فانه يوجد في قضاء صفد ١٥٠٠٠ شجرة زيتون و٢٢١٨ دونم

عنب ويخرج سنوياً من الاولى ٧٥٠٠٠ اوقه زيت ومن الثانية ٥٠٠٠٠ الف كيلو نبيذ و ١٨٠٠٠ الف كيلو خمر وفي قضاء صفد جميعه ٨٢٠٠ راس من الغنم والماعز

٤ ـ الاحوال الاجتماعية في صفد

[١] الحياة الاجتماعية — يعيش في صفد حسب الاحصائيات الاخيرة ١٢ الف شخص نصفهم اسلام وخمسة وثمانون في المئه من النصف الثاني يهود واما الباقي فكاثوليك وموارنة ولاتين

وقد هاجر نصف السكان من المسيحيين الى اميركا واستوطنوا تلك البلاد فاصبح عدد المسيحيين في صفد قليلاً جداً ومع هذا فان الباقين منهم منورون بالنسبة للصفديين فقد تعلموا في مكاتب منتظمة وعرفوا معنى الحياة · والقسم الاعظم منهم يشتغلون بالتجارة وثرواتهم متوسطة ·

اما المسلمون في صفد فاكثرهم يشتغلون بالتجارة ويحترفون البيع · ومع هذا فان حالتهم العلمية منحطة جداً · واذا استثنينا منهم خمسة وعشرين شخصاً موظفين بالاماميات والخطابات في الجوامع وخمسة عشر شخصاً مستخدمين في وظائف الحكومة وخمسة وعشرين شاباً نشأوا من المكاتب او انهم لا يزالون فيها — فان القسم الاعظم من الباقين في جهل مطبق · فالذين يقرأون ويكتبون منهم عدد قليل جداً · وليس بينهم احد يعرف التركية

وفي الصفديين ميل شديد نحو جمع النقود ولذلك فان الذين يملكون الفين وثلاثة آلاف ليرة يبلغ عددهم العشرين او الثلاثين · ولهؤلاء اراض واملاك بهذه النسبة · ولكن القسم الكبير من الصفديين في فقر وضرورة · وخصوصاً سكان « حارة الجوره » فهم في حالة تستجلب الرحمة والعطف ·

وفي صفد خمسة او ستة يعتنون بدورهم فقد احسنوا فرشها وعرفوا معنى الحياة · اما الباقون فيعيشون في حالة البداوة · وبالنظر لقيام صفد على تلة عالية ولصعوبة المرور على الطرق الموصلة اليها ولقلة الوسائط النقلية فقد اصبحت علاقاتها مع غيرها من البلدان قليلة جداً وبهذه الواسطة اضحت مرتبتها الاجتماعية منحطة للغاية · والصفديون متمسكون بدينهم جداً فجوامع صفد تمتلأ بالمصلين · وقد ملئت جدران اكثر الدور بالآيات والاحاديث الشريفة

ومع هذا فان صفد ليست في حالة بلدة اسلامية امام سيل اليهود الجارف · فحياة العائلات الاسلامية في صفد متأخرة كثيراً . وخصوصاً النساء الصفديات فليس لهن قيمة عائلية من جهة التعلم ، وهن يمشين في الطرق باحتراز تام فيمسكن باحدى يديهن الملاءة السوداء البسيطة او المقلمة

بالاحمر والاسود بعد ان يدخلهم بروءوسهن . وبغطين احدى عيونهن . واذا صادفن رجلاً بالطريق يلفتن على الاكثر وجوههن الى الجدران . وينتظرن مرور الرجل حتى يرجعن الى مشيهن

ولما كانت طبقة الاغنياء في صفد هي من التجار فلا يظهر على هؤلاء نفوذ او استبداد محسوس ومع هذا فان مسئلة النفوذ هنا تستحيل الى اشكال غريبة . ويقال ان النفوذ يتجلى هنا بتزييد الثروة بسهولة وذاك باستلام اربابه شيئاً من وظائف الحكومة اواحدى عضوياتها او بصرف النظر عن تحصيل ما عليهم من الدين للحكومة او للبلدية بداعي انهم من ارباب الادراك والاقتدار وعلى كل فان مسئلة النفوذ في صفد ضعيفة بالنسبة لغيرها من المحلات

واما باقي الاهلين من غير طبقة الاغنياء فيشتغلون بمهنة المكاريه او الحطابة او الفعلة وهم فقراء بصورة دائمة غير انهم يعيشون بقناعة وسلام

استولى اليهود على القسم الاعظم من تجارة صفد . ولكن يجب الاشارة الى تقسيم اليهود في صفد وتفريق اصحاب الاموال وارباب الاشغال عن رهبان اليهود . فاصحاب الاشغال والاعمال مجتهدون وغيورون . وقد نجحوا هنا بمعرفة طريق الكسب كما عرفوها في باقي المحلات

ومع هذا فان طائفة الرهبان من اليهود في حالة تعيسة جداً . وسبب ذلك ان اليهود يعتقدون بتقديس صفد مثل طبريا والقدس وحبرون ويقولون بهبوط المسيح في اخريات الايام في صفد فيها يجرون من انحاء العالم ويسكنون صفد ليموتوا فيها . ولهذا فان الوفاً من شيوخ الرجال والنساء من الطائفة اليهودية يأمون هذه الديار ليموتوا فيها لا ليعيشوا في محيطها فتراهم يشكلون اقذر الطبقات واحطها في هذه المدينة . شعورهم طويلة . وجوههم لا تعرف النظافة والماء . ثيابهم قذرهم . قباتهم قد اسودت من الدهن . رؤوسهم مغطاة بقبعات سوداء كبيرة ويرى من وراء القبعة عرقيات قذرة لبسوها تحت القبعات الدنسة . وحاصل القول ان منظرهم كئيب جداً . يحملون في ايديهم توراة او تلموداً ولا ينفكون عن تلاوته في الازقة او على ابواب الدور او على السلالم بل وفي كل محل يجلسون فيه . لا يغسلون ايديهم ولا ينظفون دورهم ولا يتركون احداً ينظفها . لا يعبأون بالاقذار والعفونات . وان الانسان ليحتاج لقوة فوق طاقة البشر حتى يقدر على احتمال شم الروائح حين مروره في محلة اليهود . يأكلون الطعام ويمسحون ايديهم بثيابهم وان ظاهر اجسامهم مركز طبيعي لكافة انواع الحشرات . ولا ريب انهم يعتقدون بان هذا الانحطاط هو علامة الزهد والتقوى . وبهذا الاعتبار فان صفد في نظر اليهود مثل دير (آيينه روز) في (خالكيديكيا) . وان المتنسكين (الاثيقايين) الكافين بادرة الهداية المستقبلة اليهودية يعاشون هذا الانحطاط تماماً . لان هذه الطبقة جمع لا يهمل

شأنه ويمكن اضافتهم الى احصائيات اليهود حين الحاجة اليهم . ومع هذا فانهم يوزعون عليهم الليرات بالحفنات وان منظرة صفد من شماليها ومن شمالها الغربي تستحق الذكر جداً في الوقت الذي يوزعون فيه الدراهم على هؤلاء . فتشبه حينئذٍ هذه الباحة من صفد مستعمرة يهودية واضحة فيجتمع فيها كبار اليهود وصغارهم واطفالهم ونساؤهم وخصوصاً رهبانهم بقبعاتهم الكبيرة والصغيرة وطاقياتهم واغطية رؤوسهم المختلفة

[٢] — العادات الاجتماعية — يوجد شيء من العادات القليلة بين المسلمين خاصة في صفد فان الفروقات في مسائل الزواج بصفد تستجلب النظر . فليس من العادة في صفد ان يترك الرجل الذي يتزوج دار ابيه

ويشترط السه فارديون من اليهود ان يسكن الزوجان سنة في دار والد الزوج وسنة في دار والد الزوجة . وعلاوة على ذلك فان اليهود بين اللذين يتزوجان يدفع كل منهما مهراً مساوياً للآخر . ويجمعان المهرين فيجعلهما الزوج رأس مال يشتغل به

وان المسلمين في صفد يتزوجون باكراً ويدفعون جميع ما يملكونه الى الزوجة على سبيل المهر وبهذه الصوره تزداد حاجتهم ويتضاعف فقرهم

لايهتمون للمهر المؤجل حتى ان اعظم مهر مؤجل في الاهالي [illegible] الخمسمائة غرش واما المهر المعجل فيبلغ احياناً الخمسة الاف غرش

ان الرجل الذي يرغب التزوج لايرى وجه [illegible] الزوج يرسل الرجل الى البنت عشرة او اثني عشر [illegible] تمة [illegible] (الخطابة) ثم بعد هـذا يجرون الخطبة والنكاح ليلاً . وتنتهي مراسم [illegible] لحضورها ولا تدعي النسوة ويوزعون الحلويات ثم يعقدون [illegible] يدفعون المهر المعجل

تنقضي على ذلك مدة وهم يرسلون حسب العادة الهدايا [illegible] مراسم (الزفة) . فيأخـذ الرجال العريس الى احدى الدور [illegible] الآلات . وهناك يجرون عادة يسمونها (الصمدة) اي انهم يزفون [illegible] المساء ثم يأخذونه بعد صلاة المغرب الى الدار التي [illegible] فيها العروسة [illegible] الهدايا واسمها (صباحيه) ويقال انهم يصرفون في مراسم (البدلة) [illegible] ليرة وفي مراسم (الصمده) ٤٠ او ٥٠ ليرة على الاقل

ان تعدد الزوجات قليل في صفد وهو تقريباً بدرجة الربع بين المتزوجين من اهالي القصبة .



قيافة ابيهود

وفي صفد عا ا ـ ده ـ ي ه ـ ه ـ يحملون تابوت الميت مكشوفاً لأن الثلثين من اهالي القصبة من ابناء المذهب الشافعي او نهم يستروون التابوت احياناً بستار بسيط . وليس لتوابيتهم اغطية ويدفن قسم منهم الميت بتابوته . ويقيمون على القبر طبقة من الاحجار بشكل صندوق وهي تقوم مقام الشواهد التي ترفع فوق القبور . وليس من العادة هنا كتابة اسماء النساء على القبور .

ومن العادات المتبعة في صفد ان يخرج جميع اصحاب المعرفة بالميت الى قبره ثلاثة ايام قبل طلوع الشمس اعتباراً من تاريخ الوفاة وفي ايديهم المصاحف الشريفة فيتلون القرآن

لا يوجد اثر للصنائع النفيسة في صفد . اما مسئلة الغناء فممنوع دخولها بتاتاً بين النساء . وبهذا الاعتبار فان القصبة في عناء مطلق

واريد ان اتكلم على سبيل الختام لهذا البحث عن عادة متبعة لدى النساء اليهوديات فان المرأة التي تغتسل منهن تفرك جسمها بشدة بورق نبات يسمى (غرف) ثم تصب الماء على جسمها وتخرج من الحمام . وانني ارى ان هذه الطريقة المتبعة بالتنظيف بين اليهود هي احسن رمزلهم (سنبول)

— ٢٧ —

طريق صفد — طبريا

كنت ميل المفارقة صفد قبل وقت لانه كلما امتدت اقامتي فيها وجب عليّ انتزاع تلك المحاسن البديعة التي تملك الارواح من قلبي دفعة واحده . وانني كنت اتمثل صفد كفراشة ملونة لاتحتمل اللمس . فلم يوافقني البحث والتنقيب في صفد . ولقد سمعت يوماً قولهم :

(لو عرفتم مقدار الذين توفوا بالتيفوس و بالحمى الاصفر . على ان الامراض لا تفقد منها فان الملاريا مرض دائمي في صفد . كيف لا تتكون الامراض هنا وجميع المياه القذرة تصب في الجهة الشمالية الغربية من القصبة . وعلاوة على ذلك فان (كرم غنوم طه) و (كرم القاضي) مستنقعان تلقى فيهما جميع اوساخ القصبة)

وارادوا الزيادة على ذلك فقاطعتهم بلا اختيار واردت تبديل الحديث فقلت :

— لو عملت الاراي في صفد لاصبحت تربا مرصاً لا نظير له في غاليله

وبذلك ستر الخيال وجه الحقيقة على تلك الساكنات ولما سمعت بعد قليل صوت العربة التي حضرت لنقلنا الى طبريا فرحت بها فرحة المستقبل من رؤيا مخيفة . واطليت من النافذة فوجدت صفد تلمع حسناً وجمالاً تحت اشعة الشمس المنيئة فقلت في نفسي

— يا صفد الجميلة . انهم يريدون تشويه وجهك البديع !

وبعد قليل ركبنا العربة وبعد دقائق قليلة اخذنا نتسلق جبل كنعان فكنت ارى صفد من هنا قرصاً عمرانياً حياً . وبعد نصف ساعة انتهينا من الصعود . واخذنا نسير بين الصخور المقدسة التي صرف اليهود حفنات الذهب في سبيل ابتياعها ثم بدأنا بنزول المنحدرات فظهرت علينا من هنا كافة الاراضي المنحطة والطرق الواطئة التي تؤدي الى بحيرة طبريا . وكنا نقطع الطريق المبدة ذات التراب الاحمر بسرعة الطير . وبعد مدة جزئية عدنا الى الجاعونة

قطعنا جادة الجاعونة الطويلة . ثم انعطفنا نحو الشرق اولاً ثم نحو الجنوب ثانياً . ولم نصادف في طرقنا قرية او شيئاً او اثراً للحياة فكانت جميع الانحاء خالية خاوية . ولم يكن في جانبي الطريق سوى اراض لا نهاية لها وهي خالية من المزارع ومن فوقها شمس محرقة ترسل علينا حمماً بركانية

مازلنا ننحدر . وبعد ساعتين احتدم الحر فكانت حمارات الهواء اشبه بامواج البحر تقاومنا ومن العبث ان يجد السائر في هذه الطريق اثراً للنبات او فيئاً يستظل به . وليس وراءنا سوى جبال لا تنتهي وامامنا بحيرة خضراء يظهر علينا اتساعها كلما تقربنا منها

وكانت بحيرة طبريا سراباً نتسلى به عن بعد . وبعد مدة قربنا من البحيره . وبعد نزول طويل مررنا من امام المستعمرة الايتالية القائمة في الجهة الشمالية من بحيرة طبريا فاتجهنا من هنا نحو « المجدل **Magdala** » وكنا نرى عن بعد في الجهة الشمالية قريتي «كفر ناحوم» و« بيت صيدا » مثل الخيال

ثم قطعنا مزارع طويلة ومررنا على منبع الماء حتى وصلنا الى القصبة التاريخيه وهي مسقط رأس مريم المجدلية . وهي اليوم قرية فقيرة جداً سوداء قاتمة

قطعنا هنا واخذنا نسير على الساحل الغربي للبحيرة وكانت مياه البحيرة الغائبة تحت اشعة الشمس تلهب جميع هذه الانحاء . وبعد المرور في فسحتين وتسلق صعود صغير ظهرت امامنا عن بعد بلدة سوداء . وهذه هي طبريا

تجلت لنا طبريا بمظهر بلدة ضيقة فكان منظرها غريباً جداً . خطوط بيضاء وسط احجار سوداء بنيت بها كافة الدور في القصبة . وبعد مدة جزئية وقفنا في باحة صغيره فرشت بحجارة سوداء وكنا امام النزل . ولما دخلنا النزل وجدناه مثل القصبة . وعلى كل فاننا كنا نرى طبريا سوداء فكنا نستنشق الهواء الناري لهذه البلدة القاتمة من جهة وترسل انظارنا طيفاً معنفاً نحو هذا المركز القديم لتاليه

= ٢٨ =

طبريا

١ — وضعية طبريا ومنظرتها

لا ريب ان طبريا الممتدة من الشمال الى الجنوب بين الساحل الغربي من البحيرة والجانب الشرقي من (جبل اللوزات) ذات الدور السوداء المبنية بحجاره سوداء من نوع (بازالت) والمنحطة عن سطح البحر ٢٠٨ امتار — هي قصبة مغمة ومخنقة باعتبار محيطها ومع هذا فانه لو لم يكن حواليها الباحة الممتدة بين القصبة وسفح الجبل والمزارع المسماة (ارض العريض) ولو لم تكن مفتوحة للجهة الشرقية من الضفة الاخرى للبحيرة — لكانت اشبه شيءٍ بمغارة واسعة تحت الارض ويمكن ان يقال ان المناظر البديعة التي اوجدتها فيها مياه البحيره الزرقاء المحيطة بها من جانبيها والمزارع الخضراء — قد حسنت شيئاً قليلاً من الحالة في قصبة طبريا

وتقوم في الجهة الشمالية من القصبة مزارع (ارض القاطع) و (وادي العميس) وراء نبع الماء المسمى (عين ابوعيشه) . وفي الجهة الجنوبية من قرية المجدل (ارض الخراب) ثم الينابيع المعدنية وبعد هذا اراضي (الشيخ شهاب) و (ام الملاحة) ويقوم في الجهة الغربية (جبل اللوزات) ويتبدل اسمه من (جبل القعقيه) الى (جبل المناره) ممتداً نحو الجنوب حتى تتألف منه سلسلة جبال صغيره تحيط بقصبة طبريا ونواحيها على طول البحيرة وكأنها سور طبيعي

يبلغ عرض القصبة من ساحل البحيره الى ارض العريضة (٤٠٠) متر ويتراوح طولها من الشمال الى الجنوب من ٦٠٠ الى ٧٠٠ . وبهذا الاعتبار فان قصبة طبريا مستطيلة الشكل

ومع هذا فان الضلعين الممتدين من الشمال الى الجنوب من هذا المستطيل يتألف منهما خط منحنٍ انحناء خفيفاً وبهذا الاعتبار يمكننا تشبيه طبريا بحرف (D) الكبير في اللغة الفرنساوية

٢ — داخلية طبريا

[١] — ابنية القصبة وازقتها — كانت قصبة طبريا قبلاً محاطة بسور يبدأ من الشمال الى الغرب . وينتهي بالجهة الجنوبية وكان طول هذا السور كيلو متراً واحداً تقريباً . وفيه اثنتا عشرة قلعة (برجاً) : ثلاثة منها على طول السور من جهة الساحل وواحدة في

الجهة الشمالية . واربعة في الجهة الغربية بالقرب من دار الحكومة القديمة المسماه (سراية الصفدية)

وقد كان البناء خارج السور ممنوعاً فبقيت طبريا محصورة داخل السور . ورغماً عن السماح للاهلين بالبناء خارج السور منـذ عام ١٣١٤ فان الدور التي انشئت مجدداً خارجه لم تتجاوز الخمسة عشرة . وبهذا الاعتبار فان قصبة طبريا في الوقت الحاضر قائمة داخل السور

ان دور طبريا بما فيه بلاطها وجميع لوازمها مبنيـة من احجار (بازالت) السوداء . وهم يستخرجون الاحجار اللازمة لهم من محل يبعد عنهم مقدار ساعة ويسمونه (المقاطع)

وان اكثر من نصف الابنية في طبريا هي ذات طبقة واحده . وما بقي منهـا فيختلف عدد طبقاته من اثنتين الى ثلاثة وعلى وجه الاطلاق فان كافة دور طبريا متلاصقة ببعضها . ويستثنى من ذلك بعض الدور التي فرقت عن بعضها بجدار بسيط او بسياج عادي

ويمكن ان يقال ان طراز البناء في كافة دور طبريا واحد . فجميعها منشود به الشكل وهي اما ان تكون مربعة او مستطيلة او متوازية المستطيلات . ويقل بينها عدد الدور المسقوفة بالآجر « القرميد » وجميع اسطحة الدور مصنوعة من الكلس والتراب . وهم لاينفكون عن حدلها بصورة متوالية

يصنعون جدران الدور من الاحجار ويخللون فيما بينها بالاجر الابيض بشكل (شطرنجي) ولهذا يرى لها عن بعد شكل غريب جداً . ومما يستجلب النظر الاطراد في بناء الدور التي هي عبارة عن جدران ونوافذ . ويجعلون للنوافذ اغطية خشبية وليس لاكثرها بلور او قضبان حديديه .

ولما لم يكن للقصبة مصور فان جميع دورها مختلطة ببعضهـا . وان عدم الانتظام والتشويش الموجودين في دور طبريا لايوجدان في غيرها مطلقاً . وربما ترى في جانب دار ذات غرفـة او غرفتين بناء ذا طبقتين . وان عدم الانتظام هذا من جملة الاسباب التي تزيد بتشويش المنظرة

ومن الامور الموجبة العجب تراكم الالف دار في طبريا وسعة ساحتها الضيقة جداً

يقسم الطبريون القصبة الى محلتين كبيرتين فيسمون القسم الشمالي منها (الحارة الشمالية) والقسم الجنوبي « الحارة القبلية » وبين هاتين المحلتين طريق مستقيمة يقطع القصبة عرضاً . ولا تمكن الاحاطة بباقي طرق القصبة . فقد تداخلت ببعضها تداخلا شديداً وامتلأت بالازقة غير النافذة .

ولهذا السبب فان الغريب يضل حالاً في ازقة طبريا وخصوصاً في ازقة القسم الجنوبي منها

ان حوانيت طبريا الصغيرة وسوقها المختلطة اختلاط الحابل بالنابل قائمة في هذه الجهة . وفي طبريا مائة حانوت تقريباً ولكن الاحاطة بها بنظرة واحدة غير ممكن مطلقاً

خرب الثلثان من دار الحكومة القديمة داخل القصبة في الوقت الحاضر . واما الثلث الباقي فقد اصلح على قدر الامكان عام ١٢٠٦ واتخذ داراً للحكومة . اما اليوم فقد انتقلت هيـئة



الحكومة الى بناية احدى المؤسسات الاجنبية رجعل البناء القديم محلاً لايواء انفار الجندرمة وسجناً للمجرمين

في طبريا جامعان قديمان احدهما في الحارة الشمالية ويسمى « الجامع الفوقاني » وقد انشيء من قبل عرب الزيادنة عام ٥٦ ١ والثاني في الحارة الجنوبية ويسمع«جامع الجسر » وهو على ساحل البحيرة · وقد جدد بناؤه عام ١٠٨ والاثنان مفتتحان

وماعدا هذا ففي طبريا مكتبان للمسلمين وثلاثة او اربعة مكاتب للطوائف المسيحية وستة مكاتب لليهود · وعلاوة على هذه الابنية ففي طبريا ثلاث كنائس للمسيحيين وعشرة لليهود « سناغوغ »

[٢] ماء طبريا وينابيعها المعدنية — يشرب الطبريون ماء البحيره العذب بلذة زائده · وفي الوقت ذاته فانهم يستعملون ذاك الماء في كافة حاجياتهم ولهذا ترى النساء والاطفال والسقاء يتراكضون الى سواحل البحيره وفي ايديهم الجرار · وان لم تكن كافة مجاري طبريا تنصب في البحيرة فانه لاشبهة بان المياه القذرة وغيرها من الاوساخ تنصب فيها

وانا انعجب من الطبريين الذين يشربون غير آنفين مياه نهر الاردن الذي يأتي من مسافة بعيده فيجرى في اودية الشريعة فيحمل سائر اوساخها واقذارها ثم يصب في بحيرة الحولة ثم يقطع جميع الغور ويصب بعدها في بحيرتهم · واذا نظرنا الى الذين يغتسلون في البحيرة والى مايلقى فيها من الفضلات العضويه نعرف جيداً الاسباب التي جعلت طبريا معرضة دائماً لمرض « الدزنطاريه » ولغيره من الامراض السارية

ومع هذا فان مياه الشرب غير مفقوده تماماً من طبريا فان مياه « عين ابوعيشة » في الجهة الشمالية نفيسة للغاية · ويفهم من افادة الطبيب المحلي ان في الماء المذكور مركبات نافعة ومفيده للجسم الانساني مثل الكبريت والسلفات وامثالها من المركبات النافعة · وعلاوة على ذلك فانه يوجد في طبريا « صهرنج » واحد وهو في (الجامع الفوقاني) وبالنظر لقلة الشتاء في طبريا فانه يحس بالحاجة الى الماء فيها

اما المياه المعدنية في طبريا فانها قائمة في الجهة الجنوبية من طبريا وعلى بعد عشرين دقيقة منها فتنقل المركبات اليها يومياً الراغبين بالاستحمام و القاصدين النزهة هناك · ومع هذا فان اكثر الاهالي يذهبون الى هناك مشاة كل صباح وخصوصاً ايام الربيع لان هذه الطريق تصبح جميلة جداً فيخرج الاهلون للنزهة عليها وكثيراً مايتسلقون الجبال من هذه المحلات

جمعت حمامات طبريا تحت ثلاث قبب · وقد بنى القبة الاولى الحاج يوسف الزيادني باني

الجامع الفوقاني وبنى القبة الثانية جزار باشا عام ١٢١٤ وبنى القبة الثالثة ابراهيم باشا المصري عام ١٢٥١

ولم يدخل اقل تعديل او تحسين على القبب المذكورة منذ بنايتها . ولهذا يجد المغتسل في الحمامات شيئاً من المزاحم والمتاعب . فداخلها قذر ومظلم مع انه يمكن بسهولة قلب هذه الحمامات الى حالة مدنية . واذا نظرنا قليلاً الى الفوائد العديده التي تحصل من التركيبات الكيمويه في هذه المياه نعرف درجة اللزوم والاهتمام ولو قليلاً في اصلاح هذه الحمامات

٣ ـ الاحوال العمومية في طبريا

[١] — قضاء طبريا — يحد قضاء طبريا شمالاً قضاء صفد وشرقاً قضاء عجلون من ملحقات ولاية سوريا وجنوباً قضاء السلط وغرباً قضاء جنين والناصره

ويقدرون مساحته السطحية بثلاثمائة وعشرين الف دونم منها ٢٠٣ آلاف دونم للمسلمين و١١٤ الف دونم لليهود و٣٠٠٠ دونم للمسيحيين. وستون في المئة من الاراضي قابلة للزراعة و٤٠ منها اراض غير قابلة للزراعة ومن تلك الاراضي غير القابلة للزراعة ٥٥٠٠دونم اراض حرشية

ويبلغ عدد نفوس القضاء ١٤٧٨٨ شخصاً ما بين ذكور واناث منهم ٩٥٥٨ مسلماً و٤٢٢ مسيحياً و٤٢١٠ يهودي. وفي القضاء ٢٧ قرية وعدة عشائر يبلغ عدد نفوسها ٥٦٣ . واشهر هؤلاء البدو عشيرة الصبح في جوار جبل الطور .

اما المواليد والوفيات في عموم القضاء فهي كما يأتي :

المواليد

المجموع	عام ١٣٣١	عام ١٣٢٩	عام ١٣٢٧	عام ١٣٢٥	
٣٨٠	١١٥	٠٨٠	٤١	٠٤٤	اسلام
٠٢١	٠٠١	٠١٢	٠٤	٠٠٤	مسيحيون
١٧٨	٠٣٢	٠٢٣	٤٠	٠٨٣	يهود
٤٨٩	١٤٨	١١٥	٥٨	١٣١	المجموع العمومي

الوفيات

المجموع	عام ١٣٣١	عام ١٣٢٩	عام ١٣٢٧	عام ١٣٢٥	
٢٢٤	٠٦٨	٠٧٨	٢٦	٠٦٢	اسلام

مسيحيون	٠٠٣	٠١	٠٠٩	٠٠١	٠١٤
يهود	٠٣٧٠	٢١	٠١٦	٠٠٨	٠٨٢
المجموع العمومي	٠٧٢	٤٨	١٠٣	٠٧٧	٣٣٠

ظهر من مطالعة هذين الجدولين ان الزياده في النفوس قليلة لدرجة لا تحس . وتظهر زياده قليلة بين الاهلين الذين يعيشون عيشة نصف مرتبة اما العرب سكان الخيام الذين يقضون حياتهم بحالة منحطة جدًا وفضلًا عن الجهل والفقر والضروره فقد الف القسم الاعظم منهم الغارة والنهب وبهذه الواسطة فانهم يقتلون بعضهم اثناء الغارات فيتناقص عدد نفوسهم . ولهذا يجب اسكان امثال هؤلاء العربان

[٢] الاحوال الطبيعية — ليس في القضاء جبال معروفة باسم متسلسل . يختلف اقليم القضاء حسب جهتي شفا والغور فجهة شفا معتدلة وترى المواسم الاربعة حاكمة فيها . واما جهة الغور فمنحطة عن سطح البحر مقدار ٢٣٠ مترًا وتشتد الحراره فيها ايام الصيف

والحد الاعظم لدرجة الحراره في جهة شفا ٣٨ (وذلك في شهري حزيران وتموز) وحدها الاصغر ٢ و ٤ (وذلك في كانون الثاني) . اما الحد الاعظم للحرارة في جهات الغور فهي (٤٤ و ٤) — في حزيران وتموز — وحدها الاصغر ٢ و ٧ « وذلك في كانون الثاني »

الحرارة الوسطى — ففي جهات شفا ايام الربيع ٢ و ١٩ وفي الصيف ٦ و ٢٧ وفي الخريف ٣٥ و ٢٦ وفي الشتاء ٤ و ١٣ درجة

واما في جهات الغور ففي الربيع ٢ و ٢٢ وفي الصيف ٣ و ٣٠ وفي الخريف ٣١ و ٢٩ وفي الشتاء ٤ و ١٦ درجة

ويوجد في قضاء طبريا بحيرة طبريا ونهرا الشريعة والعدسية وجداول وادي السلامة ووادي السمك . وتصب هذه الانهر في بحيرة طبريا . اما نهر العدسيه فانه يخرج من بحيرة صغيرة في حوران وبعد ان يختلط بالماء المعدني المسمى (الحمى) في عجلون يصب في نهر الشريعة وهذان النهران دائمان لا ينضبان ايام الصيف

الاهوية — تهب في قضاء طبريا ايام الربيع الاهوية الغربية والشمالية وفي موسم الصيف يهب الغربي بشدة وفي الخريف يهب الهواء الشرقي بشدة وفي ايام الشتاء تهب بصورة شديدة الاهوية الشرقية والغربية والجنوبية . اما في نفس طبريا فيهب ايام الخريف وايام الشتاء الهواء الشرقي بصورة شديدة حتى انه يحدث انواء شديدة في البحيرة فيغرق بسببها كثير من الزوارق

وقد كانت هذه الاهوية سببا لغرق زورق البحارى للخط الحجازي عام ١٣٢٠ و لزوق البخاري لابراهيم سماكه احد الاهالي عام ١٣٢٨ وغرق بسببها نفر من الجند البحري ٠ ولما وصل الطياران فتحي وصادق يوم السبت في الخامس عشر من شهر شباط سنة ١٣٢٩ بطيارتهما (معاونت مليه) الى قرية (سمره) في الجهة الشرقية من البحيرة عاكستهما اهوية شرقية شديدة هبت في ذلك النهار فانقلبت بهما الطيارة رأساً على عقب فتمزقت الطيارة واستشهد الطياران المحترمان

الامطار – تهطل الامطار بكثرة في قضاء طبريا منذ اوائل تشرين الثاني وتنتهي في اواسط نيسان ٠ ويؤخذ من احصاء اجري في قرية يهودية ملحقة بقضاء طبريا انه هطل عام ١٣٢٩ (٣٨٣) ميليمترًا وعام ١٣٣٠ (٤٣٧) ميليمترًا وعام ١٣٣١ (٣٦٩ مليمترًا) ٠ ولا يتذكر احد حتى الآن نزول الثلج في القضاء المذكور

[٣] – قصبة طبريا وتاريخها – تقوم قصبة طبريا في الدرجة ٤١ ، ٣٢ من العرض الشمالي والدرجة ١٢ ، ٣٣ من الطول الشرقي وهي مركز القضاء ومبنية على الساحل الشرقي من البحيرة في محل منحط عن سطح البحر ٢٠٨ امتار ٠ يسكنها ٥٧٣٣ شخصاً ما بين ذكور واناث منهم ١٨٤٤ مسلماً و٣٤٣ مسيحياً و ٣٠٢٨ يهودياً ٠ وفي القصبة ١ كنائس لليهود ٠ والقسم المهم من يهودها هم من اهالي بولونيا ويعيشون من تجاراتهم او من الصدقات التي تأتيهم من اوربا

لما كان المسيح عليه السلام حياً وكانت منطقة غالبه غنية انشأ هرود الكبير الحاكم اليهودي الشهير قصبة (تيبرياس) تيمناً باسم (تيبر) امبراطور روما ونقل عاصمة ملكه اليها ٠ ثم ظهر في اثناء البناء قبور قديمة فامتنع اليهود عن العمل فيها لان العرض للقبور محرم عندهم فجمع هرود الكبير من الخارج عدداً كبيراً من المتسولين واجبرهم على العمل في (...) واتبع هرود في بناء البلدة المعمورات الرومانية عيناً حتى انه لم يغفل عن انشاء قصره بها ... الارض وزينه بهياكل الحيوانات ٠ ولكن اليهود المتعصبين لم يزالوا وجهه ... مدينة طبرياس حتى ان عيسى عليه السلام لم ير هذه المدينة ٠ وبعد خراب المقدس تأسس في طبريا مكتب (يامنيا) التلمودي الذي عمل ... لاجتماع الامة اليهودية ... (يهودا هاناذي) الشهير عام (٢٠٠) م في هذه القسمة ... وعنعنات ٠ وفي النصف الاول من القرن الميلادي الرابع ... وعلاوة على ذلك فقد كتب في طبريا تفسير التوراة السريعة وبذلك اصبحت هذه البلدة مقدسة

لدى اليهود

وفي عام ١٤ هجري « ٦٣٧ » ميلاديه فتح شرحبيل بن حسنه احد الصحابة الكرام قصبة طبريا صلحاً وفي خلافة الفاروق رضي الله عنه نقض اهلها العهد فارسل حضرة ابي عبيدة الجراح من طرفه عمرو بن العاص ففتحها وقد كانت عامرة في العصر الاسلامي حتى انه انشأ منها كثير من المشاهير ومن جملتهم العالم المشهور الطبراني

واتخذت طبريا في زمن الصليبيين عاصمة لحكومة صغيرة منهم الا ان صلاح الدين الايوبي استردها منهم بعد انتصاره في واقعة (حطين) وذلك عام ١٨٧ وبعد ٥٣ سنة استردها الصليبيون ثانية الا انه لم تبق في ايديهم سوى سبع سنين ثم انتقلت الى الادارة الاسلامية صورة قطعية عام ١٢٤٧

كانت قصبة طبريا القديمة على مسافة جزئية في الجهة الجنوبية من القضاء في الوقت الحاضر. وهي مكشوفة من الجهة الجنوبية ولكنها محاطة من اطرافها الثلاثة من جهة البر بسور ثخين ذي ابراج وفي اواسط القرن الثاني عشر الميلادي بعد تحكيمها ظاهر بن عمرو الشهير. وقد خرب قسم من القصبة بزلزال شديد طرأ عليها قبل سبعين سنة وكسور . ولكن العمران بدأ يظهر فيها قليلاً في المدة الاخيرة بالنظر لقربها من خط حيفا الحديدي

وفي طرف القصبة مقام السيدة سكينة رضي الله عنها ومقام معاذ بن جبل احد الصحابة الكرام رضي الله عنه وفي قرية خضرية مقام حضرة شعيب عليه السلام . وان السيدة سكينة هي ابنة سيدنا الامام الحسين رضي الله عنه وامها رباب بنت امرئ القيس واسمها الاصلي آمنة او امينه او اميمه . وقد كانت عديمة الامثال حسناً وذكاء ومشهورة دينا وتقياً وفريدة عصرها عقلاً ودهاء وعلماً وادباً حتى انها انتقدت اقوال مشاهير الشعراء مثل الفرزدق وابن اذينه وامثالهما الجبة . ويذكر التاريخ انها توفت في المدينة المنوره عام ١١٧ هجرية ولكن مرقدها في مصر القاهرة وهو مزار الخواص والعام

[٤] – بلدية طبريا – عرفت القصبة منذ القديم بقذارة ازقتها وبعدم نظافة مهاجري اليهود الذين يشكلون القسم الاهم من السكان . اما اليوم فقد عنت الجهة العسكرية بنظافة الازقة على قدر الامكان . وتتراوح واردات البلدية منذ ثمان سنين ما بين ٨٠ و ١٣٠ الف غرش ويتألف القسم المهم من هذه الواردات من حاصلات الحمامات المعدنية «وهي ٤٣٠٠٠ الف غرش» ومن رسم الدلالة « وهي ١٤٠٠٠ الف غرش » وقد كانت واردات السابقة عام ١٣٣ « ٣١٢٥٥ » غرشا ومصروفها على الرواتب ١٣٤٠١ غرش وخصص ٢٧٧٧٤ غرشا لفتح الطرق وتبليطها

داخل القصبة • وقد تقرر اخيرًا توسيع الطريق التي تقطع القصبة من اولها الى آخرها واستملاك عدة ابنية لهذه الغاية حتى انهم وضعوا المصور اللازم • وعلاوة على ذلك فقد تقرر اقامة حديقة للبلدية في العرصة القائمة وراء النزل الالماني في القصبة والمتخذة محلًا لدراسة الحبوب والتي تزعج القصبة بصورة دائمة بطوفان غبارها حتى انهم باشروا بذلك واتوا انشاء جدرانها

ورغماً عن لذة المياه التي اعتاد الاهلون على شربها فانها مضرة بالصحة نظرًا لتلوثها بالمواد المضرة وقد اوجبت هلاك كثير من الانفس • نظروا بعين الاهتمام لهذا الامر فبدأوا في شهر مايس المنصرم باستحضار الماء المعروف باسم (ابو عايشه) الى القصبة وهو ماء قريب المأخذ وموافق للصحة • فتمت اخيرًا اسالته وبذلك حفظت الصحة العمومية • وقد اتصل الينا انه كان لمتصرف اللواء وللقائمقام همة تذكر في سبيل اخراج هذا الامر المهم من حيز القول الى حيز الفعل على انه اثر يعد من جملة الآثار العمرانية لحضرة والي الولاية الكريم

ومن المؤسسات العمومية القائمة في القضاء الحمامات في جوار القصبة ومعمل صغير يشتغل بمحرك على الكاز بقوة حصانين • وثماني مطاحن للدقيق وستة محركات بخارية لاستخراج الماء والقسم الاعظم من هذه المؤسسات هي لليهود • وفي مستعمرة مجدل اليهودية معمل للآجر (القرميد)

[٥] — المعارف — صرف عام ١٣٣١ مبلغ « ٥٤٤٠.١ » غرش على المكاتب الابتدائية في القضاء • ويديرون بهذه المبالغ اليوم مكتب نمونه للذكور ومكتب ابتدائي للاناث في القصبة وسبعة مكاتب ابتدائية في القرى • وفي مكتب النمونه في طبريا ١٠٠ طالب بما فيهم طلبة الصنف الاحتياطي ويتولى امر التدريس فيه خمسة معلمين • ويستدل من عدد الطلاب على ان مسلمي طبريا البالغ عددهم ١٨٠٤ غير ميالين تماماً الدخول في المكاتب ولم يكن النظر والتدقيق بدرجة التحصيل والتعليم — نظرًا لتعطيل المكاتب — ولكن فهمنا من احد المعلمين ان الطلبة الاغراب عن طبريا هم اكثر قابلية من ابناء طبريا • وفي مكتب الاناث الابتدائي ٥٠ طالبة • ويدير شأن هذا المكتب معلمة مسيحية تعرف الانكليزية والعربية والفرنسوية واما المعلمة الاولى فهي مخرجة من مكتب عكا الرشدي ولكنها جاهلة لدرجة انها لا تعرف جمع بعض الارقام • ولا بأس من المعلمة الثالثة غير انها لاتعرف التركية

واليهود الذين يتألف منهم الثلثان من نفوس القصبة مكتب رشدي وطلابه ١٠٠ ومكتب ابتدائي وطلابه ٦٠ ومكتب صبيان وطلابه (٢٠) • وقد اسست هذه المكاتب جمعية الاليانس ازرائيليت • ودخل في مكتب النمونه ثلاثة اولاد من ابناء المسيحيين الذين ليس لهم مكتب مخصوص • وفي كل من قرية سمخ ولوبيه وعولم وغرين وكفركما وعبيدية وحطين مكتب ابتدائي

ومن بين المسلمين في هذه المكاتب معلم مكتب لوبيه فانه مأذون من دار المعلمين . واما الباقون فانهم لم يروا وجه المكاتب . وان امر المعارف الذي اهمل تماماً في هذا القضاء يحتاج لاصلاح اساسي متين

[٦] — الاحوال الزراعية — ان تراب اراضي طبريا مختلف الجنس والطبيعة فقسم منه تراب اصلي وقسم منه تراب منتقل . وبالنظر لاقليمها فان القوة الانباتية فيها اكثر من درجة وسط ولهذا فان جميع النباتات تخرج في اراضيها بصورة حسنة . وبصورة عمومية فان نصف اراضي طبريا تزرع سنوياً فاصولية وفولا وحمصا وعدسا والنصف الآخر تزرع قمحاً وشعيراً . والطبريون يزرعون في اراضي المزروعات الصيفية القمح والشعير لمعرفتهم بان الفصيلة البقلية تقوم مقام السماد للارض ويترك بعضهم الارض سنة بلا زرع للاستراحة . وفي الالف واحد من الوطنيين يستعمل السماد في جنائن الخضرة . اما الالمان والموسويون فانهم يسمدون اراضيهم بالسماد الذي يحصل عندهم ويبتاعون السماد والمواد العضوية التي تزيد بالقوة الانباتية من القرى الاخرى ويسمدون بها . وعلاوة على ذلك فان الاجانب فقط يستعملون الآلات في الزراعة والحراثة اما الوطنيون فانهم لايزالون يتبعون في حرثهم وزراعتهم الاصول القديمة

وهذا احصاء بالمحاصيل التي تخرج في القضاء :

المقادير الوسيطه المحاصيل التى تخرج سنوياً في قضاء طبريا

نوع المزروعات	الاراضي المزروعة باعتبار الدونم	المحاصيل باعتبار الكيله
قمح	٣٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠
شعير	٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠
ذرة بيضاء	١٠٠٠٠	٣٠٠٠٠
سمسم	١٥٠٠٠	٣٠٠٠٠
فول	١٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
عدس	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠
حمص	٣٠٠٠	٤٠٠٠٠
جلبانه	١٥٠٠	٦٥٠٠
المجموع العمومي	١٢٩٥٠٠	٧٢٦٥٠٠

وعلاوة على هذه المحاصيل فانه يوجد في قريتي لوبيه وحطين من قضاء طبريا اشجار زيتون

قديمه · ويستنبت اليهود في قراهم اشجار الزيتون من جديد · ويبلغ مجموع هذه الاشجار ١٥٠٠٠ شجرة يخرج منها سنوياً ٠٠٠٠/٥ اوقة زيت · ويزرعون ايضاً اشجار المشمش والتفاح والاجاص والبورتقال والماندارين وامثالها من الاشجار المثمرة ولكنها ليست كثيره · وقد غرس الموسويون شجر اللوز في ٤٠٠ دونم من قريتهم سارونه وغرسوا اشجاراً مثمرة مختلفة الانواع في ٩٤٨ دونماً من قرية ويا

وقد نقصت المزروعات في قضاء طبريا هذه السنة من ٥ الى ٣٠ في المئة بالنسبة لزرعيات السنة الماضية ويصدرون من قضاء طبريا اربعين في المئة من محاصيلهم السنوية الى الخارج ويستهلكون الباقي داخل القضاء · ويدخل الى القضاء كميات كثيره من الحبابانه والفول والحمص والزيت والسيرج

[الاحراج] — في قضاء طبريا حرشان احدهما في قرية شجرة التي يسكنها الموسويون والمسيحيون والثاني في قرية (صبح) التي يسكنها المسلمون وتبلغ مساحة حرج شجرة ٢٥٠٠ دونم ومساحة حرج صبح ٣٠٠٠ دونم

استنبتت هذه الاحراج قبل خمسة عشر او عشرين عاماً . وقد كان الحطب الذي يخرج في القضاء لا يكفي لحاجيات الاهلين فكانوا يستحضرون ما يلزم لهم من اقضية الناصره وعجلون والقنيطره . وبسبب الاحوال الحاضره فقد اخذوا يقطعون من هذين الحرشين الحطب اللازم للسكة الحجازية · فاصبح من المنتظر زوال هذين الحرشين بعد شهر او شهرين · ويمكن بسهولة استنبات الاحراش في قرى حطين وسارونه وطياره ومدسيه بالنظر لقيام كل واحدة منها في سفح جبل

[الاغنام والمواشي] — نذكر ادناه مقدار الاغنام والمواشي والحيوانات في قضاء طبريا

غنم	ماعز	بقر	فدان	جاموس	جمل	حصان وفرس	حمار	بغل
١٣٤٩٥	٧٠٢١	١٠٩٦	١١٥٦	٤	١ ٦	٣٦١	١٠١٧	٣٣١

[١] — حمامات طبريا — تقوم الحمامات المعدنية على بعد نصف ساعة من جنوبي القصبة وهي مرتبطة بها بطريق معبدة حسنه · وترى حين الذهاب الى الحمامات آثار البلدة القديمة على اليمين واليسار · ويوجد حمامان احدهما قديم والآخر حديث · والحمام عبارة عن حوض كبير يبلغ تربيعه عشرة او خمسة عشر متراً · وفي جوار الحمام الكبير حمامات صغيره للاستحمام وهي ذات غرفتين ويجري الماء السخن ايضاً في هذه الاحواض الصغيره · وتستوفي البلدية سنوياً من هذه الحمامات من ١٥ الى ٢٠ الف غرش وذلك بطريق الالتزام

وقد اعطي قبل بضع سنوات امتياز لساعح افندي ماخوري البيروتي وامين افندي عبد النور وشركائهما بتعمير هذه الحمامات على الطراز الجديد واقامة حديقة وغازينو ونزل

وامثال هذا من التحسينات

احدث الشركة الامتياز لمدة ٣٥ سنة على ان تقوم بالعمل برأس مال لا يتجاوز العشرة الاف ليره وتعهدت بان تدفع للبلدية سنوياً الف ايرة فقط . وان شروط الامتياز مضرة بمنافع البلدية تماماً . ونرى انه من المناسب ان تنظر لولاية بهذه الشروط وتدقق فيها وتحافظ على حقوق البلدية تماماً وعلى منافعها

٤ — الاحوال الاجتماعية في طبريا

ان خمسة وثمانين في المئة من اهالي طبريا التي يقطنها ستة الاف شخص هم من اليهود . ويزيد عدد المسلمين والمسيحيين على الآن زيادة قليلة وبالنظر لقلة الطوائف المسيحية جداً فى طبريا فانها غير معروفة فيها تقريباً

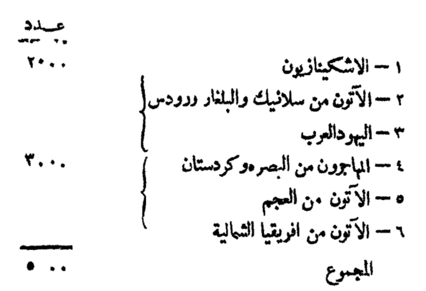
اما المسلمون فيمكن تفريقهم الى قسمين فالقسم الاول حياتهم ومعيشتهم متوسطة بنسبة واردات املاكهم . وان اكبر مثر من اسلام طبريا لا يتجاوز دخله السنوي المأتي ليره ولايتجاوز عدد هؤلاء الثلاثين لاربعة او الخمسة . ويوجد منهم من رؤساء اصحاب الزوارق قد امنوا لانفسهم طرق المعاش مع انه ليس لهم رأس مال . ومن الغريب ان النفوذ فى طبريا منحصر بايدي بضع اشخاص . واما القسم الثاني من المسلمين فهم الفقراء المعدمون . وثروة الواحد من هؤلاء لا تتجاوز الالفين من القروش . وهم يشتغلون ببعض المسائل الطفيفة فيؤمنون معيشتهم ويعمل فريق منهم فى المزرع الملاصقة لطبريا . ومع هذا فان اكثرية هذا القسم فلاحون او صيادون او حمالون او باعة خضرة ولهذا فهم يلاقون صعوبة شديده فى معيشتهم . وقد انحصرت ثروة القصبة وتجارتها بايدي اليهود

و حاصل القول ان المسلمين في طبريا يعيشون في حالة ابتدائية تماماً . وتلبس رجالهم البسة بيضاء جداً : سروالاً عربياً ورداء ضيقاً (جاكت) وعلى رأسهم طربوش وارجلهم عارية من الالاشين . اما النساء فقد بدأن بالتحجب البسيط منذ مدة جزئية . ولهذا كان عدم الحيطة المتبعة في البداوة مباح لديهن

وليس للمسلمين خصوصية ممتازة فى عاداتهم الاجتماعية . ويقل بينهم الذين يقرأون ويكتبون وبهذا الاعتبار يجب ان ننظر الى المسلمين فى طبريا كانهم ظل

اما الموسويون فى طبريا فان عددهم يبلغ الخمسة آلاف وبهذا الاعتبار يجدر بنا ان نطلق على طبريا اسم مأوى يهودي

وقد انضم الى اليهود العرب القاطنين هذه القصبة منذ القديم — اليهود المهاجرون من اوربا الذين جاءوا الى طبريا احدى البلاد الاربعة المقدسه ليموتوا فيها فجعلوا هذه القصبة مستعمرة عبرانية ومع هذا فان اليهود الساكنين طبريا مختلفو الاجناس كثيراً حتى يصح ان يقال عنها انها معرض عبراني · ففي القصبة ستة انواع من اليهود وهذا بيان بها :



	عدد
١ — الاشكينازيون	٢٠٠٠
٢ — الآتون من سلانيك والبلغار ورودس	
٣ — اليهود العرب	
٤ — المهاجرون من البصره وكردستان	٣٠٠٠
٥ — الآتون من العجم	
٦ — الآتون من افريقيا الشمالية	
المجموع	٥٠٠

ويسمى الطبريون القسم الثاني من اليهود (استانبوليه) والقسم الرابع « الاكراد » والقسم السادس « مغاربه » ولا يتجاوز عدد الاعجام المائة

يعرف جميع الاشكنازيين من هذه الاقسام العربية ويتكلمون بها · ويعيش اليهود الوطنيون احسن من كافة هذه الاقسام من اليهود · اما « الاكراد » فيتكلمون بكرديه خاصة بهم · ويتكلم الاعجام « الفارسية » وفي الوقت ذاته فانهم يتكلمون العربية ايضاً · ومع هذا فان جميع هذه الطوائف تجتمع تحت لواء واحد وهو اللسان العبراني · يشتغل اكثر اليهود بالتجاره · ولكن لاننسى ان تجارتهم ايضاً لم تخرج من الحالة العبرانية فاليهودي يعيش في حانوته الذي يشتغل فيه · ويتاجر الزوج من جهة وتشتغل زوجته من جهة اخرى ببيع الكاز « البترول » وامثاله ويسلمون لاولادهن علب الكبريت او شيئاً من البورتقال فيبيعونها بالاسواق · دورهم غرفة واحده · وترى جميع افراد الاسرة تعمل بلا ملل ويتبعون منتهى درجات الاقتصاد في معيشتهم و يسيرون على هذه الخطة في ملبسهم

وان لباس طبقة (السه فاردين) من اليهود بسيطة للغاية فهي عبارة عن غنباز بسيط ويلقون على رؤوسهم منديلاً اسود او طربوشاً اسود · وفي ارجلهم حذاء قديم وقذر · وهذا لباس اليهود كل يوم · ومع هذا فانهم يظهرون كافة يوم (شابوت) بالبسة نظيفة فيرى من

تحت القنباز سروال ابيض وفي ارجلهم قلشين اسود ويداوفون على سواحل البحيره . وربما خرجوا الى ظاهر القصبة فيذهبون الى موقع (روب مابير) على طريق الحامات . فان هذا الموقع مقدس لديهم . ويستحق موقع روب مابير النذار والزيرة بعد ايم (عيد الطير) فانهم يحرقونه الامتعة المفضضة . ويروون ان لهذا المكان تأثيراً بشفاء مرضى ويعتبر ذلك من الخصوصيات

يتكلم الاشكنازيون عموماً باللغة الاشكنازية . ولما كان مجيء هولاء قصد الرهبنة كان معيشتهم في طبريا تشبه معيشتهم في صفد . واكثرهم فقراء ويعتاشون بالتسائل ولا يتجاوز نصيب احدهم من الصدقات والاعانات التي تأتيهم من صناديق الاعانة في اوربا اكثر من مائة فرنك في السنه ولهذا فان الفاقة والفقر ضاربان اطنابهما بين الاشكنازيين ولا شغل ولا عمل لهؤلاء — حسب اعتقادهم — سوى العباده . ومع هذا فان المشتغلين بالتجاره من الاشكنازيين غير معدومين

ولا يحسب القارئ ان الطوائف اليهودية المختلفة التي تعيش في طبريا اصحاب ثروات كبيره . فان بينهم ثمانية اشخاص او تسعة يزيدون شيئاً قليلاً بثروتهم على الساكين . ربع اليهود يعيشون غير محتاجين لاحد . وعشرون في المئة منهم فقراء يعيشون ضنكاً وعشرة في المئة حاخامية او مستخدمون طائف دينية يعيشون من الصندوق الوسوي . واما البقية وهم اربعون في المئة فانهم يعيشون من التسائل . وبهذا الاعتبار فان دين يهود طبريا فقراً مدقعاً

ومن جهة اخرى فانه توجد فروقات وضعة في اموال وضائع يهود طبريا . فلاشكنازيون منذ هم اكثر يقظة من اليهود العرب ولكن اليهود العرب اكثر احتياجاً . وبقدر ما في الاشكنازيين من الجسار فان غير هم من الطبقات يساعدون الفقراء اما الطبقة اليهودية المهاجرة من الروم ايلي فهم اكثر اجتهاداً من غيرهم ويحبون الاختلاط باليهود الوطنيين اكثر من الاشكنازيين مع ان الرافقين من الاشكنازيين على العربية هم اكثر احترازاً من سواهم

وقد كانت الاعانات التي ترد للاشكنازيين وسيلة لوحدتهم وجمعهم حول نقطة واحده . مع ان اليهود الوطنيين متفرقون نوعاً ما . ورغماً عن ذلك فان في الوطنيين من اليهود ملاءة ومسالمة مدركة . اما الاشكنازيون وخصوصاً الاكراد فهم شراس وفظاظ في معاملاتهم يميلون الى الخداع ويحبون سلب الذين يعاملونه في بيعهم وشرائهم

لاتوجد فروقات كثيرة في الديانة بين (الاشكنازيين) و (السفارديين) ومع هذا فانهم يميلون الى التعبد في محلات مختلفة . ولهذا كان لكل قسم منهم معابد خصوصية في طبريا . ولا ريب ان هذا وامثاله من المعاملات التي تبعد الطبقات اليهودية عن الوحدة الاجتماعية تستلفت

انظار كثيرين من الذين يفتكرون بالعاية من نوحاته الآتية وتدعوهم الى التفكر [illegible] في الارض .

— ٢٩ —

طريق طبريا — الناصرة

من الغريب انما الفنا طبريا مدة ووجدنا فيها من الانسان يأس [illegible] من [illegible] من المحلات وخصوصاً نزل (غروسمان) الوحيد في طبريا . فان الشعر بحاجة لراحة بعد مدة طويلة يجد فيه احسن علاج شاف . ركبنا العربة هذا اليوم واخذنا نسير على الطريق الغربية البلدة وقد اشعرنا في قلوبنا برحمة زائدة نحو طبريا وخصوصاً لما علونا الجبال الناهضة ورأينا طبريا وبحيرتها امامنا بحيرة عائمة (بحر الجليل) بشكل لطيف جداً . وبعد مدة غابت عنا منظرة عينيا تماماً وكنا نتسلق المرتفعات ونسير فوق الجبل . ونرى احيانا في الوادي بعض المستعمرات [illegible] عنا . وقد صحبنا في طريقنا مدة طويلة جبل كنعان العائم على الجهة اليمنى من ممرنا [illegible] ثم جبل (زبود) . وانتهى السير بنا الى محل اضطررنا فيه لترك طريق الشوسه

لقد كنا عازمين على ان [illegible] بقرية وقرية [illegible] [illegible] [illegible] الطور . حينئذ [illegible] نعرف [illegible] من [illegible] الجنوب [illegible] (Mont Toler) بشكل [illegible] دائرة [illegible] ان [illegible] (اردن [illegible] الى [illegible] (شجرة [illegible]) وكانت الشمس حينئذ آخذة بالغروب [illegible] ظهور [illegible] [illegible] [illegible] القمر الذي كان ينير الطريق [illegible] في [illegible] حالكة

لا نعرف كيف اضعنا الطريق [illegible] [illegible] ساعات [illegible] [illegible] في سيرها مسافة ساعتين صادفنا في طريقنا [illegible] واخذ يدلنا على الطريق [illegible] مسئلة اضلال الطريق كانت [illegible] لنا [illegible] [illegible] عشيرة اصبح [illegible] الانحاء [illegible] خشينا قليلاً [illegible] [illegible] لم نكن [illegible] شيء عن [illegible] وخضوعها

كانوا يوقدون النيران امام الخيام وسط هذه [illegible] [illegible] [illegible] المداخن والمنحنيات ومررنا من امام النيران [illegible] [illegible] [illegible] سيرا الى مستعمرة (مسحه) القائمة في الجانب الآخر من جبل الطور

***

وضيا لينا هنالك وبعد صبيحة اليوم تالي الى قرية (دوريه) لنصعد منها الى جبل الطور . كانت هنا قرية قديمة تدعى Dabaitta وهي خصبة حركة على جبين مرج بني عامر وللسا هناك من المرتبة واعتلينا الخيول واخذنا نصعد شيئاً الى جبل الطور الذي تجلت عليه انوار حضرة المسيح عليه السلام فوصلنا الى قمته بعد ساعة من الزمن وقد بنت الطوائف المسيحية عندنا معابد واديرة مختلفة . نعم منظرة الطور رايعة للغاية فترى من الجهة الشرقية الساحل الشمالي من بحيرة طبريا واعالي جبال حوران ترى بشكل سراب ويظهر من الجهة الجنوبية للبحيرة جبل (اليرموك) و (جبل جلعاد) وما يتبعهما . واما من الجهة الجنوبية الغربية للجبل فترى منها صحراء واسعة ومن الجهة الغربي ترى جبال الناصره و وراءها جبل الكرمل عن بعد . واما من الجهة الشمالية فترى منها جبال صفد والجرموق وبقرب منها مدينة صفد . ومن وراء ذلك جبل الشيخ (**Le Grand Hermon**) وترى من قرب قرى (الوبه) و (كفركما) وغيرهما من القرى

***

تاريخ جبل الطور — شاهد (انطونيوس الكبير) عام ١ قبل الميلاد بلدة تسمى (اتبيرون) على ذروة الجبل الذي كان حد ما بين قبيلتي (ايساشار) و (زابولون) ايهوديتين وكانت قمة الجبل محاطة بالسور والمساكن . ويحتوي على عدة آثار من نهاية العصر الرابع الذي الثالث ثلاث كنائس تذكاراً لخيام الثلاث التي طلب (القديس بطرس) ذكرها هنا وما بنيت في زمن الصليبيين كنيسة ودير وقد حاصر الملك العادل مدة طويلة القلعة التي شيدها الملك العادل اخو صلاح الدين الايوبي عام ١٢١٢ ثم رفعوا الحصار وبعد خمس سنين هدم السلطان القلعة المذكورة من انفسهم . ويظهر من الجدار المحيط بالمحروس من جميع انحائها من الخرابات الباقية في جبل الطابور الذي تمتد مسافة الصعود عليه من آخره حتى ذروته مقدار ساعة ونصف على الخيل — هي من آثار الرومانيين . ولم يبق من انقاض التي كانت قائمة وسط القمة سوى احجار كبيرة وقد بنيت في المتولات النصرانية ان هذه الجبل تجلى على موسى عليه السلام وتمثل له على هذه الذروة . ولهذا فان المسيحيين وخصوصاً اللاتين والاروام الذين اسسوا الكنائس هنا يقدسون هذا المحل تقديساً عظيماً

***

بعد ان مكثنا مدة في الطور امتطينا الخيول وعدنا الى (دبوريه) من الطريق التي جئنا منها ثم ركبنا العربة من دبوريه وسرنا في صحرا وسهول الى ان وصلنا الى سفوح جبال الناصره بدأنا

نتسلق الجبال ونسير في تعاريج ونقطع مصاعد ومنحطات الى ان ظهر امامنا قسم من منظرة الناصره البيضاء الباسمة . وبعد مدة تجلت لنا الناصرة تماماً بباحتها ونورها . ومما يوجب الحيره في هذا الم... احاطة النظر دفعة واحده بقبب المعابد التي لاتحد

— ٣٠ —

الناصرة

١ — وضعية الناصرة ومنظرتها

يقوم في الجهات الاربعة من الناصره اربع تلال متوسطة مرتبة على ما يأتي اعتباراً من الجهة الشمالية (بني ساعين) . (ره نه) (قفزه) (رجمه) . وتعلو الواحدة منها ٥٠٠ متراً عن سطح البحر . وتلتقي جميعها بشكل واد صغير في سفح (جبل الشيخ) القائم في الجهة الشمالية الغربية . اما قصبة الناصرة فانها تتجمع من سفوح هذه التلال وتتشكل بهيئة دائرة في المركز وتتراكم دورها وتتلاصق مع بعضها ثم تختبأ بين تلك التلال وكانها لا تريد ان ترى عن بعد . ولهذا لا يمكن الاحاطة بالناصره تماماً ولو بعد التقرب منها تمام التقرب . واذا خرجت على احدى هذه التلال والقيت نظرك على الناصره يمكنك من هناك رؤية الهيئة المجموعة لدورها وابنيتها المبتسمة . ويمكن الاحاطة من مثل هذه المواقع المرتفعة بجميع الدور وطبقاتها وسطوحها المستور اكثرها بالآجر الاحمر (القرميد) وباشجار زيتونها وبخضارتها وترى من داخل القصبة منظرة الانحاء البيضاء الضاحكة

لاتتجاوز دور ابنية الناصره الفاً وخمسمائة بناء فهي بهذا الاعتبار قصبة صغيره ولكن تفسح دورها بقيام الحدائق بينها يكسبها شكل بلدة كبيره ذات وقار .

وان ابنيتها الكبيرة المرتفعة ومعابدها وقببها وابراج نواقيسها تنطق لاول وهلة باسان واحد قائلة :

— انني البلدة التي حضنت حضرة المسيح سنين عديدة

ان الاجراس التي ترن في سماء الناصره تنطق بذلك حتى ان كافة موجوداتها من الطاقات والاعمدة الى الجرار الصغيره تشير الى حياء نصرانية منذ الفي سنة ولا شبهة بان نسوة الناصره ذوات الوجوه البيضاء يمثلن شيئاً من سيماء مريم : وفي كل نظرة والتفاتة يتمثل لك طيف عيسى



ازياء اهالى الناصره «العائلة المقدسة»

ابن مريم وتذكاراته وان اصغر حجر ينادي قائلًا

— انني ناصري ... انني نصراني

تخفي الناصرة في صدرها هذه التذكارات الماضية وتريد في الوقت ذاته ان تختفي عن جميع الاعين وتختفي عن البشر جميعاً بل عن كافة المحيطات فان الناصره تكاد ان لاترى تماماً حتى من اعالي الجبال فهي في حالة من التواضع وهضم النفس ليس فوقها درجة ، ويدعى (ارنست رنان) حسب اعتقاده انالناصرة محل ولادة عيسى عليه السلام (١)

٢ — داخلية الناصره

[١] — ابنية القصبة وارقتها — تعرف المحلات القائمة في سفوح التلال الشرقية والغربية باسماء جهاتها فيطلق على الاولى اسم (الحارة الشرقية) وعلى الثانية) (الحارة الغربية) . فدور الحارة الشرقية قائمة وسط الجنائن وهي بعيدة عن بعضهـا واكثرها مبنية نحو الغرب ويسمون هذه المحلة (حارة الميدان) ايضاً ويسكنها ابناء الطوائف المختلفة . وفي اطراف الجهة الشمالية والشماليه الغربية (حارة الروم) ودور هذه المحلة هي احسن دور الناصرة هواء وبناء . فامام كل دار حديقة صغيرة وتحيط بها غرائس (الصبار) ويفرق بينها احيانًا طريق او جدار قصير ولطيف . وفي الحدائق اشجار التفاح والخوخ واللوز وامثالها من الاشجار . يسكن هذه المحلة ابناء الروم الارثوذوكس . اما الجهة الجنوبية والجهة الجنوبية الغربية فتعرف باسم (حارة اللاتين) ودور محلة اللاتين متلاصقه . وتقوم بين المحلات الاربعة وفي وسط الوادي تماماً (حارة الجامع) او (حارة الاسلام)وسكان هده المحلة مختلطون . ودور هذه المحلة متفرقة ولكن تفصل بينها جدران ترتفع احياناً الى خمسة امتار او ستة . وان (الحارة الشرقية) هي احط المحلات فاكثر الدور فيها تشبه اكواخ القرى . ويعثر فيها احياناً على دور مبنية ولكنها على غاية من البساطة فهي عبارة عن غرف مصفوفة تشبه كومات من الاحجار والكلس قائمة حول باحة صغيرة . ومع هذا فان جميع الدور في القصبة ماعدا الدور في هذه المحلة مبنية على الطرز الجديد يدخلها الهواء والضياء . ويجدر بنا ان نسمي الناصرة (البلدة البيضاء) لأن الاقسام الخارجية من الدور مبنية بالاحجار المالطيه المنحوته . وترى اخشاب النوافذ الملونه كانها ازهار مفتحة

---

١)) راجع الصحيفة الثانية من كتاب *Vie de jesus* تأليف *Ernest Renan*

وفي الناصرة دور مبنية من طبقتين ولا شبهة انها مبنية على طرز شائق جداً . اما المؤسسات الاجنبية والمعابد فقد اشيدت بصورة نفيسة ويمكننا ان نذكر قسماً من هذه الابنية التي ازدانت بها الناصرة :

١ — المستشفى والصيدليتان المبنيتان للذكور على طريق كفر كنا وهي عائدة لجمعية الفريره (Les Frères de Sains-Jean de Dieu)

٢ — دير ومكتب للذكور وصيدلية للفقراء وهي عائدة لجمعية Les Péress Franciscaines

٣ — دار الايتام ومكتب للاناث وصيدلية وهي عائدة لراهبات الناصره (Les Dems de Nazareth)

٤ — مكتب للاناث ومستشفى للنساء وصيدلية لهن وهي عائدة لجمعية (Les Soeures-de Saint Joseph)

٥ — صيدلية ومستشفى وهي عائدة لاخوة القديس فنسان (Les Soeurcs de-Saint-Vincent de Paul

٦ — مكتب للذكور للفرير (Les Freres des écoles chretiennes)

٧ — دار للايتام للذكور خارج القصبه وهو عائد للرهبان الساليزين (Ses Religieux-Salésiens

٨ — دير على طريق حيفا وهو عائد لراهبات كلاريس (Les Religieuses Clari-sses)

٩ — الكنيسة المارونية

١٠ — الكنيسة الكبرى للروم الارثودكس ومكتبان للاناث والذكور

١١ — الكنيسة والصيدلية البروتستانية

١٢ — كنيسة الروم الكاثوليك

١٣ — كنائس ودار الايتام والمكاتب المختلطه العائدة للمشرين الانكليز (Se Chu-rche de Mission Anglais)

١٤ — المباني التي اقامتها جمعية الروس الفلسطينيه (La Societé Russe de Pal-estine) وهي مستشفى ، وصيدلية . ومأوى لزائري القدس . ومكاتب ابتدائية للذكور والاناث ودار للمعلمين



عين مريم فى الناصره

وما عدا ذلك فانه توجد كنيسة البشاره (*Eglise de l'Annonciation*) في المحل الذي بشرت فيه حضرة مريم بالمسيح عليه السلام وغير هذا من الواقع المسيحية التاريخية • ومن جملة ذلك مصنع يوسف النجار ومرقده ونبع حضرة مريم (عين مريم) والمحل الذي القى فيه المسيح موعظته • وليس المسلمين بين تلك المؤسسات سوى جامع واحد • واذا اضفنا على هذه المباني دار الحكومة وبناية المكتب الابتدائي يحصل عندنا علم اجمالى عن الابنية الكبيرة في قصبة الناصرة

في قرية الصعوديه دار مريم عليها السلام وفي قرية كفر كنا المحل الذي يدعي النصارى انه تبدل فيه ماء المسيح عليه السلام الى خمر

اما الطرق في الناصرة فثلاثة منها معتبرة ووسيعة وتستحق ان تحرز الدرجة الاولى بين طرق القصبة وهي الطرق التي تبدأ من المحل المسمى (خان باشا) في الجهة الجنوبية من القصبة وتمتد نحو الشمال بانحرافات قليلة وتسمى حسب الترتيب الآن (طريق الجامع) • (طريق دار قطور) (طريق البروسيانيه) • وبعد ان تمتد هذه الطرق مائة متر تقريباً تنقسم الى فرعين • احدهما يتجه نحو الشرق ويؤدي الى (عين الناصره) والثاني يتجه نحو الغرب ويؤدي الى (البياره) وتسمى الطريق الشرقية (طريق العين) والطريق الغربية (الزاروب) • ويوجد طريق اخرى معوجة تبتدأ من الجنوب الغربي وتمتد الى الشمال الشرقي وتقطع القصبة تماماً من الجهة الغربية وما عدا هذا ففي القصبة طرق اخرى ولكنها ذات مداخل ومنحنيات حسب الاقنيـة الجارية داخلها • فان جوانبها مرتفعة ويروى ان جميع افرازات البلدة كانت تمر ايام الشتاء من هـذه الطرق الشبيهة بالمراريب وسوق الناصرة في وسط القصبة وارى من الزائد التصريح بأن هذا السوق ضيق وكثير المعوجات وذو بحالة رديئة جداً

[٢] ماء القصبة ومحلات النزهة — يستقى الناصريون من ماء (عين الناصره) الجارية في المنتهى الشرقي من القصبة • ويقال انهم يدفعون شيئاً من الدراهم مقابل كل جرة تملأ منهنا • وتكفي هذه العين للشرب • ولكن الاهلين يستعينون بمياه ينابيع اخرى لسقيا الجنائن المحيطة بالناصرة • وقد استصنع الاهلون في اكثر الدور (صهاريج) لجمع ماء المطر ولذلك لا يجدون عسراً ومشقة من جهة الماء

***

اما محلات النزهة فكثيرة هنا • ففي الجهة الجنوبية من القصبة وعلى بعد عشرين دقيقـة منها محل يسمى (بير المير) وهو مغروس باشجار التين والتفاح والبورتقال • والغالب ان المشتغلين

بالزراعة يركبون خيولهم ويأتون الى هذا المحل

وفي الجهة الشمالية من القصبة وعلى بعد عشرين دقيقة ايضاً محل يسمى (كرم الصاحب) وهو كثير الاشجار ويأتي الاهلون احياناً الى هنا للنزهة وفي الجهة الغربية من القصبة وعلى بعد عشرين دقيقة ايضاً محل مشجر يسمى (المقبى) ٠ وفي هذه المحلات الثلاثة مياه جارية ويقال انها منتزهات جميلة وخصوصاً ايام الصيف وفي مواسم الفاكهة

على ان منظرة (جبل الشيخ) الناهض في الجهة الشمالية الغربية وراء الآكام الصغيرة التي تقوم عليها الناصره — جميلة جداً ٠ وترى من الجهة الشرقية الذروات الخضراء لجبل الطابور (الطور)٠ ومن الجهة الجنوبية جبل (هرمون) الصغير والقسم العظيم من صحراء (ئەسدره لون) الممتدة حتى جنين ٠ ومن الشمال صحراء (الطيوف) وفي اطرافها خرابات (صفوريه) ومن الجهة الشمالية صفد فوق الجبل ومن ورائها عن بعد جبل الشيخ ٠ ومن الجهة الشرقيـة افق واسع وذروات (الجولان)

وبالنظر لارتفاع جبل الشيخ (١٨٨) متراً عن سطح البحر ولارتفاعه ،مسافة غير قليلة عن الناصره فهو بمثابة منتزه جميل لهذه القصبة

٣ — الاحوال العمومية

[١] — قضاء الناصره — يشغل قضاء الناصره النقطة الوسطى من لواء عكا ويحده شمالاً قضاء مركز عكا وشرقاً قضاء طبريا وجنوباً قضاء جنين وغرباً قضاء حيفا

اما مساحته السطحية فاننا لم نعثر وياللاسف على قيد رسمي لذلك ولكن عرفنا من قيود الاراضي المقيدة على اسماء اصحاب الاملاك ان مساحة الاراضي تبلغ ٤٧٠٠٠ فدان اي ١٩١٦٣٨ دونماً ٠ وتنقسم اراضي القضاء من الجهة القانونية الى قسمين الاول الاراضي الميرية الصرفة والثانية الاراضي المشجرة المملوكة ٠ وتبلغ مساحة الاراضي الميرية ١٧٣٦٠ ومساحة الاراضي المشجرة ٢١٢٧٣ دونماً ٠ ولا ريب ان الاراضي التى لم تربط بسندات او الاراضي المتروكة الحرشية او الاراضي التى لم تستثمر فانها خارجة عن هـذا الحساب ٠ ولا يعلم مساحة هذه سوى الله

تبلغ نفوس القضاء ما بين ذكور واناث (٢٠٧٩٢) شخصاً منهم ١٢٣١٣ مسلماً و ٤١٩٥ اورثوذكسياً و ١٧٧٤ رومياً كاثوليكياً و ٣ ١٨٠ لاتين و ٩٦٦ بروتستانياً و ٤٠٣ موارنة

وهذا بيان مقادير المواليد والوفيات السنوية

المواليد

يكون	عام ١٣٣١	عام ١٣٢٩	عام ١٣٢٧	عام ١٣٢٥	
٨٣٢	٣٦١	٢٠٧	٢١٠	٥٤	اسلام
٢٣٢	٥٤	٥١	٨٩	٣٨	روم
١٧٥	٤١	٤٤	٤٩	٤١	كاثوليك
١١١	٢٠	٣٨	٢٥	٢٨	لاتين
٥٤	٢٣	١٧	؟	١٤	بروتستان
٢١	١١	٤	١	٥	موارنة
١٤٢٥	٥١٠	٣٦١	٣٧٤	١٨٠	يكون عمومي

الوفيات

يكون	عام ١٣٣١	عام ١٣٢٩	عام ١٣٢٧	عام ١٣٢٥	
٥٧١	١٧٧	١٢٥	١٩٠	٧٩	اسلام
٢٠٤	٦٥	٦٠	٥٣	٢٦	روم
١٠٤	٢٨	٢٨	٢٩	١٩	كاثوليك
١٠١	٢٤	٣٩	٢١	١٧	لاتين
٢٣	٣	١٦	؟	٤	بروتستان
١٠	٣	٢	١	٤	موارنة
١٠١٣	٣٠٠	٢٧٠	٢٩٤	١٩٤	يكون عمومي

يتبين من هذين الجدولين ان نفوس القضاء ترايدت تزايداً جزئياً وقد هاجر حتى الان من القضاء الى الديار الاجنبية ٤٠٠ شخص

[٢] — الاحوال الطبيعية — ان القضاء باعتبار هيئته العمومية صحراوي وليس في تلاله المرتفعة قليلاً اثر للاحراش · ولا يوجد فيه عوارض طبيعية غير جبل الطور كما ذكرنا ذلك قبلاً بالتفصيل · وتتركب تلاله من صخور كلسية وجفصينية

الانهر والبحيرات — ليس في القضاء بحيرات · ولكن فيه نهران صغيران احدهما يسمى (جالوت) والثاني (وادي الشرار) · فنهر جالوت يخرج من مغارة في قرية (نورس) ويصب في نهر الشريعة مع نهر وادي القنطره شرقي محطة بيسان · ويبلغ طوله ١٥ كيلو متراً ويتراوح عرضه من ٣ الى ٤ امتار · واما وادي الشرار فيخرج في اراضى ام الغنم داخل قرية (رينه)

من ملحقات قضاء الناصره وبعد ان يختلط بمي وادي المدي ووادي البيره في قضاء طبريه ينصب في نهر الشريعه وطوله اربع كيلو مترات وعرضه يتراوح من متر الى ثلاثة امتار

الاقليم في القضاء معتدل ونستقل درجة الحرارة ايام الشتاء الى الصفر وترتفع ايام الصيف الى ٤٠ او ٤٢ ميزان سانتغراد والدرجة الوسطى ايام الصيف ٣٥ وايام الشتاء ١٠ او ٥ وايام الخريف والربيع ١٨ او ٢٠ . والحد الاعظم لدرجة الحرارة يقع في اغستوس والحد الاصغر لدرجة الحرارة يقع في كانون الثاني

الاهوية — تهب في القضاء الاهوية الشمالية والشرقية والغربية . اما الهواء الجنوبي فيهب قليلاً جداً . وهواء القضاء عموماً معتدل ولكنه راطب بصورة دائمة . ولكن درجة الرطوبة في القضاء لم تصل لدرجة الاشباع حتى الان . يبدأ هطول الامطار في تشرين الثاني , وفي الغالب انها تهطل في شهري كانون . و بما امتد نزولها اثنتي عشرة ساعة بلا فاصلة ولا انقطاع ويهطل المطر منقطعاً في شهري مارت ونيسان وينتهي فصل الشتاء هذا بعد الخامس عشر من نيسان . ويتساقط الثلج احياناً بصورة نادرة

[٣] — قصبة الناصرة . ان مركز القضاء هو قصبة الناصرة . وهي مقدسة جدا عند المسيحيين لانها البلدة التي هبط فيها جبريل الامين على السيدة مريم وبشرها بعيسى وهي البلدة التي قضى فيها المسيح عليه السلام معظم ايام حياته وهي مبنية على المنحدر المتصل ... من جبل الشيخ المرتفع عن سطح البحر ٤٨٠ متراً . وهي جميلة المنظر جداً ايام الربيع بسبب ازهارها البيضاء الناصعة وبجنائنها وكرومها الزمردية . وقد امتدت قصبة الناصرة تمتد بجملها واسعة نحو الشرق والغرب . ويبلغ عدد نفوسها ما بين ذكور واناث ٨٥٧٤ شخصاً منهم ٢٤٤٠ مسلماً و٢٨٣٦ ارثوذكسياً و١٢١٧ كاثوليكياً روميا و١٣٦٤ لاتينياً و٢٧٤ بروتستانياً و٤٠٣ ... رنة . وهذا بيان بمقادير المواليد والوفيات السنوية

المواليد

يكون	عام ١٣٣١	١٣٠٩	١١٢٧	١٣٢٥	
٢٠١	٦٥	٥١	٧٠	١٥	اسلام
١٥٥	٢٤	١٨	٦٩	٢٤	روم
٠٨١	١١	١٣	١٤	٢٣	كاثوليك
٥٨	١٣	١٠	١٢	٢٣	لاتين
٠٥٣	٢٠	١٢	٠٨	١٣	بروتستان

موارنة	٠٣	١	٠٤	١١	٠١٩
يكون	١١١	١٨٤	١٢٨	١٤٤	٥٦٧

الوفيات

اسلام	٢٨	٥٠	١٢	٣٥	١٥٦
روم	١٩	٢٧	٤٢	٣٨	١٢٦
كاثوليك	٠٨	١٦	٢٥	٢١	٠٧٠
لاتين	١٥	١٩	٢٤	٠٩	٠٦٧
بروتستان	٠٤	٠٢	١٦	٠٣	٠٢٥
موارنة	٠٤	٠٠	٠٢	٠٢	٠٠٩
يكون	٧٨	١١٤	١٥٢	١٠٩	٤٥٣

ظهر من هذين الجدولين ان نفوس القصبة آخذة بالتزايد عاماً بعد عام . وفي الناصرة من التبعة الاجنبية ٢٠٠ راهب وراهبة وامرأتان المانيتان تشتغلان بالتجارة . فيها ١٤٨٠ بناء ليس بينها للاملاك الاميرية سوى دار الحكومة ومستودع عسكري ومكتب رشدي . وقد انشأ علي باشا والي ايالة عكا جامعاً جميلاً في الناصرة . وليس في القصبة حمام او قلعة او حديقة للبلدية او محل للنزهة او برج ساعة او خان او ملعب (تياترو)

ومن المباني المعروفة في الناصرة (كنيسة البشارة *Eglise de l'Annontiation*) ومصنع يوسف النجار وكنيسة بالاطه . وقد تجدد بناء كنيسة البشارة القديمة داخل دير اللاتين على الشكل الحاضر عام ١٧٣٠ . ويؤخذ من المنقولات النصرانية ان جبرائيل الامين بشر السيدة مريم بحملها في هذا المحل وقد كانت السيدة مريم تقيم قديماً هنا

واشيدت كنيسة في الشمال الغربي من الدير عام ١٨٥٨ . واكتشف هنا على كنيسة من آثار الصليبيين . واختلف الباحثون منذ عام ١٦ ميلادية عن الكنيس الذي تعلم فيه المسيح عليه السلام فقد تبدلت معرفة المكان جيلاً بعد جيل اما اليوم فانهم يعتقدون بان ذلك المحل هو الكنيسة التي استولى عليها الروم لكن تلك هي من آثار القرن الثاني عشر الميلادي

ومن المباني التي تستحق الذكر الكنيسة اللاتينية التي اشيدت عام ١٨٦١ وهي تضم بين جدرانها مائدة للمسيح عليه السلام ويدعي المسيحيون انه لما عاش المسيح ثانية تناول الطعام مع حوارييه داخل هذه الكنيسة على مائدة مؤلفة من قطعة واحدة من التباشير الصلب طولها ٣

امتار و٦٠ سنتيماً وعرضها ٣ امتار

والمتطلع نحو اطراف جبل الشيخ القائم في الشمال الغربي من الناصرة يستعرض امام عينيه مجموعة مناظر غريبة جدًا ففي الجهة الشرقية ذروة جبل طابور الزمردية وفي الجهة الجنوبية جبل بني داهي وقرى زرين وناين واندور ومرج بني عامر الممتد حتى جنين , وفي الجهة الجنوبية الغربية جبل الكرمل الممتد حتى البحر وفي الجهة الشمالية صحراء بطرف وفي منتهاها خرابات صفورية وقصبة صفد وجبل الشيخ وفي الجهة الشمالية الشرقية جبال الجولان

ان عين مريم التي كان تزورها يومياً السيدة مريم ويوسف النجار والمسيح هي النبع الوحيد للقصبة وانها مع اطرافها تنقلب مساء كل يوم الى الواح رسوم متحركة تنشرح لها الصدور وتنفتح لها القلوب بما يتجمع حولها من نساء الناصرة وبناتها ذوات الملاحة والجمال وعلى رؤوسهن جرار الماء يستقين منها . كانت واردات البلدية عام ١٣٢٥ (٥٤١٨٠) غرشاً فزادت سنوياً الى ان بلغت عام ١٣٢٩ الى (٧٢٣٢٠) غرشاً وعام ١٣٣١ الى (٨٨٢٠٠) غرشاً ويتألف القسم الاعظم من هذه الواردات من رسوم الحوذية والتنظيفات والتنويرات والحيوانات. ولكن بلدية الناصرة ويا للاسف لا تصرف هذه الواردات ضمن دائرة نظامية معقولة فقد خصصت مبلغ ٣٠ الف غرش تقريباً في ميزانية عام ١٣٣١ رواتب لرئيس البلدية وللطبيب وللكاتب وللجابي وللخادم ولغيرهم من المأمورين ولمصارف العجز ولباقي الاحتفالات وابقت ٢٨ الف غرش فقط لمصارف التنوير والتنظيف . ومن الواجب جعل ميزانية البلدية هنا في قالب صحيح ومعقول والمباشرة باصلاح القصبة وتنظيمها تدريجاً

[٤] — المعارف — صرف الاجانب مئات الالوف من الليرات في الناصرة حتى شادوا بها مؤسسات علمية وخيرية ولكنها اغلقت كافة بمناسبة الحرب الحاضرة . ولحكومتنا مكتبان ابتدائيان للاناث والذكور في نفس الناصرة ومكاتب ابتدائية ذات صنف او صنفين في قرى صفوريه ورينه وكفركنا ومجدل. وان المكتب الابتدائي في الناصرة في حالة مؤلمة جدًا فان معلمه الاول رجل مسكين نشأ قبل عشرين عاماً من المكتب الاعدادي في دمشق فاستخدم مدة قليلة جابياً في المالية ثم دخل سلك المعارف . ولقد وصفته بقولي مسكيناً لاننا لم ندخل المكتب حتى بدأ يشرح لنا بصورة علنية تعاسته وعدم كفاية راتبه واطال في البيان الدرجة لا توصف . واما المعلم الثاني الذي كان واقفاً في جانبه فهو بيروتي جاء قريباً من بيروت. ويظهر من سحنته انه ولد لا علاقة له بامر التعليم والتهذيب. شاهدنا طلبة المكتب الذي يديره هذان الرجلان اللذان حنيا رأسيهما من الفقر وقد طردت الفاقة والفقر من قلو بهما كل رغبة وميل نحو

وظيفتها . ويا ليتنا لم نشاهدهما !

فتحت ابواب المكتب قبل بضعة ايام . ولا انسى حالة الطلبة الذين اصطفوا امامنا وعددهم يتراوح ما بين ١٥ و٢٠ وما كانوا عليه من السفالة والقذارة والثياب المستكرهة . وكأن بين الغبار الذي ملأ جوانب البناء وبين حالة الطلبة الكتية قرابة مستحكمة . ان غراب الفقر وبوم السفالة ينعقان في كل ناحية من هذه الارجاء . ولكن نعيقهما هنا هو اشد ايلاماً واعظم ازعاجاً

ان المعلمة الاولى في مكتب الاناث المؤلف من ثلاثة اصناف لا تعرف شيئاً مطلقاً فلم تعلم الالفباء من جميع العلوم والفنون . واما المعلمتان الاخريتان وهما مسيحيتان فهما ناشئتان من المكتب الموسكوبي فتعرفان العربية والمسكوبية ولكني اظن ان علاقتهما بالتربية الوطنية العثمانية مفقودة تماماً

اما المعلمون الذين ارسلوا لتعليم اهل القرى المساكين فيغلب على الظن ان لا يوجد بينهم احد وجد وقتاً للتعلم او التحصيل

[٥] — الصناعة — كانت قديماً صناعة النسيج موجودة في القضاء ولكنها انقرضت اليوم . ويعملون اليوم لاحياء هذه الصناعة من جديد (ولكن من قبل مَنْ ؟) . ويصنعون اليوم حسب الطراز القديم الموسى والسكين والمناجل . ويعملون هنا من شجر الزيتون رسوم الاماكن المقدسة وعلباً مزينة . ويصنعون ايضاً الاشغال اليدوية الرائجة في اوربا مثل الدانتلا وتطريز الحرير . وان السبب بانقراض صناعة المنسوجات المحلية هو عجزها عن رقابة المنسوجات امثالها في حمص والشام وفقدان رؤوس الاموال

وترتأي الحكومة المحلية لاحياء الصناعة وترقيها الفكرة الاتية : وضعت الحكومة السنية نظامات مخصوصة لترقية الصناعات واحيائها وشوقت ارباب الصنائع باعفائهم من الرسوم ولكن الثروة منحصرة بين فريق من الاغنياء وهؤلاء ينمون ثروتهم بادانتها مقابل فوائض فاحشة وليس عندهم ميل او رغبة في مسائل الصنائع . وان القسم المهم من الاهلين لا يملكون رؤوس اموال كافية فاذا استدانوا المبالغ الفضية بفوائض فاحشة يؤدي بهم الامر الى الضرر بدل العائدة فمن الواجب تأسيس مصارف لاقراض اموال بفوائض قليلة وبذلك تحيا الصناعة وترتقي

[٦] — الزراعة والمحاصيل — ان التربة على وجه العموم في قضاء الناصره المعتدل الاقليم مؤلفة من طبقات كلسية خفيفة . والقسم الاعظم من اراضي القضاء تحرث على الاصول القديمة ماعدا القرى الالمانية واليهودية وقرى بعض اصحاب المراق فأنها تحرث حسب الاصول الجديده

وقد اتبعت طريقة المناوبة في اراضي الناصره مثل اراضي طبريا • ويوجر هنا اصحاب الاراضي املاكهم على ان يستوفي صاحب الملك ثلث الحاصلات ويدفع العشر ايضاً . ويتبعون طريقة اخرى بادارة الاراضي فيأخذ المزارع ربع الحاصلات فقط بعد تنزيل (اجرة الفلاحة وثمن البذار واجرة الحصاد وامثالها من المصارف)

ولاصحاب الاراضي هنا طريقة اخرى بادارة املاكهم فهم يستأجرون عملة يستخدمونهم بحراثة الاراضي والحصاد والدراسة وامثالها من الاعمال الزراعية خلال السنة وبعد جمع المحاصيل يدفع صاحب الاراضي لكل عامل عشر كيلات من القمح بصورة مقطوعة وبعد ان يزرعوا في اراضي القضاء الحبوب يزرعون ايضاً القطن . ورغماً عن مباشرتهم بزراعة القطن في مزارع « جالوت » و« تل الفر » فان عدم اهتمام القرويين بهذا المحصول وصعوبة زراعة القطن في الاوقات المقتضية لان اصحاب الاملاك غير مستقلين بالمياه الموجودة — يدعو الى الريبة برواج هذه المزروعات الجديدة

ونذكر ادناه محاصيل القضاء بالحساب الوسطي :

المحاصيل الناتجة بحساب الكيلة	الاراضى المزروعة بحساب الدونم	جنس المحاصيل
٤٠٠،٠٠٠	٥٠،٠٠٠	قمح
٥٦،٠٠٠	٨،٠٠٠	شعير
١٥،٠٠٠	٥،٠٠٠	ذرة بيضاء
٢٠،٠٠٠	١٥،٠٠٠	سمسم
٢٤،٠٠٠	٣،٠٠٠	فول
١،٨٠٠	٦٠٠	عدس
٤٢،٠٠٠	٧،٠٠٠	حمص
٤،٨٠٠	١،٢٠٠	جلبانة
٥٦٣،٦٠٠	٨٩،٨٠٠	يكون

وعلاوة على هذه المحاصيل فان في قضاء الناصره ٣٠٠٠٠ شجرة زيتون يستخرجون منها مليوناً ونصف مليون اوقة زيت • وفي القضاء ٢٥ معصرة لعصير الزيتون

(المواشي الزراعية — اما المواشي الزراعية في عموم القضاء فهي كما يأتي :

فرس	حصان	مهره	بغل	بقر	جمل	حمار
١٢٥	١٢	٤٧٦	٨٤	٣١٢٤	٢٢٥	٣٥٤

المحاصيل العمومية في القضاء عام ٣٣٢ -- بلغت قيمة المحاصيل ٩١٨٣٧٥ غرشاً امـا

المحاصيل التي لكل تخمينها فتبلغ قيمتها ٦٨٥٣٧٥ غرشاً والتي لم يكمل تخمينها تبلغ قيمتها ٢٣٣٠٠ غرش · وقد بلغت الاضرار التي اصابت بها الخزينة عام ١٣٣١ بسبب الجراد ٢٥٠٦٤٢ غرشا

***

محلات الزيارة في قضاء الناصرة — للمسلمين مزارات معروفة وهي مرقد سعد شهاب الدين ومرقد الشيخ العاملي في القصبة ومقام النبي يونس في قرية مشهد · وللمسيحيين مزارات معروفة ايضاً في القصبة وهي كنيسة البشاره ودار يوسف النجار وكنيسة الروم الكاثوليك وهي الكنيس القديم التي القى المسيح عليه السلام موعظته فيها · والتلة التى اراد اليهود ان يلقوا عنها حضرة عيسى · وفي قرية كفركنا المحل الذي انقلب فيه اثناء العرس ماء المسيح الى خمر · وفي قرية صفوريه مسكن السيدة مريم · ومن جملة المزارات المسيحية جبل الطور المقدس الذي تمثل وتجلى فيه السيد المسيح على موسى عليهما السلام

الاحوال الاجتماعية فى الناصرة

ان قسماً من الساكنين في الناصرة مسلمون والقسم الاخر مسيحيون من طوائف مختلفة ويوجد هنا ثلاثة او اربعة من اليهود

ومن المسلمين القاطنين الناصره هم من مهاجري حوران · ويوجد قسم منهم من بقايا العرب · وينتهي تاريخ المسلمين في الناصرة وملحقاتها الى ايام خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه · وهذا هو مبلغه من القدم

ويظهر ان الكتلة الاسلامية التي تتألف من بضعة آلاف هما من طبقة المزارعين الذين يشتغلون بايديهم بها مباشرة ماعدا ثلاث اسر او اربع · واما الذين لا يشتغلون بالزراعة فانهم اتخذوا الجمالة او الرعاية والمكاره صنعة لهم

ان افراد الاسر التي اشرنا لوجودها في الناصرة هم اصحاب اراض واملاك تتراوح قيمتها من عشرين الى سبعين الف ليره · ولهم دور عظيمة في الناصرة وفي ملحقاتها · واتباع قائمون تحت امرهم بصورة دائمة · وعلى كل فان هذه الحالة الارتسوقراطيـة في الناصرة تذكرنا بامراء المقاطعات (درهبك) القدماء · ومقام القرويين امام سطوة هؤلاء وقدرتهم احط من درجة الصفر · ويبلغ عدد الفلاحين الذين يحرثون اراضي هولاء ويغرسونها قدراً كبيراً · يكتسى هولاء المثرين غنابيز حريرية ومشالح قصبيـة وعقالات وكفيات ويركبون افراسهم الثمينة

وفوقها الركائب الفضية ويتسلحون باعظم ماعندهم من الاسلحة ويطوفون من قرية الى اخري وبايديهم السياط فيركع امامهم الفلاحون خضوعاً وخشية وهم غير مسؤلين عن جميع مايصنعونه هنالك · فاذا قابلنا بين واردات هؤلاء المتغلبة وبين مقادير ثرواتهم نجده زائداً زيادة عظيمة تقف عندها العقول حيرى · وبعد ان ينجز هولاء اشغالهم يكتسون البزات الرسمية كالجاكت والبانطلون ويخالطون غالباً كبار الموظفين

وحينما يجلس هولاء في دواوينهم ويشمخون بانوفهم تشعر بان كل فرد من هولاء الاسر قادر على ان يجبر مخاطبه على الاعتراف بقدرته على ارجاف الناصره · ولا ريب ان هولاء خلوٌ من العلم ومن بعض المزايا · وغاية ما يرجوه هولاء في مخيلاتهم توسيع اراضيهم قليلاً و املاء اكياسهم بزيادة

واما باقي الاهلين ما عدا هذه الاسر فهم مجبورون على تمضية حياتهم في المزارع فتنقضي السنة وليس في دورهم الشبيهة بالمزارب سوى امرأة عجوزة او رجل شيخ يحافظ عليها · امـا الباقون من نساء ورجال و طفال فانهم يعملون في المزارع القريبة من الناصرة · ينـام الرجال حول المدارس ويجتمع النساء في خرابة تسمى (تل عدس) فيقضين ليلهنّ طعامهم وشرابهم بسيط للغاية وهو قروي تماماً · على ان مزية هولاء تظهر في ملابسهم وفي مساكنهم وفي عيونهم فالالبسة التي يكتسونها عبارة عن غنباز مشقوق وعباءة وكفية وحذاء (تاسومه)· ولباس نسائهم بسيط جداً · غنباز مفتوح من اطرافه الثلاثة وزنار كبير وغطاء على روسهن وهذا لباس جميع السكان · واذا نظرت الى مساكنهم وعرفت انها مأوى لهم ولحيواناتهم سواء تصرف نظرك عن البحث فيها عن شيء آخر

وليس من قال حسن في وضعية هولاء او في حالتهم فالجهل سائد بينهم لانه لا يتجاوز عدد الذين يقرأون ويكتبون منهم خمسة في المئة

لا يزالون على حالاتهم الابتدائية الاولى من حيث العادات· يعزفون بالصفيرة المزدوجة التي يسمونها مجوز او بالقصب المسمى (شباب) وهم يشبهون تماماً في عاداتهم القرويين في انحـاء بيروت الجنوبية· وللمسلمين في الناصرة جامع واحد فقط · وتراهم متمسكين بدينهم تمام التمسك بالنظر لقيامهم في محيط مسيحي على كل حال،

ونضيف على ذلك قولنا ان المسلمين هنا احط من كل جهة في حالتهم العمومية بالنسبـة لمجاوريهم كما هي الحالة في جميع الجهات

اما المسيحيون الساكنون الناصرة فيختلف كثيراً تاريخ ظهورهم وتوطنهم فيها

فيدعي الواقون من المسيحيين ان الطائفة اللاتينية استوطنت الناصرة منذ العصر الميلادي الرابع . حتى ان اللاتين قاموا هنا باجراء مراسمهم الدينية علناً بعد ظهور الاسلام في عصر هارون الرشيد . وكانت طائفة اللاتين في الناصره ايام الصليبيين وفي عام ١٣٥١ جاء الى الناصره رهبان الفرنسيسكان اللاتين وبدأوا باجراء طقوسهم باللغة اللاتينية .

اما الموجود منهم اليوم في الناصره فهم احفاد بضع اسر جاءت قبل ثلاثمائة عام من لبنان وملحقات الناصره فدخلت في المذهب اللاتيني واستوطنت الناصرة ويوجد في عموم القضاء ما يقرب من الفي لاتيني

ويزداد عدد اللاتين هنا بالنظر لكثرة ما يقوم به الرهبان اللاتين من المساعي والتبشير

اما الروم فقد كانوا قديماً في انحاء القدس وكانوا يجرون مراسمهم الدينية بالاشتراك مع اللاتين ثم انفصلوا عن اللاتين عام (١٠٥٤ م) واقام الروم الارثوذكس ايام الصليبيين عام (١١٠٩) كنيسة باسم جبرائيل عليه السلام فوق النبع الذي يسمى (عين السيدة مريم) ويزيد عدد هؤلاء في عموم القضاء على ثلاثة الاف شخص

واما الكاثوليك فقد كانوا من مذهب الروم الارثوذكس ثم قبلوا الطقس اللاتيني عام (١٧٤١) وفي عام (١٧٧٠) تألفت منهم طائفة خصوصية ويقرب عدد هؤلاء من الفين

واما الموارنة فهم من موارنة لبنان وصور وصيدا . وكان الذين اقاموا منهم في الناصرة يجرون فروضهم الدينية في كنيسة اللاتين وفي عام (١٧٧٠) انشأوا لانفسهم كنيسة خاصة واصبحوا مستقلين عن اللاتين ويقدرون بخمسمائة

اما البروتستانت في الناصرة فقد كانوا من طائفتي الروم واللاتين ثم دخلوا في البروتستانية الانقليقانيـة وفي عام ١٨٧١ استقلوا بانفسهم وبنوا كنيسة خاصة لهم ويزيد عددهم على الثلاثمائة

وان كافة المكاتب الاجنبية التي عددناها آنفاً والتي فتحت في الناصرة لمنفعة هذه الطوائف هي نتيجة مساعي سنين كثيرة . وقد زاد عدد الذين يقرأون ويكتبون بين المسيحيين على ستين في المئة . ومع هذا فان التعصب المسيحي في الناصرة قد زاد بهذه النسبة . وطرأ خلاف العادة شيء من الخلل على قسم من الاوصاف الطبيعية والمحلية . اما العلم الحقيقي فلم ينشأ هنا مطلقاً

يشتغل المسيحيون بالزراعة ما عدا فريقاً منهم فانهم يقيمون في الناصرة ويشتغلون بتجارة القطن

ولباس هو . بسيط وقريب من لباس المسلمين . ومع هذا فان فريقاً من رجال المسيحيين ما زالوا محافظين على لباسهم القديم فتراهم يلبسون سروالاً كبيراً اسود ورداء صغيراً (جاكت) ويسترون رؤوسهم بطربوش يسمى (مغربي) ويعلقون به شرابة كبيرة ويلفون فوقه عمامة سوداء

ان المسيحيات في الناصرة يتسترن على الغالب بالازار ويسترن وجوههن باغطية ملونة . ومع هذا فان الناشئات حديثاً ينبذن هذه العادات تدريجاً . تشتغل جميع البنات في الناصرة بصنع (الدانتلا) . وفي الحقيقة ان شغل (الدانتلا) في الناصرة ظريف ومرغوب . وقد احرز درجة فائقة على ما يعمله الرجال من المصنوعات الخشبية

ويوجد في البلدة مثال للتعصب المسيحي الموجود في قضاء الناصرة ولهذا يشم في افق الناصرة ريح تعصب مسيحي . ولا ريب بان جميع المسيحيين هنا يعملون باتفاق تام وبكل غيرة واجتهاد لتأسيس كيان نصراني لانفسهم

ورغماً عن ذلك فان المسيحيين لم يقدروا ان يصلوا لدرجة بين المسلمين . ولم يتيسر لهم ن يصيروا بدرجة متسلطة (دره بك) صغار

٥ — الحالة الصحية فى الناصرة

ان اكثر الامراض سرياناً في الناصرة في حالتها الطبيعية هي الملاريا والتهاب الامعاء وذات الرئة والروماتيزم و رض التراخوما احد الامراض العينية فتوفي بها عام ١٣٣١ بالملاريا (٣) وبالتهاب الامعاء (٣) وبذات الرئة (١٢) . اما غير هذه من الامراض العادية فتحدث افرادياً ولكنها قليلة جداً

وقد ظهر فيها هذا العام من الامراض السارية التيفوس والحمى الراجعة والزونطاريه والهواء الاصفر حتى انه توفي في الاشهر الاخيرة بالهواء الاصفر ١٠٩ ، (٤٠) منهم في شهر مايس و(٥٨) في حزيران و(١١) في تموز

تنشأ حمى الملاريا التي ترى في حالة طبيعية من المستنقعات الدائمة في بعض محال القضاء ومن هذه المحال الوبيئة مستنقع (الويلح) في برج بني عامر وطوله (١٠٠)متر وعرضه(٥٠) متراً ومستنقع (طرنه) في اراضي جبخانه وطوله (٨٠) متراً وعرضه (٥٠) متراً ومستنقع (سحونه) في الاراضي محلواه وطوله (٢٠٠) متر وعرضه (٥٠) متراً

اما علة التهاب الامعاء في الناصره فتنشأ من عدم المبالاة وفقدان الاهتمام بعيشة الاهلين

وغذائهم وخصوصاً تغذية الاطفال . وتحدث علة ذات الرئه من عدم المحافظــة من البرد الذي يشتد ايام الشتاء في الناصره

ورغماً عن اعتدال الهواء على وجه العموم في الفضاء فانه يكون راطباً بصورة دائمة في موسمي الصيف والشتاء فتزداد علة (الروماتيزمه) بهذا السبب . ومن جهة اخرى فان عدم المطر د في الهواء يسبب التبدل الهوائي بصورة دائمة فبينما يكون الهواء هادئاً يشتد ويقوى بعد نصف ســاعة فيمتلاء الافق بالغبار ولهذا نرى قسماً كبيراً من اهالي قضاء الناصره مبتلين بعلة التراخوما اي « ذات الحبيبات الملتحمه »

وعلاوةً على ذلك فان في الناصرة مسائل اخرى تستلفت النظر فترى مثلاً دور النــاصره منتظمة من خارجها ولكنها غير موائمة للصحة مطلقاً من داخلها . لايهتم الاهلون تمام الاهتمام في مسائل النظافة . حتى ان من المستغربات عدم وجود حمام في الناصرة

من اهم العوامل لسراية الامراض عدم الرجوع الى الطبيب والاكتفاء بالعلاجات المتعارف دايما بين الرجال والنساء كما هي العادة في باقي المحلات ورغماً عن كثرة المستشفيات والصيدليات فان الاهلين لم يعتادوا بعد على المعالجة الاصولية

كانت العادة جارية في الناصره حتى الزمن الاخير ان جميع المياه الوسخة ومياه الغسل تسقط في الجنائن احياناً وتمر بالازقة ضمن ميازيب . وخصوصاً المواد الفايظة فانهم لايزالون يلقونها في جنائن الدور بصورة مكشوفة

فهمت على قدر الامكان من ملاحظات طبيب القضاء التي ذكرناه الحالة الصحية في الناصره على ان الجروحات في جميع اقضيتنا شبيهة بعضها حتى اصبحت بحالة يستنكف الانسان من تكرارها ولا شبهة ان العلاجات الشافية لهذه الجروحات هي عمومية وشاملة . فمن الضروري الاهتمام جداً بهذه المسائل التي تحسب احدى الغايات التي يسعى بنو الانسان لاظهارها من حيز القول الى حيز الفعل

—٣١—

طريق الناصره — غوربيسان

١ — من الناصره الى بيسان

لم تمض برهة من الزمن على مبارحتنا قصبة الناصره من المحل المسمى (البيادر) في الجهــة الجنوبية منها حتى غابت القصبة فجأة عن اعيننا ولم نرَ شيئاً من دورها البيضاء واجرها الاحمر حتى ولم

نزاراً لمابدها الكبرى ولقببها الشامخة . وكانت مركبتنا تواصل النزول في طريق معبده ممتدة بين الصخور . وكنا نشاهد من المحلات التي تفارقها جبالاً قائمة تنهض امامنا . ولقد كنا في خوف اثناء مرورنا في هذه المنحدرات المعوجة والمنحنية مدة نصف ساعة خشية ان تزلق عربتنا وتسقط في ذلك الوادي . ولما وصلنا الى صحراء متسعة على امتداد البصر وزيادة ذات تراب ناعم هدأ بالنا من جهة وتخلصنا من تلك الاهتزازات . وداخلنا من جهة اخرى شيء من المهابة والخشوع بمقابلتنا للاستسلام القدسي الذي يتجلى من (مرج بنى عامر) الفاتح صدره تماماً للناظرين . فلم يبقَ حائل او مانع يوقف الانظار ويمنع الابصار . حتى ان التلال البعيدة جداً والتى كانت ترى سراباً ذات لون اسود قاتم او ازرق كانت تختلط بلون السماء الرمادي فتستر نفسها ثم تتلاشى فلا يرى لها من اثر

كنا مواصلين السير بسرعة في الصحراء نحو الجنوب وكانت غايتنا الوصول الى القريتين اللطيفتين (عفوله) و (العولة) . وبعد مضي ساعة وصلنا الى هذا المحل فظهر لنا حينئذٍ طريق الخط الحديدي . فاخذنا نتذكر حينئذٍ هذه الطرق والمسافات التى قطعناها قبلًا . فاذا توجهنا نحو الجنوب في هذه الصحراء نصل ولا ريب الى اشجار النخيل المستسلمة في (جنين) واذا وجهنا عنان العزيمة الى الغرب الشمالى منها نصادف ولا شبهة مياه البحر الزرقاء في حيفا . فاتبعنا طريق الخط الحديدي واسرعنا في السير فكنا نصادف احياناً في الجهة اليمنى بنايات جديدة في قرى صغيرة تشبه المزارع ولم نزل مواصلين السير في اراضي الصحراء الرطبة الى ان ظهرت امامنا عن بعد جنائن وكومات من الاشجار

فاشعرنا بدافع غير مرئي بشدة للوصول قبل وقت الى هاته الساحة الخضراء . ولم يمض على معارفتنا الناصرة اربع ساعات حتى وصلنا الى جوار محطة بيسان . والمحطة قائمة وسط اراضى مزروعة باشجار « الخروع » الخضراء . اما القصبة فتبعد قليلًا عن المحطة وهي قائمة بوجه ضاحك على تلة صغيرة وقد احاطت بها الاشجار الخضراء من جميع اطرافها . وحينما مررت على الجسر القديم الموضوع فوق نهر « الجلمود » شاهدت على الطرق خرابات « بيسان » القديمة. وبعد نصف ساعة من قطعنا مجتمعات المياه المتفرقة التى تمر بين الجنائن ويتكون منها في طرق مختلفة شبه انهر صغيرة ووجدنا نفسنا امام طريق وسيعة ولكنها عتمة وقد ارتفعت في جميع اطرافها الاشجار الباسقة . واخذ القرويون بالاخذ والعطاء والبيع والشراء امام الحوانيت الصغيرة . فكنا حينئذ في النقطة المركزية من «بيسان»

***



وادی جالوت

٢ — بيسان

[١] — مزارع بيسان — يبلغ طول ناحية بيسان ١٥ ساعة وعرضها ٥ ساعات ومساحتها ٢٠ كيلومتر مربع . ففي الجهة الغربية منها قرى قنرعه . وجبلون . ودير ابو ضعيف . وبيت عاد الملحقة بقضاء جنين . وقرى الاشرفيه والسامريه . وقردنه التابعة لنفس الناحية . وفي الجهة الجنوبية منها مزارع فاعون . وعين البيضه وعين الدير . والردغه التابعة لقرية طوباس وفي الجهة الشرقية منها يجري نهر الشريعة من الشمال الى الجنوب . وفي الجهة الشمالية من الناحية قرية وادي الشرار الملحقة بقضاء طبريا . وقرى كوميه . وشرطه . والطيب التابعة قضاء جنين . وتنقسم اراضي الناحية باعتبار الاقليم الى قسمين : فالاراضي الجبلة منها معتدلة والاراضي الممتدة على طول نهر الشريعة والمنحطة عن سطح البحر تقريباً من ٢٥٠ متراً فانها حارة ايام الصيف ومعتدلة ايام الشتاء

الاهوية — يهب ايام الصيف على الاراضي المذكورة الهواء الغربي والشرقي والشمالي . اما الهواء الغربي الذي يهب ايام الصيف فهو احسن الاهوية وانفعها . اما الهواء الشرقي الذي يهب في الصيف ايضاً فانه يحرق الزروعات . واما الهواء الشمالي فهو بليل ولكنه قليل الورود جداً . اما ايام الشتاء فان جميع الاهوية تعصف . ويأتي هواء الغرب والجنوب بالشتاء وهما مفيدان للمزروعات واما الهواء الشرقي فهو خلاف ذلك فانه يفسد على الحبوب نموها وتقدمها حين هبوبه . وهكذا يفعل الهواء الشمالي حين وروده . تبدأ الامطار بالسقوط في موسم الشتاء اعتباراً من تشرين الثاني وتمتد الى غاية مارت ولا يمكن الوقوف على مقدار الامطار التي تسقط سنوياً لانه لم يوجد احد اشتغل بتدقيق ذلك

اصول الادارة — ان كافة اراضي ناحية بيسان هما من الاراضي المدورة وقد قسمت على الزارعين بواسطة المدير المعين من قبل ادارة الاملاك . والمزارعون مكلفون بان يدفعوا سنوياً لادارة لاملاك المدورة عشرة في المئة نقداً من محصولهم السنوي بشرط ان يكون البذار وسائر الالات والادوات الزراعية عائدة عليهم

تنقسم التربة التي تتألف منها ارضي بيسان الى ثلاثة اقسام : الاولى بركانية سوداء الثانية حمراء والثالثة كلبه . اما القوة الانباتية في التربة المذكورة فهي في الدرجة الاولى فهي تساعد على انبات جميع انواع الاشجار والحبوب وخصوصاً القطن والبطاطا وامثالها ولما كان المستخدمون في ادارة هذه الاراضي غير واقفين على الامور الزراعية فان المزارعين يزرعون هذه

الاراضي حسبما يريدون وقد اهملوا طريقة المناوبة الزراعية منذ سنين عديدة

[٢] – قصبة بيسان – ان قرية بيسان هي قصبة الناحية وهي قائمة في الكيلومتر الـ ٥٩ من خط حيفا – درعا الحديدي ومنحطة عن سطح البحر ١٣١ متراً . وفي القرية ٦٠٠ خانه منها ٢٠ او ٢٥ خانه من المسيحيين و١٥ من الموسويين والباقي من المسلمين. وقرية بيسان مبنية على ميل ١٠٠ متر من داري جالود وهي داخلة في الغور ايضاً

كان اسم بيسان في التاريخ العبراني (بيت شه‌آن *Bethehéan*) وقد كانت اوسع من القرية الحاضرة . وقد كان جميع الاهلين ايام سارا (طالون) منتسبين الى الكنعانيين وتابعين لادارة عشيرة (مانسه) . وقد اصاب القرية المذكورة شيء قليل من التقسيم الاداري في زمن سليمان عليه السلام ولكنها لم تنقلب الى عبرانية

لاتزال خرابات بيسان مرئية ومن المأمول ظهور القرية القديمة بحالتها الاصلية اذا نجري عليها بصورة بسيطة . ولا يزال ظاهراً في الجهة الغربية من بيسان بناء تحت الارض وقد ستر بالحشيش الاخضر وفي الشمال الشرقي منها جدران العبد الذي جعل جامعاً عام ١٩٠٤ م . وبعد ان نقطع المقبرة القائمة في الجهة الشمالية الغربية من الجامع نصل الى مدرج كبير « انفيتياتر »في وسط الوادي . وان هذا المدرج هو من ماحوفظ عليه من الاثار القديمة في الجهة الغربية من وادي الشريعة وهو مؤلف من ١٢ درجة بقطر ٥٥ متراً . وعلاوة على ذلك فانه يوجد صف من العواميد على ضفة النهر تنتهي بجسر المقطوع القائم فوق الوادي . ولا تزال ترى بقايا الطريق القديمة على رأس الجسر . وفي الجهة اليسرى يقوم « تل المصطبه » الجامع لبقايا قلعة قديمة . وفي الجهة اليمنى توجد اعمدة كثيرة ومنبع حمام معدني ومراقد منحوتة في الصخور . وعلى مسافة قليلة في الجهة الجنوبية يوجد مرقد كبير نحت في الصخر ويسمى « مغارة الجرباغي »

وترى في شمالي ملعب المدرج (التياترو) وفوق تل الحصن بقايا سور ثخين كان محيطاً بالتلة باجمعها . والواقف في الجهة الغربية من هذه التلة ينظر الى كافة هذه الاراضي حتى قرية زرين . واذا اتجه الى الجنوب او الشرق يضيع نظره في الغور . وترى من الافاق الشرقية قلعة الربود واذا عطف السائح نظره من جسر الخان الى جهته الاولى يجد نفسه امام كثير من الاعمدة المتساقطة والجدران المتهدمة والخرابات الباقية

٣ — من بيسان الى الغور

قضينا مدة اقامتنا في بيسان في النزل الكبير الملاصق لجامع بيسان • بقي بهو النزل الكبير وغرفه بلا فرش ولا نعلم المدة التي مضت على النزل بلا تنظيف ولا تطهير ولهذا كان البقاء فيه صعباً جدًا • ويضطر للبيتوتة فيه التجار الذين يأتوا الى بيسان لمشترى الحبوب وكذلك المأمورون الذين يأتون الى هنا • والنزل ملتقى قروى بيسان او عربها الذين ليس لهم نصيب من النظافة والطهارة • ولما امتطينا صباحاً صهوة الخيول العربية الجميلة وبارحنا بيسان تنفسنا الصعداء وزال ما بنا من الضيق • وبعد قليل من الزمن لم يبقَ امامنا حائل او مانع • واخذنا نطوي المسافات في اراضي (غوربيسان) الممتــد نحو الامام بشيء قليل من الانحدار • ولكن الاراضي التى مررنا فيها كانت مستنقعة وكثيرة المياه فادركنــا اننا وقعنا في خطر مهلك • وكانت غراس القصب والحشائش المحيطة بالجوار ذات لون اخضر جميل • ولهذه النباتات التى تجمعهــا العرب (الجلل) و (سار) و (نبوت) روائح طبيعية بديعة • مضت ساعتــان ونحن متابعون السير فاخذت تظهر علينا عن بعد خيالات سوداء منفردة • وكنا في ذلك الحين في وادي الشريعــة وفي الجهــة الشرقية من بيسان • وهــذه المساكن الصغيرة هي الخيام التى يسميهــا العرب (بيوت الشعر)

اصبح الهواء مختلفاً • فنزلنا اخيرًا امام فسحة كبيرة وهي مسكن رئيس العشيرة او شيخها • وكان يظهر انــا عدة خيام سوداء في انحــاء مختلفة • ومن وراء ذلك افق براق ومستنقع وارض خضراء •

هذا هو غور بيسان •

— ٣٢ —

عشائر غور بيسان

١ — الاحوال العمومية فى عشائر بيسان

ان العشائر الاصلية في اراضي بيسان هي عشائر البشاتوه • والبواتيه • والغزاوية • وصقور القاطنة في بيسان من الشمال الى الجنوب اعتباراً من جسر المجامع • ان بدو هذه العشائر يسكنون الخيام ويشتغلون بزراعة الاراضي المنبتة ويحرسها فاشرنا الى ذلك في الفصل الذي تكلمنا فيه

عن عرب سوريه في القسم العمومي من هذا الكتاب . وان اهم هذه العشائر باعتبار النفوس هي عشيرة صقور اما من جهة الجسارة والبسالة فان عشيرتي صقور والغزاويه متساويتان ويؤلفان ٤٠٠ خيمة واما عشيرة البشانوة فمأتا خيمة . اما قبيلة صخور التي تسكن في قسم من اراضي الغور الملحقة بقضاء طبريا خارج اراضي بيسان فهي اقل من مائة خيمة بشيء قليل واذا نظرنا الى سكان الخيمة يتراوحون من خمسة الى ٢٥ فان افراد قبيلة الغزاوية يبلغون الالفين ويتراوح فرسانهم من ٤٠ الى ٥٠ . واما عشيرة صقور فنفوسها تختلف من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ وفرسانها من ٣٥ — ٤٠

عشيرة صقور — ان هذه العشيرة التي ضربت خيامها في المحل المسمى (حمرة الصقر) منسوبة لعائلة (فضول) التي جاءت قديماً من نجد ويدعي ابناء العشيرة انهم من بني العباس اما عشيرة (سردية) المعروفة من عشيرة بني صخر فانها تدعي هذه النسب المذكور . وهم من قرابة الصقورية الذين نتكلم عنهم وهذه شجرة النسب لرئيس العشيرة

فهو « يوسف ورئيس العشيرة في الوقت الحاضر » بن عرسان بن مطاق بن سعيد بن سعيد بن جعدان بن رسلان بن جبر بن سليمان بن حسن بن رباح بن صقر ملاك »

ولا تعرف العشيرة سلسلة النسب بعد الجد الاخير . وقد اشتهر بين البدو وان عشيرة « ملاك » حكمت في المنطقة المسماة « نقره » . وفي ذلك الجهة حارب « جبر » احد اجدادهم اقرباء قبيلة « سردية » . ولما كانت ظهرت عشيرة الجبر على خصمها في تلك المحاربة وقامت قبل ٣٠٠ سنه استعانت قبيلة سرديه بالحكومة فطردت اعداها حتى مدينة غزه وقد تمكن اعداء جبر من القبض عليه في القصة المذكوره فقتله رجال الحكومة ويمكن جعدان الباسل الذي خلفه في رياسة الصقوريه لتوفق للانتقام له بصورة شريفة

ولا يزال شعراء العشيرة ينظمون القصائد والمراثي للقصة المذكوره وينشدونها بانغام خصوصية على آلتهم الوسيقية « الرباب » وقد قامت عشيرة صقور في هذه الغزوات بطرد خصمائهم من هذه البلاد حتى منطقة نجد . ولكنهم لم يستحسنوا البقاء في تلك البقاع فاخذوا يتراجعون الى الوراء وما زالوا متقدمين في رجعتهم نحو الغرب حتى استقر بهم المقام في اراضي بيسان

وقد عرفنا من الامير يوسف رئيس العشيرة ان افراد القبيلة يزرعون تقريبا مائة فدان من الاراضي في السنة . وهم يبذرون في الفدان من الارض ١٠ كيلات من القمح و٦ كيلات من الشعير ولكن محاصيلهم لا تقل عن ١٠ كيلة في المواسم المقبلة

وقد زرع الامير يوسف رئيس العشيرة في هذه السنة ثلاثة افدنة فقط ولكن الخمسين

الظلمة الذين سينوا اتحمين هذه المنطقة قدر المحسوب الامير دية كية واشارة باخذ الشير منه . وقد اقسم الامير المذكور الايمان المغلظه بان مجموع الحاصيل التي اخدها هـذا العام من اراضيه لا تفي بالمقدار الذي قررت الحكومة اخذه باسم الخمس وقد سمعنا من مطلق شقيق رئيس العشيرة نفس الشكاية ايضاً

ان موقف العشيرة في الوقت الحاضر ازاء الحكومة يستجلب النظر للدرجة النهائية . فان العشيرة المذكورة التي اعانت الحكومة حين اعلان النفير العام بالوف المجيدية ومقادير كثيرة من السمن وذلك بنسبة ثروتها لا ترى معاملة حسنة مطلقا من الحكومة الحاليـة . ولا يزال كثيرون من المأمورين الظالمين المستبدين يمدون اليها بالاذى والغدر

ومن ذلك ما وقع يوم ضيافتنا لهذه القبيلة فان يوزباشيا يسمى رشيد افندي هجم بفرزته على عدة من البدو ابناء هذه العشيرة فشتمهم وضربهم وقد اصبحنا في خجل عظيم امام رئيس هذه العشيرة في الوقت الذى جئنا فيه لتهيئة ما يلزم لاخراج نذر والينا العالي الغيور المحترم وافكاره السامية من حيز القوة الى حيز الفعل

ان عشيرة صقور مصادقة في الوقت الحاضر لعشيرة بني صخر والروله . حتى ان العشـيرة الاخيرة ترسل كل عام قسماً من مواشيها الى اراضي الصقوريين للرعي فيها مرة كل شهر . وان العلائق غير جيد بين العشيرة التي ارسلنا لتدقيق حوالها وبين قبيلة (الحويطات) . وقد كانوا يهاجمون بعضهم قبل ٣٠ سنة وسلبوا مواشي بعضهم وبسبب ذلك جرت الدماء بينهم . ولكن سطوة الحكومة والاحوال الحاضرة سادت دون انقلاب هذه البغضـاء الى مجادلات وغزوات ولا يزال ابناء عشيرة صقور يحرقون الارم على وطنهم الاصلي منطقة نجد وينشدون قولهم :

خانك الله يا نجد الخنوب (١)

مثل البنت ما اخذت رجال

اول عيب عتى في شبيب (٢)

وثاني عيب عتى بهلال (٣)

وثالث عيب عتى بعبيده (٤)

ياللي درعهم حمل البغال

(١) الخنوب الخائن (٢) شبيب التبعي (٣) بني هلال

(٤) عشيرة عبيد وفارس من بني رشيد

ورابع عيب عبتي بالدوبش (٥)
وخامس عيب عبتي بالفضول (٦)
اهل الصمت عقال الرجال

عشيرة الغزاويه — هاجرت العشيرة المذكوره من مدينة غزة الى جهات اليمن قبل زمن مديد من فتح حضرة السلطان سليم لسوريه ومصر . ويدعي الامير بشير رئيس العشيرة في الوقت الحاضر ان القبيلة المذكوره استوطنت جهات حوران ايام السلطان سليم حتى ان السلطان المشار اليه اهدى مملوكين عبدين للامير حمد رئيس العشيره في ذلك الحين . ولا تزال ذرية هذين المملوكين باقية حتى الآن . وهذه شجرة النسب للامير المذكور

فهو « الامير بشير بن عبد الله بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن نعيم بن حمد » ويجهل افراد القبيلة بقية النسب بعد حمد

تقطن عشيرة الغزاوية الموقع المسمى « سيبه » في غوربيسان . ولا يزرعون هذه الاراضي لانها مستنقعات من جميع جهاتها ويكتفون بزرع ثمانية او تسعة افدنة في محل يسمى « قناة البيه » واربعة او خمسة افدنة في جوار سيبه . ويشتغل البدوي ٦ كيلات من القمح و٤ كيلات من الشعير من كل فدان

ويقيم قسم من عشيرة الغزاويه في قرية « جرم » من الاراضي المدورة وقد زرع هؤلاء هذا العام ٢٤ فدانا ونصف فدان فبذروا في كل فدان ١٦ كيلة من القمح و٩ كيلات من الشعير . وهم يأخذون في المواسم الجيده ١٠٠ كيلة او ١٢٠ كيلة من بذارهم البالغ ٢٥ كيلة . ولكن اشتداد الحر في هذا العام افسد عليهم موسمهم فلم يحصلوا من هذه الفدادين الا على ٤٠ كيلة ولكن المخمنين الظلمة قدروا موسم الامير بشير رئيس العشيرة بـ١٦٢٥ كيلة مع ان اراضي الامير لم تخرج في هذا العام سوى ١٠٠٠ كيلة فبقي عجزه ٦٢٥ كيلًا . وقد قسم المخمنون اراضي الغزاوية الى اربعة اقسام فقيدوا المحصول السنوي لكل فدان في القسم الاول ١٥ كيلة وفي القسم الثاني ٩٠ كيلة وفي القسم الثالث ١٠٠ كيلة وفي القسم الرابع ١١٣ كيلة . مع ان محصول الفدان معروف باتساعه وبقوته الانباتية لم يتجاوز الخمسين كيلة وذلك بسبب رداءة الموسم

وقد اصبح رئيس العشيرة بفرسانه ومزارعيه ونسائه متألمين من ظلم هؤلاء المخمنين واعتسافهم .

---

(٥) عشيرة الدرويش في جوار ابن الرشيد (٦) اسم عشيرة صقور التي ضفناها

وقد شرح لنا الامير بشير الجالس امامنا ظلم المخمنين واعتسافهم وجهلهم بالامور الزراعية وارتكابهم وبين لنا ذلك بتأثير لايستطيع معه السامع الا ان يشاركه بتأثيره ويتألم لتألمه . ثم انطلق الامير بشير الاختيار الذي يتجلى من عيونه السوداء المزينة لحلقته السمحاء الذكاء فاقام على الاحوال العمومية بحديثه بحرية تامة فقال :

لما ضبط السلطان عبد الحميد الملك السابق اراضينا كنا اسعد خلق الله فكنا ندفع في العام ٣٠ الف غرش تكاليف اميرية عن عموم افراد العشيرة وقد كان موظفو الحكومة في في ذلك الحين يعيرون اهتمامهم لكلامي الذي لايمكن لاحد من ابناء العشيرة مخالفته وعدم الاطاعة اليه . وكنت ارى لنفسي خدمة ومقاماً في كل مكان . ان هذا الامير الحقير الذي يترأس ثلاثة الاف او اربعة الاف شخص قد اصبح مظلوماً ومقهوراً في هذه الايام . حتى ان اصغر مأمور يهينه . وان اصغر نفر من يهينني ويشتمني مع انني لا اعرف معنى الشتم والسب في العالم . يسميني المتصرف بانني كذاب والقائمقام او مدير الناحية انني محتال . ولا اعلم اذا كان من المناسب ان نتكلم نحن المساكين الذين تألبنا تحت نير الذل والجفاء والاهانة والتحقير شيئاً عن لزوم اسكاننا وانشاء المساكن والمكاتب والقرى لنا او عن لزوم شمولنا بعاطفة وابي بك شفقته ومحبته ؟ نحن اطعنا الحكومة في كل حين . ونحن نشتغل اباً عن جد بحراثة هذه الاراضي المنبتة وزرعها تحت هذه الخيام الحقيرة . وان مطلبنا الوحيد من الحكومة هو العدل والانصاف ولا يجول في اذهاننا ان نطلب منها شيئاً يدعوها الى الصرف كانشاء الدور والقرى والمكتب »

ولما سألنا الامير بشير عن رأيه بتمليكهم هذه الاراضي التي يزرعونها مقابل بدلات موعدة طويلة اجابنا بقوله : ان مسئلة التمليك ليست من الامور التي يرغب بها ولكنهم اذا طالبوا حين التمليك بان تشيد المآوى وتؤسس القرى وان نسكن تحت السقوف وبين الجدران فانه لا يمكننا حينئذ الاتفاق معهم . فان ابصارنا الفت النظر الى القبة الزرقاء (ويقصد بها السماء) والميادين الفسيحة . فان انشاء القرى واشادة الدور تغير طبعاً لهذه النعم الطبيعية ولا يرضى بذلك الا فرد من هولاء البدو الذين ترونهم امامكم »

وقد اراد الامير ان يقول :

« لسنا اصحاب اراض . وان الرابطة التى تربطنا باراضي بيسان هي محاصيل هذه الاراضي المنبتة التى نزرعها ونحصدها فاذا عاملنا رجال الحكومة بالعدل والانصاف نثابر على زراعتنا وفلاحتنا . اما اذا زادت تعديات الجاندرمة وتفاقم الخطب من معاملة الموظفين عديمي الانصاف

فاننا نترك هذه الاراضي ونستوطن محيط اكثر حرية واوفر عدلاً و نصافاً وهناك نعود الى فلاحتنا وزراعتنا »

واني اريد ان الخص ذلك بقولي : ان من العوامل التى تستلزم ارتقاء ناحية بيسان هي اخراج مسألة اسكان العرب من حيز القول الى حيز الفعل ويتوقف ذلك قبل كل شيء على انتخاب المأمورين الذين يعينون لهذه الناحية من ارباب العفة والناموس وتعيين موظفين قادرين على ادارة امور العربان بعدل وانصاف · واذا امكن تعيين مدير الناحية من ارباب الاختصاص بفن الزراعة فان الفائدة تزداد · ويجب ان تكون خطة رجال الادارة في بيسان ضمن دائرة الاشفاق والعفة امام هؤلاء البدو السذج الذين لا يحبون الكذب والرياء · ومن المقتضى ايضاً منع تعديات الجاندرمه الغدارين الظلمة »

الاحوال العمومية الزراعية — يستهلك ثلاثون في المئة من المحاصيل الزراعية في قرية بيسان ويقدم الباقي الى اقصية حيفا والناصرة وجنين وطبريا ونابلس ولما كانت محطة خط حيفا — درعا الحديدي وهي احد الوسائط النقلية بعيدة عن القرية المذكورة مقدار ١٥ او ٢٠ دقيقة فانهم لا يستفيدون منها تماماً بل انهم يلاقون صعوبات جمة في نقل محاصيلهم

ان المياه الجارية كثيرة في اراضي بيسان القابلة للزراعة فتسقي جميع انحائها ثمانية او عشرة من الينابيع · وان مجاري المياه في بيسان جيدة جداً حتى ان نصف الاراضي تقريباً تحت الماء وفي حالة المستنقع · ويتألف من نبع عظيم يسمى (مشروب) مستنقع كبير في الجهة الغربية من القصبة وقد بدأوا قبلاً بحفر انية لتجفيفه ولكن العمل اهمل اخيراً فعاد المستنقع الى حالته الاولى

ويرى المأمور الزراعي حسب اعتقاده ان الاستفادة تماماً من اراضي بيسان متوقفة على الامور الآتية :

١ — تعيين مدير من ارباب الاختصاص بالفنون الزراعية لادارة ناحية بيسان المحتوية على عشرين الفاً من النفوس تقريباً والقيام بحرث هذه الاراضي وزرعها على مقتضى الفن

٢ — حفر اقنية من الينابيع التي تسقي الاراضي المذكورة وجر مياهها الى الاراضي المحتاجة للسقاية · وفتح خنادق حوالي الاراضي المستنقعة وغرس شجر الاوبنايتوس وزراعة قصب السكر والشمندر

٣ — افتتاح مكتب زراعة محلي في نفس قصبة بيسان

٤ — اسكان الاهالي العربان

وعلاوة على ذلك فذ من الامور المهمة الاستفادة من قوة المياه الجارية في بيسان وحواليها ان نهر الشريعة ينحط مقدار خمسة امتار تقريباً في اسفل المحل المسمى (انقطاط) القائم على مسافة ٦٠٠ متر على طول نهر الشريعة اعتبارًا من المحل المسمى (باب الفم) في الجهة الغربية من قرية سماخ جنوبي بحيرة طبريا . فيمكن في المحل المذكور انشاء معامل لصنع السكر وامثاله وان تقام فيه الطواحين . كما انه يمكن اقامة مضخات كبيرة لاخراج المياه من النهر واسقاء الاراضي الخالية ايضاً

٢ — الاحوال الاجتماعية فى عشائر بيسان

[١] — طرز المعيشة — تسكن عشائر غور بيسان في الغور اي في الاراضي المحطة والممتدة من جنوبي بحيرة طبريا على استقامة وادي الشريعة . ومن اهم هذه العشائر عشيرة (البشاتوه) في الشمال وعشيرة (الغزوية) في الجنوب وعشيرة (صقور) في منتهى الجنوب . ولا يمكن تعيين العدد الحقيقي لنفوس هذه العشائر ومع ذلك فانهم يقدرون بستة الاف او سبعة الاف. ولا توجد فروقات ظاهرة تماماً بين هذه العشائر الثلاثة من حيث الاحوال الاجتماعية والعادات والاخلاق ولهذا فان التفاصيل التي نذكرها عنهم هي شاملة لهم جميعاً

تمضي هذه العشائر حياتها زمرًا زمرًا في هذه الساحة العظيمة تحت الخيام (بيوت الشعر) ولكل عشيرة رئيس عمومي ولكل فريق منهم رئيس آخر ايضاً .فعشيرة (الغزاوية) مثلًا رئيس عمومي . ولقبيلة (الزناتوه) المعدودة من هذه العشيرة رئيس قبيلة ايضاً فرزت الاراضي والاماكن التي تقيم فيها هذه العشائر المختلفة عن بعضها وعرفت حدودها وتفرعاتها ولهذا لا يحدث اختلاف بينهما على مثل ذلك . على انه لا يوجد بين العشائر في غوربيسان اختلاف من الاصل حتى ان الصهارة والقرابة بينهن منعت كل نزاع

ذكرنا قبلًا ان افراد هاته العشائر يقيمون تحت بيوت الشعر ولكن لا يذهب فكر القاري الى انها خيام ثابتة . فاذا عنَّ لرئيس العشيرة ان ينتقل من مكان الى آخر هدَّ ابناء القبيلة او العشيرة خيامهم السهلة النقل وحملوا موجوداتهم القليلة على حيواناتهم ورجعوا من ذلك المكان الى محل فنصبوا خيامهم فيه . ويكثر بينهم الانتقال ايام الصيف الى الجهة الغربية من (بيسان) وفي ايام الشتاء وتهطال الامطار الى جهات وادي الشريعة حيث يقيمون في الجهة الشرقية تماماً

ولافراد العشيرة مواقع اجتماعية بين اقرانهم حسب ما يعرفون به من الاصالة والحسب . وتضعهم هذه المواقع الاجتماعية تحت قيود معينة من جهة السكن واللباس . فالذين يسكنون

في بيوت من الشعر ذات حجرة او حجرتين او ثلاثة او اربعة او الذين يلبسون الحرير او الجوخ اعتبار او موقع اجتماعي فيما بين العشيرة على تلك النسبة . ولا يوجد في غير مساكن روسائهم محلات عمومية لقبول الضيوف الاغراب ويسمون تلك المنازل (شق) . ومن الضروري نزول الضيوف على كل حال في تلك المحلات . وبقدر كثرة الحجر في بيوت الشعر فانها تكون مزينة ومزخرفة . ومع هذا فان الزينة في هذه الخيام لا تتجاوز حد الزخرف في نسيج الحواجز الداخلية منها وهذا الزخرف في الحواجز عبارة عن خيوط بيضاء او سمراء على اقمشة صوفية بلون القهوة القاتم المائل للسواد وهو باشكال المثلثات او المربعات او المتوازية الاضلاع المتداخلة ببعضها

تبنى (بيوت الشعر) من قطع طويلة نسجت من اصواف الاغنام وخيطت ببعضها وعرض القطعة ذراع ولونها لون القهوة القاتم . ويستحضرون هذه الاقمشة غالباً من محل يدعى (شحيم) في جبل لبنان . وينسجه العرب احياناً

يثبتون هذه القطع المنسوجة على قوائم تسمى (عاموداً) . ويرى سقف الخيمة من داخلها مستوياً . واما جوانب الخيمة وورائها فتبقى مكشوفه

وحينما يشتد المطر يسترون اطراف الخيام بشيء من القصب المسمى (حلفه . او (ميان) فتصبح الخيام على هذه الصورة ملجأ لهم في ذلك الموسم . وتبقى خيولهم ومواشيهم تحت الشتاء . ويكتفون بما يلقونه فوق تلك الحيوانات من اكياس الخيش

تفصل الحواجز الدخلية في الخيام بين حجرة الضيوف ومحل الطبخ وبين غيرها من الحجرات . ولا يوجد هذا الفاصل الا في مساكن الروساء . اما الخيام ذات الحجرة الواحدة فان المطبخ ومحلات المنام ومحلات القعودة واحدة

ومن العادات المتبعة بين العشائر في بيسان انهم ينصبون لكل اسرة خيمة مستقلة فاذا تزوج الرجل عدة من النساء تقيم كل زوجة براحة في خيمتها الخاصة بها . ولا ريب ان مساواة الزوجات في المعاملة يخفف شيئاً مما عندهن من صعوبات الحياة

***

ليس من الصواب النظر الى اهل هذه العشائر نظر البدو الخليص رغماً عن معيشتهم في حالة البداوة . فانهم ما زالوا باختلاط تام مع اهل القصبة منذ سنين عديدة ولهذا فان بداوتهم تحولت الى حضرية . واذا نظرنا الى ما يوجد في دور روسائهم من لوازم الحضارة كالشوكات والسكاكين وامثالها من حاجيات الموائد . والى ما يشبه في ضيافاتهم من الحضارة يظهر صدق



قيافة البدو

مدعابا بدلك . ويرى ان رؤساءهم نشأوا دوراً في بيسان

ورغماً عن ظهور الميل للحضارة تام الظهور في عشائر بيسان فانهم لايحبون الاعتراف بخصوصها مطلقاً حتى اذا سألتهم

— لماذا لاتريدون ان تبنوا بيوتاً وتعيشون فيها براحة وهناء ؟ وهل ان تبديل المساكن كل يوم امر حسن ؟

الا تقضون ايام حياتكم مطمئنين آمنين اذا اقمتم في المدن ؟

اجابوك بأجوبة معينة ومتحدة المآل فيقولون :

— لايمكننا الجلوس داخل الدور . فاذا غلق الباب علينا اصبح البيت مظلماً في اعيننا فنخاف من البيت وننسحب منه . وهل تمكن المعيشة في داخل البيوت وفي تلك المحلات الحارة ؟ انظروا الى هذه المحلات تحت الخيام فانها جميلة جداً . ومتى اردنا نجمع امتعتنا وخيامنا ونهاجر من هنا . وستروننا بعد قليل مقيمين في سفوح تلك الجبال البعيدة فما احلى هذه المحلات وما اكثر طراوتها واشد مسراتها ؟ نعم ان هذه الاجوبة المحصورة التى يجيبك بها افراد العشيرة تخرج من اعماق قلوبهم . ولكن تحت هذه العبارات مخبئات كثيرة من الاراء والتصورات . ولا يستطيع ابناء العشيرة حسب عاداتهم تسليم اسلحتهم للحكومة ولا يقدرون على التجنيد الخ فلهذه الاسباب لم يرضوا حتى الآن بأي صورة كانت بما عرض عليهم من التعويد على الجرأة الحضرية . وهم لايزالون عائشين تحت خيامهم الطاعنة بالسن راضين بما ينتقل اليهم من الاشكال والقيافات التى تهديها اليهم العصور السالفة

[٢] — طرز اللباس — ان طرز اللباس في عشيرة غور بيسان يشابه بعضه تماماً . فلا فرق بين لباس الرؤساء والامراء في العشيرة من حيث الصفة . فرؤساء العشيرة يلبسون رداء « جاكت » من الجوخ الازرق او الاحمر واكمامه قصيرة . ويزينون اطراف الرداء بنوع آخر من الجوخ ويسمون هذا اللباس « دراعيه » ويغلب ان تكون ما يلبسون تحت الدراعية « غنبازاً » مقطوعاً من جانبيه ومسترا من امام . يعملون هذه الغنابيز من القماش الابيض « البستونى » او من القماش لوطني ويسمونها « ثوب » يطيلون اكمام الغنباز ويسدلونها على ايديهم من تحت « الدراعية » . ويلبسون بين الثوب والدراعية صدارة يسمونها « كبر » . ويلبسون تحت الكبر « قيصاً » يسمونه منتاناً . ويظهر على سواعدهم المنتان اولاً ثم الثوب ثم الكبر ثم الدراعية . واذا اراد ابناء العشيرة الذهاب الى محل آخر غير بيوتهم يلبسون فوق ذلك جميعه العباءة . اما عباءات رؤسائهم فكثيرة الزخرف

يكتسي جميع ابناء العشيرة هذا اللباس ويضعون على رؤوسهم كفية يسمونها « حطه » ويتركون اطراف الحطة مدلاة على رقابهم . ويربطون فوق الحطة (عقالاً) مصنوعاً من صوف الماعز السوداء ويجعلونه على طاقين مبرومين . ويلبسون في ارجلهم حذاء يدوياً كبيرًا (جزمه) ويصنعونه واسعاً وكبيرًا ولونه اصفر واحمر ويعلقون على مقدمته (شراشة) زرقاء كبيرة . ويضعون في اسفل الحذاء شيئاً من الحرير ويلبسونه بدون قاشين

يتمنطقون فوق ارديتهم الزرقاء او الحمراء بمناطق لوضع المرميات الرصاصية ويسمونها (كمر) . ويعلقون باعناقهم حمائل السيوف المزدوجة ذات التعاليق المدلاة وفوق ذلك منطقة اخرى للمرميات الرصاصية . ويعلق الاختيار منهم خناجر عربية معوجة ويسمونها (شبريه) وقد صنعت قبضاتها من الفضة ووضعت في محافظ مزركشة بالفضة ايضاً . ولا ننسى سيوفهم المفضضة التي يعلقونها في اوساطهم . وحين يعتلون صهوات خيولهم العربية وفوقها السروج العضية بلا الحمة يحملون ايضاً (رماحاً) طويلة ويستصحبون علاوة على ذلك واريدهم (المارتينية) . ويكون الرمح لهم خير رفيق لهم في مسابقاتهم على الخيول (الداد) وفي غزواتهم المسماة (قومانه) . اما بواريد (المارتين) فتنفعهم في الغزو فقط فانهم يبدأون هجومهم بالمارتين والرمح ثم يسحبون سيوفهم ويهجمون صدرًا الى صدر

• ان لباس النسوة فهي تشبه البسة نساء عشيرة العذارنه (١) . ويستعملن الالبسة الزرقاء الوسيعة وهي (غطه) و(فهراماليه) و(صماده) و(عصابه)

يحمل ابناء العشيرة العصي بايديهم بصورة دائمة ويسمون العصا ذات الرأس (دسه) والتي بدون رأس (ماكور) . اما العصي الكبيرة والثخينة فيسمونها (مدروب) . ولا تخلو ايديهم من واحدة منها

والشيوخ من ابناء العشيرة يستعملون آلة للتدخين وهي مستقيمة رونة قصب ويسمونه (سبيل) او نوعاً آخر للتدخين على هذا الشكل ولكن دقصب ويسمونه (عليون) وكلا النوعين يعلقان في اوساطهم

***

توجد في اوجههم المحترقة باشعة الشمس ابتسامة . وتتجلى هذه الابتسامة اكثر من ذلك في عيونهم . فاذا حادثت اي واحد منهم تمتزج روحك بروحه حالاً . لا اثر الوحشة في وجوههم .

(١) راجع الصحيفة ٣٥٢

قاماتهم متوسطة مثل سائر العرب . شعورهم وعيونهم سوداء . ولا يمكن ان تجد بينهم ذا عيون زرقاء وشعر ابيض او اصفر . اسنانهم بيضاء ناصعة تلمع كاللؤلؤ حينما يتبسمون . ويظهر على اوجه نسائهم ذلك الانس البدوي

لا يقص الرجال شعورهم . ويجدلونها من اطرفها . يخبئون شعورهم تحت الكفيات . وفي الوقت ذاته فانهم لا يقصون لحاهم ايضاً . ولكنهم يصلحون القسم الاسفل من لحاهم . يتركون شواربهم على ما هي عليه ولكنهم يمشطونها بصورة قوية . يخرق الرجال ايديهم اليسرى من عدة محلات بداعي انها تقوى على حمل البارودة

يزين الرجال والنساء ايديهم بالخواتم وبالسوارات الفضية . تتم النساء والرجال ايديهن بالوشم على اشكال سلاسل مثلثة . اما النساء فيزين وجوههن و . واعدهن بالوشم . ويزين معاصمهن بالاساور وبسلاسل من ذهبات الزينة مثل المحمودي و لحمادي ويسمونها (صفات)

[٣] — العادات الاجتماعية — يطلق ابناء العشيرة على القادمين عليهم اسم (ضيوف) فاذا اقبل على العشيرة ضيوف ممتازون يعرفونهم حالاً من بعيد ويخبرون عنهم الرؤساء . فيتراكض حالاً المماليك السود الذين يتوارثهم الرؤساء عن الآباء والاحداث مع ابناء العشيرة ويمسكون فرس الضيف

يسمون الاسرة التي ينزل الضيف اليها (معازيب) . فيقابل المعازيب ضيوفهم في القسم الكبير من خيامهم والمسمى (شق) فيفرشون حالاً الحصر ويطرحون فوقها الفرش الطويلة ويضعون فوق ذلك السجادات . وبعد ان يجلس الضيوف على هذه المقاعد يحضرون له المخدات الطرية . يقبل الصغار ايدي الضيوف . اما الكبار فيجلسون في جانب ضيوفهم . يلمسون ايدي الضيوف مع الانحناء ثم يرفعون ايديهم الى صدورهم فيؤدون بذلك مراسم التحية اما صاحب الشق فانه يمسك بعماد الخيمة الاساسي ويقف منتظراً ما يؤمر به ولو كان هو رئيس القبيلة . ومهما اصريت عليه فهو لا يجلس . فيجب ان يعمل كل شيء بيده . ويأخذ جميع المعازيب بالتطواف حول الضيوف يملأون الماء ويقدمونه الضيوف في كاسات مبسوطة . ويشعلون النار من طرف آخر ويأخذون بصنع القهوة ودقها في النغم (كما هي العادة في عشيرة الغوارنة) ثم يطبخونها بأباريق كبيرة

يذبحون الغنم ويهيأون الطعام . وبعد الانتهاء يمدون السماط ويضعون فوقه الاطباق . ويظل المعازيب واقفين ثم يطوفون بالقهوة عدة مرات . ويقدمون اللبن الرائب الذي يسمونه (شنينه) مراراً . و يتلقون اقل اشارة من ضيوفهم كانها امر قاطع يتراكضون الى انفاذها .

و لعازيب مسئولون عن جميع اسباب استراحتهم وحياتهم . يحبون ان يبقوا ضيوفهم عدة ايام . وحينما يعزم الضيوف على الذهاب يرسلون حسب قدر الضيوف ومقامهم عدة من المواليد وافراد العشيرة على الخيول المطهمة لتشيعهم حتى خارج الحدود

وحينما يتزور رؤساء العشيرة وعظوءها يبالغون جداً باكرام بعضهم . وتميل كل عشيرة ان تمتاز على العشيرة الاخرى

اذا وجد ضيف عند روساء العشيرة يدعي الى المأدبة قسم الكبار من افراد القبيلة . وليس للنساء مقام في مجالس الرجال . ويقضي افراد العشيرة اكثر اوقاتهم ليلاً ونهاراً عند رؤسائهم فيجلس رئيس العشيرة في محل طبخ القهوة وهو المسمى (نقرة القهوه) وتجلس حوله ابناء العشيرة فيتناولون القهوة العربية مراراً عديده

***

لا يقع الزواج على العميان لان ابناء العشيره يعرفون بعضهم رجال ونساء . فاذا وافق شيوخ على ان الرجل كفو. يخطبون له الابنة من والدها او من وليها ثم يبتدا كرون بمسئلة المهر المسمى « سباقاً » . والمهر هنا خمس بقرات ويمكن للروساء ان يبلغوه الى العشرين بقرة . فاذا تم الاتفاق على المهر يستحضرون من بيسان « خطيباً » ولا يحضر في مجلس العقد سوى الزوج ووالد البنت او وليها وشاهدين والخطيب . ولا يجوز ان يحضر هذا المجلس احداً غير هؤلاء فيعقد الخطيب النكاح ويدفع الرجل المهر . وللبنت ان تترك لابيها جميع المهر او قسماً منه واذا ارادت فانها تعيد جميع ذلك الى زوجها . ومن العادة عندهم اطلاق السلاح بعد عقد النكاح . وقد الفوا ان يرسل الزوج للبنت خاتماً او حلقاً « نزاجه » . وبعد شهرين يتهيأون للزفاف . فيقيمون عدة ليال مقادف ومراقص « صحجه » و « دبكه » . ثم ابناء العشائر المجاوره . وربما دعي الى العرس الف شخص . فتذهب النساء والبنات لاستحضار البنت . فتركب النسوة اثنين اثنين على الجمال الزينة بالسجاد ويركب الرجال على الخيول . ويذهب قسم منهم مشاة. فيركبون البنت على جمل مزين جداً ويسير وراءها احد اقربائها من الرجال وهو راكب ايضاً . ويأخذون باطلاق السلاح . واذا احضروها ليلاً فانهم يوقدون امامها المشاعل الى ان يوصلوها الى الخيمة المضروبة جديداً . ويسترون وجه البنت ببرقع ابيض. ثم يأتون بالزوج الى الخيمه وهناك يطوف على الحاضرين بالقهوة ذات السكر

وتعاد الافراح ثاني يوم . وتذبح الخواريف . ويعزفون بالرباب والمجوز والشباب. وتقضي المدعوون « المعزومون » هناك عدة ايام . على ان المدعوين يحضرون معهم هدايا مثل السمن

والارز والسكر . فيقطعون اوقاتهم بالضحك واللعب والافراح ومن العادة بين العشيره ان يهدي صباح يوم العرس اقرباء الزوج والزوجة للبنت مجيدية باسم « النقوط » ومن الاصول المتبعة من الاغنياء ان يهدي الزوج للزوجة « صفات » وهو من قبل رؤية الوجه

يغلب على ابناء العشيرة في غوربيسان ان يتزوجوا اربعة . وليس عندهم طلاق ولكنهم يتركون الامرأة باسم « هجر » . غير انهم يقومون حينئذٍ بجميع اسباب معيشتها وحاجياتها

***

اعتاد كل واحد من ابناء العشيرة في غوربيسان ان يختن اطفاله بالاشتراك مع افراد العشيرة في وقت واحد وزمان واحد . فعشيرة الغزاوية مثلاً تختن اطفاله في دار رئيسها « حمزه » في جوار الشريعة . وعشيره الصفور تختن اطفالها في دار رئيسها « عرسان » ويقال ان الجراكنة يختنون اطفال هؤلاء العرب

وللختان عندهم مراسم مخصوصة فيرفعون تمثالاً في محل الختان ويسمى « مصنع » او « منصوص » . والتمثال عبارة عن عمود خشبي يلبسونه ثياباً ذات حمائل . ويلعبون امامها ايا أ على خيولهم . وتجتمع هناك جموع غفيره . فيذبح كافة الذين يختنون اطفالهم القرابين ويقيمون الولائم العمومية . وبعد الانتهاء من ذلك يلبسون الاطفال البسة حمراء يسمونها « حوشا » . ويلقون على رؤوسهم « منديلاً احمر » ويزينونهم بالازهار . وبعد الختان يقرأون جز من القرآن الكريم ويوزعون الحلويات على المدعوين . ولكن مراسم الختان تجري كل بضع سنين مرة فقط . حتى انه لم تجر مراسم الختان منذ عشر سنين في عشيره الغزاوية ومنذ خمس سنين في عشيره صقر

***

تعيش عشائر غوربيسان باستسلام وتوكل عميق ولذلك فانهم لا يتأثرون لمن يموت موتاً طبيعياً ولكنهم يتكدرون جداً لقتل احد منهم حتى انهم يستعملون في مثل هذه الحوادث تعبيراً خاصاً بهم فيقولون انهم تأثروا لوفاة احدهم بالموت الطبيعي اربعاً وعشرين مرة اقل من المتوفى منهم قتلاً . فاذا توفي احدهم بالموت الطبيعي ينفضون اكتافهم ويقولون هذا مراد الله فيجيء الشيخ « الخطيب » وقت الوفاة فيكفن الميت ويصلي عليه ثم يضعه في تابوت طرفاه من الخشب ووسطه مجدول بالاحبال ويحملونه اما على جمل او على حصان فان كان من الغزاويه دفنوه في موقع يسمى « شجرة بالية » وان كان من الصفور دفنوه في محل « الخصر » ولكل عشيرة

مقبرة خاصة بهم . وليس لقبورهم اثر او حجر وبعد الدفن ينظم نساء العشيره المراثي وتهديها لروح المتوفي

***

اذا ظهر اختلاف بين ابناء العشيره يقول احد المتخاصمين (انا داخل عليك) فيفصل الرؤساء الاختلاف الواقع ويحلونه . فاذا كان الحق لواحد وجب على الخصم الخضوع لامر الرئيس وان كان الحق متداخلاً بين الاثنين تفض المسائل صلحاً . ولهذه الاسباب فان واحداً في المائة من الاختلافات بين العشائر لا تعرض على الحكومة

اما الجرائم فان القاتل ينفى سبع سنين من العشيرة فاذا تمكن من المصالحة مع اهل المقتول يدفع الدية . ولكن ابناء العشيرة اعتادوا على كل حال ان يقتلوا القاتل اخذاً لثار اهل المقتول . فاذا مضت سبع سنين على وقوع القتل لايجوز اخذ الثأر حينئذ

وان جرم (الزنا) بين العشيره يجازى فاعله مجازاة القتل

و قد كان المتعارف بين العشيره ان الديه ٣٣ الف غرش ولكنهم يخفضونها احياناً الى ١٠ الف او عشرين الف غرش . واما السرقة فجزاؤها تضمين السارق قيمة المال المسروق اربع مرات فاذا فر السارق نجا . ولا يضنون اقرباء المال المسروق يفصلون وقائع الضرب والجرح صلحاً . فاذا تعطل في المجروح عضو وجب على الجارح ان يدفع نصف الدية

[٦] — الحياة الاجتماعية العامة — تقضي العشائر العنشة في غوربيسان حياتها بسعادة وهناء اكثر من القرويين وحتى من سكان القصبات . منهم ارباب قناعة حسب طبيعتهم وضف الى ذلك حالة البداوة منهم فحاجياتهم معينة بهذه النسبة ولذلك تراهم يؤمنون معيشتهم باقل سعي . يشتغل كافة رجال العشيرة المقدرون بستة الاف او سبعة الاف شخصاً — ما عدا بعض الاشخاص الممتازين — بحراثة مزارعهم وغرسها . ومزارعهم قريبة من خيامهم . ويوم عيد الاضحى يجتمع رجال العشيرة فيحرثون اراضيهم ويزرعونها عقب ذلك ولا يزالون يشتغلون في اراضيهم حتى يتناولوا محصولهم منها . اما النساء فتشتغل بجلب الابقار والاغنام وصنع الجبن والزبده واللبن الرائب (الشنينة) منها . تقوم المرأة باشغال دارها وتضع طعام اهلها وتهيئ لهم كافة ما يحتاجونه وتذهب صباحاً ومساء الى نهر الشريعة فتملأ القراب منه وتحضره الى اهلها . وحينما تفرغ من اشغالها تشتغل بحياكة الاقمشة الصوفية التي تصنع الخيام المسماة (شقه) . وانها تخبز خبزها فوق الصفائح المعدنية (الصاج) . يعدن الى خيامهم امام الغنم او البقر او الجمال العائدة من الوعر وفي ايديهن

انصاب اتنا الجوز او الشباب ٠فتجتمع جميع افراد الاسره حول اطراف الـدخان السخن من طعامهم

يوقدون الحطب ليلًا فينيرون ما حولهم ٠ويتوجب احياناً على اولادهم ان تشتغل نهارًا بجمع شيء من الحشيش اليابس والعيدان ٠ وان المعيشة البدوية السعيدة التي تقضيها هذه الاسر بشيء قليل من تقسيم الاعمال لما يستجلب الاعجاب والتقدير ٠ ومن احلى البساطة الظاهرة في مآكلهم وملابسهم ٠ انهم مضطرون للمعيشة بحرمة ومحبة مع بعضهم ٠ولقد ذكرنا قبلًا ان تعدد الزوجات بين هولاء البشر الاحرار لم تأت بنتائج مؤلمة مطلقاً ٠وقد تمكنت الرغبة بالاستيلاء بين هذه العشائر من اولها الى آخرها ٠ فيتزوج الرجل بضع نسوة ٠ ويقال ان الشيخ عرسـان رئيس عشيره بني صفر تزوج (٣٣) امرأه في حياته ٠ وقد ترك بعد وفاته ستة او سبعـة اولاد ذكور من امهات مختلفات

فطر ابناء العشيرة على الاطاعة والمسالمة ٠ ومع هذا فان التعدى على مواشيهم ومزروعاتهم يدعوهم حالاً الى المهاجمة فيأخذ ابنـاء العشيرة حالاً اسلحتهم ويبدأ ما يسمونه (قوم) او (قومانه) ٠ ولا يهدأ بالهم ما لم يأخذوا انتقامهم ٠ ويقال ان اكبر اعداء هذه العشيرة هو في انحاء حوران ٠ فاذا دار الحرب عن عشائر حوران تظهر الحدة على ابنـاء العشيرة في غوربيسان ويحرقون الارم عليهم ويحملقون بعين الانتقام ويعضون على اسنانهم

٣ — الحالة الروحية والادبيه فى عشائر بيسان

شرحت بالتفصيل الاحوال العمومية والاجتماعية في العشائر التي تعيش في وادي الشريعة الدافىء بهوائه والمنبسط في اراضيه وقد كان من الممكن تلخيص هذه التفاصيل وبيان زبدة عن الحالة الروحية والصناعية في افراد هذه العشيرة

يمكننا ان نقول ان الوصف الاساسي في ابناء هذه الصحراء المتخلصين عن جميع انواع الحاجيات المدنية هو المحافظة على حالتهم الحاضرة فهم محافظون بجميع معنى الكلمـة وهذا هو المبدأ الوحيد المركوز في ارواحهم ٠ واذا بحثنا نجد ان (التقليد) هو من اهم العوامل التي تدعوهم الى الحركة والعمل والتي تعيشهم والتي تقربهم او تبعدهم عن بعضهم ٠ فترى ان كل فرد من ابناء العشيرة يألف منذ صغره ان يحب احباب والده واهله بل وسائر ابناء عشيرته وان يبغض اعداءهم ايضاً ٠ ويميل منذ نعومة اظفاره الى اميـال اهله وعشيرته ٠ وتتمكن منه هـذه العادات المتوارثة منذ اعوام وسنين لدرجة لا يمكن ابعاده عنها مطلقاً

ولا ريب ان جميع افراد الهيئات الاجتماعية البسيطة المؤلفة من اناس مخصوصين ينشأون في ساحة ضيقة ويتشابهون كثيراً في حالاتهم • فيدرج الولد على الخطة التي درج عليها ابوه • ولهذه الاسباب ايضاً ترى ابناء العشيرة مرتبطين تمام الارتباط بخيامهم وقهوتهم والبانهم الرائبة وعاشقين رئيسهم وخيولهم وسلاحهم وزراعتهم

وما دام انهم يجدون هذه الحاجيات بسهولة • ويعيشون على قدر الاستطاعة مثل معيشة غيرهم • فما هي الاسباب التي تدعوهم اذن لتقييد حياتهم بالقيود التي لم يألفوها مطلقاً ؟

لماذا يحبسون انفسهم داخل الدور ويحترمون ويعظمون الناس الذين لا يعرفونهم ولا يفقهون السنتهم ؟ بل لماذا دخول المكاتب وتعذيب النفس بما يسمونه كتاباً ؟ واي لزوم وحاجة لمثل هذه الامور ؟ فهم لا يميلون لان يكونوا ضباطاً او امراء • او غير هذا من الامور• لانهم اصحاب الحكم والسلطة المطلقة في خيامهم • واي حاجة لتعلم القراءة والكتابة خصوصاً ؟ فالقراءة لازمة لرجال الحكومة والموظفين • فهم ليسوا اصحاب حكم ولا يحبون ان يكونوا موظفين• اليسوا عائشين الم يقوموا بزراعتهم ويمتطوا خيولهم ويذهبوا الى ما يشاؤا ؟ ومن يمكنه ان يتعدى على حقوقهم او على خيامهم • اليسوا آمنين من هذه الجهة ؟ فلماذا يقرأون بل لماذا يكتبون ؟ اذا لم تكن هذه الامور تسعف في حياته فلماذا يعذب نفسه بضعفها ؟

اليسوا عالمين من جهة اخرى بامور دينهم ؟ الا يقولون ان باسط هذه الفيافي جميعها وخالق تلك الجبال • ومنبت الزرع ومنزل المطر هو الله ؟ انهم يعرفون ذلك فهم يعرفون اذن دينهم • وهم يعلمون ذا • لمن ينشأ منهم حديثاً فلماذا يتعلمون القراءة اذن • يقال ان اداء الصلاة وتعلم ايات من القرآن لازم وهم يتعلمونها جيداً • فاذا سمعوا الاية مرة من آخر يحفظونها حالاً • وحاصل القول انهم لا يرون حاجة للتضييق على انفسهم بما لا يلزم لهم وعلى هذا فان حياتهم الهادئة والمنزلة هي فوق كل حياة

وهل يمكن ان يكون في المعائش عيشة غير عيشة هؤلاء ؟ اليست حياة العالم عبارة عن حاجياتهم فقط ؟ فالحبوب والمواشي للاكل . . واقمشة بيسان للباس . . . وما يلزم بعد هذا ؟ الا يجتمع افراد الاسرة حول طبق واحد ويرفعون اكمامهم ويتناولون الطعام السخن باكفهم ؟ فماذا يبقى عليهم بعد هذا ؟ ا قطعة من (البستوني) او (الخام) المطبوعة تكون بلون اسود او ازرق تكفيهم للباس • اليس كل شيء بعد هذا تاماً ؟ لماذا يتركون هذه المعيشة ؟ ماذا وراء صحراء بيسان ؟ بل ماذا فيها ؟ فاي علاقة لهم بذلك • يسقط البرد او تشتد الحرارة فلماذا يشغلون

افكارهم بذلك ؟ اليس الحق تعالى فاعل كل شيء ؟ اليس المرض والموت بقدر الله وخلقه ؟ واي حاجة اذن ان يتعلم البدوي شيئاً ؟ فهو يعرف كل شيء ومؤمن بالله ؟ اليس ذلك كافياً لتسكين غلته فماذا بقي عليه ؟

يعرف كيف يعيش وكيف يعمل . ويفهم ويدرك ويمكنه في اي زمان كان ان يعمل كل ادارة فيؤلف عائلة . فيلد له وينشأ اولاده . فهو اذن قادر ان يستلقي تحت خيمته ناعم البال هادىء الخاطر او انه يطوف وراء غنمه على ضفاف المياه البراقة ثم يستلقي في احنان تلك الحدائق الخضراء

وله من الوقت فسحة غير معينة فاذا اراد يغني واذا شاء اخذ (الربابة) بيده وعزف بها نغمات تطير لها النفوس شعاعاً فيسمعها ويتلذذ وان روح هذا البدو المملوءة بالمحافظة والسكينة والاعتدال تعيش ولا تزال عائشة بامان وراحة بديعتين متفيأة ظلال هذه الانغام والالحان

***

يسهل علينا بدا باقل ملاحظة معرفة الروح الصناعية في اقدار هذه العشيرة التي تتبعنا حتى الآن حالتها الروحية واحدة فواحده . فليس بينهم عوامل خارجيـة تفسد عليهم روابطهم الصادقة ولقد كانت آثارهم مملوءة بالروح البسيطة الخالصة . ولقد كان من المقتضى ان يكون لهذه العشائر التي قضت سنين على هذه الحالة من المعيشة آثاراً كثيرة جـداً ولكنها لم تدرك فظلت نتائج صنائعهم الفكرية محصورة فيما بقى من محفوظاتهم

وان محفوظات العشيرة لاتتعدى حدود الآثار الادبية الحديثة التي لايزال ذاتهـا معروفاً ولا ريب ان زواج احد الاقرباء او وفاته او حدوث خبر لرئيس عشيره فيكون وسيلةً لهذه التوجهات . وان جمالهم وخيولهم وغزواتهم وجروحاتهم احسن واسطـة نشيدهم الشعر . فيأخذ حينئذ احد ابناء العشيرة الربابة) فيعمل فكره وينطق بالشعر ويصحب ذلك بنغمة الربابه . وبهذا الاعتبار فان الشعر هنا ربابي من نوع (ابريك) وان الشعر والموسيقى متحدان تمام الاتحاد وحينا يأتي شعراء العشيره شعرهم ويترنمون على الربابه بعواطفهم وغرامهم . ويحفظ الآخرون ما يقول اولئك وبذلك يشفون غليل اذواقهم البديعة حتى انهم يحفظون اسماء جميع الشعراء ويذكرونها بكل احترام . واذا انتقلت الاشعار من عشيره الى عشيره لاينسون اسم قائلها ولا يهملون حقه الصريح فيثبتون بذلك تقديرهم حق الرجال

يمكننا ان ننظر الى هذا النشاد او الاشعار الربابية التي تمكنا من جمعها وتفرقهـا الى انواع من حيث موضوعاتها . وهم يطلقون على اشعار المديح اسم (قصيدة) او (قصيـد)

واليك امثلة من هذا النوع

قصيدة

يا ولد دني لى الذلول
باليمنى وامنع اهجاره
كشه الى درب الغور
تسري بالليل والنهاره
تجي بيت ابو محمد
الشق ينهض اركانه
انتم يا شيوخ الوقت
هل لي كلكم صقاره
بعد الزناتي ابو محمد
يا رخم طبلوا كاره . . .

(ضرعام البلويسات) من عشيرة الغزاوية

(قصيدة)

اشرفتنا رجماً معتلى ناميا الرأس
فطن مرقباً رأس طايل
يا رب يا عائد على جملة الناس
وتعود صوب ديار المحائل
(مشارى) يللى للملابيس عفاس
يللى نطيحك من السرج مائل . . .

(متعبه السروى ابن فراز الصقري)

(قدوميه)

سير يا قلم واكتب مثائل هوانا
وانعاج يا عود القلم بالتساطير
سلامنا يا طارش باللسان
السلطان ولى عندهم والمساير
هلا هلا بالطارش هلى الفا

هلا هلا بو عدد ما رفرف الطير
هلا هلا بو عدد التسعة والثمانية
من بعد ذا يا راكب ام الحصانا ...

(عبد الله العزاوي)

وللعشائر غزليات غير هذه القصائد . وهذه امثلة منها :

غزل بالربابه

فاض غرامي يوم شفته بنامي
والدمع حامي والشظى في عظامي
من كثر ما بي يوبع وعذابي
وضح شهابي بالمفارق هامي
من بعد ذا شديت عشرة سراجيب
درعاتهم لازر فلا كاللواليب
من الذي يقطع الدو تهذيب ...

(شبلي الاطرش) من جبل الدروز

(غزل مع الربابه)

لي صاحبه دونه ثمانية شده
للرحل ما هو البكار المرابيع
منساه لو الهجن تنسى الاشداء
واهل المهار يبطلون المفازع ...

(علي الشحطول الصقري)

وللعشائر المذكور اغان ينشدونها اثناء سيرهم في الطريق واثناء الحروب ومنها

(حداويه) النشيد الحربي

ياطير السخنه لاتحوم
دربك على ملكاتنا
دبجنا عارف والعبيد
نوفا على سدادتنا .. الخ

(طراد ابن زين الصقرى)

(هجانيه) انشودة الطريق

قوموا اعرضوني على البابور
حيث عاحل يوديني
من صفرتو اجفل المظهور
طير قلوب الوعاذيني
دماح « تركي » مع المظهور
قطاع رأسو يباريني
انا دحيله لابو منصور
بلحاف جوخ يغطوني ...

(تركيه بنت ابن مهيد) من عربان الرولا

وللعشائر ايضاً مراثي ولكن اكثرها من نظم النساء وتصرخ النساء بعد قرائتها قائلة (وي ، وي ، وي) ويسكبون الدمع

(مرثية) لاحل عرسان شيخ صقر

يادهب حوران يا اصفر يا مسمع
ماشفت عرسان في الكون يوما تلمع
يادهب حوران يا اصفر ياحديد
ماشفت عرسان با كون شديد ...

(فريحة ، عبدة الشيخ عرسان)

ويغنين في الافراح نشيداً عمومياً ويكررنه على تصفيق الايدي ومنه :

يا من لو حمره عندلي
أشرب من حقيق الانكري
يا من لو حمره مرهاش
يا ويل الحمع اذا هاش
يودع للجمع طشاش .

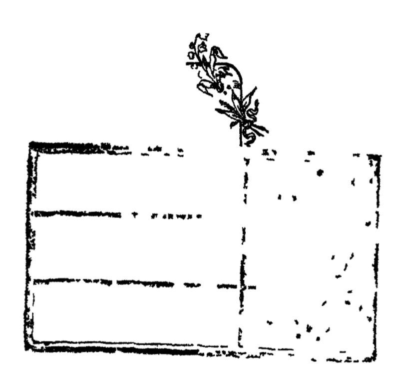
(فلحه طويسات الغزاوية)

وحينما تنشد هذه الاغاني بلسان واحد في ايام الاعراس تضع النسوة ايديهن على افواههن ويصرخن بدار الفرح والطرب قائلات « لو لو . لو . لو . » يسمون ذلك « زلاغيط » . ولهم

ايضاً اغاني مشتركة يكررون نشيدها في مراقصهم المشتركة المسماة « دبكه » . ويمكننا ان نذكر منها اغنية فلاح الهيشاره النزاوي المبدوءة بقوله « يا هويدلك يا هويدلي » واغنية ابو بكر النزاوي المبداوة بقوله « علنه على النته » . وقد اشتهرت هـذه الاغاني في القرى والقصبات المجاورة للمشيره

ويتبين من هذه الاثار المذكوره ان روح المحافظة على القديم ظاهرة في هذه الاثار الادبية . ومع هذا فان عدم جوابها من حيث اللغة وعدم نشيدها باللسان العربي الفصيح جعل مزيتها وقيمتها وتأثيرها باعتبار الزمان والمكان محدداً جداً

بيروت في ١٥ كانون اول عام ٣٣٢





الخاتمة

١ — المؤلفات التي تستحق التنبيه
٢ — جدول الخطأ والصواب
٣ — الفهرست

المؤلفات المكتوبة عن سوريه وفلسطين والتي تستحق التنبيه

المؤلفات التركية

١ — قاموس الاعلام	شمس الدين سامي بك
٢ — تاريخ سياسي	كامل باشا
٣ — مرآت حقيقيت	مدحت باشا [استانبول ٠ ١٣٢٥]
٤ — دولت عثمانية عصر حاضر تاريخي	على رشاد بك
٥ — خاطرات	سعيد باشا

المؤلفات العربية

١ — تاريخ دمشق	ابن عساكر [طبع بعضة]
٢ — ذيل تاريخ دمشق	ابن القلانسي
٣ — الروضة الغناء في دمشق الفيحاء	نعمان المساطلى
٤ — زبدة الحلب في تاريخ حلب	ابن العديم
٥ — الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب	ابن شحنه
٦ — تاريخ حلب	[بيشوف الالماني]
٧ — تاريخ اورشليم اى القدس الشريف	خليل سركيس
٨ — تاريخ يوسيفوس اليهودى	
٩ — تاريخ بيروت والامراء التنوخيين	صالح بن يحيى
١١ — تاريخ صيدا	احمد عارف الزين
١٢ — تاريخ زحله	عيسى اسكندر معلوف
١٣ — تاريخ سوريا	جرجي بن الطرابلسي
١٤ — تاريخ سوريا	مطران يوسف الدبس [ثمانية اجزاء]
١٥ — العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية	الياس مطر
١٦ — تاريخ لبنان	الاب بطرس وتيوس
١٧ — اخبار الاعيان في جبل لبنان	طنوس شدياق

١٨— كتاب ذخر لبنان — ابرهيم دلك الاسود
١٩— تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من الآثار للاب لامنس
٢٠ - تاريخ دمشق — موسى ميخائيل الوف
٢١— تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر الاب لويس شيخو
٢٢— طبقات الامم والسلائل البشرية — جرجي زيدان
٢٣— العيشة الهنية في الحيوة النسكية (القس افرام الديراني)
٢٤— مجلة المقتطف (القاهره)
٢٥— مجلة الهلال (القاهره)
٢٦ — مجلة المقتبس (دمشق الشام)
٢٧— مجلة العرفان (صيدا)
٢٨— دائرة المعارف — بطرس البستاني
٢٩— تاريخ التمدن الاسلامي — جرجي زيدان

المولفات الفرنساوية

1 — V. Cuinet, Syrie ,Liban et Palestine.
2 — V. Guérin, La terre S.te Judée, Samarie et Galilée. (7 Vol.)
3 — Vigouroux. Dictionnaire de la Bible.
4 — Maspéro, Histoire ancienne des peuples d'Orient. (3 Vol.)
5 — Lenormand et Babelon, Histoire ancienne de l'Orient (6 Vol)
6 — Perrot et Chippiez, Histoire de l'Art dans l'antiquité, (vol III et IV « Egypte,Phénicie, Judée »
7 — Vernet et Danbonnu. Les Puissances étrangers dans le levant, en Syrie et en Palestine.
8 — Lortet, La Syrie d'Aujaurd'hui.
9 — Heyd, Histoire du Commerce du levant.
10 — Eliséo Reclus. L'Asie anterieure.
11 — (Pères Dominicaines.) Revue Biblique.
12 — G. Rey, Les colonies Franque en Syrie.
13 — G. Rey, Etude sur les Monuments de l'Architec ture militaire des Croisés.

14 — Vogüé (Melchiorde), Les Eglises de terre Ste.
15 — Vogüe (Nelchiorde). L'architecture de la Syrie centrale.
16 — Marcel et Janeski, La Syrie.
17 — G. Lebon, La civilisation arabe.
18 — H. Guys, Beyrouth et le liban.
19 — H. Guys, Etat politique et commerciale de la Syrie.
20 — Mgr. Mislin, Voyage en terre Sainte (3 vol.).
21 — Le Journal Asiatique.
22 — Clement Huart, Littérature Arabe.
23 — Nouveau Larousse illustré. (8 vol.).
24 — Baedeker, (Palestine et Syrie).
25 — Ernest Renan, Vie de Jesus.
26 — Pirre Loti, La Galilée.
27 — Lamartine, Voyage en Orient.
28 — Chateaubriand, Itinéraire de Paris à Jérusalem.
29 — Sekopoff, Les Réformes et la protection des chrétiens en turquie (Paris, 1904).
30 — Aristarchi Bey, Législation ottomane (Constantinople 1873 — 76).
31 — Engelhardt, La Turquie et le tenzimat (Paris 1883).
32 — d'Armagnac, Nezib et Beyrouth (Paris 1844).
33 — Edouard Blondel, Deux ans en Syrie et Palestine (Paris 1840).
34 — Caldavène et Barrault, Histoire de la guerre de Mohamed-Ali contre la Porte ottomane (Paris 1839).
35 — Perrier. la Syrie sous le gouvernement de Mohamed-Alie (Paris).
36 — Saladin et Migeon, Manuel d'Aart Musulman.
37 — Le conte, Les Arts et Métiers de la Turquie et de l'Orient.

المؤلفات الانكليزية

1 — The Survey of Western Palestine (9 vol.)
2 — Robinson, Biblical researches in Palestine, mont Sinai and Arabia Petrea.
3 — Guy le Strange, Palestine under the Moslems.
4 — Thomson, The Land and the book.
5 — Quarterly Statement, Palestine Exploration Fund.
6 — Burton and Drake, Unexplored Syria.
7 — The modern Syria by an oriental Student. تأليف احد المستشرقين
8 — Churchill. Mont Libanon (3 vol.).

المؤلفات الالمانية

1 — Ritter, Erd kunde (XIII XV).
2 — Zeitch, Morgenlandes gesellschaft.
3 — Zoitch, Palastina Vereins.
4 — Zeitsch, Kunde des Morgenlandes.
5 — Diener, Der Libanon.
6 — Prütz, Die Phenizier.
7 — Prutz, Kulturgeschichte der Kreuzzüge.
8 — Muller, Der Islam un Morgen-und Abendland.
9 — A. V. Kremer, Kulturgeschichte der Orients unterden Khalifen.

جدول الخطأ والصواب

« تنبيه » وقع بعض غلطات من المرتبين وهي لاتخفى على ذوى النظر والامعان فلم نشر اليها واكتفينا بما يجب التنبيه عليه »

صحيفه	سطر	الخطأ	الصواب
٨	٨	*Vita Gninet*	*Vital Gunet*
٩	٨	اسرات	اسر
١٠	٢٣	ومتاولة ودروز	ومتاولة وبابيين ودروز
١٢	١٠	(محمد على)	(على محمد)
١٢	٢٥	(الشيخ عباس)	(عباس افندى)
١٣	١٣	حللوه	حللوهما
١٦	٢٥	على عكا	على حيفا
٢٠	٢٠	بين	ضد
٢٤	١٢	٧٢٠	٧٦٠
٤٤	١٤	١١٤٠	١١٨٠
٢٤	١٦	٥٨٠٠	٢٨٠٠
٢٦	١٧	رمزا	ترمزا
٢٧	١	*D!ean*	*Jean d*
٢٧	٢٦	مكتبان ودار	مكتبين ودارا
٢٨	١٧	*symler*	*sepuler*
٣٠	١٠	اذا	حينما
٣٣	١	العطريات	العطور
٤٤	١٤	٤٥	٤٦
٤٦	٩	بروت	بروميت
٤٦	١٤	٨،٧٣٦	٨،٧٣٤
٤٨	٢٤	التاريخية	الساحلية
٤٩	١٣	والغصون	والاغصان
٥٣	١١	عصر من	عصرت
٥٩	١٩	بان هذه	بان اتباع
١٠	٥	فى بعض	فى بعض انحاء

٦٢	٢٣	١١٣٨٠٠٠	٢ ٤٣٠ ٧٠٠
٦٣	٢٥	مفروسات	مفروشات
٦٧	٦	البدويه	البداوة
٧٠	١٥	على حل ذروة	على ذروة
٧٠	١٣	(انطاكيه)	(اقاميه)
٧٣	١٤	اقالميه	(اقاميه)
٧٦	٢١	عن	من
٨٦	٢٢	طابق	طبقه
٨٧	١	نحو سلفيت	سلفيت
٨٩	٢٢	بالاحمر والاصفر	بالحمرة والصفرة
٩٩	١	السرائر	الاسرة
١٠١	١٣	مهماً جداً فى تعديل	مؤثراً جداً بتعديل
١٠٨	٣	ستقلد	ستغلب
١٠٨	١١	الضارة	المضرة
١١٤	١٢	شعيب	يوشع
١١٥	٢	١٠٠٠	١١٠٠
١١٩	٢٢	فلور قاليوم	(البوتاس الكلسى)
١١٩	٢٥	(القليوم)	(بمركبات البوتاس)
١٢٢	٦	مختلطون	مختلطين
١٢٦	٧	اطلم	المظلم
١٢٨	١٠	للاماميه	للامامة
١٦٩	١٤	*Josué*	—
١٦٩	١٥	يوشع	*Josué*
١٧٠	٧	اخذوا جدتنا دنيا	اخذوا دنيا
١٧٠	١٧	صناعة اللؤلؤ	الانجيل
١٧٠	١٩	بير يعقوب	دير يعقوب
١٧٠	٢٣	(دير السامريين)	بير السامريين
١٧٠	٢٤	العالم اليهودى	اليهودية

١٧٥	١٦	اتعبنا	لم يتعبنا
		حتى الارائك الحريريه	حتى ان شدة الحرارة فى الافق كانت
		لاشئ عندنا بجانب تلك	لاشئ فى النظر
		الراحه	

فهرست

— المندرجات —

التدقيقات والتتبعات المحليه :

الخرائط والرسوم